

دار ئاراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

*

صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين

رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب

العنوان: دار ئاراس للطباعة والنشر - حي خانزاد - اربيل - كُردستان العراق

ص.ب رقم: ١

www.araspublisher.com

يهود كردستان

إريك براور - رافائيل پاتاي

يهود كردستان

تأليف: إريك براور

أكمله وأصدره: رافائيل پاتاي

نقله الى العربية

شاخوان كركوكي و عبدالرزاق بوتاني

اسم الكتاب: يهود كردستان - دراسة إثنولوجية

تأليف: إريك براور

أكمله وأصدره: رافائيل پاتاي

نقله الى العربية: شاخوان كركوكي و عبدالرزاق بوتاني

من منشورات ناراس رقم: ١٦٧

التصميم والإخراج الفني: شاخوان كركوكي

الغلاف: شكار عفان النقشبندي

خطوط الغلاف: الخطاط محمد زاده

التنضيد والتصحيح: المترجمان

الإشراف على الطبع: عبدالرحمن محمود

الطبعة الأولى: مطبعة وزارة التربية - اربيل ٢٠٠٢

رقم الإيداع في مكتبة المديرية العامة للثقافة والفنون في اربيل: ٤٩٧ / ٢٠٠٢

زبي اليهودي في العماديه - زبي اليهودية في العماديه - الأزياء في
سنه (سنسج): زبي الرجل - الأزياء في سنه: زبي المرأة

6) المأكّل ١٠٩-١٢٦

الخبز - أطباق اللحم - اللحم المحفوظ - منتوجات الألبان - الخضروات
(بيبرك) - البرغل والرز - الكبة - السمك - المرّة - الحلويات -
المشروبات - المخدرات - وجبات الطعام

القسم الثالث: العائلة

7) الزواج ١٢٩-١٧٤

سن الزواج - الصداق (نقده) - ليلة الدجاج (ليل كيثيثا) - شابات
معاريف - الخطبة (قادوش) - فترة الخطوبة - الاستعدادات للزفاف -
الصيغ بالحناء - توجيه الدعوة للأغا - ليلة الحناء في العماديه - حمام
العروس - حمام العريس (خبييت ختنا) - حمام العريس في العماديه -
كسوة العروس - زبي العروس - زبي العريس - الموكب الى دار العروس -
وصول الموكب؛ بيراخته - الأخطار المحدقة بالبركات السبع - أخذ
العروس الى دار العريس: شينويت كيلو - حجرة العروسين - وليمة
الزفاف - اليعهود - أيام الولايم السبعة - فطور العريس؛ صباحيه
دختنا - الزواج عند اليهود القرويين

8) الولادة والطفولة ١٧٥-٢٠٥

الأخطار المحدقة بالمرأة الحامل، ووقايتها منها - الولادة - الوضع
الذي تتخذه المرأة عند الولادة - عسر الولادة - رعاية الأم بعد الولادة -
العناية بالطفل بعد الولادة - عزل المرأة النفساء - الأسبوع السابق
للختان - شابات آفي هابن - الليلة السادسة (ليل ششه) - الليلة السابقة
للختان؛ فاخناخت - الختان - السحر - وليمة الختان - العناية بالطفل؛
المهد - إتمام الرضيع - الطفولة؛ أول الأسنان - زمو الطفل - تعلم
المشي - الأطفال المهددون

9) اليهودية الكرديّة ٢٠٦-٢٢٣

تعدد الزوجات - معاملة النساء - العمل اليومي - الحرف اليدوية
وأشغال الأبرة - قوانين الطهارة - الميقفه - الزنا والطلاق - تزويج
الأرملة من أقرباء الزوج

10) الوفاة والدفن ٢٢٤-٢٤٠

الحقرايه؛ جمعية الدفن - زواج الميت - غسل الميت - القبر - موكب
الجنائز - ثياب الحداد - المقبرة وزيارتها

المحتويات

تقديم ٩-١٧

مقدمة الطبعة العربية ١٨-٢٤

مقدمة الطبعة العربية ٢٥-٢٧

نتائج إريك براور المنشورة ٢٨-٢٨

القسم الأول: زمهيد

1) البحث الإثنولوجي ٣١-٤٩

بنيامين التوديلي وبيتاجيا الراتسوني - الحاريزي - يحيى الظاهري
- الشليم (الرسل) - ر. ديفيد دبيت هليل - البعثة النسطورية - العمل
التبشيري بين ظهرائي اليهود - جوزيف إسرائيل بنيامين (بنيامين
الثاني) - الرابطة الإسرائيلية العالمية - الرحلات الأخيرة - البدء في
دراسة البلد علمياً

2) المواطن ٥٠-٥٩

3) تاريخ اليهود الكرد ٦٠-٨٠

القرن الثاني عشر؛ ديفيد الروي - القرن الثالث عشر؛ الحاريزي - حازان
ديفيد وحازان يوسف - القرن السادس عشر؛ يحيى الظاهري ووثائق
(رسائل) - إنتفاضات القرن التاسع عشر - كردستان في ظل الدولة
العراقية (حتى ١٩٣٩)

القسم الثاني: التراث المادي

4) السكن ٨٣-٩٣

بيوت اليهود - بناء البيت - أثاث الدار - مراسم الافتتاح - تعاويد
للدار

5) الثياب ٩٤-١٠٨

الزبي الكردي - زبي النساطرة - زبي المرأة الكردية - زبي النسطوريات -

القسم الرابع: الأوضاع الاقتصادية

11) الزراعة ٢٤٣-٢٥١
أقول الفلاحة - اليهودي كفلاح - زراعة الرز - النشاطات الاجتماعية -
زراعة الكروم

12) التجارة ٢٥٢-٢٥٨

13) الحرف اليدوية ٢٥٩-٢٦٤
الحائكون - الخياطون - الكلاكون

القسم الخامس: التنظيم الاجتماعي والتعليم

14) الأغا واليهود التابعون له ٢٦٧-٢٧٢

15) المجتمع اليهودي ٢٧٣-٢٨١
الكاياي - الحازان (المُشد) - الشماش (السادن) - الشوحيط (المذكي)

16) تعليم الصبيان ٢٨٢-٢٩٦
المعلمون والمدارس - التدريس - دراسة الكتاب المقدس - العقوبات -
السفرات الطلابية

17) الكُنيس ٢٩٧-٣٠٨
أعمار الكُنيسات وأسمائها - موقع الكُنيس - التصاميم - باحة
الكُنيس - الهيخال: الحُرْم - رقوق التوراة - القسم المخصص للنساء -
جنيزا

18) السبت ٣٠٩-٣٢٤
يوم الاستعداد - مساء الجمعة - صباح السبت

القسم السادس: الأعياد

19) الپيساج ٣٢٧-٣٥١
شبات هاكادول - تهيئة الماتزوت؛ توفير الجيوب - طحن الجيوب -
نحضير الماتزوت - تطهير أواني الطبخ؛ البحث عن حاميص - تهمه
الدم في الفطير - طبق السدر - أمسية السدر - مانيشتانه - البرايا
العشر - ديينو - وليمة الباسوكر - المسرحيات الهزلية القصيرة :
شيلونا - قطع الأشجار - سرقة الأفيكومان - أيام العيد

20) الشافووعوت ٣٥٢-٣٥٦

21) التاسع من آب (آف) ٣٥٧-٣٦٣

قراءة الايخا - مراسيم الصباح - ألعاب الأطفال في التاسع من آب -
الكفارة (كپاره)

22) أيام التوبة ٣٦٤-٣٧٣

أيام التوبة؛ سيلحوت - يوم الكفاره

23) السوكوت - السقائف ٣٧٤-٣٨٣

السقيفة - اللولاف (باقة السوكوت) - هوشانا رابا - تفحص الظل -
الضرب بأغصان الصفاف - سيمحات تورا - الطواف

24) التحكم بالمطر ٣٨٤-٣٩٩

زيارة الأضحة - عروس المطر - سرقة القطعان - عادة الجمجمة

25) هانوكه ٤٠٠-٤٠٥

26) الخامس عشر من شيفات ٤٠٦-٤٠٩

27) الپيوريم ٤١٠-٤٣٠

تقاليد آدار - سبت البنات - خيابيت كالويثا (استحمام العروس) -
جمع الحطب من قبل الصبيان - إغتسال الفتيات الثاني - بيوريم أو
ميكالا - قراءة الميكيلا - العادات الشائعة عند القراءة - ألعاب المساء
ولهو الشباب - الحفلات التنكرية - الألعاب النارية - إحراق الدمية
البشرية - الرابع عشر من آدار - هدايا الپيوريم

28) شابات بنشالاح وشابات ناحامو ٤٣١-٤٣٣

ثبت المراجع ٤٣٤-٤٣٩

الكرد للدراسة والبحث من جانب عدد من الباحثين:

كتب أي. بن يعكوف عن تاريخهم^(٢)، وكتب جي. جي. ديفلين عن أشعارهم المتناقلة شفاهاً^(٣)، وإديث جيرسن-كيوي عن موسيقاهم^(٤)، وإيرين غاربل عن لغتهم^(٥)، ويونا سابار (يهودي كردستاني) عن أدبهم الشعبي^(٦)... الخ. وقد خصصنا أنا وإسحق بن-زيفي (راعي المعهد وثاني رئيس لإسرائيل) أجزاء من كتبنا ذات الطابع المسيحي العام لليهود الكرد^(٧). لكن، ورغم كل هذه البحوث، ظل كتاب براور فذاً لا يمكن أن يحل محله بحث بين البحوث الحديثة، كما لم نقل أهمية نشره بالإنكليزية. فهو يضع دراسة إثنولوجية فريدة في متناول عدد أكبر من طلاب العلم، وفي الوقت نفسه يمثل خدمة وذكرى عالم لم تتعد شهرته حدود دائرة ضيقة من الانثروبولوجيين الذين يقرأون العبرية.

في تقديمي الأول، الذي كتبته في ١٩٤٦، قلت ما كنت أشعر بأنه ينبغي أن يقال عن حياة وعمل إريك براور والظروف التي أحاطت بتأليفه كتابه حول الكرد والذي قمت بإكماله ونشره. وفي هذه المقدمة الثانية أجد نفسي مطالباً بتقديم بيانات قليلة أعتبرها مهمة لإغناء كتاب براور، الى جانب بعض منابغات تتعلق برؤيتي الحالية - بعد خمسين سنة من كتابتها - حول قيمة الكتاب وحدوده. فلنبدأ ببعض بيانات إحصائية متوفرة حول اليهود الكرد.

أظهرت الدراسات الديموغرافية التي أجراها أبراهام بن يعكوف قبيل قيام إسرائيل (عام ١٩٤٨) وجود ١٨٧ مجتمعاً (تجمعاً سكنياً) كردياً يهوداً منها ١٤٦ في كردستان العراق، و١٩ في كردستان إيران، و١١ في تركيا، و١١ في سورية ومناطق أخرى. أما بالنسبة لعدد السكان في تلك المجتمعات فإن الإفتقار الى بيانات إحصائية يجعلنا نلجأ الى التقديرات التي تخمن المجموع الاجمالي بما يتراوح بين

٢- أبراهام بن يعكوف: قأهليوت يهودي كردستان [المجتمعات اليهودية في كردستان]، ١٩٦١ (أعيد طبعه في القدس سنة ١٩٨١).

٣- جوزيف جي. ريفلين، شيرات يهودي يا توركوم [أشعار يهود التاركوم]، القدس ١٩٥٩.

٤- إديث جيرسن-كيوي (الموسيقى عند يهود كردستان) يوقال، العدد ٢ (١٩٧٢)، الص ٥٩-٧٢.

٥- إيرين غاربل (اللهجة الآرامية الحديثة لليهود في أذربيجان الفارسية: دراسة لغوية ونصوص فلكلورية)، لاهاي ١٩٦٥.

٦- يونا سابار (الأدب الفلكلوري لليهود الكردستانيين: دراسة أنثولوجية)، نيو هيطن ١٩٨٢.

٧- إسحق بن زيفي (المُسَبَّحُ والمُعَادُ)، فيلادلفيا ١٩٦١. رافائيل پاتاي (إسرائيل بين الشرق والغرب: دراسة في العلاقات الإنسانية) فيلادلفيا ١٩٥٣، مادة (اليهود الكرد).

تقديم

إعادة الحياة الى كتاب براور بعد حوالي خمسين سنة، يعد بالنسبة لي بمثابة العودة الى أيام شبابي، والرجوع بعجلة الزمن الى أيام كانت فيها القدس مختلفة عما هي عليه، وألت اليه في السنوات الأخيرة. فخلال السنوات التي تخللت هذه الفترة تحولت القدس الى عاصمة لإسرائيل وطرأت تغييرات كبيرة على معالمها، بل أنها تطورات لتصبح مركزاً لنشاطات بحثية متنوعة في مجالات علمية كانت في بداياتها الأولى في الأربعينات. من قبيل دراسة المجتمعات اليهودية التي إنخفضت اعدادها سريعاً وبشكل مثير خاصة بسبب عمليات الإبادة النازية (هولوكوست)، وبسبب تجمعها في إسرائيل.

كان براور، خلال الثلاثينات، الإثنولوجي الوحيد (حسب تصنيفه هو) الذي يقوم بدراسة مجتمع يهودي؛ وكان الوقت الذي أتت له غير كاف سوى لتأليف كتاب واحد والفراغ منه (وهو عن يهود اليمن) والإشراف على الإنتهاء من إكمال كتاب ثان (عن اليهود الكرد).

فبينما كان براور يعمل في هذا الكتاب تعرفتُ عليه، وكان له تأثيره، وإن كان جزئياً، في تحول إهتمامي من الفولكلور التاريخي لحقب الكتاب المقدس والتلمود الى دراسة الأنثروبولوجيا المعاصرة للشرق الأوسط عامة ومجتمعاته اليهودية خاصة. وبعد وفاته المبكرة الفيت نفسي وحيداً في مواجهة خارطة ضخمة مجهولة المعالم للأنثروبولوجيا اليهودية المعاصرة؛ وقد استنفد الأمر مني سنتين قبل أن أتوصل الى قرار ألزم به نفسي لمباشرة وتنظيم البحث في هذا الحقل. في العام ١٩٤٤ أنشأت معهد فلسطين للفلكلور والإثنولوجيا الذي بدأ بعد فترة قصيرة العمل لإكمال النسخة العبرية وترجمة المسودة الإنكليزية لكتاب يهود كردستان الذي تركه براور وراءه. عند إلقاء نظرة على هذه السنوات، أشعر أن أحد أهم منشورات المعهد كان هذا الكتاب الذي ظهر الى حيز الوجود في العام ١٩٤٧^(١).

خلال العقود التي مرت منذ ذلك التاريخ، خضع الكثير من مظاهر حياة اليهود

١- قارن إريك براور (يهودي كردستان: ميهكار إثنولوجي)، إعداد وترجمة رافائيل پاتاي، دراسات في الفلكلور والإثنولوجيا، العدد ٢، القدس ١٩٤٧.

٢٥ و ٣٠ ألفاً. وقد توفرت إحصائيات قليلة، يشك في دقتها، حول العراق فقط تبين أن عدد اليهود الذين كانوا يعيشون في محافظة (لواء) أربيل في العام ١٩٤٧ كان ٣١٠٩، وفي محافظة (لواء) كركوك ٤٠٤٢، وفي محافظة (لواء) الموصل ١٠٣٤٥، وفي السليمانية ٢٢٧١، وفي ديالى ٢٨٥١، وبهذا يبلغ المجموع الكلي لليهود في كردستان العراق باكملها ٢٢٦١٨. وقد نُشرت هذه الأرقام ضمن مادة كردستان في (إنسايكلوبيديا جودياكا)^(٨) الذي ألفه بن يعكوف، والذي يعطي مع أج. جي. كوهن أرقاماً مختلفة في الموسوعة نفسها فيما يتعلق بالعراق^(٩) ونقلاً عن الإحصاء الرسمي العراقي عينه. إذ أن كوهن يذكر أنه في ١٩٤٨ «كان ثمة حوالي ١٩ ألف كردي يهودي يعيشون في العراق» وهذا الاختلاف بالنسبة لعدد اليهود في العراق، حيث الإحصائيات «الرسمية» متوفرة، يعكس مدى صعوبة تقدير عدد اليهود الكردي خارج العراق خلال الفترة ذاتها.

بدأت هجرة اليهود الكردي الى فلسطين في القرن السادس عشر وكانت تتجه الى (صَقد) في (الجليل) والتي كانت حينها أهم مركز للقبائلية (صفة دينية سرية عند أبحار اليهود مبنية على تفسير الكتاب المقدس تفسيراً صوفياً - المترجم). وليس ثم معلومات تدل على أية حركة يهودية من كردستان باتجاه فلسطين خلال القرون الثلاثة اللاحقة. ثم وخلال الفترة بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٢٦ هاجر حوالي ١٩٠٠ كردي الى فلسطين، وفي العام ١٩٣٥ لحق بهم ٢٥٠٠ آخرون. وتبع قيام دولة إسرائيل إعتقال المئات من اليهود الكردي في العراق. إلا أن السلطات العراقية خفتت موقفها فيما بعد وسمحت بالهجرة اليهودية، وكما هو معلوم فإن كل المجتمع اليهودي العراقي تقريباً - والذي يقدر بحوالي ١٢٥ ألفاً - نقل الى إسرائيل جواً خلال العامين ١٩٥٠-١٩٥١، وكان بين هؤلاء غالبية يهود كردستان العراق. وبهذا تم صهر الشتات اليهودي في العراق (الذي تعود جذوره الى العصور الآشورية والبابلية)، كما انتهت ستة وعشرون قرناً من التاريخ اليهودي في بلاد ما بين النهرين.

وفي إسرائيل بدأ فجأة اندماج اليهود في الحياة والظروف الإسرائيلية، وبدأ يضيع طرازهم الثقافي اليهودي المميز الذي تمتد جذوره الى عهد الكتاب المقدس والتلمود. وبسبب هذه التطورات (التي من المؤكد أنها لم تكن متوقعة في بداية الأربعينات) أضحي كتاب براور، الذي عني بمجتمع يهودي ذي صدى وفريد من

٨- إنسايكلوبيديا جودياكا (القدس ١٩٧٢)، ١٢٩٦: ١٠.

٩- إنسايكلوبيديا جودياكا، ١٤٤٩: ٨.

نوعه، خلال سنوات قليلة معلماً - بل المعلم الوحيد - الذي يتحدث عن مجتمع مازال حياً لكنه دفع لقاء بقائه ثمناً باهظاً هو خسارة جزء هام من خصوصيته الثقافية.

فما الذي يمكن أن نستقيه من كتاب براور؟ قبل كل شيء يجد الدارس للحياة اليهودية في الشرق الأوسط نفسه مشدوهاً أمام العلاقات الداخلية الوثيقة التي تربط اليهود المتحدثين بالأرامية بجيرانهم المسلمين في قرى ومدن كردستان. وتظهر المعلومات التي إستخلصها براور من أفواه اليهود الكردي في القدس، حول حياتهم في كردستان قبل الحرب العالمية الثانية، بوضوح شديد مدى المشاركة الحية للمسلمين الكردي في الحياة الثقافية لليهود الكردي، ويتضمن ذلك بالدرجة الأولى المشاركة في المناسبات الدينية اليهودية. ويشمل كتابه على العديد من الأمثلة التي تحكي مشاركة المسلمين. وأن العديد من الطقوس اليهودية كانت تجري بمشاركة المسلمين الكردي ومن بينهم زعمائهم (كالأغوات والپشميرات) وكانت هذه المشاركة محل تقدير. ومن جانبهم حرص الكردي المسلمون على مثل هذه المشاركة لقناعتهم بمنافع الطقوس الدينية اليهودية التي يمارسها اليهود وأنهم أيضاً سينالون جزءاً من ثواب تلك الشعائر. وكما أشرت الى وجود مثل هذا التضامن الديني بين المسلمين واليهود في المغرب^(١٠). فإن هذا الكتاب يبين وجود تشارك مماثل بين اليهود والمسلمين في كردستان.

وهذا لايعني، بالطبع، أن اليهود سواء في المغرب أو في كردستان لم يتم التقليل من شأنهم (إحتقارهم)؛ كما أنه لايعني أنهم لم يتعرضوا للإهانة والإستغلال بل وحتى لأعمال وحشية مارسها ضدهم المسلمون. لكن إنطباعي هو أن اليهود والمسلمين، بصورة عامة، تعايشوا تعايشاً حسناً وأن السلف أوجدوا طريقة للتعايش معاً بخلاف الخلف.

إن مزودي براور بالمعلومات (كما كان الحال معي لخمسة سنوات بعد ذلك) أوضحوا بجلاء أن اليهود الكردي، في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية، كانوا يتعاملون مع بعضهم البعض بفضاظة وخشونة وعنف سواء في الجد أو في الهزل، فالقوي يضرب الضعيف، والمتنفذ يضرب من هو أدنى منه، والمعلم والوالدان يضربون التلميذ، والنساء يُضربن من قبل بعولتهن، والمذنبون من قبل من مسك عليهم دليلاً - هكذا كانت الحال. والسرقعة والتخريب، اللذين تحرمهما التقاليد في

١٠- رافائيل پاتاي (بذرة أبراهام: اليهود والعرب في تماس ونزاع)، سولت ليك ستي ١٩٨٦، الص

٣٧-١٣١.

العادة، كانا من الأمور العادية. وباتت متعة اليهود الكرد منصبة على الجنس والدعارة. وقد انتقل البعض من هذه العادات مع المهاجرين الى إسرائيل، حيث انتشرت قصص حول عنف وفضاظة اليهود الكرد، ولكن أيضاً عن شجاعتهم وقوتهم الجسمانية.

ثمة سمة لم ينطرق إليها براور ولم أتطرق إليها في ملاحظاتي التكميلية للكتاب في أواسط الأربعينات، وهي أن اليهود الكرد يشبهون المسلمين الكرد الى حد بعيد. وبما أن اليهود كانوا قلة والمسلمين الكثرة فيمكن أن نتوصل الى إستنتاج أن هذه السمات التي إتسم بها اليهود الكرد ظهرت كنتيجة لتأثيرات البيئة الثقافية التي تشربها اليهود عن الغالبية المسلمة. إن حقيقة كون اليهود معتمدين على المسلمين بهذا الصدد، تفيد أيضاً بالتأثر بعادات الغالبية من المسلمين الذين باتوا يشعرون بأنهم رعاة لعادات وتصرفات الأقلية اليهودية. أي بمعنى آخر فإن لدينا مجتمعاً يهودياً تشرب بهذه الصفات (الغريبة جداً عن طبائع اليهود) من البيئة الإجتماعية غير اليهودية التي عاشوا ضمنها لأكثر من ألفي سنة.

ومن الأمور البارزة، نجاح يهود كردستان في الإحتفاظ بالعديد من السمات اليهودية المميزة التي حافظت على إستمرار تميزهم عن الآخرين حتى هجرتهم الى إسرائيل. ومن هذه السمات المميزة التعليم، رغم أن التعليم عند اليهود الكرد لم يكن بمستوى تعليم اليهود اليمانيين أو المغاربة، حيث كانوا مجتمعاً متعلماً وسط غالبية غير متعلمة على الأكثر. فإن إرسال طفل الى المدرسة وتعليمه القراءة والكتابة العبرية كان من الصعوبة بمكان بالنسبة لليهود الكرد حيث لم يكن ثم ما يماثل هذا العمل عند الكرد المسلمين، كما أن اليهود الكرد كانوا يحرصون، بخلاف المسلمين، على متابعة العديد من الأمور الدينية. إن هذا الأمر لم يكن سهلاً أبداً وخاصة في صفوف المجتمعات اليهودية الصغيرة والمعزولة في القرى الكردية. إن أوجه التشابه والإختلاف بين الكرد اليهود والمسلمين قضية واسعة ومتشعبة، لكن علينا هنا أن ندع الخوض فيها جانباً.

أعتقد أنه يحق لي القول أن هذا الكتاب وثيقة تاريخية، وذلك من ناحيتين؛ الأولى أنه يوفر صورة عن الحياة والثقافة اليهودية الكردية قبل الحرب العالمية الثانية. لقد أنقطع عمل براور في هذا الكتاب في العام ١٩٤٢ بسبب وفاته. وخلال اللقاءات التي أجريتها في القدس مع اليهود الكرد خلال الفترة (١٩٤٤-١٩٤٦) قمت بإستحصال معلومات من أفراد غادروا كردستان قبل إندلاع الحرب، أي أن معلوماتهم تعبر عن

الفترة ذاتها. وخلال عامي ١٩٥٠-١٩٥١ حيث الهجرة الجماعية لليهود الكرد الى إسرائيل، زال فجأة عالمهم الذي كانوا يعيشون فيه قبل الحرب. لذا فإن هذا الكتاب يمثل سجلاً تاريخياً فريداً يحكي حياة وثقافة مجتمع يهودي اختفى من الوجود في بلد سكن فيه من العصور التاريخية المبكرة ثم شهد تحولاً كلياً بعد أن أستقر في إسرائيل.

والثانية أن هذا الكتاب يمثل وثيقة تاريخية لأنه يزودنا بنتائج أسلوب إثنولوجي في البحث والإستنتاج طغت عليه أساليب البحث الأثنوبولوجي الحديثة. وكما ذكرت في مقدمة الطبعة العبرية من الكتاب، التي كتبت في العام ١٩٤٦، فإن براور كان من أشياع مدرسة الدوائر التراثية التي اختفت من ميدان البحوث الأثنوبولوجية. ورغم أنه لم يشر إلا نادراً الى «الدوائر التراثية» فإن مديات وحدود إهتماماته ضمن إطار المجتمع الذي درسه تعكس توجهات أستاذته لوشن *Luschan* وويل *Weule* وغريبنر *Graebner* والآخرين. وبهذا يكون الكتاب نموذجاً تذكاريماً لما كان يستطيع «كلتركري» أن يفعله وهو يدرس مجتمعاً عن بعد دون أن يقوم بزيارة الى موطن ذلك المجتمع.

لايمكن للمرء وهو ينظر في كتاب براور، بعد مرور خمسين عاماً على كتابته، إلا أن يلمس العديد من النواقص، كغياب فصل خاص باللغة، فرغم أن الكتاب يحوي فيضاً من المواد اللغوية (مثل المصطلحات المفردة، والتعابير المركبة، والأمثال، والأقوال...) التي توضح الى حد بعيد اللهجة العامية كما كان يتحدثها يهود كردستان، إلا أنه لايحاول تقديم تحليل عام وعرض الخصائص العامة للغتهم. وفي هذه الحالة لايتوفر للقارئ تصور عن العوامل اللغوية العديدة التي أسهمت في تشكيل التراجوم (تارگوم: ترجمة آرامية لجزء من التوراة) لليهود الكرد: المستند في الأساس على الآرامية الحديثة، وقد تم إغناؤه بالتعابير الكردية (الكرمانجية) والعربية والتركية والآرامية القديمة والعبرية. وكان الأمر سيصبح مصدر إثارة وزيادة في وقت البحث لو أضيفت إليه قوائم بانواع المكونات اللغوية معززة بمعاجم للكلمات المقتبسة من كل واحدة من هذه اللغات.

وفي هذا الخصوص، لابد من الإشارة الى الصعاب التي تعترض كتابة الكثير من كلمات تارگوم اليهود الكرد بالأحرف اللاتينية. وبما أن التارگوم لغة محكية، لم تكتب أبداً، فقد كان لزاماً على الطالب أن يعتمد على السماع للتعرف على أسلوب التلفظ ثم يحاول استذكارها لفظياً بأفضل صورة ممكنة. وهو الأسلوب الذي اتبعه

براور، واتبعته أنا عند إكمالي الكتاب واللقاءات مع اليهود الكرد، كما اتبعه جوزيف جَي. ريفلين أثناء جمعه وكتابته أشعار اليهود الكرد المنقولة شفهاً^(١١)، كما اتبعه آخرون. وهذه العملية أصعب بكثير مما يبدو للوهلة الأولى وذلك لأسباب عديدة. أولها أن هناك إختلافات جمّة في طريقة التلفظ عند الناس من مناطق مختلفة، وكذلك وجود تناقض في كلام الشخص الواحد فمثلاً (غولاما) و(خولام) تعنيان (العبد المملوك)؛ و(حييتنا) و(ختنا) تعنيان (العريس)؛ و(سمكا) و(سماس) و(ساموكسا) تعني (الحمل بالطفل)؛ و(شوشيتا) و(سيسيتا) تعنيان (ظفيرة)؛ و(چالا) و(شالا) و(شالو) تعني (سرّو)؛ و(چهل) و(چكه) و(چلقه) و(چلي) تعني (أربعين)؛ و(شلييتا) و(شويويتا) و(شويثا) كلها تعني (الموت).

كما أن هناك تشعبات عن الأرامية القديمة يميل الطالب في الغالب الى الخلط في سماعها من قبيل تارگوم (خيفريه) أصلها في الأرامية القديمة (حافريه)، وتارگوم (عدا) أصلها في الأرامية القديمة (عيدا)، وتارگوم (زاعورا) أو (زورا) أصلها في الأرامية القديمة (زعييرا)، فالمطلعون في مجال اللغة من الطلبة يعلمون أن هذه الكلمات تضم حرف (حاء) أو (عين) رغم عدم تلفظهما أو ضياعهما بمرور الزمن، فيما لا يميز ذلك غير المطلعين.

وحتى بالنسبة لأسماء المواقع، فمثلاً يتلفظ (ويكتب الرحالة ورسامو الخرائط) اسم المدينة نفسها بعدة أشكال: أربيل، وأربيل، ونيربيل، وإربل، وكذلك الحال مع زاخو و زاخو. ومع نُصيبين، ونيسيبين، ونسّيبين. ومع ديهوك و دوهوك ودهوك. ومع رافاندوز وراوندوز وراواندز.

أضف الى كل هذا، الإختلاف الملحوظ بين الاستعمال العراقي والإيراني للألفاظ وبين منطقة وأخرى وهو ما يمكن أن نلمسه في معظم صحائف الكتاب.

لم يكن عند د. براور من الوقت ما يسمح له بوضع معجم للألفاظ التي يضمها الكتاب، وشعوراً مني بفائدة مثل ذلك المعجم فقد قمت بتنظيم واحد ذيلت به الكتاب.

كما أن التقاليد الموسيقية لليهود الكرد، تمثل مجالاً آخر لم يتطرق اليه براور في الكتاب. فرغم أنه يأتي على ذكر الآلات الموسيقية لدى تطرقه الى (موتوربايه) وما شابه. لكنه لم يكتب شيئاً عن الموسيقى نفسها، وعن الألحان وما يطلق عليه «الدياليكت الموسيقي»، ونسق ألحان معزوفات نصوص التارگوم. وهذه، كما

١١- قارن ريفلين (شيرات). وكذلك: أبراهام بن يعكوف (شيراه و فيوت شيل يهودي باقل با دوروت با أهارونيم)، القدس ١٩٧٠.

إكتشفت إديث جيرسن- كيوي، تدخل في الإطار العام للأسلوب اليهودي الشرقي (سيفاردي) المستخدم في تلاوة النصوص العبرية، وبذلك تكون التراتيل (حازانيم) الكردية ثنائية اللغة^(١٢). كذلك ذكرت أنه في كردستان العراق، على سبيل المثال، ثمة ما لا يقل عن أربعة أساليب موسيقية عند اليهود، يرتبط كل واحد منها بإحدى اللغات: (١) العبرية بالنسبة للطقوس الكنسية الموسيقية؛ (٢) الأرامية الحديثة (تارگوم) للموسيقى الدينية أو المرتبطة بالطقوس الموسيقية في المدارس (ميدراش) و(بيشيشفا) وبعض الشعائر ذات العلاقة بالدراسة والترجمة ومقارنة بعض النصوص الدينية؛ (٣) الكردية للتقاليد التراثية، وبضمنها القصائد الملحمية، والقصائد القصصية، والرقصات، (٤) العربية للأغاني الدارجة المأخوذة من الموسيقى الشعبية المستخدمة فقط في التجمعات والحفلات الإجتماعية^(١٣).

وثمة موضوع آخر لم يتطرق اليه الكتاب، ألا وهو النظام العقائدي لليهود الكرد. لقد سجل براور الكثير عن الشعائر الدينية (الرسمية والشعبية على حد سواء) التي ترافق الأعياد الدينية على مدار السنة وطوال دورة الحياة. لكنه مع ذلك لم يذكر سوى بعض الإشارات التي تطلبها السياق حول المعتقدات ذات العلاقة بالمناسبات الدينية والطقوس والعادات. أما فيما يتعلق بالأسئلة التالية: ما هي صفات الله في نظر اليهود الكرد؟ والإعتقاد المتعلق بماهيته سبحانه؟ ما هي المعتقدات المتعلقة بالملائكة، وبالجن، والأرواح ولييث الشريرة؟^(١٤) إننا لانحصل على فكرة ذات شأن بخصوص المعتقدات الدينية لليهود الكرد، وأعتقد أن الوقت الآن متأخر جداً لإستدراك هذا النقص.

أخيراً، لم يفرد فصل من الكتاب لعرض رؤى اليهود الكرد المتعلقة بانفسهم أو بجيرانهم من المسلمين الكرد والنساطرة النصارى. صحيح أن براور يعرض تفاصيل كثيرة عن العلاقة بين اليهود وغير اليهود، لكننا نفتقد خلاصة تحليلية لنظرة اليهود الى غير اليهود الذين كانوا في تماس مباشر معهم وكيف كانوا يقيمون أنفسهم بالمقارنة مع أولئك. لقد كان من الأهمية بمكان أن نعرف ما إذا كان الإحتقار الأوروبي الشرقي لل(كوي) الذين كانوا يُعتبرون جهلة، أغبياء، متوحشين، سكيرين له نظيره في صورة اليهود لدى الكرد والنساطرة.

١٢- قارن إديث جيرسن كيوي، في (دراسة موسيقية) العدد ٧ (١٩٦٥): الص ٦١-٧٠.

١٣- المصدر السابق، (كردستان)، إنساكيلويديا جودياكا، ١٠: ١٢٩٩-١٣٠٠.

١٤- على سبيل المثال علمنا من التعاويذ الكردية المنشورة في كتاب شراير (التعاويذ العبرية- لندن ١٩٦٦) أن اليهود الكرد يؤمنون بلييث وساتان وعدد كبير من الملائكة.

ربما لو إمدت حياة براور ليكمل الكتاب لكان قد أضاف إليه فصولاً خاصة بهذه المواضيع. وأعتقد أنه يجدر بي أن أذكر أنني لم أحاول الخوض في هذه المواضيع عندما عملت على تكملة الكتاب.

أخيراً تمّ تفاصيل فنية. لقد تركت نص براور كما هو خلا تغييرات نمطية طفيفة. فكل الإضافات التي زدتها على النص وضعتها بين أقواس مربعة. وأستبدلت بترجمتي الإنكليزية كل الإقتباسات التي اقتبسها براور من لغات أجنبية من لغاتها الأصلية كالعربية والعبرية والفرنسية والألمانية وغيرها.

وحيثما حصلت على ترجمات إنكليزية للأعمال التي اقتبس منها براور اقتبسها بدلاً أن أترجمها الى الإنكليزية. وقد وضعت هذه الترجمات بين أقواس مربعة. وكلما وجدت من الوجيه الإبقاء على إقتباسات في الأصل العبري استخدمت الترجمة الإنكليزية عوضاً عن الكتابة العبرية.

إن براور إستخدم في مواضيع عدة كلمات وتعابير عبرية وتاريخية أو عربية قام بترجمتها الى أبجديته اللاتينية، فرأيت من الأفضل إستبدالها بترجمة يفهمها القارئ بصورة أفضل.

وفي مواضع جد قليلة وجددني أخالف براور الرأي فيما كتب، وهناك أفصحت عن وجهة نظري من خلال ملاحظات داخل أقواس مربعة.

رافائيل پاتاي

فورست هيلز

كانون الثاني ١٩٩٣

مقدمة الطبعة العبرية

الدراسة الإثنية الأولى قاطبة، عن المجتمع اليهودي، كانت تلك التي كتبها إريك براور عن اليهود اليمانيين والتي نشرت بالألمانية سنة ١٩٣٤ من قبل *Kulturgeschichtliche Bibliothek*) جامعة هايدلبرج، أما هذه الدراسة التي تنشر بعد مرور أكثر من عشر سنوات على وفاة مؤلفها براور، فهي الدراسة الأخرى الوحيدة من نوعها والأولى التي تنشر بالعبرية، توخى براور في هذين الكتابين الوسائل الإثنولوجية الحديثة لدراسة المجتمعات اليهودية الشرقية، وبذلك مهد السبيل أمام باحثي المستقبل لدراسة الموضوع الإثنولوجي اليهودي الشائك^(١).

ولد إريك براور ببرلين في ٢٨ حزيران ١٨٩٥. وبعد إكماله الدراسة الإعدادية عام ١٩١٤، إنكبّ على دراسة الإثنولوجيا في جامعات برلين ولايبزيك، وكان من بين أساتذته ف. فون لوشن و فر. ويل. وفي ١٩٢٣ منح شهادة الدكتوراه من جامعة لايبزيك عن بحثه الموسوم: *Züge aus der Religion der Herero: Ein Beitrag zur Hamiter Frage* والذي نشر في ١٩٢٥ من قبل معهد فولكركونكغ بلايبزيك، ودرس البحث الأفكار والإحتفالات الدينية والسحرية واستخداماتها عند القبائل الرعوية في أفريقيا، وقد حظي الكتاب بإهتمام شديد من لدن المهتمين بالدراسات الإثنية والأنثروبولوجية. لكن إهتمام براور كان يتجه الى التركيز على الإثنوبولوجيا اليهودية، وفي نفس العام الذي نشر فيه بحثه سافر الى فلسطين وفي نيته دراسة المجتمعات اليهودية الشرقية. وفي ١٩٣٠ منحه الجامعة العبرية جائزة اللورد بلومر، التي مكنته من تمديد فترة إقامته بفلسطين سنة أخرى، ولدى عودته الى ألمانيا نشر النتائج الأولى لدراساته عن اليهود اليمانيين في صحيفتين طبعتا في ١٩٣١ - الأولى مطولة *Die Frau bei den südarabischen Juden (Zeitschrift für Sexualwissenschaft und Sexualpolitik* والثانية عرض مقتضب للدراسات التي جرت على اليهود اليمانيين *(Zeitschrift für Ethnologie 63)*. وأتبعهما في ١٩٣٤ بدراسته الشاملة المنوه بها «أثنولوجيا اليهود اليمانيين».

١- فيما يتعلق بالمشاكل الخاصة بالإثنولوجيا اليهودية، أنظر ما نشرته تحت عنوان (مشاكل ومهام الفلكلور والإثنولوجيا اليهوديين)، في مجلة الفلكلور الأمريكي ٥٩، العدد ٢٣١: كانون الثاني- آذار ١٩٤٦، الص ٣٩-٢٥.

ومنذ ١٩٣٤ وحتى وفاته المبكرة في التاسع من أيار ١٩٤٢ - حيث كان يبلغ من العمر ٤٧ سنة فقط - عاد من جديد ليعيش في القدس، حيث كرّس نفسه تماماً للعمل العلمي. ففي الفترة ١٩٣٦-١٩٤٠ عمل كزميل باحث بالجامعة العبرية وكان له الفضل في تشكيل مجموعة إثنولوجية هي الآن من بين ممتلكات الجامعة. كان جامعاً شغوفاً، وإلى جانب مؤهلاته العلمية كان ذا موهبة في مجالين لا يمكن لباحث إثنولوجي الإستغناء عنهما: لقد كان رساماً بارعاً ومصوراً فوتوغرافياً خبيراً بالصناعة. ورغم كون الموارد المالية المتاحة له غير كافية، فإنه إستغلها أفضل إستغلال فجمع المئات من الأزياء ومواد الزينة والحلي والتعاويد ومواد أخرى ذات قيمة فلكلورية وإثنولوجية، كما إلتقط آلاف الصور الفوتوغرافية التي تجمع بين الأهمية الأنثروبولوجية والقيمة الفنية. وعزز هذا كله بما جادت به ريشته وقلمه من التخطيطات واللوحات والدراسات. والجزء الأكثر أهمية من هذه المادة المصورة غير منشور وقد وضعته أخته السيدة كيرتا هيلر، من بيتاخ تيكفاه، في خدمة معهد فلسطين للفلكلور والإثنولوجيا إلى جانب معروضات جمعت من قبله.

ومع أن الزمن لم يسمح لبراور بأكثر من تحقيقين مصنفين عن مجتمعين يهوديين، هما مجتمعا اليهود اليمانيين والكرد، فإنه قام بدراسة مجتمعات يهودية شرقية أخرى ونشر كتابات عن يهود أفغانستان. أما منشوراته الأخرى فقد كان إثنان منها عن (فلاحين) الفلسطينيين، وفي ثلاثة نشرت في حياته قدم بعضاً من نتائج دراسته في مجال الإثنولوجيا والفلكلور الخاص باليهود الكرد.

إستند براور في دراستيه على بحث لم تجر في أوطان هذين المجتمعين بل في فلسطين، أو بالأحرى في القدس. وفي تقديمه لـ(إثنولوجيا اليهود اليمانيين) دافع عن مميزات مثل هذه الدراسات التي يعتبرها تتجاوز عوائق أكبر، حيث كتب يقول:

خلال إقامة دامت سنوات في فلسطين، قام الباحث بدراسة اليمانيين الذين كانوا قد هاجروا إلى ذلك البلد خلال عقود عدة من الزمن. وبخلاف المعوقات التي تعترض مثل هذا البحث عند إجرائه خارج مناطق إقامة المجتمع موضوع البحث، وهي معوقات يدررها الباحث تماماً، فإن الوضع الحالي يوفر فوائد جمة. فمثلاً في اليمن وحتى في الوقت الحالي، يكون الشخص الغريب خاضعاً كلية للإمام الذي لايسمح له إلا برؤية الأشياء التي يريد هو أن يريها إياه. ومنذ هاليقي، لم ينجح أي غريب في القيام بزيارة إلى اليمن الشمالي، ويلزم غالبية

المسافرين بسلوك طريق الحديدية - صنعاء. واليهود أيضاً، لايمكن الوصول اليهم في اليمن بسهولة لأن الضغوط التي يعانونها هناك تجبرهم على إلتزام جانب الحذر. أما في فلسطين فيمكن الإلتقاء بهم بسهولة. والشباب هم السباقون في إتاحة هذه الحرية التي يهتدي إليها كبار السن من بعدهم. كما يمكن أن يحصل المرء على معلومات من النساء، الأمر الذي هو من الصعوبة بمكان في اليمن حيث التأكيد الشديد على إلتزام الفصل بين الجنسين. وإلى جانب هذا كله، فالفرصة في فلسطين متاحة للقاء بيهود من كافة أنحاء اليمن، بل وحتى من مناطق مثل صعدة التي لم يتمكن أوروبي واحد من زيارتها إلى اليوم^(٢).

وبالإضافة إلى التبريرات التي أوردها، فإنني أعتقد بصورة شبه جازمة أنه لم يمنعه عوقه الجسماني - كان براور ضئيلاً، نحيفاً، أهدب - فروح الإستكشاف عند براور كانت تتغلب بالتاكيد على كل عائق، وإنني متأكد أنه كان سيضع لمسأته الأخيرة على دراستيه عن اليهود اليمانيين والكرد خلال فترة إقامة مناسبة بين ظهراني هذين المجتمعين اليهوديين.

ومما يجدر بالذكر هنا هو أن براور اختار في كلتا الحالتين عينات للبحث غير محصورة في يهود مجتمع منفرد ضيق، كبلدة صغيرة مثلاً، بل جعلها تشمل البلد المبحوث بأكمله، فعيناته مأخوذة من تجمعات سكنية مختلفة تظهر بينها أحياناً فوارق كبيرة في العادات وأساليب العيش. ففي حالة اليهود اليمانيين، وإلى جانب إهتمامه بمراكز اليهود الرئيسية مثل صنعاء، إهتم بأنواع مختلفة من العادات والأعراف الموجودة في اليمن الشمالي من جهة وبنتك التي في عدن من جهة أخرى، وللتين تفصلهما مسافة تقدر بحوالي ثلاثمائة ميل.

وفي هذا الكتاب، فإن الإلتزام بالأخذ بمجاميع مختلفة من الأعراف المتبعة في مجتمعات مختلفة موزعة على مساحة شاسعة من الأرض كان أكثر وضوحاً. فکردستان تمتد على أرض تنتمي سياسياً إلى خمس دول: سورية والعراق وإيران وتركيا وروسيا السوفيتية. وحتى قبل الحرب العالمية الأولى، فقد كانت مقسمة بين ثلاث دول: الإمبراطورية التركية وروسيا القيصرية وبلاد فارس. إن التبعية السياسية تؤدي بالطبع إلى التأثير الثقافي إلى حد ما، حتى لو كانت هذه التأثيرات

٢- ترجمة النص من الألمانية هي لي.

القادمة عبر الحدود السياسية ناجمة عن إنغلاق المجتمع موضع البحث. لذا، فهناك بون شاسع في العادات والأعراف بين اليهود في كل من العماديه وبارزان وألقوش والموصل وأربيل ودهوك وكركوك والسليمانية (وهي كلها تقع ضمن حدود العراق) وبين يهود سنة (سندج) وشنو ومراغه وأورميه (ولها في إيران) - وهذه المناطق سيقراً عنها القاريء في ما سيأتي من الكتاب.

إن حقيقة كون يهود كردستان يعيشون في ثلاث مناطق مختلفة من حيث التكوين - منطقة الجبال ومنطقة البحيرة البركانية والمنطقة السهلية - تضيف حصتها من التأثير في الإختلاف الثقافي. وإن الأخذ بوجود العديد من السمات الثقافية المحلية المختلفة تجعل عمل براور يشبه عمل الرواف الى حد ما، وهذا ما يجعل من الضروري للقاريء أن يركّز لدى قراءته الكتاب للتوصل الى نموذج عام شامل. لقد تهيأت لي الفرصة لمناقشة براور حول التأثير المربك لمثل هذا الأسلوب في التعامل مع المعطيات، وأنه يجب رسم صورة عامة هي في النهاية الهدف الأساسي من هذا النوع من البحث الإثنولوجي. فطرح براور أمرين يبرران إتباع هذا الأسلوب، بل ويجعلان إتباعه ضرورياً: الأول، تحديد الهوية الأساسية للسمات الثقافية المختلفة في تفاصيلها ولكنها مشتركة بين يهود منطقة الدراسة، كاليمن وكردستان؛ والثاني، الإغفال المؤلم للإثنولوجيا اليهودية، والذي يجعل من مسح شامل للقبائل اليهودية كلها مهمة لها الأولوية اذا ما قورن مثل هذا المسح بدراسة مستفيضة لتجمع منفرد.

وخلال دراسته في الجامعات الألمانية، تأثر براور بالمدرسة الإثنولوجية المعروفة بإسم كلتوركرايسليره (نظرية الدائرة الثقافية). ويرجع تاريخ تأسيس هذه المدرسة الى العام ١٩٠٤، عندما كان غريبنر وأنكرمان يلقيان محاضراتهما حول الدوائر الثقافية والأساليب الثقافية في أوسينيا وأفريقيا. وقد برزت أهمية مبدأ الدوائر الثقافية عندما ضمها بيتر فلهلم شميت مع إختلافاتها البسيطة في كتابه (العامل الثقافي التاريخي في الإثنولوجيا). وتقول هذه النظرية إن الأجزاء المكونة أو القيم التي تؤلف الثقافات ملتحمة فطرياً وتدور في دوائر "مغلقة"، وعندما تصطدم، على شكل مركب، بمركبات أخرى قادمة من مركز آخر فإنهما إما يمتزجان معاً أو يفسح أحدهما المجال للآخر. أما خارج ألمانيا والنمسا - حيث كانت فيناً موطن مدرسة شميت - لم تلق هذه النظرية الكثير من القبول. وكان أكثر من ناصرها في أمريكا (كلايد كلوكوهن)^(٣). أما براور فقد ظلّ مخلصاً لكلتوركرايسه حتى نهاية حياته،

٣- قارن مع: كلايد كلوكوهن (بعض الإنطباعات حول نهج ونظرية كلتوركرايسلر)، مجلة =

بل إنّه كان مناصراً شديداً لهذه النظرية. وأذكر أنه في أحد أيام خريف ١٩٤٠، وبعد قراءة المسودة الأولى لكتابي (الإنسان والأرض) سالني: "الى أي مدرسة تنتمي؟" وتبع ذلك نقاش ساخن حول المسائل النظرية شرح من خلاله نقاط القوة في مدرسته بقوة ووضوح كبيرين. وكل هذا ناجم عن تجسد نزعتة العلمية الظاهرة في كتابيه حيث أتم كل بحث نظري بكمال يريح الضمير. أمّا في المجلد الحالي فإنّ مصطلح كولتوركرايسه لا يظهر إلا مرة أو إنتين في هوامش ذات صلة. وقد كانت قناعة براور أن دراسة وصفية من هذا النوع لا يمكن أن تقدّم غير الحقائق، كل الحقائق، ولا شيء سوى الحقائق.

لم يك إختيار براور ليهود كردستان مادةً لدراسته الإثنولوجية الثانية بأقلّ شأنًا مما فعل في دراسته الأولى. فبينما كان اليهود اليمانيون، بصورة خاصة، مادة مناسبة لموضوع بحث على أساس عزلتهم النسبية في تطورهم على مدار قرون عديدة، فإنّ يهود كردستان هم من المجتمعات اليهودية المعدودة التي لاتزال تمارس الزراعة بصورة بدائية تقليدية، ولها بلاشك أهمية كبيرة كمصدر لمعيشتهم. إنّ أسلوب الحياة والتراث الفلكلوري لليهود المزارعين يعدّان من الأمور الهامة جداً من منطلق إتمام الصورة العامة للحياة الشعبية اليهودية في كافة البقاع، هذه الأهمية تفوق تلك التي قد تكون للمجتمعات التجارية. أضف الى هذا أنّ يهود كردستان عاشوا على أرض تجاور في جزء منها، بل وتتداخل مع البلد الذي يمكن أن يعتبر الوطن الثاني لليهودية بعد فلسطين - ألا وهو بابل حيث عاش اليهود دون منازع لأكثر من ألفين وخمسمائة عام. فالأدب الثر الموروث من العهود التلمودية والكاوثونية يفيدنا بمعلومات جمة حول حياة وتراث الشعب اليهودي في ذلك البلد. وكما نعلم فإنّ المهن السائدة في العهود التلمودية كانت الزراعة والحرف اليدوية والشحن المائي وهذه المهن هي نفسها لاتزال سائدة عند يهود كردستان.

كما أنّ المرء عندما يقرأ دراسة براور يتولّد لديه الإنطباع بأنّ الكثير جداً من الأعراف والمعتقدات، الدينية والديوية، قد تمت المحافظة عليها ولا زالت حية عند يهود كردستان. ولإثبات صحة هذا الإنطباع يجب إجراء دراسة مقارنة خاصة تعتمد على الكتاب والأدب التلمودي الحالي. فمثلاً يمكن أن نشير الى الضرب

= الأثنولوجي الأمريكي، العدد ٣٨ (١٩٣٦) الص ١٥٧-١٩٦. كذلك: ظهور كلوكوهن في كتاب ديليو. شميت (النهج الثقافي التاريخي في الإثنولوجيا) ترجمة أس. أي. سايبير (نيويورك ١٩٣٩) الص ٦٣-٦٩.

بفروع الشجر في عيد سوكوت، والرقصات التي يرقصها كبار السن من الرجال (حيث يرفع يهود كردستان السيوف خلالها)، والإعتقاد بأن الأعمدة الخشبية للكُنيسات (كتلك الموجودة في هيكل القدس) هي أشجار حية لها جذورها الممتدة في الأرض، والعديد من الأمثلة الأخرى. لكن براور لم يشر إلى مثل هذه الروابط التاريخية إلا إذا دعت المناسبة لذلك. وفي هوامشي، التي دأبت على وضعها داخل أقواس مربعة، نبهت إلى الكثير من هذه المتشابهات التاريخية. وسيجد القارئ أن معظم هوامشي موجود في الفصول التي تتعامل مع المسائل الدينية.

قبل وفاته بزم قصير، أعطاني براور هذا الجزء من دراسته لأقرأها؛ وقد نبهته إلى الكثير من العادات، التي وصفها وذكّرتني بعادات تعرّفت إليها من خلال دراساتي التاريخية. وقد رحّب هو بحرارة بمثل هذا الربط، إلا أنّ المرض وتدهور صحته حالاً دون أن يفيد هو منه.

كما حاولت تعزيز المعلومات التي يعرضها الكاتب بمعلومات إضافية جمعت من اليهود الكرّدي في القدس. وقد كان المصدر الرئيس لمعلوماتي هو الحاخام علوان أفيداني، حاخام العمادي السابق، والذي يتمتع بمعرفة شاملة وإطلاع كامل على الأمور الحياتية لمجتمعه وهو مصدر لم يبخل عليّ بأيّ معلومة طلبتها. ويتبين من فهرست المحتويات الذي وضعه براور بنفسه أنّه كان ينوي كتابة المزيد من الفصول والفقرات. فمثلاً كان عنوان إحدى فقرات الفصل الخاص بالزواج هو (زي العروس) ولكن لم يكتب ولو سطرأ واحداً من هذه الفقرة. وقد قمت من جهتي بكتابة فقرة تحت العنوان المذكور وأضفت أيضاً فقرة بعنوان (زي العريس). وقد وضعت كل إضافاتي سواء كانت طويلة أم قصيرة داخل قوس مربع.

كما يتضح من فهرست المحتويات الملحق بمخطوطة براور أنّه كان ينوي كتابة فصل عن السوماتولوجي*، وآخر عن الإحصائيات المتعلقة باليهود الكرّدي. ورغم أنّ الملاحظات التي تركها من ورائه، والتي زودتني بها السيدة هيلر عندما طلبتها منها، أظهرت بعض معلومات قليلة حول قياسات أنثروپومترية**. لكن هذه المعلومات القليلة لا تكفي لكتابة فصل، إذ أنّ كتابة فصل حول هذا الموضوع تتطلب تحقيقات مستقلة مطوّلة بين ظهراني اليهود الكرّدي، وهي مهمة لم أتمكن من النهوض بها.

كذلك فإنّ المقارنة مع كتاب براور حول اليهود اليمانيين تبين أنه مع وجود تطابق

* السوماتولوجي: علم يعنى بجسم الإنسان وخاصة في مجال الأنثروپولوجيا (المتروجم).

** الأنثروپومترية: فرع من الأنثروپولوجيا يهتم بقياسات أعضاء جسم الإنسان ومميزاتها (المتروجم).

عام في بنيتي الدراساتين فإنّ الكتاب المعني باليهود اليمانيين يضمّ فقرتين وفصلاً كاملاً يفتقد أمثاله في الكتاب المعني باليهود الكرّدي. الفقرتان هما: ألعاب الأطفال والشؤون القضائية، والفصل هو حول السحر. ومع ذلك توجد مواد متعلقة بهذا الموضوع بين طيات فصول الكتاب الأخرى، وربما لو كان الأجل قد أمهل براور فترة تكفي لإكمال هذه الدراسة، لكان قد أفرد فقرات خاصة بهذه المواضيع.

وبخلاف الإضافات التي ذكرتها، فإنّ عملي على تحرير الكتاب تضمّن تصنيف بعض من المقتبسات، وتصحيح بعض من المقاطع التي لم تترجم بصورة صحيحة من قبل كتاب العبرية، وإحلال الصيغة الإنكليزية للمنقول من (بنيامين الثاني) محلّ الألمانية التي ضمّتها مخطوطة براور، وإكمال نبت المراجع، وإضافة إشارات في الأماكن المناسبة لمقارنة السمات التي هي موجودة في مجتمعات شرقية يهودية أخرى وذلك لغرض إبطال الإنطباع الذي يقول بأنّ إحدى السمات نادرة ينفرد بها اليهود الكرّدي. هذا، ولم أحشر شيئاً في النص في أي مكان، وإنّ الذي بين يدي القارئ الآن هو نفس ما كتبه براور مع تغييرات طفيفة على أسلوب الصياغة فقط.

رافائيل پاتاي

القدس/ كانون الثاني ١٩٤٦

وتبحث بصورة شاملة في تراثهم المادي، وأسلوب حياتهم، وطقوسهم الدينية، والحرف التي يمارسونها، وأخيراً علاقاتهم مع المسلمين.

في مقدمته، يعرض رفائيل باتاي بيانات يعتبرها مهمة لإغناء كتاب براور، الى جانب تعليقات عن قيمة الكتاب ومواطن ضعفه بعد مرور خمسين عاماً على تأليفه من قبل براور. وقد زاد باتاي معلومات إضافية إستقفاها من اليهود الكرد في أورشليم - القدس - وحقق شواهد، وصحح بعض فقراته التي أخطت ترجمتها من العبرية، وأكمل ثبت المراجع، وأضاف المصطلحات المناسبة التي توازي مثيلاتها في المجتمعات اليهودية الشرقية الأخرى.

لقد عاش اليهود على أرض كردستان قروناً عديدة وانخرطوا في العديد من جوانب الحياة الكردستانية، إلا الجانب السياسي الذي يبدو أنهم ناوا بانفسهم عنه لأسباب لن يكشفها إلا المزيد من البحوث والدراسات عنهم وعن الظروف التي عاشوها.

لكن ثم حقيقة لايمكن أن يغفلها أي كردستاني منصف حين يفتح باب الحديث عن اليهود وهي تبرز جلياً في أيامنا هذه حيث عيون الطامعين تتربص وتتحنن الفرص للفوز بحصة لها من ثروات كردستان، هذه الحقيقة هي أن اليهود رغم الفترة الطويلة التي عاشوها في كردستان ورغم أنهم سبقوا الكثيرين غيرهم في الإستقرار على أرض كردستان، فإنهم لم يطمعوا يوماً في الإستحواذ على هذه الأرض وحرمان شعبها الأصيل من حقوقه في أرضه، كالأقليات الطارئة التي باتت اليوم تتشدد بحقوق مزعومة لها في هذه الأرض ما لها من سند ولا دليل. بل أننا لم نسمع يوماً بمذابح أقامها اليهود بالتعاون مع أعداء شعب كردستان ضد هذا الشعب المظلوم كما فعل أولئك الطارئون، الذين مازالوا يتحينون كل فرصة للخيل من هذا الشعب الأصيل محاولين حرمانه من كل حقوقه.

وها نحن اليوم نقدم هذا الجهد المتواضع الى المكتبة الكردستانية وخاصة الباحثين في مجال الأنثولوجيا والمهتمين بدراسات حول كردستان وشعبها وقد بذلنا جهدنا في الالتزام التام بنقل مادة الكتاب بكل أمانة ودقة وإن كان ثم مواضع ضعف في عملنا هذا فعذرنا أن هذا أول عمل لنا بهذا الحجم وأن المصادر المتعلقة بموضوعه لم تكن متاحة لنا لندرتها في كردستان. ففرجو أن نكون قد وفقنا فيما أنجزنا.

ولد إريك براور في برلين سنة ١٨٩٥، ودرس الأنثولوجيا في جامعتي برلين

مقدمة الطبعة العربية

صفحات كثيرة من تاريخ وتراث شعب كردستان، تكالبت عليها عوامل مختلفة، أغلبها من صنع الأجانب الغرباء عن هذا الشعب، فطواها النسيان وحالت أسباب كثيرة دون الكشف عن خفاياها ورفع الأستار المسدلة عليها. ومنها كل ما يتعلق باليهود الكرد الذين عاشوا على أرض كردستان منذ عهود، وشاركوا بقية أبناء الشعب الكردي حياتهم الثقافية بمختلف نواحيها الإجتماعية والإقتصادية.

وهذه الصحيفة التي طويت بمجرد اضطرار يهود كردستان الى الهجرة الجماعية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ليستقروا في فلسطين حيث تقمصوا بسرعة الثقافة اليهودية - الإسرائيلية السائدة هناك. واحدة من تلك الصفحات التي لم يحاول أحد أن ينفذ عنها الغبار ويفتحها مجدداً ليطلع أبناء كردستان على ما تضم. وهذا الكتاب الذي نقدم اليوم ترجمته الى اللغة العربية يمكن أن يخدم كمرجع ومصدر لأي دراسة إثنولوجية شاملة عن شعب كردستان بمختلف طوائفه وأعرافه وأديانه. لقد انتهى فجأة عالم اليهود الكرد الذي كان قائماً قبل الحرب العالمية الثانية. وهذا الكتاب، بالتالي، يحكي حياة وتراث مجتمع يهودي إختفى من الوجود في بلد عاش فيه هذا المجتمع من عصور موعلة في القدم.

أجرى العالم الأنثروبولوجي إريك براور لقاءات مع عدد كبير من اليهود الكرد ليكتب قبل وفاته في العام ١٩٤٢ هذا الكتاب «يهود كردستان». وجاء رافائيل باتاي فأكمل المخطوطة التي خلفها براور، وترجمها الى العبرية، ثم نشرها في ١٩٤٧.

وهنا لابد أن ننوه بان غرضنا من ترجمة النسخة الانكليزية من الكتاب هو ملء فجوة في تراث كردستان أخليت تماماً ولم يتم التطرق إليها. فلم نعد نسمع عن يهود كردستان سوى بعض القليل والقال من أفواه كبار السن الذين عاشوا في فترة وجود اليهود هنا. والكتاب في حلتته الجديدة يضيف جديداً الى المكتبة الكردستانية، ومحاولة لفتح الباب على جزء لفة الظلام من تراث شعب كردستان وهو هدف لا دوافع سياسية أو مادية وراءه. إذا علمنا أن «يهود كردستان» وثيقة تاريخية فريدة ترسم صورة لحياة وثقافة اليهود الكرد في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية. بل هي، لحد الآن، الدراسة الوحيدة التي تتناول موضوع اليهود الكرد

ولايبيزىگ. عاش لسنوات عدة في القدس حيث تفرغ كلياً لعمله العلمي.

ورفائيل باتاي أنثروبولوجي ومؤرخ ويعد مرجعاً ذا شهرة دولية وهو متخصص في أنثروبولوجيا الشرق الأدنى القديم والشرق الأوسط المعاصر، وإسرائيل واليهود. وقد ألف أكثر من ثلاثين كتاباً، ومن مؤلفاته: (الفكر العربي) و(الفكر اليهودي) و(حول الفلكلور اليهودي) و(بذرة أبراهام).

أخيراً نودّ إطلاع قرائنا على بضع نقاط إتبعناها خلال الترجمة تسهيلاً للفهم:

١- لقد سعينا بجدّ لكتابة الكلمات غير العربية بالإملاء العربي ليمكن القاريء من معرفة كيفية تلفظها. ولتمييزها كتبناها في الغالب على الأقل عندما ترد الكلمة للمرة الأولى في الكتاب بخط مائل ومختلف عن البقية. وقد إستخدمنا حروف الإملاء الكردي للتعبير عن بعض الأصوات كما تلفظ أصلاً، وعلى النحو التالي:

(پ) ويُلَفِّظ كما يلفظ حرف P الإنكليزي؛

(چ) ويُلَفِّظ كما يلفظ الحرفان CH في كلمة Child الإنكليزية؛

(د) ويُلَفِّظ كما يلفظ حرف S في كلمة Pleasure الإنكليزية؛

(ف) ويُلَفِّظ كما يلفظ حرف V الإنكليزي؛

(گ) ويُلَفِّظ كما يلفظ حرف G في كلمة Go الإنكليزية.

وكذلك الهاء في نهاية هذه الكلمات يُقرأ كما تُقرأ الفتحة.

٢- أضفنا الى الكتاب بعض الصور التوضيحية التي إقتبسناها من الترجمة العربية لجزء من كتاب الرحالة الفرنسي (هنري بِندييه Henry Binder) الموسوم (Au Kurdistan, En Mésopotamie et en Perse) الى كُردستان، في بلاد ما بين النهرين وفارس). وأشرنا الى اقتباسها من الكتاب في مواضعها.

٣- فيما يتعلّق بالهوامش والملاحظات فقد دأبنا على الإلتزام بما ورد في أصل الكتاب إلا أننا أدرجنا الهوامش في أسفل الصفحات بدلنا من إيرادها في الأخير كما في الأصل. أما توضيحاتنا وملاحظاتنا فقد أوردناها حيثما دعت الحاجة وإلتزمنا أن نردفها بكلمة (المترجم) تمييزاً لها.

المترجمان

أربيل / ١٠ كانون الأول ٢٠٠٢

نتائج إريك براور المنشورة

- *Zuge aus der Religion der Herero: Ein Beitrag zur Hamitenfrage. Institut der Volkerkunde, 1st series (Ethnographie und Ethnologie). Leipzig: R. Voigtlanders Verlag, 1925.*
- "Die Frau bei den sudarabischen Guden." *Zeitschrift fur Sexualwissenschaft und Sexualpolitik* 18 (1931): 152-71.
- "Forschungen bei den jemenitischen Juden." *Zeitschrift fur Ethnologie* 63 (1931): 226-32.
- "Yehude Teman: Bibliografiya" [The Jews of Yemen: A Bibliography]. *Qiryat Sefer* 10 (1933/34): 119-30, 236-48, 515-24.
- *Ethnologie der jemenitischen Juden. Kulturgeschichte Bibliothek, 1st series (Ethnologische Bibliothek), vol. 7. Heidelberg: Carl Winter, 1934.*
- "Fellachen in Palastina." *Almanach des Schocken Verlags (Berlin)* 1936/37: 100-11-.
- "Der heilsame Granatapfelbaum: Nach Erzählung eines kurdischen Juden aufgezeichnet." *Almanach des Schocken Verlags (Berlin)* 1937/38: 164-73. (Included in the present volume in chapter 18.)
- "Minhage Yehude Kurdistan ba`Atzirat ha`-Geshamim" [Rites and Customs in Times of Drought Among the Jews of Kurdistan].
- *Sefer Magnes (Jerusalem)* 1938: vii-ix, 50-61. (Included in the present volume as chapter 24.)
- "Qivre Qedoshim we-Sifre Torah Scroll `Ose Nifla`ot" [Holy Tombs and Miracle Working Torah Scrolls]. In *Yhsrael Yesha`yahu, ed., MiTeman le-Ziyon. Tel Aviv: Massada, 1938, pp. 165-73*
- *Brauche der kurdischen Juden: Kinder und Kindheit.* *Almanach des Schocken Verlag (Berlin)* 1938/39: 105-12.
- "the Jews of Afghanistan," *Jewish Social Studies (New York)* 4 (1942). "On The Folk Museum in Palestine and the Style of Living of the Fellauin." in *Ba`ayot (Jerusalem)*, 1942.
- "Yehude Afganistan" [The Jews of Afghanistan]. *Sinai (Jerusalem)* 7:12 (1944): 324-42.
- "Minhage Leda Etzel Yehude Kurdistan" [Birth Customs of the Jews of Kurdistan]. *Edoth (Jerusalem)* 1 (1946): 65-72. (Translated from English into Hebrew by Raphael Patai.)
- *Milah we-Yaldut Etzel Yehude Kurdistan* [Circumcision and Childhood Among the Jews of Kurdistan]. *Edoth (Jerusalem)* 1 (1946): 129-38. (Translated from English into Hebrew by Raphael Patai.)



موّره (مريام) طفلة يهودية من العماديه

القسم الأول

تمهيد

البحث الإثنولوجي

إن العزلة الطبيعية للمرتفعات الكردية والتي تجعل التنقل والإتصالات صعبة، وكذلك الفوضى السياسية السائدة، وخشونة طباع سكان هذه الأرض، كلها عوائق حقيقية أمام أي محاولة لإجراء دراسة علمية حولها. لذا قال الجغرافي كارل ريتير بأنه قبل رحلات سي. آر. ريج (١٨٢٠) كانت كردستان الأرض المجهولة بكل ما تحمل الكلمة من معنى^(١). وفي الواقع، فإن ما نعرفه عن كردستان حتى اليوم هو مجرد معلومات عن الطرق التجارية المارة بها ولم تتجاوز معرفتنا ذلك النطاق.

والذي ذكرنا ينطبق على سكان هذه البلاد كما ينطبق على جغرافيتها. فليست لدينا حتى الآن دراسة إثنولوجية منهجية عن الكرد. والموقف أفضل نسبياً فيما يتعلق بالنصارى. أما المعلومات المتوفرة عن اليهود الكرد فهي أقل من تلك المتوفرة عن أي مجموعة يهودية أخرى، والأوصاف التي قدمها القليل جداً من تقارير الرحالة هي أكثر المعلومات ضبابية. فقلماً إتصل الرحالة بيهود هذه البلاد، والكثير منهم، بصورة عامة، أغفل أية إشارة إلى اليهود في تقاريره. لذا فمن بين العديد من كتب الرحلات، بل ومن بين أهمها، لاتجد مكاناً لمجال البحث الذي نحن بصدده^(٢). فلم يلبث أي من الرحالة في البلاد فترة كافية للتعرف عن قرب على اليهود الكرد، كما أنه ليس هناك عمل عن يهود كردستان يشابه عمل (سافير) عن يهود اليمن.

بنيامين التوديلي وبيتاجيا الرانسبوني

أولى التقارير الموثوقة عن اليهود الكرد هي لكل من بنيامين التوديلي وبيتاجيا الرانسبوني في القرن الثاني عشر الميلادي. كان هذان خاضعين تماماً لتأثير الجغرافيين العرب، وكان هدفهما العثور على الأسباط [الأسطوريين] العشرة [لإسرائيل]. وهو الهدف الذي أغرى بالبحث العديد من الرحالة غير اليهود، وكذلك من الرحالة اليهود، إلى عصرنا الحديث.

١- كارل ريتير، جغرافيا آسيا، المجلد ٩، برلين ١٨٤٠، ص ٨.

٢- أقدم مادة حول كردستان وردت في "جغرافيا آسيا" لكارل ريتير، المجلدات ٩-١١، برلين ١٨٤٠-١٨٤٤. وللتعرف على ثبت المراجع أنظر: الإنسايكوبيديا الإسلامية، مادة "كردستان"؛ وإي. بانس، تركيا، الطبعة الثالثة، براونشفايغ ١٩١٩، الص ٢١-٤١٧.

ترك بنيامين التوديلي وراءه وصفاً لرحلته (١١٦٦-١١٧١) في كتاب شهير بحق^(٣). لكن هذا الكتاب يضم معلومات مستقاة من آخرين حول مجتمعات يهودية لم يزر مواطنها بنفسه، وهذه حقيقة لم يوضحها لا المؤلف نفسه ولا الذين نشروا كتابه. لذا فإن الكتاب يفتقر إلى الدقة، ولم يوفق الأكاديميون حتى الآن إلى نشر كل يوميات بنيامين الحقيقية^(٤). ورغم هذا فإن الأمر المؤكد هو أن بنيامين قد زار فقط حدود أقاليم كردستان دون أن يخترق المناطق الجبلية منها.

إنطلق بنيامين في رحلته من فلسطين إلى نصيبين عبر دمشق فحلب فقلعة جابر. ثم سافر إلى الموصل من الطريق المار بجزيرة ابن عمر "على قدميات جبال أرات. على مسافة أربعة أميال من موقع رسو سفينة نوح" (ص ٥٢). ويقدم بنيامين وصفاً مفصلاً عن الموصل، التي يسميها آشور (وهي التسمية المتعارف عليها بين اليهود إلى يومنا هذا)؛ كما أنه تحدث عن آثار نينوى.

وما يتبع ذلك من النص يعتره شيء من الخل، فثمة حلقة مفقودة قبل إنتقاله للحديث عن أربيل، كما أن من المستحيل إثبات كون بنيامين قد زار أربيل فعلاً أم لم يفعل؛ ويبدو من المحتمل جداً أنه انطلق من الموصل باتجاه الغرب حتى بلغ الفرات، حيث إستقل كلكاً [الكلك، بالعربية هو طوف مصنوع من قرب منقوخة] متجهاً نحو بغداد والبصرة. وليس من المعقول أن بنيامين ذهب إلى أبعد من البصرة. وتقاريره عن المناطق الفارسية (وخصوصاً العمادية) مقتبسة من الآخرين، لكن هذا لا يقلل من قيمتها. ويبدو من الرقم المبالغ فيه الذي قدر به سكان العمادية (وهو ٢٥٠٠٠) أنه لم يزرها قط. وربما يكون هذا نتيجة خطأ من الناسخ^(٥)؛ والتقارير بصورة عامة يعطي الإنطباع بأن المعلومات التي فيه سماعية أكثر منها معلومات شاهد عيان. ومن

٣- سفر ماساعوت شيل رابي بنيامين: مذكرات بنيامين التوديلي، طبعة أم. أن. أدلر، لندن ١٩٠٧، الإقتباسات مستتلة من هذه الطبعة. وفيما يتعلق برحلات بنيامين ينبغي أن لا ننسى أن المبشرين النساطرة، إعتباراً من القرن السابع عشر، توغلوا في البلاد حتى بلغوا الصين. وعلى كل حال لم تكن آسيا مجهولة إلى الدرجة التي كان الأوروبيون يتصورونها.

٤- فيما يتعلق بمذكرات بنيامين، أنظر مقدمات وحواشي الطبعة المذكورة، وكذلك مؤلف باول بوركارد، *Der Reiseweg des Rabbi Benjamin von Tudela und des Rabbi Petachia aus Regensburg in Mesopotamien und Persien Ein Versuch*, "Jahrbuch der jüdisch-literarischen Gesellschaft 1924: 137-62. كذلك أنظر: إنسايكلوبيديا جودياكا، مادة

"بنيامين فون توديل" بقلم بوركارد.

٥- المخطوطات كلها تقدر الرقم بخمسة وعشرين ألفاً (ص ٧٧). لذا فمن الغريب أن يذكر جوزيف ابن فيرگا في مؤلفه "شفيط يهودا" وجوزيف كوهن في مؤلفه "إميك ها-باخا" ألف عائلة فقط.

المعلوم أن بنيامين بعد مغادرته البصرة عاد عن طريق مصر.

أما كتاب رحلات معاصره الرابي (الحبر) بيتاحيا الراتسبوني^(٦) (١١٧٥-١١٩٠)^(٧) فلم تبقى منه إلا نسخة واحدة تعرضت للتلاعب من قبل ناشري الكتاب لدرجة أنه لم يعد ممكناً التحقق من اليوميات الحقيقية لرحلة بيتاحيا. لقد كان بيتاحيا مراقباً جيداً، وأوصافه أكثر قوة من تلك التي لبنيامين.

لم يدخل بيتاحيا إلى ميسوبوتاميا، ولا إلى كردستان من الغرب كما فعل بنيامين، بل دخلهما من الشمال، قادماً من روسيا إلى جزيرة القرم عابراً البحر الأسود، ليرسو في مكان مجهول لدينا، إنطلق منه إلى "أرض أارات" التي هي أرمينيا: "وفي أرض أارات سافر حتى نصيبين ومدينة حسنكيف على دجلة" (ص ١٨)^(٨).

ومن هناك توجه إلى نينوى الجديدة (الموصل) حيث أصيب لفترة غير قصيرة بالمرض (ص ٨). وإستغرق خمسة عشر يوماً للوصول إلى بغداد من نينوى الجديدة. ومن هنا تبدأ قائمة بالأضرحة المقدسة، ومن بينها حزقيال في الكفل وناحوم في ألقوش (ص ٣٤) وعيزرا في العزيز. وليس معلوماً إن كان قد زار هذه الأضرحة بنفسه أم لا. ومن بغداد توجه إلى فلسطين عبر الموصل ونصيبين.

والأوصاف التي نجدتها في هذا الكتاب عن الكلك وعن المنّ (منّ السما - المترجم) هي ذات أهمية خاصة بالنسبة لنا (الص ١٠، ٤٨).

ألحاريزي

بعد عهد بنيامين وبيتاحيا بضع عقود، قام أحد مشاهير اليهود برحلة جاب خلالها هذه الأقاليم - هو الشاعر الإسباني العبري يهودا ألحاريزي (في حوالي ١١٩٠-١٢٣٥). ترجم ألحاريزي إلى العبرية مقامات الحريري، التي أيقظت عنده الرغبة في منافسة الشاعر العربي بعمل مماثل باللغة العبرية. وبهدف جمع لمعلومات تفيد هذا الغرض، غادر مدينة توليدو في رحلة طويلة أبلغته أرض الفرات ودجلة (في

٦- سيببوف ها- رابي بيتاحيا (عدة طبعات). الإقتباسات من "رحلات الرابي بيتاحيا الراتسبوني" طبع وترجمة أي. بينيش، لندن ١٨٥٦.

٧- يذكر ياكوب أوبرماير أن سنة ١١٧٣ هي تاريخ إقامة بيتاحيا في نصيبين، (أرض بابل)، فرانكفورت ١٩٢٩، ص ١٣٠.

٨- كتب أوبرماير أن بيتاحيا [جاء ماراً بمدينة حصن- كيفا المهمة في ذلك الحين (وهذه أفضل صيغة للإسم، وهي الآن قرية بالنسبة تعرف بحسنكيف)، على شواطئ دجلة، فوق دياربكر، أي إلى الشمال من نصيبين] (الترجمة من الألمانية لرافائيل پاتاي). [

حوالي ١٢٢٥). وهناك عاش كشاعر جوال. وقد تمّ تدوين المعلومات التي جمعها خلال رحلته هذه في مقاماته الموسومة (تأحكي موني) (٢ سام ٣:٢٨)، وهو عمل يجمع بين الأهمية الشعرية وأهميته كمصدر تاريخي عن الحياة اليهودية في القرن الثالث عشر الميلادي وعن عادات وتقاليدهم لم تكن معروفة بصورة كافية^(٩). ولا تعطينا هذه المقامات، غير المرتبة بشكل يحفظ التسلسل التاريخي، فكرة واضحة عن خط سير حاريزي؛ لكن من المؤكد أنه جاء إلى ميسوبوتاميا قادماً من حلب. والمدن الكردية التي أتى على ذكرها هي الموصل (التي سماها آشور أو نينوى. المقامات: ٢٩، ٢٤، ١٨، ٨، ٤٦، ٤٧، ٧، ٥٠، ١٢٨) وأربيل (المقامات: ١٨، ٤، ١٤٤، ٢٤، ٣)؛ لكن من الجليّ أنه زار مستوطنات كردية أخرى رغم أنه لم يذكر أسماءها. ومن بغداد زار أضرحة حزقيال وعيزرا (المقامات: ٣٥، ٢، ٢٦، ٥٠، ٩، ١٢١). ولا يوفر لنا عمل حاريزي غير القليل من المعلومات عن المجتمعات الكردية. لكن تصويره للحياة العامة والعادات والتقاليد يعدّ مساهمة هامة في مجال تاريخ الحضارة.

يحيى الظاهري

بعد ألحاريزي، لم نسمع لقرون شيئاً عن اليهود الكرد. فالقلاقل التي تسبب بها إجتياح المغول، والدمار الذي رافقه تبطّ الرغبة في الترحال إلى تلك المنطقة، حيث مخاطر الطريق كانت عوائق في سبيل الرحلات. ولكن هذا لا يعني أن يهود كردستان قد إنقطعوا تماماً عن بقية المجتمعات اليهودية خلال تلك القرون. لم يحدث هذا، رغم أنه بعد ثلاثة قرون من حاريزي، تحدث شاعر عبري آخر عن رحلة مماثلة، مثلما في المقامات. هذا الشاعر هو يحيى (زخاريا) الظاهري (أقنر ها- تيمان) الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وقد جاء من صنعاء باليمن.

ويحمل كتابه عنوان سفر ها- موسار (سفر التعاليم)^(١٠). يضم الفصل الثالث

٩- مقامات ألحاريزي، طبعة پاول دي لاكارد، گوتنغن ١٨٨٣. أنظر كذلك: كي. ألبرخت "Die im Takhemoni Vorkommenden Ausgaben Über Harizis Leben, Stüien, und Reisen" گوتنغن ١٨٩٠.

١٠- لم يُنشر من "سفر التعاليم" سوى بعض المقاطع؛ أنظر مؤلف أبراهام ياعري "شليحيم مي إيريتر يسرائيل لعميريت ها شقيقاتيم"، القدس ١٩٤٠، ص ٦، مخطوطات ساسون، رقم ٩٩٥، المكتبة الوطنية العبرية، القدس (المخطوطة العبرية ٨. ٦٣٧)، ومجموعة شوكن، رقم ١٣٢٠٧. ولتفاصيل أكثر حول الكتاب أنظر مؤلف داڤيد سولومون ساسون "وهيل داويد"، لندن ١٩٣٢، ص ١٠٢١ وما بعدها.

منه وصفاً لرحلته من بغداد الى أربيل، ويضم أيضاً زيارته ضريح دانيال ورفاقه في كركوك. ويضم الفصل الخامس رحلته من بغداد عبر الموصل فالرقة فنصيبين.

الرسال - الشلحيم

ثمة ملحمتان تعتبران دليلاً قوياً على أن اليهود الكرد لم يكونوا أبداً منعزلين تماماً. ففي كل العصور كان ثمة إتصالات بين فلسطين والشتات الكردي؛ وإذا كان عدد الوثائق المكتوبة والتي تتحدث عن مثل هذه الإتصالات قليلاً جداً فإن سبب ذلك يعود الى أن معظم الذين زاروا المنطقة لم يكونوا من الكتاب. فقد كانوا رسلاً (شلحيم) من المراكز الدينية الفلسطينية يتم إرسالهم الى يهود الكالوث لجمع الأموال لتلك المراكز. كما كانوا يمثلون حلقة الوصل بين اليهود الفلسطينيين وأخوتهم في المناطق البعيدة.

ومنذ بداية القرن الثامن عشر، هناك دليل موثوق على أن الشلحيم من فلسطين زاروا كردستان بصورة منتظمة، لإفراغ الصناديق المخصصة لجمع أنواع الأموال^(١١) وكذلك لغرض تقديم الموعظة والنصيحة بالالتزام بالشريعة. كما كانوا يصدرن القرارات بشأن المسائل القضائية المستعصية، كالطلاق مثلاً.

وتضم الرسائل التي نشرها (مان) إثنين تتحدثان عن مثل هذه العلاقة مع فلسطين. إحدهما من (سندور) في العام ١٧٠٢ (وهي الرسالة ذات الرقم ١٧)^(١٢) وهي معنونة الى ياكوب بنيامين في القدس. حيث يطلب المرسل من بنيامين إرسال بعض الكتب له.

أما الرسالة المرقمة ١١، والمؤرخة في ١٧٦٨ فهي مرسله من العماديه، فهي تحمل في ظهرها^(١٣) رسالة تعريف الى موردخاي سيدون بي. إيعازر الصفيدي. وكان موردخاي قد زار المجتمعات في فارس كشالياهو (رسول)، وتم سلبه في طريق

١١- كانت مجتمعات كردستان تدفع الأموال (قويوت) الآتية، التي يقوم بجبايتها جباة (كابايم) خصوصيون: قويه رابي مير بعل ها- نيس (العامل المعجزة) في تيسرياس. وقويه رابي شيمون ب. جوهاي في صفد، قويات عقودات ها أولام؛ وقويات راحيل إمينو.

١٢- ياكوب مان "نصوص ودراسات في التاريخ والأدب اليهوديين"، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٥٣٧.

١٣- المرجع السابق، الص ٤٨٧ و ٥٢٩. إن جزءاً من الرسائل التي نشرها مان هي نسخ من رسائل كانت قد أرسلت. حيث إعتاد اليهود الكرد الإحتفاظ بنسخة من أية رسالة يبعثون بها، ولأسباب إقتصادية إستخدموا الرسائل القديمة لهذا الغرض.

العودة، ووصل العماديه مجرداً من كل ما كان معه. وتطلب رسالة التعريف منحه الهبات والمساعدات لإعانتته في رحلة العودة. كما تشير الرسالة الى أن أخاً لموردخاي قد أرسل مرتين الى هذه المناطق كشالياهو.

ونشرت س. أساف^(١٤) رسائل مماثلة من الرسل الفلسطينيين الى المجتمعات في نيروه وچالا وسندور، وذكر أنها تعود الى سنة ١٧٨٨.

ومن بين الرسل الذين أرسلوا الى كردستان، ر. يهودا بي. أمرام ديوان^(١٥) مؤلف مجموعة المواعظ والردود (حوت ها- مشولاش): المنظومة الثلاثية، التي نشرت في القسطنطينية في ١٧٣٩. وقد قام حبر يهودا بعدة رحلات بين عامي ١٧١٠-١٧٤٠ كشالياهو الى مجتمعات صفد والخليل والقدس. وقد ذهب في رحلاته هذه الى كردستان وفارس.

ومن خلال عناوين المواعظ التي جمعها في كتابه يتبين لنا أنه زار كلاً من حلب والموصل ودياربكر وسنه وتبريز وهمدان. ومع ذلك فإن (حوت ها- مشولاش) لا يضيف شيئاً مهماً الى معلوماتنا عن اليهود الكرد^(١٦).

وبسبب خطورة الطريق والطبيعة القاسية للبلد، أوكل الشلحيم مهمة جمع التبرعات الى ممثلين محليين، حددوا لهم نسبة مما يجبون، بدلاً من القيام بزيارة المناطق النائية بانفسهم. وكان هذا مبعث إحباط كبير لسكان تلك المناطق، لأن وصول رسول من فلسطين كان على الدوام حدثاً جليلاً مرتقباً بالنسبة إليهم. ولهذا يكتب شالياهو، من العماديه: "تحدوني الرغبة الى زيارة مستوطنكم؛ لكن الطريق يعد خطيراً للغاية حيث الجبال الوعرة والأنهار والجسور الصعبة الإجتياز، وأنا لا أملك من القوة ما يمكنني من الوصول إليكم، خصوصاً وأن الفصل ماطر والبرد شديد جداً"^(١٧). كما أن الرسل هددوا بالعقاب الشديد لمن يرفض تقديم المبلغ المطلوب

١٤- سميحة عساف "المزيد من الملاحظات حول تاريخ يهود كردستان"، كريات سفر ١٣ (١٩٣٦-١٩٣٧)، ص ٢٦٦. وحول آخر شلحيم زار كردستان أنظر مؤلف وولتر فيشيل "كيريوت كردستان"، سيناى ١٩٣٩، ص ٦ وما بعدها.

١٥- حول ر. يهودا ديوان، أنظر إنساكيلويديا جودياكا، مادة "ديوان"؛ يعري شلحيم، ص ١٧ وما بعدها؛ أساف "تسوفوت لي- تولدوت"، ص ٨٦. وزار ر. يهودا يهودا اليم؛ أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٨.

١٦- يشير ر. يهودا ديوان الى أن شلحيماً آخرين زاروا كردستان قادمين من فلسطين؛ أنظر: يهودا ب. أمرام ديوان؛ القسطنطينية ١٧٣٩، هوط ها- مشولاش، تشوفوت ٤؛ أساف "تسوفوت لي- تولدوت"، ص ٨٦.

١٧- أساف "تسوفوت لي- تولدوت"، ص ٢٦٩؛ أنظر كذلك فيشك "كيريوت كردستان"، ص ٧.

لمتلبيهم^(١٨). هذا، ولا يزال مركز الشلحيم ذا أهمية إستثنائية بالنسبة لمجتمعات الأماكن النائية والمنعزلة.

ر. ديفيد دببت هليل

ر. ديفيد دببت هليل الذي قام برحلته في بدايات القرن التاسع عشر هو أول رحالة أوروبي^(١٩) بعد بنيامين التوديلي وبيتاحيا، يورد وصفاً تفصيلياً عن اليهود الكرد ويخترق بنفسه المرتفعات الكردية. لم تجذب مذكراته الكثير من الإهتمام لأسباب تتعلق بالظروف التي إكتنفت نشرها. كان ر. ديفيد من مواطني فيلنا. وسكن صغد في ١٨١٥^(٢٠)؛ لكنه غادر دياره في ١٨٢٤ "لرؤية العالم" في الظاهر. لكن المؤكد أن هدف رحلته، كما هو الحال مع من سبقه، كان العثور على الأسباط العشرة المفقودين - الهدف الذي ربما كان قد عزم على التوصل إليه من خلال تقارير الشلحيم الذين زاروا المجتمعات البعيدة قبله أو كانت لديهم معلومات عنها^(٢١). وقد سلك طريقاً عبر سورية وكردستان الى بغداد (١٨٢٧). وأقام هناك عاماً، سافر بعدها الى الهند من البصرة. وجاب الهند طويلاً وعرضاً. وفي طريق العودة مكث في (مدارس) حيث أعال نفسه من تعليم طلبة العلوم الدينية الإنكليز اللغة العبرية؛ وكانت هذه الأجواء حافزاً على نشر مذكراته عن رحلته. وهكذا، فإن كتابه ظهر في مدارس، حيث فرصة الإنتشار والإشتهار ضئيلة^(٢٢).

١٨- وهكذا، فإن رسولاً من الخليل أو القدس يكتب من العماديه الى أحد المجتمعات المجاورة "إذا لم ترسلوا إشتراكاً مناسباً، فإنني سأضعكم تحت حظر هنا في العماديه؛ ولتعلموا أنكم لن تغلحوا في شيء، لأنكم ستحرمون، في القدس أمام حائط المبكى وفي الخليل أمام كهف ماكبيلا، من الإنضمام لشعب إسرائيل وستصبح مدينتكم منبوذة وسيكون البلاء من نصيبكم في هذا العالم وفي العالم الآخر"، أسأف "نوسافوت لي- تولدوت"، ص ٢٦٩.

١٩- سبق جوزيف فولف، ر. ديفيد في زيارة كردستان. ففي ١٨٢٥ زار يهود سلماش وأورميه (أنظر الص ٤١-٤٢).

٢٠- حول ر. دببت هليل، أنظر مؤلف أبراهام ياعري "رحلات ر. دافيد دببت هليل"، سينايا ٢: ٤-٥.

٢١- فيما يتعلق بهذا الموضوع، أنظر أيضاً في طلب التبرع الذي نشره ر. ديفيد في مدارس، وذلك في مؤلف أبراهام ياعري "رحلات ر. دافيد دببت هليل" سينايا ٢: ٢٤-٣٣، ص ٦.

٢٢- عنوان هذا المجلد النادر هو "رحلات الرابي دافيد دببت هليل: من القدس عبر أرض العرب وكردستان وجزء من فارس والهند الى مدارس"، مدارس ١٨٣٢. هذا الكتاب أيضاً لم يكن معروفاً عند كارل ريتز رغم أن المجلد التاسع من كتابه "جغرافية آسيا" الذي يعنى بمنطقتنا لم يظهر حتى العام ١٨٤٠.

وهنا، لايهمنا من أمر رحلته سوى ما يتعلق بكردستان^(٢٣). سافر ر. ديفيد عن طريق ماردين الى ديار بكر ثم عاد الى نصيبين، ومن هناك سلك طريق (سابلاخ)^(٢٤) وفيشخابور الى زاخو، ويقدم وصفاً تفصيلياً لها. ومن زاخو توجه جنوباً، الى الموصل، وزار ألقوش وضريح ناقي ناحوم، ثم إتجه نحو الجبال الكردية، فزار دهوك وقرية سندور اليهودية والعماديه. ومن العماديه - التي غابت عنه أهميتها بالنسبة لليهود الكرد - عادت به الطريق الى الجبال: الى شوش وسوخو التي ذكر أنها قرية يهودية خالصة^(٢٥).

وبعد العودة الى الموصل، زار أربيل^(٢٦) وكركوك، ثم رحل متوجهاً الى بغداد التي إنطلق منها الى جنوب وشرق كردستان: السليمانية وبانه وسقز وسابلاخ^(٢٧)، وتازقلا. وجاب منطقة بحيرة أورميه (أورميه، سلماش) ودخل عمق المنطقة حتى بلغ باشقلا^(٢٨) الواقعة بين أورميه وبحيرة وان - وهذا التوسع في رحلته يجعلها في مستوى رحلات مستكشفي كردستان من قبيل سي. جي. ريج. وفي طريق العودة الى سابلاخ، زار ر. ديفيد مناطق مياندواو وكاروس وسنه وكاسلان وأخيراً همدان في عمق الأراضي الفارسية.

٢٣- نشر وولتر فيشل الترجمة العبرية للجزء المتعلق بكردستان، سينايا - العدد ٦ (١٩٣٩).
٢٤- لابد أنها القرية نفسها التي يطلق عليها جوزيف إسرائيل بنيامين (بنيامين الثاني) إسم زلما "ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، من ١٨٤٦ الى ١٨٥٥" هانوفر ١٨٥٨، ص ٧٤. حيث يقول أنها سميت بإسم مؤسسها وهو "يهودي شهير في المنطقة بأسرها، لثرائه، وشخصيته النبيلة، وشجاعته في الحرب". وربما تكون القرية (سابلاخ).

٢٥- يصف ر. ديفيد قرية سوخو بأنها تتألف من ثلاثين عائلة يهودية، كلها من الفلاحين الأثرياء ويملكون قطعاناً كبيرة من الماشية: "كما وهناك الكثير من أشجار (أدار) البيض، المزروعة حوالي القرية، حيث يقومون بتصديرها الى آشور وبغداد" (الرحلات، ص ٥٩). ويقول أيضاً، إن القرية كان يقطنها اليهود وحدهم فيما مضى. ويقول مان إن سوخو أو شوخو التي لم يتمكن من تحديد إسمها بالضبط (إختلط عليه الإسم مع زاخو؛ أنظر: النصوص والدراسات، الرسالة رقم ٢، السطر ٢١٤) تقع على مسافة يوم ونصف اليوم من العماديه من طريق بارولينايا بإتجاه الشرق. واليوم، يعيش في سوخو ٣٥ عائلة يهودية يمتحن أفرادها الفلاحة والحياكة والتجارة. وتوجد في القرية أيضاً عشرون عائلة مسيحية، وعشرون أخرى كردية. ولحد الآن لم يهاجر أي يهودي من سوخو الى فلسطين.

٢٦- كتب ر. ديفيد الأسماء كما كان السكان يلفظونها ويسمعها هو منهم، حيث كانوا يلفظون إسم أربيل ك(أربيل).

٢٧- يكتبها ر. ديفيد (سابلاخ) وفقاً لتلفظ السكان المحليين من الكرد واليهود.

٢٨- باشقلاان التركية.

البعثة النسطورية

تزامناً مع زيارة ر. ديفيد الى كردستان، بدأ المبشرون النصارى زياراتهم الى النساطرة (الأتوريين = السريان) في منطقة أورميه ومنطقة جوله ميرگ الجبلية. كانت تلك فترة مهمة من فترات إستكشاف أرضنا؛ حيث أن هؤلاء الرحالة قدّموا صورة ممتازة للبلاد وسكانها وقاموا الى جانب ذلك بتقديم مادة هامة للمقارنة فيما يخص السوراي (السريان - المترجم)^(٣١)، الجيران النصارى لليهود. وتكمن أهمية تقارير تلك البعثات في أنها زودتنا للمرة الأولى بمشاهدات رجال لهم خبرة طويلة حول ما ينبغي أن يوصف لا إنطباعات الضحايا من زائرٍ الى البلد.

ومن خلال رحلات إيلي سميث و أ.ج. جي. أوو. دوايت^(٣٢)، اللذين جاء الى كردستان في ١٨٣٠ ببعثة من اللجنة التحكيمية التابعة للمجلس الأمريكي لمفوضي البعثات الأجنبية تم، إذا جاز التعبير، إعادة إكتشاف النساطرة. وبسبب مقتل شولتز، تجنّب سميث ودوايت الدخول في المنطقة الجبلية واكتفيا بزيارة المناطق المجاورة لبحيرة أورميه. وقد خلقت رحلتها الحوافز لتشكيل بعثة أورميه من قبل المشيخة الكنسية وإرسال جوستين بيركنس وأساهل گرانت الى هناك.

مكث بيركنس^(٣٣) في أورميه من ١٨٣٥ وحتى ١٨٤١، ومن خلال جولات عدة جاب كل منطقة أورميه. ورغم أنه لم يدخل المنطقة الجبلية فإنه إتصل بالنساطرة القاطنين فيها. كما أن عمله الضخم لا يوفر معلومات تفصيلية عن عادات وتقاليدهم النساطرة. وبينما لا يعدّ عمله ذا أهمية بالغة، فإنه لأشكّ مصدر قيم، خاصة لدراسة منطقة أورميه.

أمّا الطبيب أساهل گرانت^(٣٤) فإنه وصل الى أورميه في ١٩٣٥ وأقام صداقات في أنحاء البلاد من خلال عمله كطبيب، حيث كان المرضى والمصابون يتوافدون عليه من كلّ حذب وصوب. ومن خلال الأراضية التي تهيأت له بواسطة هذه العلاقات، تمكّن من القيام بزيارات عدة الى منطقة السوراي الجبلية - وكان بذلك أول أوروبي

٣١- [السوراي هم النساطرة].

٣٢- إيلي سميث و أ.ج. جي. أوو. دوايت: بحوث البعثات، لندن ١٨٣٤. أنظر كذلك: ريتير "الجغرافيا"، المجلد التاسع، ص ١١.

٣٣- جوستين بيركنس: الإقامة ثماني سنوات في فارس بين النساطرة النصارى: مع ملاحظات عن المحمدين، أندوفر ١٨٤٣.

٣٤- أساهل گرانت: النساطرة، أو القبائل المفقودة.

لاشك أن رحلة ر. ديفيد كانت إنجازاً عظيماً. إذ أن قلة قليلة من الرحالة مثل كير پورتر، أو ريج^(٣٩)، زارت مثل هذه المساحة الشاسعة من أرض كردستان. فبسبب الخوف من هجمات القبائل الكردية على المسافرين، كانت السلطات الحاكمة ترفض منحهم إجازات مرور عبر تلك الأراضي. وبالفعل، فبعد سنوات (١٨٢٩) قتل المستشرق شولتز، من كيسان، على الطريق بين جوله ميرگ وباشقلا^(٣٠). أما سرّ نجاح ر. ديفيد في زيارة كلّ تلك المناطق - عبر أراضي القبائل الكردية التي لم تطأ معظمها قدم أجنبية من قبل - فيعود الى أنه كان قادماً من فلسطين بصفة حاخام، الوسيلة التي ساعدت في نجاح سافير وهاليفي في اليمن.

الماخذ الوحيد على كتاب ر. ديفيد هو أنه لم يقض إلا القليل من الوقت في كل مكان (ولم ينجح في تحديد طول الفترة) ولذلك عجز عن التعرف بشكل وافٍ على أسلوب حياة الناس. ففيما يتعلق بيهود العمادية، على سبيل المثال، كتب الآتي: "يوجد في المدينة حوالي مائتي عائلة من الإسرائيليين يتكلمون نفس لغة إسرائيلي زاخو، ولهم نفس العادات والتقاليد. بعضهم تجار أغنياء، وبعضهم حرفيون، وبعضهم الآخر يربون المواشي" (ص ٥٧). إن مثل هذا الوصف ليس غير وافٍ فحسب، بل هو من وجهة النظر العلمية يعتبر مضللاً. إعتاد ر. ديفيد تقييد نفسه بإبراز التشابه بين يهود منطقة وأخرى والقول إن يهود المنطقة الفلانية لهم نفس العادات ويستخدمون نفس اللغة كما هو الحال مع اليهود في باينان. وعندما يذهب الى قول الشيء نفسه عن يهود منطقة أورميه وسنه (الص ٧٣ و ٨٣)، فإن المرء يجد نفسه مضطراً الى أن يُسقط من حساباته القيمة العلمية لتقاريره.

ربّما كان هدف ر. ديفيد كتابة دليل من نوع ما للمسؤولين الإستعماريين الإنكليز في مدارس الذين قاموا بدعم كتابه. لذا فإن الكتاب يتجاوز قليلاً مذكرات رحالة، ليعرض بعض معلومات إحصائية والقليل من المواضيع الهامة. وربّما لم يتم بعد الكشف عن المخطوطة الأصلية لكتاب ر. ديفيد. حيث أن تقديمه للكتاب يضمّ إشارة الى أن الوصف الكامل لرحلته قد يحتاج الى ستمائة أو سبعمائة صحيفة.

٣٩- حول رحلات كير پورتر وسي. جي. ريج مقيم شركة الهند الشرقية في بغداد، أنظر مؤلف سي. جي. ريج "مذكرات مقيم في كردستان"، لندن ١٨٣٦. كذلك أنظر مؤلف ريتير "الجغرافيا"، المجلد التاسع، ص ٤٢٥. ومن دواعي أسفي أنني لم أتمكن من الحصول على كتاب ريج.

٣٠- أنظر مؤلف ريتير "الجغرافيا"، المجلد التاسع، ص ٦٤١ وما بعدها.

يزورها^(٣٥). وفي ١٨٣٩، رحل من الموصل الى العماديه ماراً بعقره (ص ٥٩). ويقدم لنا وصفاً مثيراً لأطلال المدينة المهدمه كما ياتي على ذكر اليهود (ص ٦١). ومن العماديه إنطلق الى منطقة هكاري الجبلية وزار البطريك مار شمعون في معقله الجبلي قودشانيس. وبعد قضاء خمسة أيام مع البطريك عاد الى أورميه عن طريق باشقلا وسلماس. وفي رحلة ثانية في أيار ١٨٤٠، إلتقى كرانتي بالبطريك للمرة الثانية ولكن في قلعة الزعيم الهكاري في جوله ميرك هذه المرة (ص ١١٥).

لاتضم رواية كرانتي لرحلاته سوى القليل عن اليهود، لأنه نادراً ما اتصل بهم. لكن أهمية كتابه تكمن في المادة الموثوقة المتعلقة بالنساطرة القاطنين في المنطقة الجبلية المحيطة بالعماديه، إذ ركز إهتمامه على عادات وتقاليد ذلك المجتمع منطلقاً من وجهة نظره في أن ذلك يمكن أن يستخدم كدليل على صحة فرضيته القائلة بأن النساطرة هم أحفاد أسباط إسرائيل المفقودين.

وبعد المشيخة الكنسية، بدأت كنيسة إنكلترا نشاطاتها بين ظهراني النساطرة من خلال جمعية تعزيز المعرفة المسيحية. ففي ١٨٤٢ أرسلت الجمعية دبليو. أينسورث^(٣٦)، وأتبعته بجورج بيرسي بادجر الذي قام بدراسة شاملة للمنطقة الجبلية الكردية. وقد زار بادجر، أيضاً، المراكز اليهودية الأساسية وصولاً الى أشينا، حيث التقى البطريك مار شمعون. ويعتبر كتابه حول النساطرة عملاً قياسياً لا يمكن الإستغناء عنه في أي بحث حول اليهود الكرد^(٣٧).

العمل التبشيري بين ظهراني اليهود

في هذه الأثناء بدأت جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود، وهي جمعية تابعة لكنيسة إنكلترا، العمل بين ظهراني اليهود في كردستان وميسوپوتاميا. وكان أغلب المبشرين الذين تقوم الجمعية بإرسالهم الى هذه المناطق من اليهود المرتدين^(٣٨).

٣٥- بادجر (أنظر الهامش ٣٧) حيث يصف التغييرات السياسية التي مكنت كرانتي من السفر الى المنطقة الجبلية.

٣٦- ويليام أف. أينسورث "وصف زيارة الى الكلدان القاطنين في وسط كردستان، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، العدد ٢ (١٨٤١): الص ٢١-٧٦؛ ما سبق: رحلات وبحوث في آسيا الصغرى وميسوپوتاميا وأرض الكلدان وأرمينيا، لندن ١٨٤٢.

٣٧- جورج بيرسي بادجر: النساطرة وطقوسهم: مع مذكرات بعثة الى ميسوپوتاميا وكردستان، مجلدان، لندن ١٨٥٢.

٣٨- تقارير مبعوثي جمعية لندن مبعثرة في صحائف مجلتها التي حملت في البداية عنوان "المفسر اليهودي"، وبعد ذلك وضعت تحت عنوان "معلومات يهودية والتقارير الشهري حول التقدم في =

وكان جوزيف فولف^(٣٩)، أول مبشر إتصل باليهود الكرد، وهو يهودي ألماني يخدم في بعثة لندن ثم نال شهرة عالمية بسبب من رحلته الجريئة الى بخارى. وفي الحقيقة، فإنه ينبغي أن يسبق ذكره الحديث عن ر. ديفيد لزيارته في وقت مبكر للمجتمعات اليهودية في غرب آسيا والتي أوصلته الى سلماس وأورميه في الفترة ١٨٢١-١٨٢٦^(٤٠). إلا أنه في رحلته الكبرى ١٨٣١-١٨٣٤ سافر عبر ماردين فنصيين فالموصل ثم أربيل الى بغداد، وزار منطقة أورميه للمرة الثانية^(٤١).

ولاتضم تقاريره معلومات هامة جديدة عن اليهود الكرد، لأنه ركز بصورة رئيسية على تسجيل مناقشاته التبشيرية التي خاضها معهم.

وخلف فولف يهودي مرتد آخر هو هنري أرون ستيرن^(٤٢). حيث قررت جمعية لندن فتح بعثة لها في بغداد؛ وفي ١٨٤٤ أرسل ستيرن مع كل من موراي فيكرز وبي. أ.ج. ستيرنثس (وهو مرتد أيضاً) الى المدينة التي كان بها مجتمع يهودي تعداده ستة عشر ألفاً. وبعد مواجهة بعثتهم الكثير من الصعوبات في أداء مهامها، إنتهز ستيرن وستيرنثس فرصة للعمل بين ظهراني المجتمعات اليهودية المجاورة.

ففي رحلته الأولى (١٨٤٨)^(٤٣)، غادر ستيرن بغداد وزار طوز خورماتو وكركوك وأربيل والموصل والقوش ودهوك (التي يسميها تاهوك) وقرية سندور اليهودية التي يقدم عندها وصفاً تفصيلياً. وبمساعدة يهود محليين، باعهم نسخاً مطبوعة من الكتاب المقدس بثمن بخس، تمكّن من بلوغ زاخو والجزيرة والعماديه. ومن العماديه

= أعمال جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود. ومنذ ١٨٦١ صار للمجلة ملحق بعنوان "السجلات اليهودية".

٣٩- حول الشخصية المغامرة لجوزيف فولف أنظر: قاموس الأعلام الوطني، مادة "فولف، جوزيف"؛ وكذلك أ.ج. بي. بالمر "جوزيف فولف، حياته ورحلاته الرومانسية، لندن ١٨٣٥. وكان هدف فولف الحقيقي من وراء رحلته العثور على الأسباط العشرة لهدايتهم الى المسيحية. وقد زار فولف اليمن أيضاً. أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين، الص ٥-٦.

٤٠- نشرت التقارير الأصلية عن الرحلة الأولى في "المفسر اليهودي". ثم تم جمعها في مؤلف فولف "مجلة البعثة ومذكرات جوزيف فولف"، ثلاث مجلدات، لندن ١٨٢٧-١٨٢٩. ولم تكن هذه المجلدات بحوزتي.

٤١- جوزيف فولف "بحوث وأعمال تبشيرية"، لندن ١٨٣٥، ص ٤٩١.

٤٢- قاموس الأعلام الوطني، مادة "ستيرن، هنري أرون"؛ أي. أي. إسحق "سيرة أ.ج. أي. ستيرن"، لندن ١٨٨٦، كما زار ستيرن اليهود اليمانيين (أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٦) ويهود الفلاشا.

٤٣- حول رحلة ستيرن، أنظر أيضاً: أ.ج. أي. ستيرن "أقول النور في الشرق"، ص ٢٠٦ وما بعدها.

ولج منطقة النساطرة حتى بلغ أسيوتا، ثم توجه شرقاً الى شوش التي زارها الحبر ديفيد أيضاً. ومن شوش عاد الى الموصل. ورغم كون ما ذكره عن هذه الرحلة موجزاً جداً إلا أنه تطرّق فيه الى مسائل هامة.

وفي ١٨٤٨ قام ستيرنثس أيضاً برحلة زار خلالها المجتمعات اليهودية في كردستان، في كركوك وأربيل والموصل. وقام في كل مكان ببيع الكتاب المقدس: "وأخذ الكثير منه أيضاً الى راقاندي (رواندرن)"^(٤٤).

وفي ١٨٥٥ خلف ستيرن وستيرنثس، جي. أ.ج. بروهل وجي. أم. إيشتاين، وهما كما هو الحال مع سلفيهما يهوديان مرتدان. لكن كل اليهود الذين إتصل بهم المبشرون في بغداد كان قد سبق الإتصال بهم، ولهذا بات العمل التبشيري في بغداد غير مجدٍ. وهكذا قام بروهل وإيشتاين بعدة رحلات، فزارا كركوك وكويسنجق والسليمانية وطوز خورماتو^(٤٥). وقد تم إلغاء البعثة في العام ١٨٦٦^(٤٦). ومن المهم البحث في أنشطة هذه البعثة من وجهة نظر يهودية.

جوزيف إسرائيل بنيا مين (بنيا مين الثاني)

تعدّ معلومات جوزيف إسرائيل بنيا مين (ولد في فالتيسيني برومانيا سنة ١٨١٨، وتوفي بلندن سنة ١٨٦٤)^(٤٧) حول اليهود الكرد والتي جمعها خلال رحلته، من

٤٤- إنسايكلوبيديا جودياكا ١٨٤٨: ٢٩٥، ٢٩٧-٢٩٨، ٣١٦.

٤٥- حول هذه الرحلات، أنظر: إنسايكلوبيديا جودياكا ١٨٥٩: ص ٢١٢ "زارت البعثة عدة مدن في فارس وكردستان وأشور السفلى"، ٤٠٥ وما بعدها: "مجلة بروهل"، إنسايكلوبيديا جودياكا ١٨٦٤: ٨٩ وما بعدها: سجلات يهودية، ت ١، ١٨٦٥، ص ٣٨: جي. أم. إيشتاين: زيارة الى كركوك، سجلات يهودية، تشرين الأول ١٨٩٣: ١٦٧ وما بعدها: ما سبق من "رحلة الى كردستان"، إنسايكلوبيديا جودياكا ١٨٩٣.

٤٦- أنظر إنسايكلوبيديا جودياكا ١٨٩٣: ١.

٤٧- جي. بنيا مين، "ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، من ١٨٤٦ الى ١٨٥٥" هانوفر ١٨٥٨، ص ٣٩٢. وقبل ذلك ظهرت طبعة فرنسية بعنوان "*Cinq années en Orient (1846-1851)*" باريس ١٨٥٦؛ لكنها لم تضم غير القسم المتعلق بآسيا. وفي ١٨٥٩ طبعت في لاك (إيلك، بروسيا الشرقية، فيما بعد بولندا) ترجمة عبرية له بعنوان "سفر مسّاع يسرائيل". [هذه الطبعة مختصرة جداً. وكذلك تم نشر ترجمة إنكليزية للمرة الثانية في هانوفر ١٨٦٣، وتضم هوامش وتصحيحات للمؤلف أجراها أثناء إقامته في أمريكا]. وعن بنيا مين الثاني، أنظر صفحة وفيات "المؤرخ اليهودي"، عدد ٣ أيار ١٨٦٤: ٣٥٢: *Allgemeine Zeitung des Judentums 1864*: 352؛ كذلك أنظر الوصف الموجود في مؤلفه: ثلاث سنوات في أمريكا، هانوفر ١٨٦٣.

أشهر المصادر حول هذا الموضوع. وأطلق بنيا مين الذي يعتبر نفسه خليفة بنيا مين التوديلي على نفسه لقب بنيا مين الثاني (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، من ١٨٤٦ الى ١٨٥٥، ص ٢٩٠) وقد عُرف بهذا الإسم. (ثم ختم ميندل موخر سيفاريم هذه السلسلة برحلات بنيا مين الثالث). ومع أنّه ليس واضحاً تماماً لماذا ترك بنيا مين حياته كتاجر أخشاب وهو في السابعة والعشرين وله زوجة وطفل، ليشروع في هذه الرحلة الغريبة، التي تعتبر بكلّ المقاييس رحلة عقيمة. إلا أنّ من الواضح أنّ البحث عن الأسباط المفقودين هو الذي أغراه بها^(٤٨).

بدأ بنيا مين رحلته في كانون الثاني ١٨٤٥. ووصل الى القدس في آب ١٨٤٧ بعد أن زار كلاً من تركيا ومصر. وقد قضى وقتاً غير قصير في فلسطين، ثم سافر عبر المدن السورية ودخل الأراضي الكردية في أورفا. لكن المؤسف أنّ بنيا مين لم يكن موفقاً في تحديد تواريخ دقيقة، بل اكتفى بمجرد القول انه أكمل رحلته الى كردستان في خمسة وخمسين يوماً.

ومن أورفا، جاب طوروس (سوورك، جرموك) الغربية، ومضى عبر دياربكر فماردين ثم نصيبين الى سالكا (التي يسميها زيلما). وسافر الى "سلسلة جبل سنجاق"، وأمضى بها عشرة أيام في قرية "غالبية سكانها من اليهود، وتعرف من خلال زيارته على الجهل المدقع الذي يعانون". ويؤدنا بنيا مين بوصف مختصر وعام للأيام العشرة التي أمضاها هناك (ص ٧٥)^(٤٩).

ومن الجزيرة ذهب الى زاخو، ومكث بها لفترة قصيرة، ثم واصل رحلته الأولى الى جبال كردستان، حيث زار سندور ودهوك وبيتنوره (تنوره) والقوش. وفي القوش شارك في عيد شاقوعوت* (في الخامس من سيقان** ١٨٤٨).

٤٨- "تلبية" لرغبة عالقة ومتعمقة في القلب منذ زمن بعيد، تكوّنت منذ بدايات شبابي... عزمت... أولاً، القيام برحلة الى المناطق التي أقام فيها أجدادي يوماً ما وشهدوا فيها أمجادهم وبلاياهم، لذا، وكما في الأطياف، سأقتفي أثر ما تبقى من أسباط إسرائيل العشرة" (ثمان سنوات، ص ٧).
٤٩- كتب بنيا مين أنّ قرية زلما تقع على بعد ساعتين الى الشمال الشرقي من نصيبين وأنّ سلسلة جبل سنجاق تقع على بعد ساعة من زلما. وهذا الوصف لا ينطبق إلا على طور عابدين، التي غالبية سكانها من البعقوبيين الذين يتكلمون لغة قريبة الى تارگوم اليهود. أما الآن فليس ثمة قرية قريبة من طور "يمثل اليهود غالبية سكانها"، وهناك شكوك حول سكنهم بها في زمن بنيا مين. وعلى أية حال فإنّ وصف بنيا مين لهذه المنطقة غير دقيق.

* شاقوعوت: عيد يأتي بعد سبعة أسابيع من بدء عيد الفصح، يُحتفل فيه بالحصاد ونزول التوراة على سيدنا موسى؛ ويسمى بينتيكوست، وعيد الأسابيع. شاقوس وشاقوت وشابوت. (الترجم).
** سيقان: الشهر التاسع في التقويم المدني اليهودي، والثالث في تقويمهم الاكليريكي. ويقع في =

وبعد ذلك رحل الى الموصل حيث شرع في رحلته الكردية الثانية. و"بعد رحلة دامت ثلاثة أيام عبر صحراء (كذا)"، بلغ عقره، ثم إتجه نحو الشمال الغربي في رحلة بعيدة وفريدة من نوعها ليزور قرية بارزان الجبلية^(٥٠). ومكث في بارزان فترة قصيرة جداً لاكتفي للتعرف على حياة الناس فيها، ويتبين ذلك من التعليق الآتي: "إنّ الجهل الذي يعانیه إخواننا اليهود هنا كبير لدرجة أنّهم لايقدرّون معه على تلاوة صلواتهم؛ وعليّ الإقرار هنا متألماً، بأنّي لم أرهم في أيّ مكان في مثل هذا الوضع المزري غارقين في مثل هذا الفساد الخلقي، كما رأيتهم هنا". وهذا بالطبع تجنّ على الواقع عند ملاحظة بروز العديد من الحاخامات من بارزان. وتسلق بنيامين جبل پيرس (الذي يقول إنّ اليهود يسمّونه جبل زيباري والكرد يسمّونه جبل بارس)؛ وعند قدمات الجبل ألفى أربع عائلات يهودية من الرحلّ أكّد له أفرادها أنّه "لم يسبق لهم أبداً أن شاهدوا أو سمعوا عن رحالة يهودي أوروبي في تلك المنطقة" (المصدر نفسه، ص ١٠٦-١٠٧)^(٥١).

واصل بنيامين رحلته حتى بلغ سوندو، حيث أصيب بمرض (ربما كان الملاريا) أجبره على المكث بها فترة غير قصيرة، بعدها عاد الى بارزان وهو لايزال يعاني من مضاعفات المرض. وبمساعدة عدد من اليهود والكرد قصد منطقة قريبة من أورميه في الجبال، على طرف فارس السفلى" (في النصف الأول من تموز ١٨٤٨) (الطبعة الألمانية، الص ٨٠-٨١). وفي اليوم الرابع، قطعت الرحلة بصورة مفاجئة لعدد من الأسباب المختلفة. والمؤسف أنّ بنيامين لا يذكر أسماء القرى التي زارها أو التي أرسل مبعوثيه إليها.

عاد بنيامين الى الموصل، وبعد شهر من وصوله إليها (أواسط آب ١٨٤٨) سافر مع قافلة (كاروان) الى أربيل التي إنطلق منها ليشرع في رحلته الكردية الثالثة، فزار رواندز وكويسنجق (ص ١٠٨) وأنهى رحلته في كركوك.

وبما أنّ كتابه كان المصدر الوحيد حول اليهود الكرد، فقد إكتسب سمعة طيبة، وهو تقرير موثوق؛ واعتبر كاتبه واحداً من القلة من الرحالة اليهود البارزين. وكان ينبغي قراءة الكتاب قراءة ناقدة، مع إيفاء محتوياته حقها جزء بعد آخر^(٥٢). ولا

= شهر أيار وجزء من حزيران من السنة الميلادية. (المترجم).

٥٠ - يبدو أنّ أيّ رحالة أوروبي لم يزر بارزان قبل زيارة بنيامين الثاني لها.

٥١ - أي. أ.ج. لايارد: نينوى وأطلالها، لندن ١٨٦٧، ص ٢٠٠، وهناك أيضاً يتطرق الى وجود اليهود الرحلّ في كردستان.

٥٢ - شكك بعض معاصري بنيامين في مصداقية كتابه بينما لا يمكن التشكيك في أنّه زار فعلاً =

جدال في أنّ ما سجّله بنيامين عن رحلته وثيقة هامة، ودليل جراحة لايسْتهان بها من جانبه. وينبغي الأخذ في الحسبان بأنّ مَنْ شهد مثل ما شهده وعاش في فترة حافلة بأمثلة كثيرة عن كتب الرحلات كان يُفترض به أن يخلف وراءه وصفاً مختلطاً وغير علمي لرحلاته. ولاشك أنّ الكتاب يحتوي الكثير من المواضيع الهامة، لكن مادته لايمكن إستخدامها في العمل العلمي إلا بعد إخضاعها لتمحيص منهجي نقديّ.

الرابطة الإسرائيلية العالمية

بدأت الرابطة الإسرائيلية العالمية أعمالها بين اليهود الكرد في وقت متأخر نسبياً. فقد أنشأت الرابطة في ١٩٠٣ مدرسة للبنين والبنات في سنه، ومدارس للبنين في كلّ من كرمانشاه (١٩٠٤) والموصل (١٩٠٧) وخانقين (١٩١١). ولكن قبل إنشاء هذه المدارس، كانت الرابطة تصدر نشرات شهرية تحتوي أخباراً وتقارير حول مختلف المجتمعات اليهودية في وسط كردستان، يعدّ البعض منها مادة قيّمة^(٥٣). وإضافة الى هذا كلّ، كان أساتذة الرابطة وخاصة الذين يدرّسون في مدارس بغداد يقومون برحلات يكتبون عنها وينشرونها في تلك الإصدارات؛ وكانت تقاريرهم تضم في الغالب معلومات تمّ نقلها مباشرة عن اليهود الكرد القادمين من المنطقة الجبلية^(٥٤).

الرحلات الأخيرة

التقارير التي صدرت عن الرحالة الذين زاروا كردستان بعد ١٨٧٠، لم تضيف شيئاً يذكر الى ما نعرفه عن اليهود الكرد. فحتى بعد حرب ١٩١٤-١٩١٨، ظلّت كردستان تضمّ العديد من المعوقات التي تقف في وجه عمل منهجي يتطلّب إقامة طويلة في البلد^(٥٥). ومع ذلك فثمة أعمال تستحقّ الإشارة إليها بشكل خاص ومنها أعمال هنري بنديه^(٥٦)، وأي. أم. هاملتون^(٥٧)، ولاميك سعد^(٥٨). وكتابا الأخيرين

= المناطق التي أتى على وصفها.

٥٣ - أنظر: تقارير من كويسنجق (مجموعة براور بالجامعة العبرية ١٨٨٩، ص ٤٨. و١٨٩٦، ص ٥٢)، والسليمانية (١٨٩٥، ص ٦٤)، وأورميه (١٨٩٢، ص ٥٣)، ورواندز (١٨٩٧، ص ٨٤)، وأورفا (١٨٩٦، ص ٥٤).

٥٤ - أنظر في ثبوت المراجع كلاً من أن. ألبالا وجي باسان وساسون.

٥٥ - للتعرف على المراجع حول كردستان، أنظر الإنسايكلوبيديا الإسلامية، مادة "كردستان"؛ بانس "تركيا" الطبعة الثالثة، براونسفايگ ١٩١٩، ص ٤١٧ وما بعدها.

٥٦ - هنري بنديه "كردستان في بلاد ما بين النهرين وفارس" باريس ١٨٨٧، وفيه توضيحات ممتازة.

٥٧ - أي. أم. هاملتون "طريق في كردستان"، لندن ١٩٣٧. وهاملتون هو المهندس الذي قام بمذّ =

يختلفان عمّا سبقهما في أنّهما ليسا تقارير، تحوي إنطباعات ضحايا ناجمة عن رحلة خاطفة، بل هي متابعات رجال مكثوا في البلد فترة تكفي للحصول على معلومات صحيحة عن البلد وعن سكانه.

وهناك أيضاً عدة رحالة يهود زاروا مواطن اليهود الكرد في السنوات الأخيرة. فهناك أفرايم نيومارك^(٥٩) الذي لم يتجاوز في رحلته الموصل، ومساهمته في هذا المجال قليلة. أما دبليو. شور^(٦٠) فرحلته تستحق بعض الإهتمام. حيث زار شورأورفا وماردين ونصيبين والجزيرة وزاخو والموصل؛ وبعد المسح العام القصير المدى الذي أنجزه (ماحازوت ها - حايبم، الص ١٩-٢٣) من أفضل الكتابات التي نشرت حتى حينه، حول اليهود الكرد.

وفي ١٩٣٥ زار أي. جي. براور^(٦١) كلاً من خانقين وكرمنشاه وسنه وأطرافها، كما زار وولتر شوارتز قرية سندور اليهودية (*Jüdische Rundschau* [برلين] ١٩٣٥).

البدء في دراسة البلد علمياً

لحد الآن، سلطنا الضوء فقط على أعمال الاستكشاف الكبرى التي تناولت مما تناولت منطقتنا، وهذه الأعمال تتألف في قسمها الأكبر من تقارير الرحالة عن رحلاتهم. وبخلاف القليل من الدراسات الأقل أهمية حول مواضيع خاصة، فلم يظهر حتى اليوم بحث علمي متخصص حول اليهود الكرد.

يعتبر أي. زت. ايدلسوهن، الذي أجرى دراسة على العديد من المجتمعات اليهودية الشرقية، رائداً في مجالنا هذا من خلال دراساته التي أجراها على اليهود الكرد القاطنين في القدس. فقد نشر، مع مقدمة عامة، مجموعة قصص باللهجة الآرامية من ساودي بلاغ^(٦٢) (مهاباد أو سابلاخ - المترجم). وقد كانت مادته لاتزال غير

= طريق أربيل-رواندر ونشر صوراً هامة للأرياف والمدن.

٥٨- لامك سعد *Sechszehn Jahre als Quarantanearzt in der türkei* برلين ١٩١٣.

٥٩- أفرايم نيومارك: [إريص ها- قدم] [بالعبرية]، هبعسيف ١٨٨٩: ٣٩-٧٥.

٦٠- زيف فولف شور: ماحازوت ها- حايبم [مشاهد من الحياة]، فينا ١٨٨٤. وظهرت أولى رواية لرحلته في هاشاهار.

٦١- أي. جي. براور: مي- پاراشات ماسّاعوتاي بي- فاراس، سينا، ستة أعداد، ٩-١٠ (١٩٣٠): ٢٥٠-٢٣٩؛ والعدد ١١ (١٩٣٨): ٤٣٠-٤٣٨.

٦٢- أي. زت. ايدلسوهن: سسيبوريم با- لاشون ها- آراميت ها- حادشا [قصص باللهجة =

وافية إذ كان عدد عائلات اليهود الكرد في القدس لايتجاوز في حينه خمساً وعشرين عائلة. كما أخذ ايدلسوهن عن فم الحاخام، العديد من أغاني اليهود الكرد القادمين من ساودي بلاغ^(٦٣).

خلف ايدلسوهن في هذا المجال، ألبرت لوي الذي جمع معلومات عن اليهود الكرد من يهودي من أورميه^(٦٤). وتضم الملاحظات التي جمعها مجموعة مواضيع هامة نستغرب عدم إستغلالها من قبل الباحثين في هذا المجال بصورة أفضل بكثير.

وقد ظهرت في السنوات الأخيرة مخطوطات، تتألف في معظمها من رسائل. ونشر ياكوب مان عدداً من النصوص^(٦٥) التي تمتلكها مكتبة كلية الوحدة العبرية في سينسيناتي، ونشرت سميحة أساف مجموعة من الوثائق القيمة^(٦٦) كان بعضها قد جُمع من قبل وولتر فيشل خلال رحلته القصيرتين الى كردستان^(٦٧).

ومنذ نشر ر. دوقال ما جمعه من القصص بلهجة سلماس^(٦٨)، ظهر أيضاً عدد من الصحائف باللغة اليهودية الكردية - المسماة تاركوم أو جبلي، وهي من لهجات الآرامية الحديثة تشبه تلك التي يتحدث بها النصاري في كردستان - وفي عمله القياسي لدراسة الآرامية^(٦٩) تعامل فرانز روزنثال بالتفصيل مع مسألة الآرامية الحديثة وقام بتغطية كل المسائل الهامة المتعلقة بهذا الموضوع.

= الآرامية الحديثة]، هاشيلوع ٢٩ (١٩١٣): ١٢١ وما بعدها؛ ما سبق "اليهود الناطقون بالآرامية"، دي فيلت ٣٠ (١٩١٢)، ٧-٩٠.

٦٣- اللهجات العبرية-الشرقية، المجلد الثاني، الص ٣١ و ١٢٨-١٤٠.

٦٤- ألبرت لوي: ملاحظات حول اليهود في كردستان، التقرير السنوي للجمعية الأنكلو-يهودية، لندن ١٨٩٧: ٩٤-٩٩؛ "حول نموذج فريد لليشانا شيل إمراني"، أعمال رابطة الآثار التوراتية، لندن ٤ (١٨٧٦): ٩٨-١١٧؛ "حول الفلكلور الكردي في اللهجة الكردية-اليهودية"، أعمال رابطة الآثار التوراتية، لندن ٦ (١٨٧٨): ٦٠٠-٦٠٢.

٦٥- ياكوب مان: نصوص ودراسات في التاريخ والأدب اليهوديين، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٤٧٧-٥٤٩.

٦٦- سميحة أساف "لي تولدوت ها- يهودين بي- كردستان أو- شخينوتيا" [حول تاريخ اليهود في كردستان والدول المجاورة]، زاينون ميعاسيف ٦ (١٩٣٤): ٨٥-١١٢؛ ما سبق، "نوسافوت لي- تولدوت" (أنظر رقم ١٤) ص ٢٦٦-٢٧١.

٦٧- وولتر فيشل، حول اليهود في الجبال الكردية، سجلات يهودية، ٨ كانون الثاني ١٩٣٧؛ إنسايكلوبيديا جودياكا، مادة "كردستان".

٦٨- ر. دوقال: اللهجة الآرامية الحديثة في سلماس، باريس ١٨٨٣. أي. كوتيهيل: اللهجة الآرامية اليهودية في سلماس، مجلة المجتمع الشرقي الأمريكي ١٥ (١٨٩٣): ٢٩٧ وما بعدها.

٦٩- فرانز روزنثال: البحوث الآرامية في أعمال تيودور نولدكه، ليدن ١٩٣٩.

الموطن

ليس من السهل تقديم تعريف جامع مانع لإصطلاح اليهود الكردي. لكن أفضل تعريف يمكن أن نقدمه هو أن اليهودي الكردي هو كل من يقطن منطقة يشغلها الكردي ويتكلم الأرامية (التارگوم)؛ ولكن ينبغي أن نضم إلى أرضنا هذه بعض المناطق المتفرقة حيث يتحدث اليهود العربية بصورة رئيسة (كنصبيين مثلاً).

إن اليهود الكردي، شأنهم شأن جيرانهم من المسلمين، شعب جبلي. لكن الكردي شقوا طريقهم بالتدرج إلى السهول بل وحتى الأراضي المنخفضة في ميسوپوتاميا. وبهذا أخضعوا لسيطرتهم أراضي كانت من قبل خاضعة لتأثير التراث العربي؛ وبهذا بات اليهود الذين ينتمون أصلاً إلى ميسوپوتاميا داخل دائرة التراث الكردي. وبهذا ينبغي أن يفهم أن اتجاه هجرة الكردي هو من الشرق إلى الغرب، أما بالنسبة لليهود فإن اتجاه هجرتهم هو من الغرب إلى الشرق؛ لكن اتجاهات هجرة اليهود متنوعة، فاليهود الكردي (وهو ما ينبغي علينا تأكيده) ليسوا بشعب متجانس بل أنهم جاؤا إلى كردستان في موجات عديدة. وعلى أية حال، فإنك تجد بينهم الآن اتجاهات قوياً للهجرة من الشرق إلى الغرب كما هو الحال مع الكردي. وليس بمقدورنا حالياً التمييز بين موجات هجراتهم المختلفة، فمن الممكن جداً أن يكونوا قد جاؤا إلى كردستان من الشمال.

يقع مركز إستيطان اليهود في منطقتي زاگروس وطوروس الجبليتين. وفي الأخيرة يبدأ عدد الكردي بالإنخفاض التدريجي في أرض الأرمن، حيث لا توجد حالياً مستوطنة يهودية واحدة. وفيما وراء الجبال هناك منطقتا بحيرتي وان وأورميه، والمنطقة الثانية هي أرض إستيطانها اليهود في جزء منها. ومن الغرب يمكن اعتبار نهر دجلة حدود منطقة الإستيطان اليهودي. وهكذا يتبين لنا أن اليهود في كردستان يقطنون ثلاثة أنواع من المناطق حسب طبيعة الأرض: المنطقة الجبلية، ومنطقة البحيرات البركانية، والمنطقة السهلية وصولاً إلى دجلة.

والمركز هو (كما ذكرنا) المنطقة الجبلية حيث جبال طوروس شمالاً وجبال زاگروس جنوباً. وطوروس الممتدة من الشرق إلى الغرب هي سلسلة جبلية مكونة من الصخور الكريستالية القديمة. والقطاع الجنوبي الشرقي من طوروس، وتدخل منه في نطاق بحثنا منطقة هكاري الجبلية فقط هو الموطن القديم للنساطرة، وهو منطقة



نماذج ليهود كردستان

أما جوزيف جَي. ريفلن فيقوم بدراسة خاصة على لهجات اليهود الكردي، وقد نشر عدداً من النصوص غير الهامة^(٧٠). كما يقوم الآن بتدوين الترجمة الشفاهية للكتاب المقدس لليهود الكردي، وذلك لحساب الجامعة العبرية بالقدس.

٧٠- جَي. جَي. ريفلن: سييور داود في- كويات بي- لشئون تاركوم [قصة داود وكليات بلهجة التارگوم]، زاينون ٤ (١٩٣٠): ١٠٩-١٢٠.

غنية بالمياه أكثر من أي منطقة أخرى في طوروس لذا فهي أكثر شبيهاً بمنطقة زاغروس.

ومن ناحية التكوين، فإن زاغروس عبارة عن طيات جبلية تتكون بالدرجة الأساس من مادة الاليمستون؛ وسلسلها تمتد من الشمال الغربي باتجاه الجنوب الشرقي بموازية نهر دجلة. أما مجاري المياه في هذه المنطقة، والتي تزداد غزارة في الربيع، فإنها تتبع أولاً الوديان الطولية ثم تخترق السلاسل الجبلية متجهة غرباً نحو المضائق العميقة الغور^(١). وهذا التقطيع المفرط للمنطقة الجبلية جعلها تتمتع في وجه الإختراق وهيئات مناطق سكنى كانت قبل أيام التنكيد العسكري الحديث غاية في المنعة. وبهذا تكون هذه المنطقة نموذجاً كلاسيكياً عاشت فيه بقايا العديد من الشعوب والقبائل قروناً بمعزل عن العالم الخارجي وفي أمان.

القطاعان الشمالي والشرقي من الطيات الجبلية تشكلت بفعل البراكين. فإراتان بركان خامد؛ والمادة البركانية المنتشرة في طبقات متراسة فوق التشكيلية كونت بحيرتي وان وأورميه اللتين تكونتا بفعل غلق ممرات الأنهر بواسطة المواد البركانية.

وعند أسفل هذه المنطقة الجبلية يمتد سهل ميسوپوتاميا، حيث يشق دجلة والفرات طريقيهما. لم يتجاوز الكرد في تقدمهم دجلة الذي يمكن أيضاً إعتبره بمثابة حدود لمنطقة الإستيطان اليهودي. وعلى المنوال نفسه، تنتمي ميسوپوتاميا الشرقية جغرافياً - وجيولوجياً بشكل جزئي - الى منطقة طوروس و زاغروس، حيث أنها ليست منطقة منبسطة تماماً بل ترتفع على هيئة موجات باتجاه زاغروس. وهذه المنطقة مقطعة في العديد من المواقع بواسطة الأنهار والوديان التي تصب في دجلة. ومع الإتجاه جنوباً تتغير ملامح الأرض: حيث تتسع المسافة الفاصلة بين دجلة والفرات بصورة تصاعدية؛ وتتخذ المنطقة لنفسها ملامح ومناخاً مشابهاً لما تتميز به ميسوپوتاميا.

تنتمي منطقتنا مناخياً الى المنطقة القارية الجافة، وتحتل طوقاً يمتد فوق نصف الكرة الأرضية على خط العرض ٣٥ تقريباً، حيث الشتاء المطير والصيف الجاف

١- "هذه الوهاد ليست شقوقاً مستقيمة؛ وهي تمتد بشكل يلفت النظر ويتشعبات لا نهاية لها. ورواندي هي أفضل نموذج معروف منها بل وربما أبرزها... ففروعها لا تنقل عن خمسة تصب مجاريها الفرعية في نهر رواندي، وكل واحد منها يعتبر بحد ذاته وادياً عظيماً" أي. أ.ج. هاملتون، طريق في كردستان، لندن ١٩٣٧، ص ١١٠. ويشير هاملتون بوضوح الى عدم إمكانية الوصول الى زاغروس؛ فمثلاً عندما يأتي على ذكر برسيرين، يقول "كانت ثم مقاطع قليلة يمكن للمرء إجتيازها وهو يمتطي بغلاً" (ص ١٦٦).

يميزان هذا الجو. وكانت كردستان ستتحول الى أرض جافة مثل فارس ونجد لولا طوروس و زاغروس اللذين يساعدان في وصول الرياح الرطبة التي تهب من البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي لتزيد وتكثف من رطوبتها.

وسلسلة زاغروس، بصورة خاصة، بشتائها القاسي وتلوجها الوفيرة تمثل مخزناً لمياه المنطقة. ولكثرة الينابيع والممرات المائية (الدافقة على مدار السنة) فيها فإنها تغذي بالماء المنطقة بأكملها وصولاً الى دجلة وتروي حتى المناطق التي لا تكون فيها الأمطار كافية^(٢).

وزاغروس مغطاة الى إرتفاع ١٨٠٠ متر بغطاء أخضر من البلوط القزم الذي يظهر بصورة عدة وينتج ثمار البلوط التي تعد من الصادرات الأساسية لهذا البلد. وفي الواقع، تعد شجرة البلوط القزم الشجرة الوطنية لكردستان. وهنا فإننا لانتحدث عن غابات حيث أن الموجود هناك هو مجرد أشجار متناثرة على منحدرات الجبال. هذه الصورة هي التي تميز المنطقة التي طالما وصفت بأنها منطقة تضم العديد من الوديان العميقة التي يغطي جوانبها غطاء أخضر من البلوط القزم. وبالإضافة الى البلوط هناك العديد من أشجار الغابات - خاصة الجوز (ذو الثمار الغالية الثمن) والهور والكمثرى الجبلية.

يعود السبب في غياب الغابات الحقيقية عن هذه المنطقة، بلا شك، الى الإفتقار الكلي لوسائل الصيانة. حيث يتم قطع الأشجار بلا رحمة، لإستخدامها كوقود وعلف للشتاء. فثمة عمل، ينشط فيه اليهود بصورة خاصة، وهو قطع الأغصان التي تحمل أوراقاً في فصل الخريف وبيعه كغذاء للأبقار. والعائق الأخر أمام قيام الغابات هو وجود أعداد هائلة من المواشي التي لاكتفي بتجريد الأغصان الغضة من أوراقها بل تهاجم جذوع الأشجار لتنزع عنها قشورها.

الإعتدال النسبي للصيف، بسبب إرتفاع منسوب، ووفرة المياه، وقر غطاء نباتياً غنياً^(٣). وبفضل تناثر الأشجار عليها، فإن منحدرات الجبال تتمتع بحصة جيدة من أشعة الشمس وبالتالي فهي مغطاة بكثافة بالأعشاب والشجيرات (الدقلة وورود الجنيفر البرية). وفي المناطق الأكثر إرتفاعاً، تختفي أشجار البلوط القزم لتحل

٢- لا توجد أمطار خلال الفترة بين أيار وتشيرين الأول. ومعدل الأمطار السنوي هو: زاخو ١٠٢٦ ملم، العمادية ١٠٩٧، رواندي ١٠٥٣، عقده ٩٣٦، السليمانية ٨٣٦، أربيل ٤٦٢، كركوك ٣٩٤، الموصل ٣٥٠. دوف أشبل، الخريطة المطرية للشرق الأدنى، القدس ١٩٤٠.

٣- لا يوجد في منطقتنا سوى محطتين للأرصاد الجوية، هما بالتحديد محطتا الموصل وكركوك. وفيما يلي جدول بمعدل درجات الحرارة المثوية العليا والدنيا لعامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩: =

محلها المروج الألبية. وهكذا باتت المنطقة الجبلية تحت هيمنة الرَّحَل من الكرد مع مواشيهم. ففي الربيع وبعد رعي مواشيهم في المنطقة السهلية، يتوجّه هؤلاء الى المرتفعات حيث المراعي الجبلية، *الزوزان*. ويتبع هؤلاء خط الثلج صعوداً حتى يبدأ سقوط الثلج والأمطار في الخريف ليجبرهم على التقهقر والعودة نزولاً الى بطون الوديان. ويتم قضاء فصل الشتاء في المناطق الزراعية بالأسفل، حيث المواشي تلتهم ما تبقى من الحقول بعد الحصاد.

إنّ نزول الرَّحَل في أشهر الشتاء يثير مخاوف لدى المزارعين^(٤) الذين يقطنون الوديان غالباً حيث قراهم صغيرة جداً وبدائية قائمة عند قدمات الجبال. وأفضل وسائل الحماية عندهم هو بعدهم عن الطرق الرئيسية. وهذه العزلة هي السبب أيضاً في بقاء العديد من بقايا الأعراف. ويزرع سكان القرى الحنطة والشعير (في المناطق الأكثر حرارة والأعز مياهاً يزرعون) الرز والقطن. كما أنّهم يزرعون بكثرة محاصيل للتسويق (في الغالب في المناطق التي تروى بالواسطة) ويشتغلون أيضاً بتربية الكروم. ويزرعون أيضاً أعداداً وفيرة من أشجار الفاكهة والجوز.

ومع أنّنا نتعامل مع منطقة وعرة، صعبة المنال، فإننا لم نلمس حياة برية عالية الكثافة. حيث أنّ الحيوانات التي تصلح كفريسة قد أبيدت فعلاً. فالدب الذي له دور أساس في قصص الكرد واليهود (يحب اليهود ربط قصص البطولة بمواجهات مع الدببة) لا يشاهد الآن إلا نادراً. والمنطقة غنية بطيور الحجل والسناجب (أنظر قصة

	تموز ١٩٣٨	كانون الثاني ١٩٣٩
=	الدنيا العليا	الدنيا العليا
الموصل	٢٠.٧	٢.٨
كركوك	٢٥.١	٤.٦

«عن دوغ أشبيل، التقرير السنوي: مناخ فلسطين والدول المجاورة، تل أبيب ١٩٣٨/١٩٣٩» . وعن درجات الحرارة في المنطقة الجبلية، كتب هاملتون "أب أحرّ الشهور في كردستان، وهو يعني هناك ١١٠ درجات (٤٣.٣٣ درجة مئوية) في الظل"؛ وكتب أيضاً "هبت ريح تلجية قادمة من تركستان عبر المضيق الأسود فجمّدت كلّ ما لقيته في طريقها" (طريق في كردستان، الص ٢٤٠، ٢٦٣).

٤- هذا صحيح. ولهذا كتب هاملتون يقول "ذات يوم... كنت عائداً من أربيل (الى سبيلك) عندما سمعت عن وقوع مناوشة بين أفراد من قبائل السورجي القاطنة في سبيلك، والهركيين البدو الذين كانوا يخوضون كل عام تقريباً مواجهات مع سكان القرى الواقعة على سفوح التلال. وقد شاركت نسوة في المعركة، حيث أنّهنّ محاربات وماهرات في التصويب مثل الرجال" (المصدر السابق، ص ٩٠).

"ملك السناجب"^(٥)؛ لكن أكثر سكان الجبال خطراً، في الواقع، هم العفاريت.

لايختلف سكان القرى الواقعة في المناطق السهلية (كميسوبوتاميا ومنطقة البحيرات البركانية) إختلافاً جذرياً عن سكان المرتفعات، فرغم أنّ شتاء السهول ليس قاسياً ولاتهب فيه العواصف الثلجية فإنّ القروي يلزم داره ويتخذ إحتياطات صارمة لتوفير طعام الشتاء. واليهودي القروي يحدث تغييراً في نمط حياته في الشتاء حيث يتحوّل الى العمل كحائك داخل بيته.

لايعتمد موقع أية قرية على وجود أرض صالحة للزراعة وكميات كافية من الماء فقط، بل يعتمد أيضاً على عوامل سياسية؛ حيث يتم إختيار المواقع البعيدة عن الطرق الرئيسية. وعلى العكس من هذا فإنّ المستوطنات الحضرية تنشأ في المناطق القريبة من الطرق الرئيسية والتجارية. وهنا، ومنذ عصور موعلة في القدم مثلت الوديان الواسعة الطريق من بلاد فارس الى الأراضي المنخفضة في ميسوبوتاميا، وفي هذه المناطق نشأت المستوطنات الحضرية، وهذه الوديان هي وديان الخابور والزابيين الكبير والصغير.

ومن أهم هذه الطرق، الطريق الذي حوّلته هاملتون الى طريق للسيارات. فهو يقع على إمتداد وادي الزاب الكبير، ويمر عبر أربيل فرواندرز حتى يبلغ طهران. وبهذا فإنّ هذا الطريق، ومن خلال إرتباطه بالسكة الحديدية في تركيا عبر نصيبين والموصل، يجعل الإتصال ممكناً بين أوروبا الغربية وفارس بدلاً من الطرق الأخرى المحيطة به^(٦).

وثمة طريق آخر هام، يبدأ من الموصل الى دهوك والعمادية، وطوروس (جوله ميرگ، باشقلا) وحتى بحيرة وان، ويحتلّ الجانب الأعلى من الزاب الكبير.

المستوطنات الحضرية القديمة في المنطقة الجبلية تستمد شخصيتها الجذابة من مواقعها حيث أنها قائمة في مواقع محمية طبيعياً. فهي بالفعل قلاع طبيعية، تتمتع عادة بمصادر مياهها الخاصة بها؛ وإنّ تكتيكنا العسكري الحديث والهجمات

٥- يوجين برايم وألبرت سوسين، اللهجة الآرامية الحديثة في طور عابدين، گوتنگين ١٨٨١، المجلد الثاني، الفهرست، "Eichhorner".

٦- عند مدّ هذا الطريق، لم يكن لدى العاملين فيه أدنى فكرة عن هندسة الطرق الخارجية؛ بل أنّهم أقاموا نقطة عبور، كلما أمكن، عبر الأراضي التي تحتلها القبائل الكردية المتمردة؛ "عندما تخترق الطرق الرئيسية منطقة يقطنها أكثر الناس توحشاً، فمن المؤكد أنّ هؤلاء سيتحوكون ببساطة الى ناس مسلمين من خلال إقتباس النماذج الحضارية للحياة" (هاملتون، طريق في كردستان، ص ٧٣).

الجوية هي وحدها التي تمكّنت من القضاء على حصانتها^(٧).

فالعماديه تقع فوق هضبة ترتفع عن وادي الزاب الكبير بحوالي ٣٠٠-٤٠٠ متر (أنظر الصورة التوضيحية في كتاب بندييه، ص ٢٠٠)* ولا يمكن بلوغها إلا عبر مسالك وعرة قليلة منحوتة في الصخر.

وقد شدّ الرحالة الموقع الفريد لرواندرز بشكل خاص. فمثلاً كتب هاملتون يقول:

في هذه الأرض الحافلة بالجبال والأنهار والمضايق والعوائق الطبيعية، لم يكن ممكناً إنشاء المدينة في موقع أكثر إشراقاً على المنطقة. فهي تقع بين هوتين عظيمتين على لسان صخري ضيق ينحدر من قمة جبل كورك. هذا اللسان يتحوّل مع إنحداره الى شريط يبلغ عرضه حوالي مائة ياردة فقط ينحدر بشدة حتى يبلغ بقعة صخرية منبسطة على الضفاف البارزة لنهر رواندرز الذي ينحني هنا بشدة ليلج الوادي الذي يطوّق البقعة من ناحية الغرب... وفوق المرتفع والشريط الضيق تجثم بين هوتين سحيقتين مدينة رواندرز العليا.

(طريق في كردستان، ص ١٩، أنظر أيضاً اللوحتين ١١ و ٢٨)

والدرع الأهم للمستوطنات، في الواقع، يتمثل في أن الطرق المؤدية إليها - أو المستوطنات نفسها على الأقل - محمية من خلال قلاع الزعماء الكرد. وقد استخدمت هذه القلاع أيضاً كنقاط إنطلاق لهجماتهم. ويشاهد المرء هذه القلاع مبعثرة في أنحاء البلد؛ لكن أغلبها، خاصة القلاع المشيدة فوق المرتفعات الرئيسية، أصبح الآن مجرد أطلال^(٨).

وهناك مستوطنات حضرية ذات طابع مختلف، تلك هي المستوطنات القائمة عند بوابات الوديان المتوسعة. وهي تشبه كثيراً المستوطنات القائمة في السهول. ويقع معظمها في المواقع التي تكون فيها الأنهار صالحة للملاحة بواسطة الأكلاك الكبيرة (الأطواف)؛ وبذلك تحوّل تلك المستوطنات الى مراكز تجارية. فقد باتت زاخو التي هي في الواقع جزيرة يطوقها الخابور بصورة شبه كاملة، مركزاً لتجارة الخشب. فهناك يتم تجمع الأكلاك الكبيرة لنقل الخشب وتصدير بضائع أخرى الى الموصل.

٧- الشاهد على ذلك هو هجمات القوة الجوية الملكية (البريطانية - المترجم) على رواندرز.

* بشأن هذه اللاحقة وكل اللواحق الأخرى، أنظر هوامش الفصل الأول.

٨- أنظر الرسم التوضيحي لهنري بندييه أودبليو. أي. ويكرام في كتاب بندييه: كردستان في ميسوپوتاميا وفارس (پاريس ١٨٨٧) الذي يقابل الص ٩٦ و ١٢٠٩.

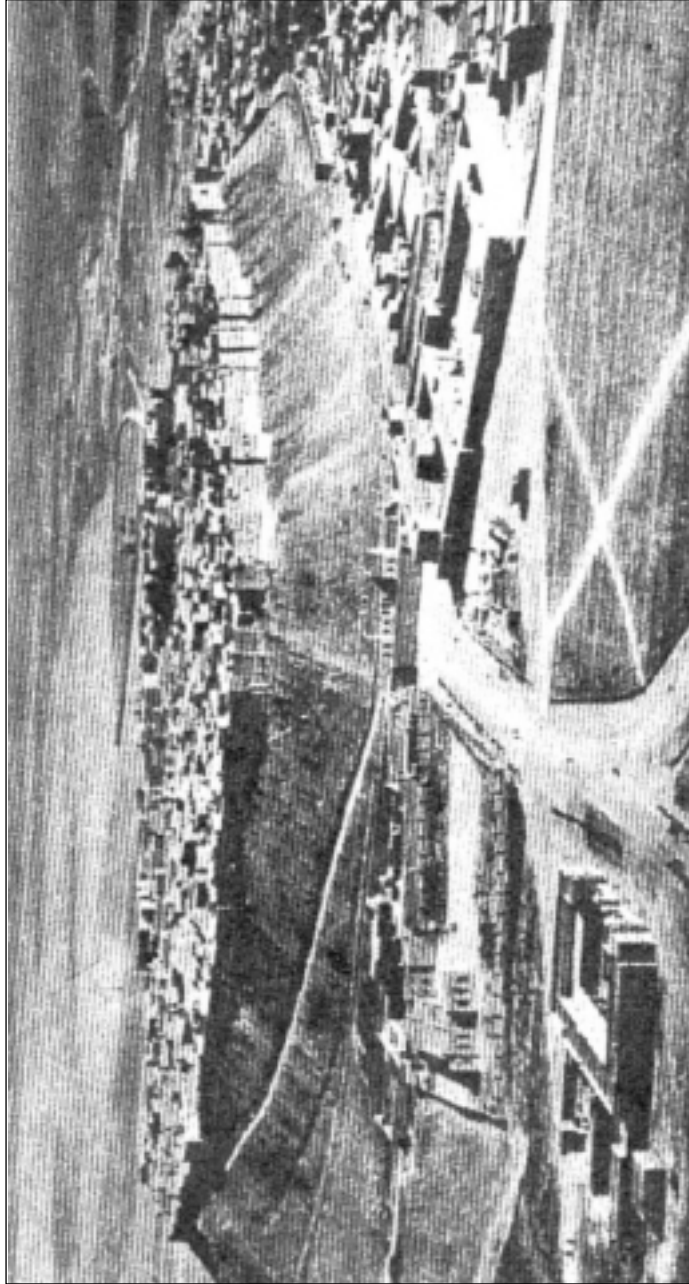
وعلى نحو مشابه، فإن كويسنجق قد إكتسبت أهميتها بسبب موقعها الذي يكون فيه الزاب الأسفل قابلاً للملاحة بواسطة الأكلاك.

أما المدن الواقعة في السهول فهي من بين أقدم المستوطنات الحضرية المعروفة في العالم. فعراقه أربيل على سبيل المثال، تتبين بجلاء من مظهرها الخارجي المميّز. حيث تقع على تل يبلغ إرتفاعه مائة وعشرين قدماً (٣٦ متراً تقريباً - المترجم) يبرز وسط المنطقة السهلية... مثل مخروط مبتور القمة كما هو الحال مع بعض البراكين المميزة، وعلى قمته جدران عظيمة من القرميد، وهناك تجثم أقدم مدينة عامرة على وجه الأرض... فمن الذي شيّد الربوة التي تقوم عليها المدينة الحالية؟... لقد نشأت وببساطة من بناء مدينة فوق أخرى إنهارت لتضاف الى إرتفاع الربوة الذي زاد ببطء خلال حقب لاتحصى، لتغدو الربوة أعلى بحوالي الضعف من أي ربوة مماثلة في العالم. (هاملتون: طريق في كردستان، ص ٦٣)

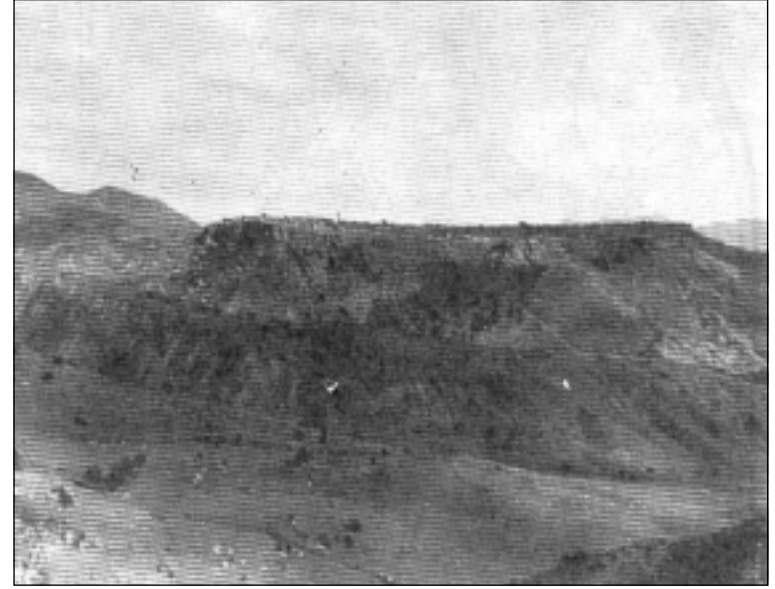
كل الطرق تؤدي الى دجلة؛ وهنا نجد الموصل، نينوى القديمة، "مدينة حدودية، وفي الوقت نفسه مركزية الموقع"، وهي المركز الصناعي والروحي لليهود الكرد. وهي في موقع ممتاز للمرور عبر النهر وكذلك من البر.

أما لماذا يوجد اليهود في مستوطنة دون أخرى؟ فهذا سؤال لايلقى جواباً واضحاً ومحددًا. فرغم أن اليهود الكرد فلاحون وأكثر إلتصاقاً بأرضهم من أغلب اليهود الشرقيين، فإن العامل الجغرافي لم يلعب دوراً ملحوظاً في المسألة حتى فيما بينهم. وكردستان كملاد، وفرت الملجأ لبقايا اليهود كما هي الحال مع المجتمعات الأخرى؛ وهكذا فقد عاش اليهود هناك. والأكثر من ذلك، فإنه مما لا شك فيه أن اليهود إنجذبوا الى مستوطنات معينة بسبب أهميتها كمراكز تجارية. كما أن من المحتمل جداً أن تكون العوامل السياسية قد لعبت دوراً رئيسياً في ذلك. وبعد الحرب العالمية الأولى، وما نجم عنها من آثار سياسية وإقتصادية، شهدت كردستان تغييرات هامة. حيث أن إكتشاف حقول النفط والإستغلال المتطور لها، وظهور السيارات والطائرات كانت عوامل أدت الى إزدهار مستوطنات معينة وإضمحلال أخرى.

إن حقول النفط تتمركز حوالى خانقين وكركوك والموصل. وقد حازت هذه المدن قوة دافعة فتية، حيث أن جزءاً من العاملين في حقول النفط كانوا من سكانها. وعلى نحو مماثل، جاءت السيارات والطائرات بتغييرات عظيمة. إذ إنفتح البلد وصار أكثر أماناً للرحالة، فتحسّن عملية التنقل، والإتصالات السريعة جعلت اللصوص الذين إعتدوا على سلب القوافل يفلسون.



أرييل ١٩٤٠



العماديه ١٩٤٠



قرية سندور

تاريخ اليهود الكرد

اليهود الكرد الحاليون لايهتمون بالتاريخ قطعاً. وعلى العكس من يهود اليمن، مثلاً، الذين لديهم مثل هذا الإهتمام وأنتجوا العديد من الأعمال التاريخية، لم يخلف اليهود الكرد على حد علمنا أي سجل تاريخي يتعلق بهم. ويرى لووي^(١) الخبير، مع معلميه، في اليهود الكرد نفس ما أرى: لا أحد منهم يعرف شيئاً عن التاريخ القديم لشعبه. ولا يتجاوز عمر الأحداث التاريخية التي تحدثوا عنها قرناً أو قرناً ونصف القرن على أكثر تقدير.

والمادة القليلة المتوفرة لدينا لاتمنحنا فكرة وافية عن تاريخ هذا المجتمع. بل هي بالكاد تنفع لتشكيل صورة جزئية. وربما يخدم البحث التاريخي الشامل للبلد الى حد ما في إستكمال هذه الصورة. لاشك أن المستوطنات اليهودية في كردستان عريقة جداً. ومن المثير أن نجد يهوداً يتحدثون بلهجة آرامية (التارگوم أو الجبلي) في منطقة تمثل مستقراً للمنفيين من إسرائيل ويهودا (الملوك ٢، ١٧:٧، إيساه ١١:١١، ٢٧:١٣) أو تقع قريباً منها بحال من الأحوال^(٢). فهل نحن الآن أمام أحفاد هؤلاء المنفيين؟ رغم أنه يجب رفض هذه الفكرة عند طرحها بهذا الأسلوب العام، فإنه يمكن القول مع بعض التأكيد أن لدينا هنا يهوداً يضمنون بين ظهرانيهم بقايا القاطنين اليهود القدماء. وسوف نأتي ببعض الأدلة التي تدعم هذه النظرية، وذلك في الفصل الإثنوبولوجي من كتابنا هذا^(٣).

من خلال نجاح المسيحية والتوسع المثير للنسطرة يتبين أن اليهود عاشوا في هذه المنطقة في تاريخ مبكر جداً. وفي هذه الحالة أيضاً كان اليهود بلاشك أفضل عنصر للدخول في الدين الجديد، وخاصة بسبب إعتناق حكام أديابين (في القرن الأول الميلادي) الدين الجديد ما أسفر عن إجتذاب العديد من غير اليهود الى هذا المجتمع، ودعم الأمراء المهتمين للمستوطنات اليهودية.

ومن الغريب أنه ينذر ذكر كردستان في التلمود، رغم كونها على مرمى حجر من

١- ألبرت لوي، أعمال الجمعية التاريخية للكتاب المقدس، العدد ٤ (١٨٧٥): ٩٨.

٢- حول محاولات تحديد هذه المنطقة أنظر: جي. أوبرماير، أرض بابل، فرانكفورت ١٩٢٩، ص ١٠ وما بعدها.

٣- [حال الموت دون كتابة الدكتور براور لهذا الفصل].



سورا وبومباديتا^(٤). كما ليس هناك أي ذكر للموصل (آشور) التي يتبين أنها كانت في العهد التلمودي مدينة قليلة الأهمية للغاية. وقد ورد ذكر أربيل (أربيل) التي هي واحدة من أقدم المدن في العالم وحلت محل نينوى بعد سقوطها؛ ومن المثير للإستغراب أنها لم تلقَ في التلمود إهتماماً يذكر. وعن وسط كردستان فإننا لانسمع شيئاً قط.

وفيما يتعلق بوضع اليهود في ظلّ الحكم الإسلامي فإننا أيضاً لا نتجاوز التخبط في الظلام. إذ قلماً يتطرق المؤرخون العرب الى ذكر اليهود. ولكن الإشارات غير الصريحة الى اليهود في المدن تبين أن هذه الفترة التي شهدت إزدهار العرب كانت فترة لنمو المجتمعات اليهودية أيضاً^(٥).

القرن الثاني عشر: ديفيد الرومي

إننا مطلعون بصورة أفضل لحدّ ما، على وضع اليهود في القرن الثاني عشر. ونعتمد في هذا على المعلومات القليلة التي قدّمها بنيامين التوديلي والحبر بيتاحيا، اللذين لم يزورا وسط كردستان، كما رأينا من قبل.

في الفترة التي تلت الحملة الصليبية الثانية. شهدت المدن فترة إزدهار جديدة في ظل حكم السلاجقة. وقد إستخلصنا من تقارير بنيامين وبيتاحيا أن اليهود كان لهم دورهم في ذلك الإزدهار. فالموصل "آشور العظمى" التي يسميها بيتاحيا "نينوى الجديدة" كان فيها من اليهود سبعة آلاف، حسب بنيامين (سفر ماسعوت، ص ٥٢)، وستة آلاف حسب بيتاحيا (الرحلات، ص ٨). وقد زاد عدد سكان الحواضر بسبب هجرة اليهود القادمين إليها من فلسطين، هرباً من غزوات الصليبيين. وشكّل هؤلاء المهاجرون قوة دافعة جديدة للتقدم العلمي في بغداد وايضاً في الموصل التي إعتبرت نفسها مستقلة عن بغداد ولها حاكمها (إيكسيلارچ) الخاص بها^(٦). ولما

٤- حول المواقع التي ورد ذكرها في التلمود، أنظر: أوبرماير، أرض بابل؛ وكذلك: ياكوب مان، نصوص ودراسات، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٤٧٧ وما بعدها.

٥- أنظر ما جاء عن هذه المادة في أوبرماير، أرض بابل؛ وكذلك: مان، نصوص ودراسات، سينسيناتي ١٩٣١، المجلد الأول، ص ٤٧٧، حيث يحاول شرح تاريخ اليهود في الموصل.

٦- حول إكسيلارچ الموصل، أنظر: ياكوب مان، *Livre d'hommage a la mémoire du S. Poz-* وارشو ١٩٢٧، القسم العبري، ص ٢٣-٢٧. (والإكسيلارچ *Exilarch* هم فرع من الأمراء أو الحكام اليهود في بابل، حكم وفرض الضرائب على اليهود في كل البلدان في الفترة الممتدة بين ٢٠٠-١٢٠٠ تقريباً - المترجم).

كانت الموصل حينها المركز الروحي والتجاري لمنطقتنا، فبإمكاننا الإفتراض أنه كان يوجد من بين العديد من المتعلمين الذين ضمهم الحاكم الى مجلسه، البعض من اليهود الكرد ايضاً.

تمتع اليهود في الموصل بحكم ذاتي. وقد كان لحاكمهم سجنه الخاص به. وكان نصف الضريبة (الجزية) - التي يدفعها اليهود لكونهم ذميين - يذهب الى الدولة، والنصف الآخر الى الحاكم.

وكان يوجد في المدن السهلية ايضاً مجتمعات يهودية لها أهميتها. ففي نصيين كان هناك ألف يهودي (بنيامين، سفر ماسعوت، ص ٥١) وثلاث كُنيسات (بيتاحيا، الرحلات، ٢، ١٧). ويذكر بيتاحيا أنه من نصيين تبدأ أرض آشور (الموصل) [وَأَنْ لَحَزْرِيَا (أذربيجان) لغة، ولتوگارما (تركيا) لغة أخرى].

وفي جزيرة إبن عمر كان يوجد مجتمع من أربعة آلاف يهودي (بنيامين، سفر ماسعوت، ص ٥١). ولكن بالنسبة لأربيل فليس لدينا أية معلومات وذلك لأنه (وكما ذكرنا) يوجد نقص كبير في النص عند هذه النقطة.

والأهم الأكثر إثارة من كل ذلك، الفقرة التي وردت في يوميات بنيامين التوديلي حول ظهور المسيح الدجال ديفيد الرومي في العماديه (المصدر السابق، الص ٧٨-٧٩). حيث أنّ هذه الفقرة تعطينا فكرة عن الحياة اليهودية في داخل كردستان. والنتيجة السلبية التي يمكن التوصل إليها من خلال التقرير ليست أقل إثارة من الإيجابية: فهذه الإشارة العرضية من لدن بنيامين تبين مدى ما فقدنا من المادة التاريخية المتعلقة باليهود الكرد^(٧).

يصف بنيامين العماديه على أنها مدينة تضم مجتمعاً يهودياً يتألف من خمسة وعشرين ألف فرد - وهي مبالغة مفضوحة:

هذا أول المجتمعات القاطنة في جبال هفتون، حيث يعيش أكثر من مائة مجتمع يهودي. ومن هنا تبدأ أرض ميديا. وهؤلاء اليهود هم أحفاد أولئك الذين تم سبيهم أولاً من قبل الملك شلمنصر؛ ويتحدثون لغة التارگوم ويوجد بينهم رجال متعلمون. وتمتد مواطنهم من منطقة العماديه^(٨) الى منطقة كيلان، التي تقع على مسافة خمسة وعشرين

٧- حول قصة ديفيد الرومي أنظر مان، ها تيكوبا، ٢٤: ٣٤١ وما بعدها؛ وكذلك ما سقت الإشارة اليه في مجلة الدراسات اليهودية، العدد ٨٧: ٢٥٧.

٨- يكتبها بنيامين (العمارية) عادة، بدلاً من العماديه. وهذا مثال على الخطأ المماثل (الذي =

يوماً من حدود مملكة فارس" (المصدر السابق، الص ٧٦-٧٧)

كان يهود العمادية من رعايا فارس أيضاً، وكان على كل ذكر بلغ الخامسة عشرة أن يدفع الاتاوة للدولة الفارسية.

وكما ذكرنا، فإن التقرير المتعلق بالمسيح الدجال ديفيد الروي هو أهم مادة مفردة نمتلكها حول تاريخ اليهود الكرد. وديفيد الروي هذا، كما يسميه بنيامين، درس في معهد بغداد في ظل حكم الإكسيلارج هيسداي والكاون علي حليبي، وكان عالماً لا غبار عليه. ومن هذا نستخلص أن يهود كردستان، رغم عزلتهم في هذه الفترة، لم ينقطعوا عن مراكز العلم في ميسوپوتاميا. وحديث بنيامين عن نشاطات الروي هو خليط من الحقيقة والأسطورة. فيكتب أنه "تبني فكرة التمرد على ملك فارس وحشد اليهود القاطنين في جبال هفتون للتقدم وقتال كافة الشعوب والزحف على القدس وإحتلالها" (المصدر السابق، ص ٧٨).

وهذه الحركة كان لها أتباع كثيرون بين اليهود الذين أطلقوا عليه إسم المسيح؛ لذا قام ملك فارس الخائف من الفتن والقلاقل بإستدعاء الروي وسجنه في طبرستان. ومع ذلك فإن الروي حرر نفسه بطريقة تشبه المعجزة ووصل الى العمادية خلال يوم واحد فقط، قاطعاً مسافة تستغرق في الحالات العادية عشرة أيام.

عندها طلب الملك من إكسيلارج بغداد، عن طريق خليفة بغداد، وحذره من أنه اذا لم يوقف الروي نشاطاته التحريضية، فإنه سوف يقتل كل اليهود الموجودين ضمن حدود مملكته. وبدافع من الخوف الشديد، توجه إكسيلارج الى نظيره في الموصل^(٩) - وهذا يبين بوضوح أن يهود كردستان كانوا يعتبرون الموصل مدينتهم الرئيسية. وبعدما فشلت كافة المساعي الرامية الى إيقاف ديفيد عند حده، لم يبق سوى الغدر به. فأغوي حمو الروي من قبل أحد أتباع الملك "فدخل بيت الروي وقتله وهو نائم في فراشه" (المصدر السابق، ص ٨١). هذا، ولم يهدأ الملك حتى دفع له اليهود غرامة قدرها مائة طالن ذهبي.

وظهر في الأونة الأخيرة مصدر هام يدعم يوميات بنيامين. ففي كتاب إفحام اليهود للصموأل ب. يحيى المغربي، وهو يهودي دخل في الإسلام، نجد رواية أكثر واقعية لإنتفاضة الروي، بغض النظر عن تحامل الكاتب على اليهود.

= إرتكبه الناصخون) فيما يتعلق بإسم الروي.

٩- يورد بنيامين أسماء الرجال الذين وجه إكسيلارج طلبه إليهم مثل ناسي زاكاي، ور. يوسف برهان الملك [أو الفلك]، المنجم (سفر مساعي [طبعة د. گوردون ١٨٥٩]، ص ٨٠).

وحسب هذا المصدر، فإن ديفيد، الذي يسميه هنا مناخيم ب. شلومو الروي^(١٠)، كان يتمتع بشهرة عظيمة بين اليهود، وأن أمر الحصن كان ايضاً يحب لقاءه. ولاحظ الروي خلال اللقاء أن هذا الشخص متساهل. فتبني خطة للإستيلاء على الحصن بمساعدة من اليهود:

لذا فقد كتب الى اليهود المتجولين حوالي مدن أذربيجان وما جاورها، ولكونه عالماً أن يهود فارس هم أغبى اليهود جميعاً، فقد أعلمهم من خلال رسالته بأنه بعث لينقذهم من أيدي المسلمين... وأبلغهم ايضاً بأن من المستحسن أن يحمل كل منهم عند مجيئه الى هناك، سيفاً أو أي سلاح آخر يخبئه تحت ملابسه^(١١).

وعندما توافد اليهود الى هناك، ظن الأمر لأول وهلة أنهم قد جاؤوا لزيارة الروي إذ أنه اعتاد مثل هذه الزيارات من قبل اليهود الكرد. لكنه عندما أدرك حقيقة الموقف، قتل الروي. فذهل اليهود ذهولاً عظيماً وتفرقوا فارين في كل إتجاه:

ولازال يهود العمادية الى اليوم يمجّدون ذلك اليوم في مجالسهم، ويعتبره الكثير منهم المسيح المنتظر. لقد رأيت المجتمعات اليهودية في فارس، في خوي وسلماس وتبريز ومراغه وهم يرددون إسمه بتقديس عظيم. ويهود العمادية هم من أشد اليهود مخالفة للمسيحيين في كل شيء يتعلق باليهود. وفي هذه المدينة توجد جماعة تؤمن بعقيدة دينية، يقول أفراد الجماعة إن ذلك الدجال قد جاء بها^(١٢).

ويرى ياكوب مان أن مؤامرة الروي كانت وليدة الأحداث التي أثارها الحملة الصليبية الثانية. فقد كان السلاجقة في ميسوپوتاميا وسورية يشكلون تهديداً عظيماً للصليبيين؛ وإتمام عمادالدين زنگي أتابك الموصل (ويقال أن العمادية سميت

١٠- في مصدر ثالث، المهتدي: ميگيلاً أوباديا (قارن ي. مان، مهتدي أوباديا، مجلة الدراسات اليهودية، العدد ٧١ (١٩٢٠)، الص ٩٠-٩١) يطلق عليه إسم ألدوكي. والإختلافات الثلاثة ناجمة عن رسم الكتابة العربية أو العبرية. والصيغة دوگي تشير الإهتمام لكونها مشابهة للصيغة دوگا التي هي إسم لعائلة تعيش اليوم في العمادية. ومن بعض الرسائل التي نشرها ياكوب مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول، ١٩٣١، الرسالتان ٧ و ٨) ندرک أن شخصاً إسمه سيمون دوگا كان زعيم المجتمع اليهودي في العمادية.

١١- ياكوب مان، "ها- تعنوعوت ها- معشيهيوت"، ها تيكوفا، العدد ٢٤ (١٩٢٨) ص ٣٤٥.

١٢- المصدر السابق. ليس هناك شيء قديم عن كون الروي قد عاش بين اليهود الكرد. وكل ما يعرفونه عنه جاء من مصادر حديثة.

بإسمه) فتح الأديسه. ويرى مان أنه في هذه الفترة التي تميّزت بعدم إستقرار سياسي عظيم، خرج ديفيد الروي بروحية نبيّ وتبنى خطة قيادة اليهود الى فلسطين.

لكني أرى أنّ شرح مان للموقف غير مقنع بما فيه الكفاية. وأعتقد أنّ من الممكن جداً أنّ الروي إعتبر تلك الفترة مناسبة لمطالبة اليهود بالإستقلال السياسي، الوضع الذي لم يتمكنوا من تحقيقه أبداً الى يومنا هذا. ولفهم الموقف، من المفيد أن نستذكر مواقف مماثلة للمسيحيين: "في ١٣١٠، وفي منطقة ألدجايتو، هُزم النصارى بعد دفاع بطولي عن أنفسهم ثلاثة أشهر في قلعة أربيل ضد القوات المحاصرة، المكونة من العرب والكرد والمغول"^(١٣). لقد كانت كردستان دائماً أرضاً خاضعة لسيطرة زعمائها العشائريين، وقد شجعت غزوات هؤلاء الزعماء الروي للقيام بمحاولة مماثلة بمساعدة من اليهود ومن أجلهم.

ولغرض البدء بالتحقق من العوامل التي أدت الى ظهور اليهود الكُرد، فإنّ حقيقة قدوم اليهود من أذربيجان الى كردستان (كما يفهم من قصة الروي) تتمتع بأهمية خاصة. ولم تكن تلك الحادثة الأولى ولا الأخيرة من حوادث دخول العناصر اليهودية- الفارسية الى كردستان. فقد كانت الحدود بين كردستان وبلاد فارس غير مستقرة لقرون؛ ولاشكّ أنّه كان ثمة تبادل فعال للسكان، شارك فيه اليهود ايضاً.

القرن الثالث عشر: الحاريزي

لم تمر بضع عقود على زيارة بنيامين التوديلي المنطقة، حتى زارها الحاريزي (١٢٣٠) الذي يعد تصويره للمجتمعات اليهودية بمثابة تحفة فنية، ومن الصعب التصديق بأن بنيامين التوديلي والحاريزي عاصرا بعضهما. فبينما لانلمس إلا نادراً شيئاً عن شخصية بنيامين من خلال نتاجه، فإنّ مقامات الحاريزي تجسد شخصية كاتبها. وفرانسوا قليلو اليهودي هذا يصوّر حياة المجتمعات اليهودية بتهمكّ لاذع. فهو يكتشف فيها علامات الإنحلال، رغم كونها لاتزال في الفترة التي سبقت الغزو المغولي الذي دمر المدن. وليست مقامات الحاريزي معاصرة كشعر فقط، بل أنّها تقدّم صورة عن يهود الحضر لاتختلف إلا قليلاً عن حياة اليهود في يومنا هذا. يولي الحاريزي إهتماماً قليلاً بأربيل^(١٤). ويتبيّن الجهل الذي كان يختبئ تحت

١٣- الإنسايكلوبيديا الإسلامية. الطبعة الأولى، مادة "أربيل" بقلم ستريك.

١٤- حول أربيل أنظر المقامات: ١٨. ٤. ١٤٤-١٤٦، ٢٠. ٢. ١٥، ٢٤. ٣ (مقامات =

سطحها البراق (المقامات، ٣. ٢٤). وقد تحدّث بصورة شبه كاملة عن الحياة في الموصل^(١٥)، ومن خلال الصورة التي رسمها لبغداد يمكننا جمع الكثير مما يهم موضوعنا^(١٦).

يصور الحاريزي بانبهار وإعجاب حجم وجمال الموصل وكُنُيساتها الفخمة ثم يورد وصفاً فنياً مؤثراً للمدينة وهي في حلتها الشتوية (المقامات، ١. ٢٩)^(١٧).

وكشاعر متجوّل يعتمد على صدقات الناس، فإنّه يقسم البشر الى فريقيّن: قساة القلوب وطببي القلوب. وقد كان نصيب يهود الموصل أنّ ضمّمهم الى الفريق الأسوأ، خلا زعيمى ذلك المجتمع وهما الإكسيلارچ ر. نسيم، وديفيد "رئيس الكالوت" (المقامات، ١٨-١٩. ٨. ٤٦؛ ومقامات الحاريزي طبعة بول لاگارد، ص ١٧٦). ويصّب سخطه وسخريته على هذا المجتمع:

عندما ذهبت الى هناك، شهدت مجالسهم.

وكان رأس كلّ منهم يتدلّى على صدره المفعم بالحماقة، لم يكن ثمة رجل، ولا حتى صوت رجل.

ولكن الأحصنة كانت مربوطة، والحمير مربوطة. [الملوك ٢، ١٠: ٧]

وكانت لليهود مثل بئر، يسقط فيه الثور والحمار.

في اليوم الذي تم فيه نفي شعب الصخر [اليهود] من القدس، نُفي الأتقياء الى دمشق ومصر وأسكنوا في هاقيلا وحتى شور؛ أما الرعا

فقد ذهبوا الى آشور. (المقامات ٢٨-٣٢. ٨. ٤٦)

ويبلغ هذا الوصف ذروته في المقامة الرابعة والعشرين الشهيرة حول كانتور* الموصل، حيث جماعة المصلين الجهلة، وكانتورهم الجاهل الذي يفخرون بأدائه، يصوّرهم في هجاء مثير لايزال يحتفظ بإثارتته.

= الحاريزي، طبعة بول دي لاگارد [كوتنجين ١١٨٨٣].

١٥- حول الموصل أنظر المقامات ٢٤. ١. ٢٩. ١. ٤٧. ٧. ٤٨. ٨. ١٨. ٥٠. ١٢٨.

١٦- المقامات ٤٦. ٩. ٤٧. ٨. ٥٠. ٤٣-٤٤ و ١٠٧.

١٧- جئت الى الموصل في شهر تيفيت (كانون الثاني) (ويسمى ايضاً تبت وتبت، وهو الشهر الرابع في التقويم المدني اليهودي والعاشر في التقويم الاكليريكي، ويقع في كانون الأول ويشغل احياناً جزء من كانون الثاني ايضاً - المترجم)، عندما إجتاحت العاصفة البلد.

كان الجو بارداً؛ من الذي يمكن أن يحتمل برودته؟

تجمعت غيوم المطر، ورفع الثلج راياته على الجبال.

* الكانتور: هو الشخص الذي يرتل الصلوات في الكنيس، ويقود جماعة المصلين عند أداء صلواتهم.

فبعد وصف مقتضب لثراء وروعة المدينة، وبخل سكانها، يروي الحاريزي كيف أنه ذهب إلى كُنيس الموصل في مساء الجمعة. وقد جلس بين الجمهور إلى جانب شيخين:

لهما لحي طويلة، أقوياء كالبلوط من النوع الذي يستحق الإطراء لكنهما لا يستحقانه،

من هادمي المؤسسات الخيرية، لا من بُناها، رجال طوال القامة، ذوو بطون كأنها أكوام الذرة، ونفوس بغيضة، وعيون تنم عن العجرفة. (المقامات ١٣-١٥ . ١٠٤٠ . ٢٤).

وحدثوه بفخر عن حكمة إمامهم في الصلاة وأسلوبه الجميل في الترتيل، ... ويشاهد، ظهور الكانتور،

على جبهته عصابة، وعلى رأسه شال، أبيض وجميل، يبلغ طوله ماقتي ذراع.

لحيته تبلغ سرته. يغطيها بغطاء.

تمسح حواشيه الأرض وهو يكاد يمشي على الحواشي. (المصدر السابق، ٢٢-٢٦)

وعلى النقيض من هذا المظهر الخارجي يأتي الجهل المطبق للكانتور، الذي يرتكب أخطاءً مضحكة؛ فهو لا يفهم شيئاً مما يرتل. ويرفق الكلمات التي يرددها بإيماءات غير طبيعية، متصوراً أنه بذلك يبيّن ورعه. أما بالنسبة لجماعة المصلين:

كان البعض منهم جالساً، والبعض الآخر ممدداً نائماً كالأموات.

وفرّ بعضهم مجدداً ولم يعد، تاركاً دار العبادة.

فرّت الثيران من رعاتها، وفرّت الأغنام والقطعان،

لم يبق هناك سوى أربعة من الحمير، ينعقون وينهقون مع الكانتور

معتقدين بأنهم مغنّون (المصدر السابق، ٥٣-٥٧).

وكان الحاريزي يصف جماعة مصلين كرد في يومنا هذا، حيث لا تتجلى معارف الحاخام إلا في عقول جهلاء المصلين. ومن هذا يتبين أن يهود ميسوبوتاميا واليهود الكرد ينبغي أن يكونوا قد تلقوا جرعات مستمرة من الخارج لمجرد البقاء فقط. وبقلمه اللاذع ينقل لنا الحاريزي أيضاً مشاهد من الحياة العامة للشعب. هذه المشاهد تنطبق إلى حد بعيد على العالم الشرقي في يومنا هذا، لأنه عالم دخل

بالفعل مرحلة الإنحلال. فقصة حيفر ها - قيني والمزارع الفقير في رحبه (ريهوقوت) على الفرات، جنوب الرقة؛ ومشهد تناول هذين الفقيرين بنهم وجبة الطعام في مطعم بالسوق يمكن أن يتكرر في الموصل أو بعض المدن الكردية الأخرى اليوم مثلما كان في بدايات القرن الثالث عشر.

حازان ديفيد وحازان يوسف

لم يجر لحد الآن بحث علمي على الأضرحة والأماكن المقدسة والكنيسات في كردستان - ومن شأن مثل هذه الدراسة أن تكشف بلاشك الغطاء عن خفايا العديد من الألغاز في تاريخ اليهود الكرد. هؤلاء الذين كانوا يشاركون جيرانهم المسلمين في مراسم الزيارات، التي تضم زيارة العديد من الأضرحة المقدسة والمزارات الأخرى التي يحمل بعضها أسماء شخصيات تاريخية أو أسماء اليهود الكرد (الحاخامات)^(١٨)؛ ولكن لا يوجد هناك لحد الآن شيء مفيد يمكن أن يُقال عن الدور التاريخي لهؤلاء. وهناك إستثناء في بي حازان، الذي يعد واحداً من أشهر المواقع التي يقصدها الناس في زياراتهم. فهذا المزار يقع بجوار كنيس ناغي يحزقيل في العمادية العليا، وهناك عثرنا على قبوري حازان ديفيد وحازان يوسف.

وبحوزتنا وثيقتان تحكيان قصتي حياة هذين الرجلين، لكنهما تضمان تناقضات جلية. فعلى القبرين توجد رقعة خشبية مكتوبة [مكتوب عليها ما معناه: "حازان يوسف ابن حازان ديفيد ابن أفرام ابن يوسف ابن يعقوب"]^(١٩). والوثيقة الثانية، التي نشرتها أساف^(٢٠)، موجودة في سفر *حالموت* (الذي هو سفر تفسير الأحلام)، المكتوب سنة ١٧٣٨. في هذا الكتاب وفي فقرة هامة جداً بالنسبة لتاريخ العمادية، نقرأ: "يبلغ عمر مستوطنة العمادية اليوم ٥٥٤٨ (أي في عام ١٧٨٨) ٩٩٣ سنة. ويقول البعض: إن السنة التي مات فيها حازان ديفيد الحكيم كانت الحادية والأربعين بعد المائة من بناء العمادية. وقد مرت على وفاة ذلك الرجل الحكيم إلى الآن ٨٥٢ سنة".

وبناءً على هذا يكون تاريخ بناء العمادية هو ٧٩٥، وتاريخ وفاة حازان ديفيد ٩٣٦. لكن أصل هذا التقليد غير معروف. والمثير للإستغراب أنه ورد ذكر حازان ديفيد

١٨- [أعد الدكتور براور لنشر صحيفة خاصة حول المزارات اليهودية هذه].

١٩- [حصلت على نص هذه الكتابة من السيد أي. بن يعقوب من القدس].

٢٠- أساف، "لي تولدوت". زايبون ميعاسيف ٦ (١٩٣٤): ٨٥.

وحده دون أن يُذكر حازان يوسف؛ بينما جرى التقليد الشفاهي على الجمع بين الإسمين كما هو الحال مع قبريهما. ووفقاً لمصادر معلوماتي فإنّ هذا التقليد الشفاهي معروف فقط لدى عدد قليل من المتخصصين. والقصة هي كالآتي:

جاء الأخوان يوسف وديفيد إلى العمادية كدرويشين، ولما شاهدها جمال المنطقة طلبا من الپاشا أن يأذن لهما بالإقامة فيها. ولما سألهما الپاشا إلى أي قبيلة ينتميان، أجابا "نحن من قبيلة بني إسرائيل". فردّ عليهما الپاشا الذي كان عدواً لليهود قائلاً "لا مكان عندي لكما هنا". فاتجه الأخوان صوب بيبادي. لكنهما مع ذلك، إستخدما في الطريق قواهما السحرية ليسحرا الپاشا، مما أدى إلى إصابته بالمرض. ومن جراء معاناته من المرض أرسل الپاشا فرسانه في أثر الأخوين يطلبون منهما العودة ويعدون بتلبية طلبهما. فعادا وعالجا الپاشا وطلبا من الأرض بقعة يمكن أن يضمها جلد ثور ضخم الجثة، فوافق الپاشا. فبادرا إلى أخذ جلد ثور ضخم ونقعه في الماء عدة أيام لتليينه، وبعد ذلك قاما بتقطيع الجلد طويلاً إلى شرائط رفيعة. وبواسطة ذلك الشريط قاما بقياس مساحة كبيرة من الأرض بنيا عليها منازل وكنيساً^(٢١).

من المؤكد أن حازان ديفيد وحازان يوسف جاءا من بلاد فارس. ومن المرجح أنهما أقاما في العمادية في أواسط القرن الثالث عشر، حيث أنّ الكنيس المشار إليه هو بلا شك كنيس سيدّ حرقيل. وهذا مثال آخر يوضح العلاقات المتينة التي تربط بين اليهود الكرد وبلاد فارس. أما عن القرنين التاليين فليس لدينا أي تقرير عن منطقتنا. وسبب هذا يرجع بالتأكيد إلى الدمار الذي نشر ظلاله في هذه المناطق المغول بقيادة جنكيز خان وتيمور، والذي عانت منه المدن أشدّ المعاناة. وهنا ينبغي أن نفترض بأن سكان المناطق الحضرية كانوا ينشدون الأمان في الجبال التي لا سبيل لبلوغها من قبل المغول. ويوازي تاريخ اليهود تاريخ النساطرة، الذين إنسحبوا من مستوطناتهم في السهول إلى الجبال وعززوا مواقعهم في قلب كردستان تماماً في هذا الوقت، عندما كانت قواهم تنهار بسرعة في كل مكان آخر (وكانت بعثاتهم قد بلغت الصين في وقت سابق).

٢١- [هذا النوع من القصص الشعبية واسع الانتشار. قارن ستيت وميسن، سجل مواضيع الأدب الشعبي (أعاد طبعه بلومينكتن وإنديانابولس، بلا تاريخ طبع، وربما طبع في حوالي ١٩٨٩) المجلد الرابع، ص ٢٥١: "ك ١٨٥. ١. شراء الأرض بخدعة: مقياس جلد الثور... النوع ٢٤٠٠: بيع ما يمكن أن يحاط بجلد ثور من الأرض. وتم تقطيع الجلد إلى شرائط رفيعة جداً."]

القرن السادس عشر: يحيى الظاهري ووثائق (رسائل)

بعد هوة إمتدت لقرنين، تجددت سجلاتنا المتعلقة باليهود. لم تخل كردستان أبداً من الأزمات الداخلية، من صراعات بين زعمائها القبائليين؛ وفي القرن السادس عشر تورطت في الحروب الدائرة بين العثمانيين والفرس. وبعد إحتلال تبريز من قبل سليمان الأول وإسترداد بغداد من الفرس، الذين تراجعوا إلى ما وراء زاكروس، بات الأتراك يحكمون كردستان كلها، بإستثناء بعض مساحات ضيقة غير مهمة، وبقيت الحال كذلك إلى أيامنا هذه. وهنا ينبغي القول إنّ أسياد الأرض الحقيقيين في هذا البلد كانوا الزعماء الكرد، الذين إستغلوا الصراع الدائر بين العثمانيين والفرس لتعزيز مواقعهم.

وسجلاتنا المتعلقة بهذه الفترة هي عبارة عن مقامات يحيى الظاهري اليماني وسلسلة من الرسائل التي ضمّها مان إلى مجموعته.

يصف الظاهري أربيل في القسم الثالث من مقاماته^(٢٢). فقد انطلق من بغداد ليזור كركوك حيث أضرحة دانيال ورفاقه. ويصف يهود كركوك بأنهم "رجال خطيئة خليعون فاسقون". ومن كركوك توجه صوب أربيل "المدينة النبيلة": "وصلت المدينة بعد عشرة أيام واستأجرت غرفة جيدة في السرداب فيها سرير ومنضدة ومصباح"^(٢٣). وبعد عدة أيام إنطلق في الشوارع يرقب الحياة في المدينة التي طارت شهرتها في الأفاق". ويذكر كم أنّه كان محظوظاً إذ حظي برفقة من الشباب وكبار السن أدرك بسهولة أنهم طلبة، وأنّه إنضم إليهم بعد الترحيب وإلقاء التحية. كانوا يتناقشون حول الحكمة (ديفري حوكما) وفي النهاية ولجوا في مناقشة مسألة القيم الرقمية للحروف، حيث إنبرى أحدهم ليقول بأنّه سوف يقيم وليمة كبيرة إذا ما تمكّن أحد الحاضرين من نظم أغنية حول موضوع محدد يتعلق بالقيم الرقمية للحروف. واجتمع الرجال في دار المضيف:

في أوائل الليل

وأذهاننا خالية مما يشغلها

إنقسم الرجال فيما بينهم

٢٢- بالنسبة لنصنا هذا، إعتدنا مخطوطة الجامعة العبرية (صحائف عبرية ١٦٣٧).
٢٣- مقتبس من الكتاب المقدس (الملوك ٢، ٤: ١٠). يعد إستخدام هذه الأدوات جديراً بالإهتمام، إذا ما أخذنا بحقيقة أنّ الأسرة والمناضد لاتستخدم في أربيل في يومنا هذا.

الى فرق ثنائية
ثم إقترعوا فيما بينهم
مع التطبيل والرقص
ولتحضير الطعام وما يتعلق بالوجبة
بالشكل المناسب
صار بعضهم قصاباً
وبعضهم حاكماً وحرساً
وذهب البعض باحثاً عن التوابل
والبعض جمع الخضروات
وبات بعضهم طاهياً
وأخر صار خبازاً
واحدٌ قويٌّ، وآخر ضعيف
وأصبح آخر عرافاً ومفسر أحلام
باحثاً عن الثروة والسعادة
ثم رست القرعة على يونا
أما أنا والمضيف، فكان علينا
أن نغني لهم الأغاني.

لم أسمع في أي مكان آخر عن مثل هذه العادة الفريدة، التي تقوم فيها الجماعة بتقسيم المهام المختلفة فيما بينها لإعداد وجبة طعام. وعلاوة على ذلك فإننا نجد اليهود الكرد، الذين يحبون الولائم أكثر من أي شيء آخر، يخنارون ملكاً للوليمة وحرساً، يكونون رسميين في أحيان كثيرة. [في النصف الأول من القرن السادس عشر، كان التنجيم من خلال القرعة شائعاً بين يهود كردستان. ففي رسالة من يوداه ب. سيمون من العماديه الى يحيى في الموصل، يشير الكاتب عدة مرات الى لجوئه الى القرعة ليتعرف الى ما سيحدث في المستقبل (مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول: الص ٤٨٥، ٥٢٠-٥٢١) ويخبر يوداه مراسله أنه إقترع ليعرف من الذي سيصبح "ملكاً" (ربما يقصد الزعيم القبلي في منطقة العماديه)، وأن القرعة رست على أحمد بگ؛ إلا أن الجو الغائم في يوم إجراء القرعة جعله غير متأكد من صحة نتيجتها. وحامت الشكوك نفسها حول قرعة ثانية تبين منها أن وزير أحمد بگ هذا

يواجه خطراً يتهدد حياته. كما بينت القرعة ليوداه أن حفل زواج إبنته يجب أن يقام في الرابع عشر أو الخامس عشر أو السادس عشر من الشهر الذي لم يذكر له إسماً. ويتبين من فقرة في الرسالة أنه تم التنبؤ بهذه النبوءات بواسطة آيات من التوراة، وهي طريقة سائدة في العديد من المجتمعات اليهودية الشرقية.]

أما الدليل الوثائقي الثاني، فهو عبارة عن سلسلة من خمس رسائل نشرها مان، الذي نشر معها تواريخها ايضاً (بدايات القرن السادس عشر) من خلال الإشارة الى يهودي أشكنازي معروف^(٢٤). وتتمثل الأهمية الأساسية لهذه الرسائل في أنها ترسم صورة جو لا يختلف إلا قليلاً عن الأجواء الحالية. ومحتويات الرسائل لاتبين بوضوح عمرها. والرسائل مرسله من مدير مدرسة بالموصل (ر. ياقوب مزراحي) ونوابه في مجتمعات مختلفة في المنطقة الجبلية الكردية، طلباً للدعم المستمر للمدرسة. وقد كان هذا المدير معلماً في مدرسة بالعماديه ولكنه أسس بعد ذلك مدرسة في الموصل لأطفال اليهود الذين قدموا إليها من وسط كردستان. وفي الوقت نفسه، كانت الموصل مركزاً ثقافياً ترسل الطبقة المتوسطة من اليهود الكرد أبناءها إليها لتلقي العلم (نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ١٠٧). وكانت المدرسة تتلقى المنح من وسط كردستان وكذلك من حلب وبغداد وديار بكر ومرآغه (على الساحل الشرقي لبحيرة أورميه) (المصدر السابق، ص ٦٩)^(٢٥).

وفي هذه الرسائل نجد أولى القوائم الموجودة عن المجتمعات اليهودية في الجبال الكردية. والمجتمعات التي ورد ذكرها هي العماديه وبيتنوره وبارويلنايا وكوهارزه وكارا ومزوريان ونيره وسندور وشرانش وشوخو (سوخو) وچالا. وهذه المجتمعات المحلية، التي لم يتمكن مان من التعريف بمعظمها، تقع في منطقة العماديه. والعماديه هي الأكثر ذكراً، وتضم إحدى الرسائل قائمة طويلة بأسماء أعيانها (المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ١٦).

وليس في الرسائل إشارة الى أحجام المجتمعات التي ورد ذكرها، والبعض من هذه المجتمعات لا أهمية له اليوم، وبعضها أخلي تماماً من قبل سكانه اليهود (مثل

٢٤- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٤٨٥.

٢٥- ورد ذكر مرآغه - التي هي اليوم مدينة غير ذات أهمية - ايضاً في واحدة من رسائل القرن السابع عشر التي نشرتها أساف، لي تولدوت. وزار جوستين بيركنس مرآغه في ١٨٥٤ ووجد فيها ١٥-٢٠ ألفاً من السكان المسلمين، وما بين ٢٠-٣٠ عائلة أرمنية؛ ولم يذكر شيئاً عن اليهود. (الإقامة ثمان سنوات في فارس بين النساطرة النصارى؛ مع ملاحظات عن المحمدين)، أندوفر ١٨٤٣، ص ١٩٦.

گوهارزہ). أما بيتنوره التي يقال أنَّه كان يقطنها ألف وخمسمائة عائلة يهودية ليس فيها منهم اليوم سوى عشرين عائلة فقط. ونيروه التي كانت ذات يوم مركزاً للتعليم؛ باتت اليوم لا أهمية لها تذكر، وليس فيها إلا بضع عائلات يهودية. وفي أغلب المواقع السالفة الذكر لا يتجاوز الحضور اليهودي في أي منها عشر عائلات.

وهكذا، بإمكاننا التأكيد بأن عدد سكان كردستان من اليهود قد تقلص بشكل كبير جداً مقارنةً بعددهم في القرن السادس عشر. والشيء نفسه ينطبق بلاشك على المجتمعات اليهودية والمسلمة، التي ربما كانت معاناتها أكبر من الظروف التي سادت كردستان.

وبصورة عامة، ترسم الرسائل صورة للأوضاع التي تمخّضت عنها الظروف الحالية. فنحن مثلاً نلمس ذلك في تفاهة الأمور التي تعاملوا معها. ففي الرسالة الرابعة مثلاً، نتحدث أرملة ر. مزراحي عن طردها من دارها لعجزها عن الوفاء بأحد ديون زوجها، الذي كانت قيمته عشرة قروش (السطر ٥٥ وما بعده). فمن المؤكد أنّ اليهودي الكردي لم يك حينها ولا فيما بعد من طبقة كبار التجار، مثل أولئك الذين في بغداد إن جازت المقارنة. فمن الرسائل تتضح لنا الحياة القاسية التي عاشوها وكذلك ضعف حالتهم المعيشية. هذا وعلينا أن نعود مراراً إلى هذه الرسائل إذا أردنا المزيد من البحث والتحقيق.

انتفاضات القرن التاسع عشر

اتّم مراد الرابع السيطرة التركية على كردستان من خلال نجاحه في إسترداد تبريز - وكذلك بغداد في ١٦٣٨ - من الفرس. ومنذ ذلك اليوم أخضعت كردستان بشدة لحكم الأتراك. وتم تقسيمها إلى ثلاث ولايات - الموصل وبغداد وكركوك - وأخضعت إدارياً لحكم الپاشا في بغداد والذي كان يتم تعيينه بأمر من السلطان.

لكن رغم ذلك، كانت السلطة الحقيقية عملياً بيد الأمراء الكرد شبه المستقلين، ونذكر منهم على وجه الخصوص أمراء العماديه وكويسنجق ورواندرز الذين تمتعوا بسلطة وقوة عظيمين. وكانت المشكلة الإدارية الكبرى التي تعانيتها الإدارة التركية تكمن في إخضاع وتهذبة أولئك الزعماء، الذين كان نظامهم للسلب ومخالفاتهم التي ترافق الرحلات الفصلية للرحل، تجعل المنطقة في حالة هياج دائم.

كانت الهجمات والانتفاضات، التي لم يكن ممكناً تحجيم بعضها قضية الساعة. وكانت الحكومة التركية تضطر إلى إرسال قواتها إلى كردستان مرة بعد أخرى.

وبالرغم من كل هذه الجهود ظلت كردستان أقل البلاد أمنياً. وبحلول منتصف القرن التاسع عشر، نجحت تركيا أخيراً في القضاء على آخر الأمراء الكرد، ولكن دون أن يكون لذلك أي أثر على وضع القبائل الكردية.

ومن خلال تقارير الرحالة، توفرت لنا معلومات جيدة حول أحداث السنوات ١٨٣٢-١٨٤٧، حيث قامت سلسلة من الانتفاضات المتتالية، فحشدت الحكومة التركية كلّ ما أوتيت من قوة في مسعى أخير للتخلص من الأمراء الكرد وإحلال مسؤولين إداريين أتراك محلهم.

كانت إنتفاضة آغا رواندرز، محمد بگ كوره الأعور^(٢٦)، الذي عين كپاشا من قبل السلطان عبدالمجيد^(٢٧)، الأهم في سلسلة الإنتفاضات تلك. تمكّن محمد پاشا من خلال حركة خاطفة ناجحة من بسط سيطرته على أربيل وكركوك والسليمانية وعقره. ثم شنّ في ١٨٣٢ حملة على العماديه، التي هي حصن طبيعي قوي يساعد في مقاومة طويلة الأمد. ولم يتمكن من أخذها إلا عن طريق الخيانة من جانب بعض سكان المدينة. وقد حكى اليهود قصة هذه الحملة وسقوط المدينة على هذا النحو:

عاشت في العماديه عائلة تعرف بعائلة مانوح، وهي عائلة ثرية جداً لدرجة أنها كانت تمتلك منضدة وجرة من الذهب الخالص. وقبل قرنين (كذا) تقدم شيخ معاد، ميري كوره "الأمير الأعور"، بإتجاه العماديه وشنّ عليها حملة. عندها ذهب كبير عائلة مانوح، يوسف مانوح، إلى شيخ العماديه مير سيودين، وقال له: "لاتخش ميري كوره. وشكل جيشاً. وساتكفل بطعام الجيش ورواتبه وعدّته".

حاصر ميري كوره العماديه سبع سنوات، دون أن يتمكن من إحتلالها. وخلال تلك الفترة أنشأ بساتين كروم وحدائق حول المدينة. بينما الجوع كان يشند داخل أسوار المدينة شيئاً فشيئاً. وكان يوسف مانوح يتسلّق سور المدينة كلّ يوم ويشتم ميري كوره ويقول له: "ميري كوره، لماذا هاجمت العماديه؟ إنك تحاصر مدينتنا منذ سبع سنوات دون أن تتمكن من إحتلالها. سأقاتلك برصاصات مصنوعة من الذهب والفضة".

٢٦- كان محمد أعورا.

٢٧- أنظر: الإنسايكلوبيديا الإسلامية، الطبعة الأولى، مادة "رواندرز" (بقلم ب. نيكيتين). وعن الغارات المتواصلة من قبل الكرد، أنظر: الإنسايكلوبيديا الإسلامية، الطبعة الأولى، مادة "كرد" (بقلم ف. مينورسكي).

وبينما كانت المجاعة قد تمكنت من المدينة. أخذت جدة يوسف مانوح آخر ما تبقى لديها من الرز وحلبت كلبة، ثم طبخت الرز بحليب الكلبة. ثم جاءت بحجل (يسمونها اليهود كوكوناتا ويربونها في بيوتهم) وطبخته كدجاجة ثم وضعته فوق الرز، وبعثت بذلك الطعام الى معسكر ميرى كوره مشفوعاً بالرسالة التالية: "لماذا تقف قبالة العماديه؟ فنحن كما ترى لانزال نمتلك كل شيء: اللحم والرز والحليب". فقال ميرى كوره: "إنّ الأمر كذلك فعلاً، وبدأ يفكر في الإنسحاب.

وكانت في العماديه ساحرة مسلمة متمكنة من فنها لدرجة أنها كانت قادرة على أن تحلب القمر. فذهبت الى ميرى كوره، وقالت له: "إنّ ذلك كله كذب. فالمدينة لم يعد فيها طعام". فردّ ميرى كوره: "لكّني لا أستطيع إقتحامها بالقوة، لأنّ الجبال والأسوار تمنعني من ذلك!" فأجابته الساحرة: "احفر ممراً من تحت الأرض!".

وهكذا بدأ ميرى كوره يحفر نفقاً تحت السور، وضع فيه مواد متفجرة نسف بها السور، وتمكن من دخول المدينة. ولما صار بداخلها، سأل عن اليهودي الذي كان يشتمه من فوق السور. وأمر جنوده بنهب دار اليهودي، وباع الغنيمة في السوق. إلا أنّ يوسف مانوح ظل رغم ذلك يملك من المال ما استطاع به شراء كل ما سلب منه.

عانت المدينة ظروفاً صعبة من جراء الحملة والمعاملة القاسية التي شهدتها بعد سقوطها^(٢٨). وقد كتب كرانث، الذي زار العماديه في ١٨٣٩: "وجدت المدينة شبه خالية من السكان من جراء الحرب التي شنها عليها كرد رواندرز؛ فمن بين ألف دار كانت مائتان وخمسون فقط مسكونة، أما الأرباع الثلاثة الأخرى، باستثناء الأسواق العامة، فقد دمّرت أو خربت" (النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٦٠). كذلك يصف بادجر النكبة التي أصيبت بها المدينة، التي باتت "أفضل بقليل من كومة من الأطلال، أما البقية الباقية فكانت عبارة عن قبور (وليس "مخصصاً للبيساتين" كما ذكر آينسورث)" (النساطرة وطقوسهم، المجلد الأول، ص ١٩٩).

في ١٨٣٦، هُزم ميرى كوره وأسر من قبل قوات رشيد باشا. لكن سكان العماديه

٢٨- كتب أ.ج. أي. ستيون: "عومل اليهود الذين كانوا يشكلون جزءاً كبيراً من السكان معاملة وحشية لا رحمة فيها؛ فهاجر الكثير منهم الى مدن أخرى؛ أما البقية الأقل حظاً فقد أسلموا قيادهم للطاغية" (مغارب النور في الشرق [لندن ١٨٥٤]، ص ٢٢٥).

لم ينعموا بحياة هنا في ظل الحكم التركي. وفي الطريق بين الموصل والعماديه، إلّقى بادجر وفداً من يهود العماديه في طريقهم الى الباشا للشكوى من ظلم متسلّم العماديه لهم" (المصدر السابق، ص ١٩٨). فقد كان اليهود والنساطرة يفتنون من وطاة طغيانه. وكان الكثير منهم يفكر في مغادرة المدينة، لكن الباشا أصدر مرسوماً يمنع هؤلاء من الهجرة: "وهكذا، أصبح على هذه المخلوقات المسكينة أن تلتصق بهذه الأرض، التي توفر لهم بالكاد لوازم المعيشة؛ ومنازلهم كانت تصلح لإقامة الحيوانات البرية أكثر منها للبشر، دون أن يكون أمامهم أي سبيل للنجاة أقرب إليهم من القبر" (ص ٢٠٣).

وحتى في ١٨٨٦، وجد بندييه المدينة في وضع بائس^(٢٩)؛ فإذا كان الكرد قد نهبوا السكان بطريقتهم، فإنّ الأتراك فعلوا الشيء نفسه وبطريقتهم أيضاً. لم يكن الأتراك يهتمون ببناء المدينة. لذا عينوا لها مسؤولين بروتب قليلة لتجريد السكان مما يملكون دون عمل أيّ شيء من شأنه تطوير المدينة أو تحسين حالتها^(٣٠). والأدهى من ذلك، أنّ الأتراك كانوا يحرضون طوائف السكان ضد بعضها البعض. ولما كان الكرد والنساطرة (السريان) قساة متوحشين فإنّ نتائج هذه السياسية كانت تماماً مثل ما خطط له^(٣١). فبدأت هجمات كلّ طرف على الآخر (مثل الذي شنّه الأغا الكردي بدرخان في ١٨٤٧) وأسفرت عن خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات في الجانبين. ووقف اليهود موقف الحياض بين الطرفين؛ وهنا عاد إفتقار اليهود الى تنظيمات سياسية عليهم بالنفع.

ولم يبذل شباب الأتراك (جون ترك - المترجم) إلا القليل لصالح الإصلاح الإداري. كما أن إقتصاد البلد تضرر كثيراً بدخول الأتراك في الحرب في ١٩١٤؛ وبذلت تركيا، التي كانت بحاجة لجبال هكاري ذات الأهمية العسكرية الكبرى، الكثير من الوعود للسريان. ولما بدأت مذابح النصارى الأرمن في الفترة نفسها تقريباً، إنضمّ السريان في أيار ١٩١٥ الى جانب الحلفاء. ولا مجال هنا لذكر تفاصيل ما آل

٢٩- هنري بندييه، كردستان في ميسوبوتاميا وفارس (باريس ١٨٨٧)، الص ١٩٧-١٩٨. كذلك أنظر: الإنسايكلوبيديا الإسلامية، الطبعة الأولى، مادة "كرد" (بقلم ف. مينورسكي).

٣٠- بهذا الصدد يعد كتاب لاميك سعد *Seszechzehn Jahre als Quarantanearzt in der Türkei* برلين ١٩١٣، الذي يصف الأوضاع السائدة في حوالي العام ١٨٨٠، أكثر المصادر غنى.

٣١- في كتابه الممتاز "مأساة السريان"، كتب ر. أس. ستافورد: "ليس هناك ما يدعو للإعتقاد بأنّ السريان كانوا أكثر إحتراماً لأرواح الناس وممتلكاتهم من الكرد، ولا للإعتقاد بأن الكرد عموماً كانوا ذوي معايير أدنى مستوى في تصرفاتهم - الخشنة عادة - في غاراتهم ومعاركهم من السريان"، ص ٢٢.

اليه مصير ذلك التحالف. فقد إنتهى بالنزوح المأساوي لسبعين ألفاً من السريان من أورميه الى الجنوب، حيث أعمل فيهم الأتراك والكرد تقنياً. ووصل منهم الى همدان خمسون ألفاً فقط.

كردستان في ظل الدولة العراقية (حتى ١٩٣٩)

خلال عملية إعادة رسم خارطة المنطقة بعد الحرب، فرضت إنكلترا إنتدابها على العراق لخمس وعشرين سنة. وفي عام ١٩٢١ صار العراق دولة، وفيصل ملكاً. ومع ذلك، فقد ظل الإنتداب ساري المفعول. وتم تقسيم العراق الى محافظات (ألوية) يديرها متصرفون. وقسم كل لواء الى أفضية يدير كلاً منها قائمقام، ونواح يديرها مدراء نواح. والألوية الكردية هي الموصل وأربيل وكركوك والسليمانية وديالى.

وبات مركز الحكم في بغداد، حيث يعقد البرلمان أيضاً إجتماعاته. ويذكر هاملتون أن هذا البرلمان قد أختير عن طريق "ما يسمى" بإنتخابات (طريق في كردستان، الص ٢٩٧-٢٩٨). وكانت الحكومة حكومة القوميين العرب، الذين عارضوا فيصل وسياسته الموالية لبريطانيا كما كانوا معادين للكرد وللمسيحيين. وكانت سياساتهم لاتقبل بالتطور السلمي للبلد وتعاني من تخبط مستمر. فبدلاً من تسخير طاقات البلد للبناء الإقتصادي، ألزمت الحكومة نفسها ببناء جيش قوي يمكنه تحقيق سياستها القومية.

ليس من شأن دراستنا هذه توجيه النقد الى سياسة إنكلترا في العراق. لذا نكتفي بالقول إنه بعد إنضمام العراق الى عصبة الأمم في ١٩٣٢، وجدت إنكلترا اللحظة المناسبة للنخلي عن الإنتداب. وكانت إقامة الدولة العربية وعلى رأسها فيصل عامل إيجاب شديد بالنسبة للكرد، الذين كانوا يتطلعون الى الإستقلال السياسي. ورغم ذلك فإننا نستشف من التقارير الحديثة عن كردستان (التي كتبها ويليام ر. هاي، وأي. أم. هاملتون، ور. أس. ستافورد) أن قوة الزعماء العشائريين قد انهارت دون سبب معقول. والإنتفاضات العديدة التي ميزت هذه الفترة تشهد على ذلك^(٣٢). لقد كان إخفاق الكرد في إحراز موقع قوة لهم ناجماً عن إفتقارهم الى وحدة الصف؛ فلو أن الكرد كانوا موحدين، الى جانب موقعهم الاستراتيجي ووفر

٣٢- ومن الأمثلة عليها، إنتفاضات الشيخ سعيد النقشبندي في ١٩٢٥ ضمن الحدود التركية؛ والشيخ محمود في السليمانية في ١٩٣٠؛ وإنتفاضات الشيخ أحمد في بارزان، ونوري في رواندر، وكلاهما في ١٩٣٢.

الجيش العراقي كقوة عسكرية، لصاروا قوة تؤخذ في الحسبان. وللتأكيد على ما قلنا فإن القوة الجوية وحدها تمكنت من تغيير الوضع - وهي الحقيقة التي إكتشفها الكرد أنفسهم.

إن خلافاتهم الداخلية، وما نجم عنها من صدامات مستمرة، أضعفت الكرد كأمة؛ كما أن الأطماع الشخصية لزعمائهم دفعتهم الى التضحية بكل الكرد في سبيلها. فمثلاً قتل نوري - نتيجة عداة دموي - رجلاً قديراً وتقدماً، إسماعيل بك الرواندرزي (أنظر: هاملتون، طريق في كردستان، ص ٢٧٠ وما بعدها).

والى جانب مشكلة الكرد كانت هناك مشكلة النساطرة، أو السريان، التي كانت سبباً لإستمرار الغليان في البلد وعرقلة تقدمه. وكانت مشكلة السريان هذه مصيرية بالنسبة لليهود أيضاً.

بدا الخلاف الحدودي بين العراق وتركيا وكأته مشكلة لا حل لها. فقد كان الأتراك يطالبون بجزء هام من شمال كردستان، وفي ١٩٢٥ أصدرت عصبة الأمم قرارها لصالحهم. وبفضل ذلك القرار ألت مرتفعات هكاري الى تركيا^(٣٣). وبذلك فقد السريان كل أمل لهم في العودة الى المنطقة الجبلية التي كانوا يعتبرونها موطن آبائهم وفيها يقيم زعيمهم الروحي مار شمعون^(٣٤). وهكذا لعب السريان، الذين شعروا بأن جذورهم قد اجثتت، دورهم في إضافة المزيد الى المشاكل القائمة. إن من الخطأ القول بأن النساطرة كانوا يتفوقون على الكرد والعرب أخلاقياً لمجرد أنهم مسيحيون. فقد ثبت في حالات عديدة أن مستواهم الأخلاقي لم يكن عالياً. وقد كتب ستافورد: "بالتأكيد ليس ثم داع للإعتقاد بأن السريان كانوا يقدرون حرمة حياة الإنسان أكثر من الكرد، أو أن الكرد كانوا، ... في غاراتهم ومعاركهم في مستوى سلوكي أدنى من مستوى السريان" (مأساة السريان، ص ٢٢)^(٣٥).

بعد رفع إنكلترا الإنتداب، وجدت الحكومة العراقية في وقت مبكر فرصة مناسبة لتخليص نفسها من هذه الأداة غير المرغوب فيها، خصوصاً وأن الجيش العراقي

٣٣- يمر خط الحدود بين العراق وتركيا الى الشمال قليلاً من العمادية، باتجاه شمالي غربي لحوالي ٢٥ كيلومتراً.]

٣٤- تحدث ر. أس. ستافورد المفتش الإداري بوزارة الداخلية العراقية في ١٩٢٧-١٩٣٣، بالتفصيل عن مسألة السريان وذلك في كتابه "مأساة السريان".

٣٥- [الرأي المتصلب لجورج بيرسي بادجر عن البيعاقية (النساطرة وطقوسهم مع مذكرات بعثة الى ميسوپوتاميا وكردستان، [لندن ١٨٥٢]، المجلد الأول، الص ٤٤، ٦١ وما بعدها) وبرايم سوسين "طور عابدين"، المجلد الأول، ص x].



يهودي من أربيل

فلسطين بالألوان الوردية^(٤٠)، أشبع اليهود الكرد بالرغبة في الإنضمام الى إخوانهم في وطنهم التقليدي وقد نفذوا رغبتهم تلك مع الكالوث^(٤١).

أما اليوم فلا يُعرف إلا القليل عن الوضع الحالي لليهود في كردستان، فالتقارير التي يتم تلقيها من المهاجرين الكرد في فلسطين ليست موثوقة بما فيه الكفاية. ولكن تمرد القوميون بقيادة رشيد عالي والمذابح المنظمة لليهود في بغداد، والتي تلت الإطاحة به، توضح الوضع بصورة لا لبس فيها. كما أورد تقرير صحفي نبأ مقتل العديد من اليهود في قرية سندور. ويمكن القول بأن الإحتلال البريطاني للعراق أسفر عن إقتصار الحكم على المناطق الوسطى، وعلى الأقل [فإن أحلام الفاشيين قد تحطمت الآن].

أما عن الشكل الذي سيؤول اليه مصير اليهود الكرد بعد الحرب، فإن هذا يعتمد على التطورات السياسية. ولا يزال ينبغي بذل كل الجهود لحماية المجتمع اليهودي الكردي في كردستان؛ حيث أن هؤلاء مرتبطون بالأرض، وسيكون إجتماعهم خطأ قاتلاً. ومن خلال تحسين النظام التعليمي ودعم الحرف اليدوية المحلية يمكن أن تتحول المستوطنة اليهودية الى جزء هام ذي طاقات كامنة من إقتصاد البلد.

٤٠- مرت أيام كان فيها اليهودي الكردي يجني جنبهاً أو جنبهين إسترلينيين يومياً من عمله كسبايس، وهذا مثال على إحدى الدعوات التي إتبعوها في كردستان. حيث لم يكن اليهودي الكردي قد سمع بمثل هذا المبلغ من المال. وبما أن مصاريفهم قليلة، فإنهم سرعان ما كانوا يجمعون مائة جنيه ليشتروا بها بطاقات يانصيب، وينتوا بيوتاً لهم.

٤١- فعلى سبيل المثال، هاجر السكان اليهود لقرية برشه القريبة من العمادية، جماعةً الى فلسطين وبنوا لأنفسهم كنيسةً هناك.

كان حينها قادراً على إحراز النصر في بعض المناوشات السهلة. لذا بدأ بتقتيل السريان الذي توجّ بمذبحة سميل ودهوك في ١٩٣٣ (المصدر السابق، ص ١٧٧). وبهذا تقلص عدد السريان في العراق من مائة ألف قبل الحرب الى ٢٥٠٠٠.

بين هاتين القوتين عاش - وما زال يعيش - اليهود. وبدا أن الأمر الذي لم يكن في صالحهم أبداً - وهو عدم تمتعهم بوضع يرقى الى وضع الأقلية كما كان الحال مع النساطرة - صار في هذه المرحلة الفاصلة في صالحهم تماماً. فكون اليهود بلا قوة سياسية جعل الكرد والعرب ينظرون إليهم على أنهم لا يمثلون أي خطر عليهم^(٣٦). لذا بات السريان كبش الفداء. أما اليهود فلم يمسسهم سوء تقريباً، لكنهم أيضاً تأثروا في النهاية بحالة التوتر العامة وإنتشار الروح القومية.

كانت مشكلة السريان ذات أهمية بالنسبة لليهود لأن مشكلة الحدود التركية العراقية التي أسفرت عن خسارة مرتفعات هكاري وإنسحاب السريان، حرمتهم من منطقة ريفية هامة جداً (العمادية وزاخو) ودفعتهم الى الحدود الشمالية. ووالت السيطرة على بعض المجتمعات اليهودية الموعلة في القدم كجالا ونبروه الى الأتراك؛ فهاجر منها اليهود الذين لم يكونوا يحبذون العيش في ظل الحكم التركي^(٣٧). ففي جالا التي كان يقطنها خمس وعشرون عائلة يهودية قبل الحرب لم يبق سوى خمس عائلات. أما البقية فقد غادر معظمها الى بيتنوره أو الى الموصل، والبعض منهم الى فلسطين.

إنعكست آثار القلاقل التي شهدتها فلسطين في ١٩٢٩ و ١٩٣٦ والسنوات التالية على اليهود الكرد. فقد إستغلت الحركة القومية العربية تلك الأحداث للدعاية ضد اليهود. وبينما كان اليهود الكرد يهاجرون الى فلسطين فرادى، منذ ١٨١٢ تقريباً، لدوافع دينية^(٣٨). فإن هذه الهجرة باتت الآن ذات طابع جديد وهام^(٣٩). وبتأثير من الرسائل التي كانوا يتلقونها من المهاجرين، الذين كانوا يصورون لهم الوضع في

٣٦- مما يسترعي الإنتباه أن ستافورد لا يذكر أي شيء عن اليهود.

٣٧- السبب في هذا حسب ما ذكر اليهود هو أن تركيا كانت تمنع الهجرة الى فلسطين وأنهم، أي اليهود، رفضوا العيش في مثل ذلك البلد.

٣٨- كتب إسحق بن زفي في "أوخلوسينو با- أريتيز"، القدس ١٩٢٩، المجلد الأول، ص ٦٧، أن الكرد كانوا أول اليهود الشرقيين الذين إستقروا في فلسطين. وكان ذلك في ١٨١٢.

٣٩- خلال الفترة بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٦، هاجر ألف وتسعمائة يهودي كردي الى فلسطين (المصدر السابق، ص ٦٧).

القسم الثاني
التراث المادي

السكن

بالرغم من أن اليهود الكرد يعيشون الآن (١٩٤٠) حياة أكثر حرية - وربما عاشوا في الماضي أيضاً حياة أكثر حرية - من يهود اليمن أو فارس، الذين يخضعون (كما كانوا في العصور السابقة) للقوانين الإسلامية المتعلقة بالذميين، فإن وضعهم يشبه أوضاع اليهود اليمانيين ويهود فارس في إشغالهم أحياء يهودية منعزلة. لكن هذه العزلة عزلة إرادية - في الوقت الحالي على الأقل. فاليهودي عندما يعيش بين أبناء شعبه وفي جوار معبده، يستطيع أداء شعائره دينه بحرية أكبر. ونحن نسمع التعبيرات نفسها يتداولها مختلف الجامعات العرقية في مدن مثل لندن أو نيويورك^(١).

الحي اليهودي ليس محاطاً بسور بل هو ملاصق للحي المسلم الكردي. بل أن هناك من الكرد من يسكن في الحي اليهودي (كما هو الحال في سنه)^(٢). وأسماء الأحياء اليهودية في مختلف المدن الكردية هي كالتالي:

المدينة	الإسم الكردي	الإسم بلغة التارگوم
أربيل	حارت تعجيل	—
زاخو	محلاً جوهيا	ماخاليت هوزيعه
العمادية	محلّت جوا	ماخاليت هودي ^(٣)
أشنويه	گركي جولكه	ماخاله هودي
سنه (سنندج)	محله موساييكان	ماخاله هوداي

١- حتى في القدس، يقطن اليهود أحياء حسب مناطقهم أو أصولهم. واليهود من كل منطقة كردية شيّدوا لأنفسهم كنيساً يعيشون إلى جواره.

٢- على النقيض من هذا، يعيش النصارى في أماكن تبعد عن مساكن المسلمين الكرد لمسافة ما. ولهذا نجد قرية گوزارش (وليس گوزارك كما ذكر بنديه) الكردية تقع على مسافة خمسين متراً من قرية گوندك النسطورية (بنديه، كردستان، ص ١٨٢). وهذا ينطبق أيضاً على قرية جيسي الكردية وقرية بيرج النسطورية (ص ١٨٦). وفي العمادية هناك عدد غير قليل من الكرد يسكنون في البيوت اليهودية دون دفع إيجار. وعضاً عن دفع الإيجار يؤدون عن اليهود الأعمال الضرورية في أيام السبت.

٣- يوجد في العمادية حيان يهوديان، أحدهما في العمادية العليا والآخر في العمادية السفلى: شيعوثا /لبيتا [الحي العلوي] وشيعوثا كيتيتا [الحي السفلي].

وتتم عادة تسمية شوارع الحي اليهودي بعد أن تسكنها العائلات التي تمتلك معظم أملاك الشارع. وثمة عائلات قديمة تمتلك كل أزقة الشوارع. لذا فإنك تجد في زاخو حوالي خمسة عشر شارعاً يحمل كل منها إسم أقدم عائلة فيه، مثل مخاليت بي زاكين، وماخاليت بي آفو بي قاردي، وماخاليت بي هوجه^(٤). وينطبق الشيء نفسه على العمادية، فهناك مثلاً كنيس حرّقيل في كولانا بي شامو [شارع عائلة سموئيل]، وكنيس عيزرا هاسوفر في كولانا بي داوريكا في أسفل المدينة.

بيوت اليهود

في كردستان العراق يمتلك كل يهودي تقريباً داراً، وهذه الدار تنتقل ملكيتها وراثياً من جيل لآخر. وهناك عدد قليل جداً منهم يستأجر بيتاً للسكنى، ويسكن جزء من هذا القليل في دور تابعة للكنيس، الذي يمتلك بيوتاً عن طريق الهبة أو الوصية. فقد كان كنيس ناقي حرّقيل في العمادية يملك خمسة عشر داراً وضعت في خدمة الوافدين الجدد. وبما أن الدور لاتساوي الكثير، فإن اليهود الكرد الذين يغادرون البلد لا يحصلون على سعر ذي بال لقاء بيع دورهم. لذا إتخذ هؤلاء كقاعدة، عادة ترك ديارهم وراءهم دون بيعها^(٥).

وفي العديد من المناطق لاتجد الأرض ذات الأبنية سوقاً رائجة مهما كانت. بل أن المزارع وبساتين الكروم، وخاصة الحقول المروية هي التي يمكن بيعها. والشخص الذي يريد بناء دار له في العمادية بإمكانه أن يستقطع لها ما شاء من الأرض^(٦). وفي أسوأ الأحوال، يأتي الإعتراض من جاره إذا كان هذا الجار يريد تلك الأرض لتوسيع داره. ولكن العكس هو الصحيح في زاخو، فالأرض غالبية وينبغي أن يشتريها المرء ليبنى عليها، فزاخو تقع في جزيرة والأرض المتاحة للبناء فيها محدودة.

وليس في كردستان قوانين تخص البناء. والمساعي التي بذلها البريطانيون الراغبون في تشريع تلك القوانين راحت هباءً. وأجرة إكتراء دار قليلة بصورة غير

٤- [هو "شارع بيت زين"، إلخ.].

٥- باع مصدر معلوماتي وهو من العمادية داره التي تقدر قيمتها بمائة جنيه إسترليني، بعشر جنيهات فقط.

٦- يقول بنديه عن يومه الذي قضاه في العمادية العليا: "La ville n'est qu'un monceau de mines, dans lesquelles vegete une miserable population" (كردستان، ص ١١٧؛ أنظر

الصور التوضيحية، الص ٢٠٢، ٢٠٧).

عادية. ففي زاخو والعمادية يمكن أن يستاجر المرء داراً بجنيهه استرليني واحد سنوياً، أما في سنه فتتراوح هذه الأجرة بين جنهين وثلاث جنيهات.

بيوت اليهود، وكما هو الحال مع بيوت الكرد، بدائية جداً. ولاتختلف عن بيوت المسلمين من الكرد لعدم خضوع اليهود هنا الى قوانين تفرض عليهم جعل بيوتهم مميزة كما هو الحال مع أهل الذمة في اليمن^(٧).

معظم البيوت، وخاصة في المستوطنات الصغيرة ذو طابق واحد. وفي مناطق التلال يجاور كل منزل منزلاً آخر فوقه، وبهذا فإن بمقدور من يريد تسلق السطح أن يتسلقه سقفاً فسقفاً كما لو أنه يصعد سلعاً. وتتألف منازل القرية في الغالب من غرفة واحدة فقط.

المادة الأساسية المستخدمة في البناء في السهول وبعض مناطق التلال (مثل رواندن) هي اللبن. أما في أربيل وسنه فيتم استخدام الطابوق في البناء (في أربيل: كريبوج، وفي سنه: آجوره)، وفي التلال يتم استخدام الحجر^(٨) كيبث كيلشا. وتتمركز صناعة اللبن (في زاخو: لوبن، وفي رواندن: لكبن، وفي سنه: خشت، [وفي العمادية: لنبني]) بصورة رئيسية في يد اليهود الذين يتنقلون من قرية الى أخرى لصنع ما يحتاجه السكان منه. وهذا العمل تقوم به النساء في الغالب^(٩). وأخيراً، فهناك نوع من المساكن اليهودية يسمى تانك [يوجد فقط في القرى المحيطة بالعمادية] وهي ذات جدران من الأغصان المنسوجة المغطاة باللين (تينه) وخاصة في المناطق الريفية^(١٠).

٧- حول المنزل الكردي، أنظر باسيل نيكيتين: الحياة العائلية الكردية، مجلة إثنوغرافيا التقاليد الشعبية، الص ٣٣٤-٣٣٥. ولكن هذه الفقرة أيضاً ليست دقيقة الى حد بعيد. وعن البيوت في زاخو كتب لاميك سعد: "الفقر شائع، والقذارة هي بدرجة لاتصدق؛ كما أن البيوت مبنية بشكل يثير الشفقة" (١٦ سنة، ص٢٥٤) [يصف ر. ديشيد ديبث هليل بيوت زاخو كما يلي: "البيوت مبنية من صخور مكسرة؛ ومظهرها مجرد، والشوارع والأسواق ضيقة" (ولتر فيشل، ترجمة، مسأع ل كرددستان [بالعبرية]، سينا، العدد ٣ [١٩٣٩]: ٢١٨).

٨- توجد صور جيدة لبيوت العمادية القديمة، وهي مبنية من الحجر (يعود تاريخها الى العام ١٨٨٦)، في كتاب تبديه، كردستان، الص ٢٠٢، ٢٠٧؛ كذلك أنظر الص ١٦٨، ١٨٢.

٩- حول صناعة اللبن في القرى الآرامية حوالي دمشق، أنظر: أس. ريج، القرى الآرامية في آنتي لبنان، دمشق، ص ٥٦.

١٠- يذكر بنيامين الثاني أن البيوت في كردستان، تتألف في أغلبها من الأغصان المنسوجة: "البيوت المبنية من الأغصان المنسوجة ذات مظهر مجرد، وهي قليلة الإرتفاع، ومؤلفة من طابق واحد، وتطلى من الداخل ومن الخارج بنوع من الملاط". (ثمان سنوات، ص ١٣٠).

واليوم، أصبحت كل البيوت ذوات سقوف مستوية (قاره)^(١١) مشيدة من عوارض متصالبة مغطاة بطبقة من الأغصان (تسمى في زاخو والعمادية: تاربا) ثم طبقة من التراب.

بناء البيت

كل البنائين في سنه هم من الكرد، ولكن يوجد في العمادية وزاخو يهود يشغلون في البناء. بل أن اليهود في زاخو يعتبرون أحسن عمال بناء البيوت باللبن. ويُعهد بأمر كل بناء الى مشرف (يسمى في زاخو والعمادية: ماعاميرينا). ويطلق على العمال الذين يشرف عليهم إسم پاله. وهذا الماعاميرينا يوجهه پاله خلال العمل بالغناء كما يأتي:

هالن لوبنا: إجلبوا اللبن

طينا باب: الطين لأبيكم

هالن واصلا: إجلبوا قطعة (من اللبن)

هالن طينا: إجلبوا الطين. (ويتشابه الغناء في زاخو مع العمادية)^(١٢)

وبإنتهاء عملية حفر أساس البناء (يسمى في زاخو والعمادية: إساس)، يدعو المالك أقاربه وأصدقاءه والحاخام الى مأدبة إحتفالية يتم فيها تقديم فطيرة الجوز (كليجه). [إلا أن مصدر معلوماتي، وهو من العمادية، قال إن هذه الفطيرة تسمى كاده، وإن هناك نوعاً آخر مشابهاً من الفطائر تتم تحليته بحلويات هو الذي يسمى كليجه]. ثم يقوم الحاخام بذبج ديك أبيض ويجعل دمه يصب في الأساس المحفور. ويوضع رأس الديك تحت صخرة في الأساس، ثم يضع المالك حجر الزاوية (يسمى في زاخو: كيبث بينيزا)، [وفي العمادية: كيبث إساس]، ويضع تحت الحجر قطعة نقدية ذهبية أو فضية. ثم يبدأ العمال ببناء جدارين متوازيين من الصخر، ويلقي كل واحد من الضيوف بحجر في الأخدود الموجود بين هذين الجدارين. ويُمَتَّع العمال بتقديم العرق والمزّه لهم ويقوم سيد البيت بتوزيع النقود على الفقراء (هذا التقليد سائر في العمادية).

أما في زاخو فيجري ذبح ديك أبيض داخل (سويا) [وهي غرفة مركزية] في الجانب الغربي (حيث القدس) من غرفة النوم. ويضع الحاخام القليل من التربة

١١- الأبنية القديمة كانت ذات سقوف من النحاس، كما في بي حازان بالعمادية.

١٢- قارن الأغنية نفسها عند اليهود اليمانيين، إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور، ص ٧٣.

المبللة بالدم في الزوايا الأربع للسويّا، ويرمي فيها قطعة نقدية ذهبية أو فضية، ثم يضع سيد أو سيدة البيت حجر زاوية (كبيت إساس) في كل زاوية ويدعو بالبركة. وفي سنة أيضاً، تذبح دجاجة ويصب دمها في الأساس المحفور، ويوزع لحمها على الفقراء.

أما بناء السقف، فهو عادة عمل جماعي، وهذه العملية عادة شائعة في الشرق. والليلة التي تتم فيها هذه العملية تسمى ليل زياره [في العمادية]. ولهذا الغرض يستدعي المالك حوالي خمسين من الشباب. يقومون بنقل التراب ومزجه مع التبن [في العمادية: تبن، وفي لغة التارگوم: تونا] ثم يرفع إلى السقف، ويفرش عليه بواسطة آلة تسمى ماندورتا [في العمادية]. ويرافق هذا العمل رقص وغناء. وبحلول منتصف الليل يكون العمل قد تم، فيجلس الجميع إلى المائدة لتناول الوجبة التي أعدها لهم المالك (في زاخو والعمادية).

للبيت ذي الطابق الوحيد في زاخو باحة (حوش، وبالكرديّة: حوش). وعلى أحد جوانب الباحة توجد شرفة (بيربانكه، وبالكرديّة: بَرسفكه) ذات سقف مدعم بجذوع من الخشب. ومن البيربانكه يلج المرء في غرفة طويلة واسعة (سويّا، وبالكرديّة: سيك) وهي الغرفة الرئيسية في الدار وفي أحد الجوانب هناك فرن (كانون). والسويّا ليس فيها أي شبّاك؛ أما الضوء فيدخلها من الباب أو من خلال فتحة في السقف (كوا، وبالكرديّة: كولاك)، وثمة باب صغير في السويّا يؤدي إلى غرفة المخزن (منزله)^(١٣).

ويوجد في العمادية بعض من البيوت ذات الطابقين (بختايّا، بعيلايّا) [الطابق الأرضي والطابق الثاني على التوالي]^(١٤). يتألف الطابق السفلي من غرفة المخزن واسطبل، والطابق العلوي من غرفة صيفية (منزّر كيتّا) [أو منزل كيتّا] وغرفة شتوية (بيثت سوسوا). ولكل غرفة حمام منفصل، يستخدم عادة للإغتسال بعد الجماع. [وفي بعض البيوت غرفة يكون سقفها أدنى من مستوى الشارع (قبو - المترجم). وفي هذه الغرفة التي تسمى سرداو، يقضي أهل البيت ساعات إشتداد الحر في الصيف].

١٣- يقدم وولتر شوارتز وصفاً لدار في قرية، يشبه بصورة عامة بيوت زاخو، تحت عنوان *Bey den Kurdischen Juden*، في *JR*، ١٢ تموز ١٩٣٥.

١٤- كانت في السابق ذات طابق واحد، ودون باحة، وبدلاً من الباحة كانت ذات شرفة كيبينه يستند سقفها إلى دعائم خشبية.

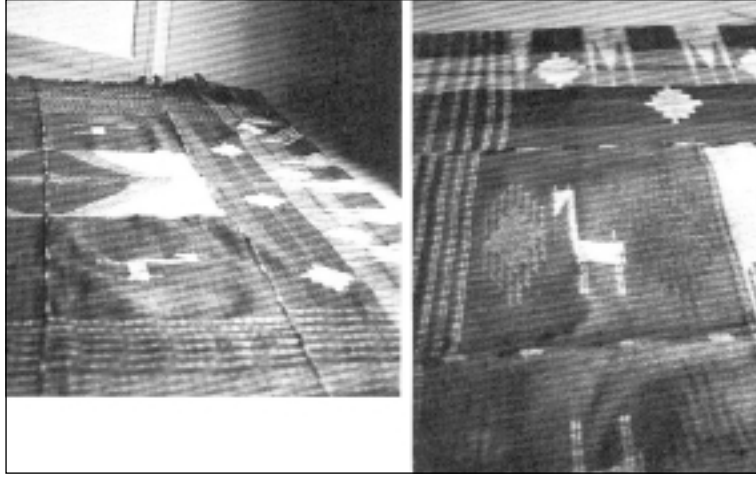
ليس في البيوت مطبخ مستقل. ففي الصيف تقوم سيدة المنزل بالطبخ والخبز في الباحة أو في البيربانكه، أما في الشتاء فتجري هذه الأعمال في السويّا أو حيث يتواجد الفرن في أي مكان آخر من الدار.

لغاية قدوم البريطانيين، لم يكن في دور اليهود الكرد مراحيض؛ بل انهم إلى يومنا هذا يقضون الحاجة في الباحة - وليس داخل الدار، كما هو الحال مع الكرد. ولغاية العام ١٩١٤، كانت العادة الشائعة أن يذهب الشيوخ والشباب إلى النهر صباحاً لقضاء الحاجة. ويصف بنيامين الثاني هذه العملية بالتفصيل ويذكر كيف أنه كان يُعقد خلالها الصفقات التجارية وتُسوّى الخلافات (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، الص ٦٤-٦٥). ولإغتسال - وخاصة غسل اليدين - فإنهم يستخدمون وعاءً (يسميه الكرد في العمادية وزاخو: مَسينه، [وبلغة التارگوم في العمادية: كورازا] وفي سنة: آفتابه وإناءً (يسميه الكرد في العمادية وزاخو: د/شوا) والأصح هو دَسْتَشو؛ وفي لغة التارگوم: كايا؛] وفي سنة: لَكَن)؛ أنظر الرسم التوضيحي رقم ١٦؛ العينة ٤٦:٣٧ ضمن مجموعة براور في الجامعة العبرية.

أثاث الدار

وبالنسبة للأثاث فهي بدائية كما هي الحال مع الدار. فاليهودي في هذا المجال، هو في نفس مستوى جاره شبه البدوي، الذي بإمكانه وبسهولة حمل كل حاجياته الثمينة على ظهر بغل. والبدوي، أو شبه البدوي لا يهتم إلا بحاجيات من قبيل البسط وأواني الشرب والأسلحة. والأمر نفسه ينطبق إلى حد بعيد على اليهود الذين فقدوا آخر إحساس فني لهم بسبب الدمار الذي شمل البلد في الفترات الأخيرة.

الغرف باكملها غير مؤثثة. وأفضل المقتنيات من الملابس يحفظ في خزانات (في العمادية: صندوق، [بالكرديّة: سَبْتكه]، وفي سنة: بيگدان) أو في كوة في الجدار (في زاخو: كوا، وفي سنة: تاق). ويفترش أهل البيت الحصران (في زاخو ودهوك والعمادية وسنه: هَسيرا [أو حَصيره] أو البسط (في زاخو والعمادية وسنه: كاله، ولها في زاخو والعمادية اسم آخر هو: مَحفورا) [كاله هو بساط منسوج (يسمى بالكرديّة: برك، وبالفارسية: كلیم)، في حين أن المَحفورا (في العمادية: مَحفورا أو شعقيتا) عبارة عن نوع أكثر تعقيداً من البسط (السجاد الإيراني المعروف - المترجم) يُعرف في الغرب بـ البساط الفارسي]. ويتناولون الطعام على منضدة قليلة الإرتفاع (في الكرديّة والتارگوم: كُرسِي) من صحن مستدير (صينية - المترجم)



بَرَمَاله = بُسُط - من دَهوك

الأرض قليلاً ببناء منصة: كَپرانا [في العماديه] من الجذوع والأغصان التي تُرفع على أربعة من الأحجار.

وفي الأرياف (كما في بيتنوره) تُبنى منصات عالية (هارزِيلِه) تُنصب على أعمدة ويتم الصعود إليها بواسطة سلّم. [وقد أبلغني محدثي وهو من العماديه، أنّ هذا السرير يسمى كيبيرينه. ويكون على نوعين: أحدهما منخفض يستند الى أربعة صخور، والآخر عالٍ يستند الى أربعة أعمدة خشبية. والهارزِيلِه منصة مبنية من أغصان الأشجار ويتم حفظ الثمار فوقها في الصيف حتى أواسط الشتاء. وكذلك تسمى السلال التي تحفظ فيها الثمار وتوضع بين الأغصان: هارزِيلِه]. وينتاب المرء الخوف لدى النوم على هذه الأسرة إذا لم يكن معتاداً عليها فالمنصة تتمايل بشدة عند هبوب الريح. كما أنّ الهارزِيلِه تحمي المرء من البعوض بشكل جيد^(١١٧).

١٧- أنظر الصور التوضيحية لمنصات النوم هذه في كتاب بنديه، كردستان، ص ١٠٢. وقد رآها في منطقة بحيرة أورميه، وارتفاع المنصات هناك يبلغ حوالي ١,٥ متر من سطح الأرض (ص ١٠١). وحسب بانسيه، تركيا، ص ٢٣٢، فإنه كان من بين هذه المنصات ما بلغ ارتفاعه خمسة أمتار. وتستخدم على الأغلب في المناطق الأرمنية.



أواني مطبخ وبساط - من سنه

(تسمى في زاخو: فَرَكْسِينِي، وفي سنه: لَنَكْرِي أو سِينِي). [وفي العماديه تستخدم هذه الأسماء: فَرَحْسِينِي، إناء مستدير منبسط ذو حافة منخفضة مصنوع من النحاس ويُطلى بالقصدير ويبلغ عرضه حوالي ثمانين سنتمترًا؛ طَشْتِه: وهو صحن يشبه الفَرَحْسِينِي غير أنّه أكثر عمقاً حيث يبلغ عمقه ١٥ سنتمترًا وحافته عمودية؛ لَكْن: وهو صحن أصغر؛ سِينِيه: وهو صحن ذو حافة مائلة نحو الخارج].

وقد وجدت المناضد والكراسي الأوروبية طريقها الى كردستان مؤخرًا؛ والكراسي هي أول ما تأقلم معه اليهود الكرد حيث أنّهم كانوا يحصلون عليه في فلسطين بسهولة كمنح^(١١٥).

ومن الجهة الأخرى، فإنّ اليهود الكرد لايتخلون بسرعة عن عادة النوم على الأرض التي إعتادوها في كردستان^(١١٦). وهم يفرشون البسط والفرش - في الشتاء قرب الفرن ما أمكن، وفي الصيف يفرشونها على سطح الدار. وسطح الدار الذي يمكن بلوغه بواسطة سلّم (في زاخو: جَرَادِه، وفي العماديه: سيمالتِه) هو مكان المعيشة المعتاد في الصيف. ولوقاية أنفسهم من العقارب، فإنهم يرفعون فُرُشهم عن

١٥- يتلقى المهاجرون الكرد الجدد في فلسطين منحاً وهبات قيّمة (وبصورة خاصة الأثاث المنزلية) من أصدقائهم، وذلك بهدف تسهيل تأقلمهم مع الوضع الجديد.

١٦- يستخدم الأغنياء أحياناً أسرة خشبية منخفضة (تسمى في زاخو والعماديه وأربيل: تختِه).

مراسيم الإفتتاح

بعد الإنتهاء من البناء، وقبل إنتقال المالك الى داره الجديدة ينبغي إجراء مراسيم الإفتتاح [بالعبرية] *حيّون هابيت*. حيث يُدعى الحاخام مع عدد من الأصدقاء لهذه المراسيم إذ ينبغي أن يرافقه هؤلاء المالك عند دخوله الدار الجديدة. وتقذف زوجة المالك بقبضة من القمح وتكسر جرة. ثم تقوم النسوة بعد رش بعض الماء، بالتلويح بقطعة قماش، وهنّ ينادين: *كشه، كشه، كشه* بيزي بيبيسيه يته هاويته هواخ بينون بنيته خيته كالاواثا، أي "كش، كش" (١٨)، إذ هي أيتها الشياطين، وادخلوا أيها الأحياء [المقصود ملائكة الخير]، سوف يكون لكم أبناء وبنات، وأنسباء وكنتات.

ثم يجلس الرجال ويقراون *الميشنا** لساعات، وبعد ذلك يرتدي سيد الدار ثيابه الجديدة، خاصة التي أعدها لهذه المناسبة، ويدعو بالبركة. ثم يؤتى بميزوزوت [أوراق ملفوفة تحتوي أجزاء من سفر التثنية ٦:٤-٩ و ١٣:١١-٢١، تثبتت في إطار الباب داخل علبة من الخشب أو المعدن]، ويقوم الحاخام بتثبيتها في الأماكن المناسبة. بعدها يعودون الى التلاوة لحوالي خمس ساعات، ويتبع هذا كله بوجبة طعام. ثم يغادر الضيوف الدار في حوالي الثانية صباحاً.

وفي صباح اليوم التالي، يدعو سيد الدار كل الجماعة الى حفل إفتتاح [بالعبرية] *سعودات حنوخ هابايت*؛ وعندها فقط يمكن نقل حاجيات العائلة من المنزل القديم الى الدار الجديدة.

تعاويذ للدار

التعويدة الدينية اليهودية، ميزوزه، في كردستان بدائية جداً في العادة. ولمزيد من التوضيح نقول: يُترك تجويف في الجدار وتوضع بداخله لفافات الورق تلك ويُحافظ عليها بوضع قطعة زجاج على التجويف (في أربيل). كما ينتشر استخدام أنبوب من القصب مع تجويف مغطى بالزجاج مع كلمة *شاداي*. وفي بعض الأحيان يُحشر أنبوب القصب في الجدار (كما في العماديه وزاخو وسنه) (١٩).

١٨- كش، كش! تعبير يستخدم لطرد الدجاج.

* *ميشنا، ميشناه*: مجموعة تفاسير وشروح للشريعة الموسوية تمثل الشريعة الشفوية لليهود، وضعها *الرابي* وتم جمعها وتنظيمها سنة ٢٠٠م. مكتوبة بالعبرية وتمثل الجزء الأساس من التلمود.

١٩- توجد عينة منها ضمن مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٩:٤٠. وهذه الميزوزه، كما قيل، كان يبطل مفعولها اذا ما دخل عليهم شخص غير يهودي (؟).

وفي ريكان ايضاً، يستخدم أنبوب القصب لهذا الغرض؛ لكن التجويف المخصص *لشاداي* لا يغطي بالزجاج بل بقطعة قماش تتدلى لتغطي الميزوزه وترفع القطعة عند تقبيل الميزوزه. وقد تكون الميزوزوت مغلقة بالجلد (٢٠) أو توضع في علب من الصفيح (٢١) أو داخل أنابيب خشبية (٢٢) وهذه الأنواع ايضاً تُحشر في الجدار. وتجدر الإشارة الى أنّ الميزوزه تثبت بصورة أفقية في ريكان. وشكل علبة الميزوزه مختلف هنا فالفتحة مستطيلة وكلمة *شاداي* مكتوبة بصورة تناسب هذه الفتحة (٢٣).

وفي زاخو يتم تثبيت قرون وعل (بالكرديّة: كانينت *پزكوڤي*)، أو حدوة حصان (نعله) على الباب، وأحياناً يضاف اليها خرزة مدورة خضراء (قوطناسكات *برويكه*) تثبت بمسمار في وسط عتبة الباب. [في الدور ذات الطابقين بالعماديه، تثبت قرون الوعل الجبلي في الجدران الخارجية للطابق العلوي كنوع من الزينة].

وفي كل واحد من الأركان الأربعة *للسويا* يتم دفن تعويذة شرعية مصممة لإبطال تأثير ليليث (في زاخو). وتعاويذ الدار تعتبر بمثابة ملاذ في حالة إصابة العائلة بمرض متوارث أو سلسلة من حالات الوفاة التي تجعل الدار تبدو وكأنها قد باتت خاضعة لسيطرة الشياطين. وفي مثل هذه الحالة توضع تعويذة مكتوبة بدم حمامة بيضاء أو سوداء تحت العتبة. وقد يُستخدم ذيل ذئب لهذا الغرض (في العماديه) (٢٤). وفي حالات الوفاة، يوضع حجر على خف قديم مع ذيل ذئب وقطعة من جلد حمار فوق السقف (في العماديه).

أما شؤون البيت الكردي فهي تُدار حسب نظام أبوي. إذ أنّ الأبناء حتى بعد الزواج يستمرون في العيش في دار الأب سواء في غرفة تُخلى لهم أو في غرفة تُبنى حديثاً. ولهذا فإن بيوت الكرد تصبح ذات خارطة لا يمكن أن تكون هي التصميم الأصلي للدار.

وفي أحيان كثيرة يمكن أن نجد ثلاثين شخصاً أو أكثر يعيشون في دار واحدة، مساحتها في أحسن الأحوال محدودة جداً. ويعتبر مجموع أفراد مجموعة العائلات كلها بمثابة وحدة واحدة. والرجل الأكبر عمراً هو سيد الدار. يسمى في العماديه، بالكرديّة: *مالوخقه بيتا*، [زعيم الدار]، وفي العماديه بلغة الناركوم: *أورويت بيتا*].

٢٠- مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٩:٤٢ (من سنه).

٢١- مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٨:١٠٠ (من العماديه).

٢٢- كانت ثم عينة ضمن ممتلكات إي. براور الخاصة. [لكن مصيرها بات مجهولاً بعد وفاة براور].

٢٣- مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٩:٤٢.

٢٤- فيما يتعلق بقدرة الذئب على الحماية من الشياطين، أنظر ص ١٨٤.

الثياب

تثبت أزياء قاطني كردستان بوضوح أنها منطقة منعزلة بشكل لا جدال فيه. ويتجمع فيها أكثر مناطق النفوذ إختلافاً؛ ومع معلوماتنا الفقيرة حول الموضوع، ليس في متناولنا لحد الآن ما يساعد في إعطاء صورة دقيقة عن تفاصيل الأزياء التي يرتديها مختلف العناصر العرقية التي تعيش على هذه الأرض.

وهذا ينطبق أيضاً على زي اليهود الكرد؛ حيث أن هؤلاء في الواقع لا يملكون زياً موحداً يميزهم، وأزيائهم تطابق بشكل كامل أزياء جيرانهم. وبخلاف الملابس الدينية، فإنه ليس ثمة إختلاف بين ما يرتديه الكرد أو النصراني (السريان) أو اليهود. وهذا يظهر بوضوح أكبر في حالة الرجل العادي، الذي لا يبين لنا زيّه، بسبب من بدائية الزي، أي إختلاف واضح. والسبب في وحدة الزي بين الكرد المسلمين واليهود واضح: لا توجد تشريعات محددة خاصة بالملبس في كردستان (كما هو الحال في بعض الدول المسلمة التي تطبق الشرائع الإسلامية التي تتعامل مع غير المسلمين)^(١).

ولتجنّب الدخول في متاهات، فإننا سنقتصر في دراستنا على منطقتين: العمادية في وسط المنطقة الجبلية، وسنه في الأراضي الكردية من فارس. وإننا نفتقر الى صور توضيحية قديمة لليهود الكرد لكي نبني من خلالها فكرة عن التطور المحتمل في أزيائهم. وهذا يضطرنا الى الإعتماد على الأوصاف المبكرة التي من المؤسف أنها تحوي العديد من الثغرات فيما يخص الأزياء.

الزي الكردي

يقف المرء في موقف أفضل عندما يتعلق الأمر بالكرد والسريان. ويصف بنديه ملابس الكرد الذين كانوا يعيشون في جوار العمادية في العام ١٨٦٠ فيقول:

رجال ذوو شوارب يغطون رؤوسهم بالبياض، قبعات مخروطية من اللباد يلفون حولها عمامة ذات لفات عديدة. أما سراويلهم الفضفاضة فهي مصنوعة من شعر الماعز الأحمر الذي غالباً ما يُصيغ. ويرتدون سترة قصيرة تبلغ الخصر بالكاد. وغالباً ما يرتدون فوق السترة

١- في اليمن مثلاً، أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين، لبراور، ص ٧٩.



رجل من چالا



رجل من برّنه



رجل من سوخو

ورشت بيتا (في العمادية)^(٢٥) هي المسؤولة عن الأعمال المنزلية، أما بقية النساء فينفذن أوامرهما. [حسب مصدر معلوماتي وهو من العمادية، رشت بيتا هو إسم الزعيم الذكر للدار. أما السيدة فتسمى كابانت بيتا، "زعيمة الدار" أو ريثت بيتا "ربة البيت".]

٢٥- في زاخو: كابانبيت بيتا "طاهية (أنثى)"; وفي العمادية أيضاً: كابانه؛ وفي سنه: خيمبلا؛ وفي أشنويه: آما.

المصنوعة من الشعر معطفاً أطول منها مزين من الأمام بنقوش غير متقنة. أما بالنسبة للحذاء فهو عادة خف من جلد أحمر ذو كعب قوي.

(كردستان، ص ١٠٩، [ترجمه من الفرنسية: رافائيل باتاني]).



وفي صورة بنديه يظهر كرد^(٢) يرتدون القمصان البيض (كراس) ذات الأكمام الطويلة، والسراويل الطويلة الفضفاضة (دريبي)، مع لف قطعة من القماش (شالك) حول الخصر (المصدر السابق، ص ١٠٦). والسراويل التي تظهر في الصورة التوضيحية هي من نوع خاص سنورد المزيد عنه فيما سيأتي. وفوق القميص هناك ثوب أو سترة مفتوحة (بيشلاك)، ذات أكمام مشقوقة من الكتف الى الرسغ يمكن أن تكتم بازرار أو تترك مفتوحة. وفوق البيشلاك يأتي ثوب آخر (يسميه الكرد: چوخك، [بلغة التارگوم: چُختا]) لم يعد يُلبس اليوم. وهو مصنوع من الصوف ومغطى من جهة الظهر بشعر ماعز أسود طويل محسّن^(٣). وفي أيامنا هذه، يرتدي أغلب الكرد سترتين: البيشلاك ذا الأكمام من فوق، وتحتة البيلك الذي لا أكمام له. ويبدو أن هذين الثوبين تركيا الأصل^(٤).

نموذج للزي الكردي
(عن بنديه)

والكردي في الصورة يضع على رأسه قبعة مخروطية من اللباد (بالكردي: كُلاو)، وهو اليوم قليل الإستعمال بين الكرد. ومن الواضح أن هذه القبعة المخروطية نوع قديم من أغطية الرأس وربما أنه إنتشر في القبائل التي ينتمي إليها النساطرة أكثر من إنتشاره بين الكرد، ويلف حول هذه القبعة قماش من الكتان ذو ألوان زاهية (أسحادقايه). وقد حلّ الـ(جَمَدَانِي) اليوم محل الـ(أسحادقايه)، والـ(جَمَدَانِي) هو

٢- تم إختيار الكرد في العماديه كعيّنة.

٣- أنظر الصور التوضيحية في كتاب بنديه، كردستان، ص ١٢٣؛ وكذلك وصف أزياء كرد أرتوش في المجلة الجغرافية (١٨٩٤: ٨٦). وقد حلّ محلّه الـ(چوخك) (بلغة التارگوم: چوختا أو نيسنك). أنظر ماكس تيلكي، دراسات في التطور التاريخي للأزياء في الشرق، برلين ١٩٢٣، اللوحة ٨٠: هذه الجاكيتات المميزة التي لا أكمام لها، تصنع من صوف مضغوط بشدة، يبلغ سمكه سنتمتراً واحداً. ولهذا فإنّ حوافه هي فقط القابلة للخياطة" [ترجمه من الألمانية رافائيل باتاني].

٤- أنظر مثلاً كتاب جورجس ماركيز، أزياء مسلمي الجزائر، باريس ١٩٣٠، الص ٣١-٣٦ حول التأثير التركي على الأزياء في شمال أفريقيا، ويك.

قمماش صوفي أسود ذو نقوش بيض. يتم إستيراده من أوروبا. والأحذية التي ينتعلها الكرد عبارة عن جزمة جلدية عالية حمراء أو صفراء اللون (چكمه)^(٥)، مع لفافة طويلة تلف الساق، ومقدمة الحذاء ومؤخرته معلّمان بقطع حديدية.

زي النساطرة

يقدم لنا بنديه صورة أخرى تبين الأزياء التي كان النساطرة، في جوله ميرگ بجوار العماديه، يرتدونها قبل حوالي مائة عام (كردستان، ص ١٦٨)^(٦). وهنا نرى القبعة المخروطية (كوشيبسا) ملفوفاً حولها قطعة من القماش.

والجزء الأعلى من الجسم يغطيه قميص أبيض (سودرا) ذو أكمام طويلة وسترة ذات أكمام. لكن من الواضح أنّ النساطرة، في فترات مبكرة، لم يكونوا يرتدون الثوب التركي الذي أثر فيه الكرد. ويغطي السودرا بالسروال من الأسفل. وهذه السراويل هي نفسها في الزي الكردي، مع السترة المصنوعة من المادة نفسها (جالا چاپوكسا)^(٧)، بالكردي: شال وشيك) هي من الملابس المميزة للسريان (النصاري).

والقمماش ذو نوعية جيدة يشبه الحرير، ويحاك من أفضل أنواع صوف الماعز (كوليه سوبيا). والسريان على وجه الخصوص حاذقون في صناعة القماش بالوان جميلة وتصاميم مختلفة، تزينها الزخارف وتحاك النماذج على نسج أصلي. والكردي الذي يظهر في الصورة التي وصفناها يرتدي سروالاً من هذا النوع^(٨).

٥- ذكر مان الجكمه في: نصوص ودراسات، الرسالة ١٢، التي أرسلت من العماديه الى يونا في الموصل وتعلق بالأعمال التجارية: "ستتسلم عن طريق عبدالرحمن ٣٥ سيكه (جوارب صوفية طويلة) لصناعة الجكمه (السطران ٥-٦). كما وهناك سيكه للكالكه، أي الأحذية الواطئة. ولم يفهم مان معنى هذه الفقرة.

٦- ويرد بنديه أيضاً قائمة بالأزياء الإحتفالية لمزارع مسيحي من جوله ميرگ. وللحصول على بعض الصور القيّمة عن النساطرة (رغم أنها في مستوى الرسوم التوضيحية لكتب الأطفال) أنظر: بيركنس، الإقامة ثمان سنوات في فارس، في الصفحات المقابلة للصفحات ٦ و٢٦٢ و٤١٤.

٧- جالا چاپوكسا (ويقال أيضاً: چاپوكتا) تسمى أيضاً بركوز في العماديه وريكان وحواليهما. فهناك مثلاً بركوز كاراموسي ذو الخطوط الحمر الذي يستورد من كاراموس. والسترة بها فتحة تحت الإبط - الصفة المميزة للأزياء الفارسية والهندية والقوقازية أيضاً، أنظر تيلكي، الأزياء، اللوحة ٢٧، ص ١٣.

٨- بعض الصور التي تبين بصورة جييدة الإنتطباع الملون الذي تخلفه هذه الأزياء التي يرتديها السريان في تل تمر قرب الحابور، يمكن العثور عليها في المجلة الجغرافية الوطنية، كانون الأول ١٩٣٨، اللوحتان ٤ و٧. ويعتقد أن الملابس المصوّرة جاءت من زاخو. واللون الأصلي لملابس الرجلين اللذين يظهران في اللوحة ٤ ينبغي تصوره على أنه غامق أكثر مما يبدو - إذ يبدو بلون =

والكرد الى يومنا هذا مولعون بهذا النوع من السراويل^(٩). هذه السراويل والستر التي نعتقد أنها من الثياب العريقة التي لم أتمكن حتى الآن من تحديد أصولها. لا يستخدمها السريان لوحدهم بل هناك قطاعات معينة من الأرمن تستخدم هذه الأزياء^(١٠) وكذلك الحال بالنسبة للأبصار في القوقاز^(١١).

ويرتدي الكثير من النساطرة الذين صورهم بنديه عباءة طويلة وثقيلة لا أكمام لها (بَدَن أو عبايكة) مصنوعة من شعر الماعز. وقد حل محل هذه العبءة اليوم ثوب صوفي ثخين (چوكتا)، وهو عند الكرد چوخك.

ويضعون على رؤوسهم قبعة اللباد المخروطية (كوشيسه) التي أوردنا أوصافها. وفيما مضى كان الأسحار/قيه يلف حولها، أما الآن فقد أحل النساطرة أيضاً الجَمَداني محلّه.

زي المرأة الكردية

قبل أن ننتقل الى الحديث عن أزياء اليهود، ينبغي أن نورد وصفاً للأزياء النسوية عند الكرد والنساطرة. يقدم لنا بنديه صورة لنساء كرديات؛ لكن الصورة غير واضحة وضوحاً تاماً، كما أنه لا يورد وصفاً لما فيها (كردستان، ص ١٦١).

ملابس المرأة الكردية بسيطة في الغالب. فهي تتألف من سروال (درپي) - يكون جزؤه السفلي (سَر درينگ) من قماش ملون - وفستان واسع (تراس) أزرق أو ذي خطوط بيض وزرق، وذي أكمام (كُونديه) ذات شكل يشبه الجناح لا تختلف عن تلك الموجودة في ثوب الكيمونو الياباني. ويتم إرتداء الفستان فوق السروال، وفي بعض الأحيان يشد عند الخصر بقطعة قماش عادي (شاله). ويلف الجَمَداني حول الرأس. والأقدام عارية عادة؛ ولكن تنتعل المرأة أحياناً خفاً أحمر (بيلاوه أو كَلاشه)

= بنفسجي فاتح. كما ويظهر الجالا چاپوكسا في الصور الأكثر عمراً في كتاب بيركنس. حيث يرتديه "تسطوري الجبل" في اللوحة المقابلة للصفحة السادسة (القيود الموجود تحت الركبة أمر غير مفهوم)، كما هو الحال مع الكاهن التسطوري الجبلي في اللوحة المقابلة للصفحة ٤١٤. وفي كتاب بيركنس تظهر الخطوط على الملابس بالأحمر القاني؛ وقد يكون سبب ذلك الأسلوب البدائي للتصوير الذي صممه فنان فارسي لبيركنس.

٩- هو شمال وشيك عند الكرد اليوم، أنظر: هاملتون، طريق في كردستان، الصور: ١٢، ١٦، ٢٥.
١٠- أنظر الرسم التوضيحي في كتاب فريدريك راتسل، *Volkerkunde*، الطبعة الثانية، لايبزيغ و١٨٩٤، المجلد الثاني، ص ٧٣٨، لكنه للأسف لا يشير الى المكان.

١١- هناك نموذج من الأبصار في المتحف القوقازي بتفليس؛ أنظر: تيلكي، الأزياء، اللوحة ٧٩.

وهو نوع من الأحذية مصنوع من رقع. أما الحلي التي تترتزين بها النساء بكثرة فسياتي وصفها في موضع آخر.

زي النسطوريات

يوجد في متناولنا البعض من الصور القديمة لنساء السريان في كتاب جوستن بيركنس (الإقامة ثمان سنوات في فارس، الصور التي تقابل الصفحات: ٣١٩، ٣٣٥، ٣٣٦) ولدينا أيضاً الأوصاف التي أوردتها جورج بيرسي بادجر (النساطرة وطقوسهم، المجلد الأول، ص ٥٥). ومع أن الأخير منهما يختص بالنصارى في طور؛ إلا أن أزياء نسايتهم تشبه أزياء نساء السريان في المنطقة الجبلية.

يتألف الزي النسائي من شلوار، وروب أحمر يشبه الى حد ما رداء الكهنة وعادة تعقد المرأة رأسي كمئها الطويلين وتضعهما على كتفها من الخلف. ويشد هذا الرداء الى الخصر بواسطة نطاق رفيع ذي مشبكين فضيين كبيرين للزينة. وغطاء الرأس مميّز بالنسبة لأجزاء الزي الأخرى، ولا يختلف شكلاً عن خوذة الرامي وهي عبارة عن قلنسوة بارزة القمة مغطاة بقطع كبيرة من النقود الفضية.

ويرى مصدر معلوماتي، أن لوحات بيركنس غير مضبوطة. فالمرأة هناك ترتدي بنظراً أخضر وفستاناً يبلغ الركبة. وهذا الفستان هو بدون أكمام عريضة طويلة وهو قصير جداً. وترتدي الفتاة النسطورية (الميكاتانه) فوق الفستان (النساطرة وطقوسهم، الصورة المقابلة للصفحة ٣٣٥). كما لم يعد تم استخدام للمعطف الشبيه بالعبءة الذي كانت الأم النسطورية ترتديه؛ وتحوم شكوك حول كون هذا المعطف قد استخدم في أي وقت مضى (المصدر السابق، الصورة المقابلة للصفحة ٣٣٦).

وفي أيامنا هذه، يتألف زي المرأة السريانية في أطراف العماديه من بنطال طويل ملون (شروال) فوقه فستان أحمر طويل (سُدرا جانگوسو) ذو أكمام عريضة. ولا ترتدي النساء المعاطف.

زي اليهودي في العماديه

فيما يتعلق بزي اليهود في العماديه (سنركز إهتمامنا على المدينة أولاً)، نلاحظ خليطاً من عناصر الأزياء الكردية والنسطورية. والوصف الذي يقدمه لنا بنيامين الثاني غير صائب كما أنه غير واضح أبداً:

في أيام الأسبوع العادية، يرتدي الرجال قميصاً فقط ويشدون حزاماً

على الخصر، إضافة إلى بناطيل قصيرة لانتجاوز الركبة [٩]، مع قبعة صغيرة يلفون حولها قطعة رقيقة من نسيج أسود؛ كما أنهم حفاة. ولما سألتهم عن سبب إرتدائهم مثل هذه الأزياء، كان الجواب أنها أكثر ملاءمة للعمل... أما في يوم السبت فإنهم يلقون هذه الثياب، ويرتدون معطفاً طويلاً ثخيناً من قماش صوفي. وهو ذو أزرار من العنق وحتى الحزام، حيث ينشطر إلى جناحين كبيرين يمتدان حتى الركبة؛ أما الأكمام فتمد إلى الخصر ويتم شدّها بإحكام. والأغنياء فقط ينتعلون الأحذية، أما البقية فيكتفون بخف من الجلد. (ثمان سنوات، ص ١٢٩).

يتبين لنا ضعف وصف بنيامين الثاني من إختلاط المواد المختلفة بشكل غير متناسق، أثناء وصفه لها. يتألف زي الرجل في العماديه من (سُدرا) وهو قميص من الكتان الأبيض (كراوه). وفي الوسط عند الرقبة توجد فتحة يتم تثبيتها بزر واحد. أما البناتيل القصيرة فلا يرتديها الرجال في العماديه، وربما شاهد بنيامين بناطيل إعتيادية مع وجود لفافة على السيقان.

والعلامة المميزة لهذا النوع من القمصان هي الأكمام الطويلة الشبيهة بالأجنحة شكلاً^(١٢)، وهذه الأكمام نجدها عند الكرد أيضاً (خاصة في كردستان الفارسية)، وعند العمل يتم قلب هذه الأكمام إلى أعلى ووضعها فوق الأكتاف، ويتم ربط الكمين معاً عند القفا. وهنا أيضاً نجد أنّ عامل النفع لم يؤخذ به في تصميم الزي. فالأكمام عريضة متدلّية شبيهة بالتي ترتديها الراقصات في تماثيل عهد تانگ في الصين. وفي كردستان أيضاً، تستخدم لأغراض تتعلق بالرقص. وفي السابق لم تكن هذه الأكمام جزءاً من زي عامة الشعب بل كانت قاصرة على الطبقات العليا. وقد توصل أ.ج. ناومان إلى النتيجة نفسها فيما يتعلق بالزي الوطني الألماني: "إنّ ما يسمى "الزي الشعبي" لم ينشأ من الشعب، ولا يمثل بالتأكيد دليلاً على روح الإبداع عند عامة الناس... فهذا الزي لم يبتكره البدائي بل هو من الممتلكات التراثية للطبقات العليا ومنهم إنتقل إلى الطبقات الأدنى" [ترجمه عن الألمانية: رافائيل پاتاي]^(١٣).

١٢- الأكمام الطويلة تسمى هوكياتا (في العماديه؛ باراشا كَنديا، التي يستخدمها السريان أيضاً؛ وبالكرديّة كَندي (هوك) بوتاني: أكمام بوتانية" نسبة إلى بوتان في غرب كردستان)). وتقوم العروس بتطريز الياقة. والكم النموذجي يبلغ طوله ٨٧ سنتمتراً وعرضه متراً واحداً (مجموعة براور، الجامعة العبرية، ٣٧: ١٠ أي). وتمتد المنطقة التي يُستخدم فيها هذا النوع من القمصان (ذات الأكمام الطويلة والعريضة) من شرق آسيا وحتى جنوب القوقاز.

١٣- أ.ج. ناومان، Grundzuge der deutschen Volkskunde، لايبزيگ، ١٩٣٣، ص ٧.

ويلبس الرجال في العماديه بناطيل بيض فضفاضة (شروالا)، تستدق شيئاً فشيئاً وصولاً إلى الكاحل. وفوق القميص يأتي "الطاليت الصغير" ([بالعبرية] طاليت كتان) ثم الثوبان أو السترتان التركيتا الأصل اللتان يرتديهما الكرد. ويأتي أولاً الذي لا أكمام له من السترتين (إيلكا أو هيلكا) بفتحتي الذراعين المميزتين بشكل يشبه الحدود. وعلى كل جانب من الإيلكا حاشية ملونة محبوكة، على الجانب الأيسر منها صف من الأنشوطات المتقاربة يقابلها على الجانب الأيمن صف من الأزرار - الطريقة القديمة للتكميم في الأزياء الفارسية القديمة. والأنشوطات والأزرار هي أيضاً محاكاة ومتعددة الألوان، وهي في أغلبها لا تستخدم إلا للزينة إذ أنّ السترة يتم تثبيتها من الأعلى والأسفل بأزرار خاصة. كما وجدنا في العماديه سترات مطرزة تسمى إيلكا سندوري - نسبة إلى سندور التي يكثر فيها إرتداء هذه السترة.

وفوق السترة الأولى تأتي أخرى ذات أكمام (بيشلاكا أو إيشلاكا). وهي أيضاً مزودة بانشوطات وأزرار، لكنها تبقى مفتوحة. وهي مصنوعة من قماش مخطط بالأصفر والأبيض وهي خاصة بأيام السبت والأعياد (مجموعة براور بالجامعة العبرية، ٦٨:٣٨). يبلغ طول كُم البيشلاكا ٤٨ سنتمتراً وعرضه ١٥,٥ سنتمتراً وفتحة الذراع مثلثة. ولكل واحد من السترتين جيب عند الصدر من كل جانب؛ لكن الجيب الأيمن مقل وهو للزينة فقط. ويدخل ذيل القميص في البنطال (بخلاف العادة عند الأفغان) ويخرج كماً القميص في العادة ليغطي كمي السترة.

هذا هو النموذج الأساسي لزي اليهود الكرد، وخاصة في المناطق الريفية المحيطة بالعماديه. مع ذلك فهناك إختلافات كثيرة في النموذج الأساسي، وذلك لأسباب تتعلق في قسم منها بتفاصيل الزي السائد، وفي قسم آخر بكون الزي يرقع مرة وأخرى ويستخدم إلى أن يتحول إلى أسمال.

ومن ملاحظتنا بدا أنّ الزي الأساسي متأثر بالكرد أكثر من تأثره بالسريان. فلازلنا نجد أنّ الجالا چاپوكسا [يسمى في العماديه: شالا شاپوكسا، البنطال والسترة] عند السريان يستخدم كزي للأعياد والإحتفالات إذ يرتديه العريس في حفل زفافه. ولهذا تجد أنّ اليهود في بعض المناطق (بيتنوره، كارا، جالا، ريكان) والذين يعملون في حياكة الجالا چاپوكسا، لا يعرفون غير حياكة الأنواع البسيطة؛ بينما الأنواع الملونة والمزركشة يتم الحصول عليها من السريان. ويُعرف اليهود بحياكتهم لنوع بسيط من البناتيل (جالا)، التي تلبس عادة بدون سترة.

ويلف بعض اليهود على خصرهم قطعة من الشال (شال) [أو خارخاسه: حزام]. وفي الأعياد وأيام السبت يرتدي المسنون والأثرياء كرتاكة [أو كرتك]، وهو عبارة عن عباءة مقصوصة على شكل سترة ولا أزرار له. وهو مصنوع من قماش مخطط ويتم إستيراده من الموصل.

إن الأزياء القديمة تختفي اليوم سريعاً. فالكل باتوا يقلدون الطراز الأوروبي؛ ويعتبرون من يرتدي الساقو، وهو نوع من المعاطف الأوروبية، شخصاً أنيقاً إن جاز التعبير. ويشتري الساقو من الموصل، حيث يصنعه اليهود وغير اليهود. وقد أشار هاملتون أيضاً إلى رغبة عماله الشديدة، خاصة القادمين من كرستان الفارسية، في حيازة الملابس الأوروبية؛ وتظهر أحياناً نتائج غير عادية^(١٤).

وفي كل جمعة يلحقون رؤوسهم. ويتألف غطاء الرأس عندهم من قبعة (كوسيسا) مصنوعة من اللباد أو القماش، وهي مدورة غير مخروطية كالتي عند السريان. ويلفون فوقها أكبر قطعة ممكنة من قماش قطني، الجمداني. ويلحق الشباب بهذه القطعة عدداً من الریش الطويلة (جيفكه، جمداني ميري جيفكه)، التي تتدلى إلى الخلف من جهة الأذن اليمنى. هذه الجيفكه هي في العادة بمثابة نوع من الزينة للملابس. وهي تعيد إلى الأذهان الریش التي ظهرت على أزياء الحثيين^(١٥). وبدلاً من القماش القطني يستخدم كبار السن والرجال المعروفون قماشاً [أسود] من الحرير (پوشيه).

ومن الأمور العادية في المناطق الريفية أن تجد الناس حفاة كما ذكر بنيامين. وفي الشتاء، فإن الجوارب التخينة (گوروي) المصنوعة من صوف الغنم الأبيض، والتي تطرزها النساء بنقوش فنية تقوم بمهمة الحماية من البرد. وتوجد ثم جوارب ذات نقوش ملونة، من النوع الذي يلبسه أهل فارس وأفغانستان^(١٦). أما الشبشب

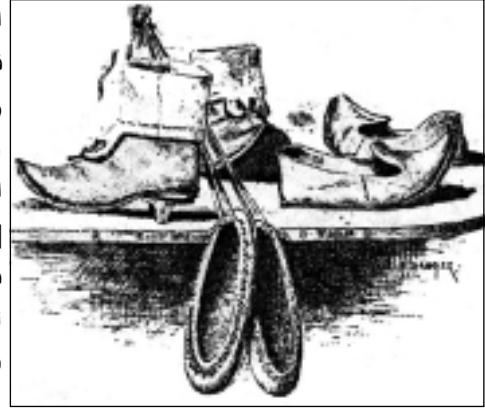
١٤- "يمتلك كل كردي فارسي تقريباً البعض من الملابس الغربية الأوروبية الأصل. التي يعدها بمثابة كنوز ثمينة تحفظ في أفضل صورها من قبل مالكيها، الذي يرتديها ليل نهار في أفضل فترات حياته. كما يرتدون أيضاً مختلف البدلات الرسمية. ولكن لا يمكن أن يتصور المرء أين خبأ ذلك العامل المعطف الصباحي الذي ظهر يوماً وهو يلبسه، والمعطف ذو ذيل طويل كان شائعاً في حوالي ١٨٥٠" (هاملتون، طريق في كردستان، ص ١٤٢؛ أنظر كذلك الصورة رقم ١٩).

١٥- فيما يتعلق بالموضوع أنظر مثلاً، منحوتة ملك سمعل من سندشيرلي (برلين) وموكب الموسيقين (القسطنطينية) في وير، اللوحان ٢٥ و ٣٧.

١٦- يمكن [كان ممكناً] العثور على جوارب كردية أو نماذج من الجوارب الملونة التي صنعها يهود شرقيون من مختلف البلدان في مجموعة براور بالجامعة العبرية.



جالا (البنتال) وچاپوكسا (السترة) - من زاخو



نماذج أحذية (عن بنديه)

الأحمر (بيلاوا سموكه) فيستخدم داخل البيت. وأشهر أنواع الأحذية هو (قوندردّه)، وهو نوع من الأحذية العادية الواطئة. [والحذاء الجلدي المستخدم في العماديه يسمى كالكي]. أما في المناطق الجبلية فيستخدم الـ(رَشِكَة) العملي جداً لتلك البيئة^(١٧). والرَشِكَة

يصنع من الجلد (في ريكان)

أو القماش (في چالا [والعماديه]) وهذا الحذاء لايمكن الإستغناء عنه في الجبال الكردية بسبب المرونة التي يتمتع بها^(١٨). أما الخف الجلدي الذي أشار اليه بنيامين، فلا وجود له في كردستان^(١٩).

زي اليهودية في العماديه

يصف بنيامين الثاني بإختصار زي اليهودية في العماديه فيقول: "النساء يرتدين ثوباً ملوناً؛ وتلف المرأة على رأسها قطعة قماش أو نسيج، ليسترسل شعرها الأسود الى أسفل ليغطي الأكتاف. وهنّ حافيات، ولكنهن يتخذن زينة من حلقات ذهب وفضة لأيديهن وأذرعهن وأرجلهن؛ وفي بعض الأحيان يعلّقن حلقة في الأنف تتدلى على الفم" (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، ص ١٢٩). هذا الوصف ينطبق على نساء الريف، اللاتي تشبهن ملابسهن ملابس النساء السريانيات. مع وجود الكثير من الإختلافات الثانوية.

الـ(فستان (سُدرا) يشبه القميص الذي يرتديه الرجل، إلا أنه ذو ألوان زاهية وأطول بحيث يبلغ الركبة. وفستان العروس اليهودية أحمر اللون؛ في حين أنّ فستان

١٧- ماكلين، القواعد، ص ٢٩٧: ريشكه، "أحذية من الصوف المضغوط". أنظر الرسم التوضيحي في كتاب بنديه، كردستان، ص ١٥٠ (المعلق)؛ الى اليسار يوجد كالكة سوراني، والى اليمين چكمه. كذلك أنظر كرات، النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٧٠.

١٨- في الشتاء، هناك أيضاً أحذية خاصة للثلج، مصنوعة من إطار دائري وشبكة حبل.

١٩- [ولكنهم يستخدمون الخفاف المفتوحة من الخلف - الشبشب].

العروس الكردية أخضر. وسُدرا المرأة كقميص الرجل، ذو أكمام طويلة؛ وعند التصوير تبدو الأكمام على جانب واحد فقط، لأنها تعقد غالباً من الخلف وتوضع على الأكتاف كما عند الرجال. والفستان يزيّن بخطوط مطرزة تنتهي بريش.

والسروال الفضفاض (شرواله)، الذي هو من نوع "البنائيل القطرية" (ماكس تيلكي، الأزياء)، مصنوع من قماش ملون بالكامل أو من قسمين - القسم الأسفل ملونٌ يسمى سَر دَلينگا، والقسم الأعلى أبيض اللون.

والشئ المميز في زي المرأة (كما في زي الرجل) هو السترة (إيلكا) ذات فتحات الذراع التي لها شكل الحدوة. والإيلكا عند المرأة تبيّن بوضوح الغرض الجنسي منها؛ فهي قصيرة جداً وبمثابة مشدّ يعمل على إبراز النهدين. وتصنع الإيلكا في الغالب من الحرير الناعم وتكتمّ من الأعلى والأسفل فقط، وتترك الأنتشوبات والأزرار لتعمل كمجرد مادة للزينة.

والجانب الجنسي من الإيلكا يبرز بصورة خاصة في نوع يسمى إيلكا قرنقله "نسبة الى القرنفل" (مجموعة براور بالجامعة العبرية، ١٩:٣٩). وهذا النوع يزيّن عند النهدين بسلاسل من أزهار القرنفل. والقرنفل مثل جوزة الطيب، يعتبر مثيراً للشهوة الجنسية وهذا ما جعله يتمتع بدور مهم في أغاني العشق^(٢٠).

كما أن الإيلكا يطرز بغزارة في الغالب. وثمة نموذج ذو تصميم بوضوح أثر التقاليد القديمة ويحمل صورة لشجرة (مجموعة براور بالجامعة العبرية، ٦٠:٣٧).

وفوق الفستان والسترة يأتي الرداء الخارجي الطويل (فستانا) الذي يمنح المرأة اليهودية الكردية مظهرها النموذجي. فبواسطة الفستانا التي يبدو أنّها ذات أصل تركي^(٢١) وقد جيء بها مؤخراً، يتم تطويق المرأة تماماً.

وهذا الرداء الطويل المسترسل يجمع بين فتحة عند منطقة الصدر وبين التنورة. حيث أنّه عبارة عن سترة مفتوحة في منطقة الصدر وذات أكمام طويلة وفتحتين للذراعين مثلثتي الشكل، ألحق بها من الأسفل تنورة عريضة ذات ثنايا. ويستخدم لصناعته قماش قطني ذو أصل أوروبي. أما تلوين هذا الرداء فيحصل أحياناً بإستخدام أقمشة مختلفة الألوان في صنعه. وبدلاً من الفستانا، ترتدي العجائز

٢٠- مثلاً، يفرح القرنفل من جايبيهه؛ أنظر ديوان عمر بن أبي ربيعة، طبعة شوارتز، لايبزيغ ١٩٠١، ٥١، ١٢١.

٢١- آر. بي. أي. دوزي، قاموس الأزياء العربية، أمستردام ١٨٤٥، مادة فستانا. الفستانا ثوب خارجي تلبسه نساء المزارعين الفلسطينيين؛ أنظر مثلاً مولين، مجلة ZDPV العدد ٣: ١٦٨.

كورتكا ويشد دن شالاً على الخصر. وهي تشبه الكورتكا عند الرجال. والكيبعا رداء طويل يشبه الكورتكا ولا أزرار فيه وهو عريض ومفتوح، يحل محل الفستانا في زاخو وأربيل. ويشد الكيبعا في زاخو بشال أبيض عادة.



نموذج لزي نسائي (عن بنديه)

والشابات يرتدين كوتكت چوخ كالابدون "كوتكا

الصوف، ذو الخيوط الفضية: سترة سوداء مفتوحة ذات أكمام مربعة قصيرة جداً، وهي ذات نقوش غزيرة من الأمام والخلف تنقش بخيوط حريرية زاهية الألوان.

في العماديه وأطرافها (بيتنوره، چالا، ريكان، بارزان) تحصل الفتيات في وقت زواجهن على عبايا كيتيو "عباءة الأكتاف" التي يلبسها لأول مرة بعد ثمانية أيام من الزواج كعلامة على حالتها الاجتماعية. وهذا يوضح ما يسميه تيلكي بالميلان التصاعدي^(٢٢)، والذي كان في العهود المبكرة رداءً سامياً يبرز في المنحوتات^(٢٣). وقطعة القماش المستطيلة (بالكرديّة: چاروكه) التي تتوشحها نساء اليهود هي بصورة عامة مصنوعة من شعر الماعز الأسود (ماعز)^(٢٤). تحيط الجسم وتُعد عند

٢٢- تيلكي، الأزياء، الص ٤٠ وما بعدها.

٢٣- مثلاً، يشاهد مثل هذا المعطف الذي يغطي الأكتاف على المهاجرين الساميين في الصورة الجدارية في بني حسن (المملكة الوسطى). وهو من مادة منسوجة، ويحتوي التصميم "خطوطاً مستقيمة ومائلة ومتعرجة. ونقاطاً أغلبها أحمر وأزرق على أرضية بيضاء. لكن هذه الرسوم لاتعطينا فكرة عن التقنية المستخدمة في هذه الزخارف" (تيلكي، الأزياء، ص ٤٢؛ ترجمتها من الألمانية رافائيل باتاي).

٢٤- هناك نموذج من عباية كيتيو يتألف من أربع قطع من القماش عرض كل منها ٢٩ سنتيمتراً وطوله متر ونصف متر (مجموعة براور بالجامعة العبرية ٣٨: ١٠٦). والقماش من صوف مصبوغ بالأحمر وفيه خطوط خضر عمودية وأفقية، وتمت الخياطة بخيوط صوفية خضر. وحياسة القماش خشنة وغير منتظمة.

الكتف اليسرى بزراً خزري أزرق. وترتدي نساء السريان أيضاً دثاراً مشابهاً^(٢٥). وتجعل المرأة من شعرها عدداً [عادة سبعة أو ثمانية] من الضفائر (سوسياتا، سوسياسا) يتراوح عددها غالباً بين عشر وعشرين، وتلف حول رأسها قطعة من قماش قطني أسود ذي خطوط جميلة ومزينة بريش (پوشيه ميري جيفكه). وبدلاً من هذا يستخدم العجائز الكسروان، وهو قماش أسود مطرز بخيوط بيض من الحرير. وعادة تكون المرأة حافية صيفاً. وفي الماضي، كانت تنتعل الجكمه أحياناً، وهو جزمة ذات مقدمة ملفوفة؛ لكنها في أيامنا هذه تنتعل الحذاء العادي (قوندراه).

الأزياء في سنه: زي الرجل

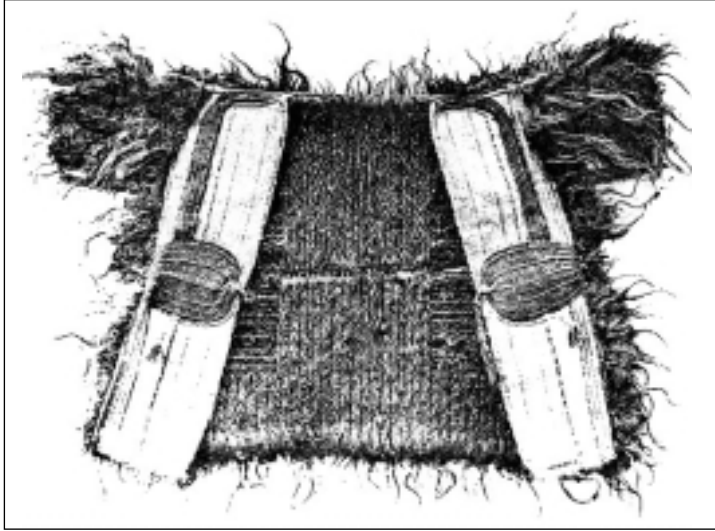
لنتحدث باختصار عن الأزياء في سنه، التي يبدو عليها التأثير الفارسي واضحاً. فزي الرجل هنا أيضاً يتألف من قميص أبيض (سورا)، لكن الفتحة عند العنق ليست أمامية بل هي جانبية^(٢٦)، وليس للقميص أكمام عريضة متدلّية. والبنتال (شرواله) أبيض اللون وأضيق من الذي يرتديه سكان المنطقة الجبلية.

وفوق القميص يأتي الرتاليت) الصغير. أما السترة (بالعربية: سوخمه، [والأصح: زخمه]) فقد ظهرت في سنه منذ حوالي ثلاثين سنة. والرداء الخارجي هو ال(ألخالخا)، عباة لا ياقة لها مبطنه بالقطن ومخططة (ميول ميول). والأكمام مشقوقة من المرفق إلى الخصر ومعقودة بانشوطات وأزرار من النوع الذي سبق بيانه (دوگمي هالكه). وفي الآونة الأخيرة تم إحلال الكيبعا محل الأخالخا. والكيبعا غير مبطن ومصنوع من مواد مختلفة الألوان لكن تفصّاله يشبه الأخالخا. وفي العادة يسرف الشباب في تطريز كيبعا تهم.

أما بالنسبة للأزياء التي يلبسونها خارج الدار، فال(عابا) التي تستورد من فارس ودمشق كانت الزي الشائع في السابق؛ لكن مع بدايات القرن الحالي (القرن

٢٥- مثلاً، كلدان قرقوش (بالقرب من الموصل)؛ أنظر هنري فيلد، العرب في وسط العراق، شيكاغو ١٩٣٥، اللوحة ١٣٩ وما بعدها. لا يذكر فيلد اسم الثوب. ويصف زي الكلدان: "يرتدون معاطف سود ثخينة (أزار) تتدلى إلى الأرض، وتغطي العجائز رؤوسهن بقماش أسود (كقبة)، فلا يرى منهن غير الوجه والأكف والأقدام العارية غالباً" (ص ٤٣٣). ولا يذكر بادجر ولا بيركس الميلان التصاعدي. ويمكن الحصول على رسم توضيحي جيد لإمرأة كردية تضع معطف الكتف، من مجموعة هيلبريخت، في: فرانز سي. إندرس، تركيا، ميونيخ ١٩١٦، ص ٤٨.

٢٦- "يتميز القميص الفارسي بأن فتحة العنق فيه جانبية" (تيلكي، الأزياء، ص ٢٥؛ ترجمه عن الألمانية رافائيل باتاي). وليس لهذا القميص أكمام واسعة متدلّية (المصدر نفسه، ص ٨٢).



أحد أنواع المعاطف الكردية (عن بنديبه)

أنَّ وزنها يبلغ حوالي أربع كيلوغرامات. وتغطي المرأة نفسها، عند إجتماعها الشوارع بقطعة قماش سوداء كبيرة (چارچيو).

تعتبر الجوارب البيض الحذاء المعتاد، والعجائز يلبسن فوقها (سيامي جورجي) التي هي أحذية مصنوعة كلية من القماش دون نعل جلدي. كما تلبس الأحذية العادية، التي تصنع على الطراز الروسي وتسمى (إروسي). والتاثر بأوروبا عند النساء هو بنفس قوة التاثر عند الرجال.

العشرين - المترجم) حلت محلها سترة (ليواد) التي لا ياقة لها. أما الشباب الذين يهتمون كثيراً بالأناقة فيرتدون السرداري أو الكولاجا الفارسية. وهو رداء ضيق يبلغ الركبة طولاً ومطرز بخيوط ملونة.

وغطاء الرأس يتألف من قبعة (عرقچين) فوقها قبعة من اللباد (كسيلا؛ وبالكرديّة: كولي) تغطي الرأس بأكمله. ويلف المعمرون شالاً (دَسَمال) حول الكسيلا. وثمة نوع آخر من غطاء الرأس (چاكي) وهي قبعة طويلة تُصنع من الفراء الطبيعي أو الإصطناعي. ولكون سنه تابعة لفارس، فإنها باتت هدفاً للعلمنة التي انتهجها رضا شاه؛ وقد أرغم اليهود كغيرهم على ارتداء الزي الأوروبي.

الزياء في سنه: زي المرأة

كما هو الحال مع الرجال، فإن أزياء النساء في سنه تبين التاثر الكبير بالنفوذ الفارسي. وتضم الملابس النسائية الداخلية قميصاً (سورا) مجرداً من الأكمام العريضة المتدلّية الموجودة في العمادية، وبنطالاً طويلاً ملوناً (پانتول).

وفوق البنطال يأتي العديد من الملحقات: أولاً حزام ضيق من القماش (كَمَرَبند) يُشد على الخصر بخيط ويبقى مشدوداً في الليل أيضاً، ثم تأتي تنورة قصيرة (شالته) ثم تنورة أطول (شروالي لعيفاني) مبطنة بالقطن لتبدو متينة. وإضافة إلى هذا، إعتاد بعض النساء إرتداء تنورة الباليه الفارسية (شروالا تنكا).

وفوق القميص تأتي بلوزة (ألخالخا). وهي مفتوحة من الأمام ولها أكمام فارسية الطراز مشقوقة ذات أطراف مطرزة من الداخل. وقد حلّ الد(يلك) مؤخراً محل الأخالخا، واليلك سترة تشبه اليلكا لكن أكمامها عادية. وتُعدّ عند لبسها. والأكمام مشقوقة من الإبط حتى الخصر ويتم ربطها بواسطة خيط مع أزرار. وأحياناً يُقلب طرف الكم. وفي الغالب ترتدي المرأة (كولا جاه) فوق البلوزة أو السترة، وهو رداء طويل يبلغ الركبة ومفتوح من الأمام، ويشيع استخدامه في الشتاء لأنّه يغطي الجسم بالكامل.

وقد إعتادت العجائز في الماضي إرتداء قبعة (كسيلا) مع لف قماش من الحرير (پوشين) حولها وفوق ذلك قطعة قماش كبيرة (جكه) التي تُشدّ أحياناً تحت الذقن. ومنذ حوالي عام ١٩٠٠ تخلت نساء الأغنياء عن هذا الطراز من أغطية الرأس. وصار يُلف شريط طويل من القماش (كالكا هي) حول الكسيلا لتتكون عمامة ثخينة توضع على الرأس مع ميلان قليل إلى أحد الجهتين، وتزيّن العمامة بالدبابيس والحلي حتى

المأكل

لدى مقارنة أطباق اليهود الكرد مع أطباق اليهود اليمانيين، نلمس بوضوح إختلافات عظيمة بين هذين المجتمعين اليهوديين اللذين يعيشان ظروفاً متقاربة.

يقطن اليهود الكرد واليمانيون منطقتي مرتفعات. لكن اليمن أرض مروية وزراعة الخضروات فيها متطورة. ولاتصلح لرعي السائمة. أما كردستان فهي على العكس من ذلك أرض مراعى في الغالب. كما أنّها تتعرض لكميات من الأمطار تكفي لزراعة المحاصيل الديمية وظروفها ملائمة لإنتاج المحاصيل المروية كالفاكهة والخضر.

واليهودي اليماني، كجاره العربي، نباتي بصورة كاملة تقريباً. وحتى في المدن فإنه لا ياكل اللحم إلا في أيام السبت والأعياد. والسمن - الزبدة - عنده يُعدّ من طعام المترفين^(١). حيث أنّ الخبز والثريد والخضروات هي الطعام الرئيس لليمانيين؛ أي أنّك (وكما ذكرنا مراراً) لاتجد عندهم "الأنواع المترفة" إلا نادراً.

لكن الأمر بالنسبة لليهودي الكردي مختلف تماماً. فهو بموقعه الكائن بين الكرد الرحّل والمزارعين الكرد والنصارى، يتمتع بمناخ نوعي الموارد الإقتصادية. واليهودي الكردي أكل اللحم؛ وأطباقه حافلة بما يريده من نتاجات حقول الحيوان. وفي الوقت ذاته، تمثل الحبوب والخضروات والفواكه جزءاً من أطباقه. وهو يستهلك كل هذه الأصناف من الأطعمة؛ كما أنّ الطعام زهيد الثمن في كردستان. إنّه يحب الأكل، والكمية التي يلتهمها الرجل الصحيح مذهلة. ولهذا نجد بين اليهود الكرد أشخاصاً أقوياء جسمياً وبنياً. لكنك تجد نسبة السمنة عندهم (رغم كونهم مغرمين بالأطعمة الدسمة) قليلة وذلك بفضل الظروف المعيشية التي تحول دون ذلك. فكردستان أرض قاسية التضاريس والمناخ؛ ولايستطيع سكانها أن يعيشوا حياة الخمول والكسل التي يعيشها سكان المناطق الأكثر دفئاً.

الخبز

يعد الخبز من الأطعمة الأساسية بالنسبة للكرد الرحّل، ولطالما لاحظ الرحالة بدهشة أنّهم قادرون على الحصول على الخبز من المخيمات الكردية. وبالنسبة

١- أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور، الص ١٠٥-١٠٦.

لليهود الكرد فإنّ الخبز يعتبر طعاماً رئيسياً. حيث يتم عادة شراء ما يكفي للسنة كلها من الحبوب للخبز في موسم الحصاد. وبصورة عامة يحصل التجار على جزء من المحصول عن طريق المقايضة.

تحفظ الحبوب داخل جرار عظيمة تحت الأرض^(٢) يتسع كلّ واحد منها لحوالي ستين رطلاً (١٥٤ كيلوغراماً)، وتُغلق فوهة الجرة بالطين. وفي بعض الأحيان تحفظ الحبوب أيضاً في قراب من جلد الغنم (في العمادية وزاخو: ميزيده). وفي أشنويه تحفظ بالطريقة القديمة، داخل حفر معدة لهذا الغرض، تسمى *چاله* (بالكردية) التي لاتستخدم في زاخو والعمادية إلا عندما يكون هناك فائض في المحصول لاتستوعبه وسائل الخزن الأخرى.

وقبل أن تتطحن الحبوب، تقوم النساء بتنظيفها من الشوائب ثم يغربلنها بغرابيل (*أرباله*) مختلفة الأحجام من حيث النعومة. أما عملية الطحن فتجري في المطاحن المائية (في العمادية وزاخو: *إيرخه*، وفي سنه: *أورخيل*)، التي يملك اليهود بعضها. وفي زاخو توضع قطعة من الحديد فوق الكيس عند نقل الحبوب (أو الدقيق في بعض الأحيان) الى أو من المطحنة، أما في العمادية فيجري هذا في الحالة الثانية فقط، أي عند نقل الدقيق من المطحنة^(٣). وينبغي أن يقدم أول رغيف يُخبز من الدقيق الجديد الى رئيس العائلة.



لم يعد طحن الحبوب بواسطة الرّحا (في زاخو والعمادية: *كيروستا*) - أصعب مهام المرأة عند اليمانيين (براور، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٢٠٨) - معمولاً به في كردستان إلا في المناطق الريفية (مثل ريكان). أما في المدن فإنّ الرحا يستخدم فقط في

البيوت لطحن الجريش (*كرسه*) والبرغل (*كوركور*) والشوفان. ويستخدم الرحا (في

٢- في العمادية وزاخو: *كبيورا*، وتجمع على *كبيوريرا*؛ وفي سنه: *كوارا*.

٣- في ريكان وچالا يُنثر الرماد على الكيس.

زاخو: كاشكيري، وفي السليمانية: دَسْتَار) لطحن حبوب عيد الفصح. ويتم خزن الدقيق في البيوت داخل وعاء فخاري ضخم ذي أربع قوائم (في زاخو: سيخوپه، وكذلك في العمادية أو يسمى كواره). فمثلاً إذا سالت في يوم الصوم: أهيت سيما ويتن؟ "هل أنت صائم؟"، يرد عليك غير الصائم: هي وين سيما سوم سيخوپه "نعم أنا صائم صوم/السيخوپه" (هذا في زاخو والعمادية).

في المدن، يصنع الخبز من القمح (خيته). وفي أوقات العوز تستخدم الذرة (خوروقي) أو الدخن (بريگه، وبالكرديّة: گارس) بدلاً من القمح. أما في الريف، فإن خبز الذرة هو الأساسي، مع وجود إستثناءات. كما أنّ فقراء المدن يخبزون الشعير (شعيره) أو الدخن (تاهله).

هناك نوعان من الخبز: الذي يُخبز على الصاج، والذي يُخبز في الفرن. ولتُضاف الخميرة (خَميره) إلى عجين الخبز (ليشه) الذي يُخبز على الصاج. وعندما تقوم المرأة بإستخراج الدقيق من الكيس، تقول: براخت إيليا هو نيقي هويبا كيوه! "يا بركة النبي إيليا هو حلّي عليه!" وعندما تصب الماء في العجين تقول همساً لعدة مرات: شيم شاداي! [بالعبرية وتعني "بسم الله"]; ثم تعجن العجين في إناء العجن^(٤) وتقول: إيداسيت سارا إيمينو هيوه كيوه رزقت فقيره جيره مامبيلت كيوه لتكن يد أمنا سارا فيه، وليكن فيه العون للفقراء البائسين" (في العمادية).

توضع قطعة من العجين (كوسه)^(٥) على منصة الخبز الواطئة (خوانه). وتضع الخوانه في العمادية وزاخو من الكاسه [الطين]. ويتم بسط قطعة العجين أولاً بواسطة محلاة خبز غليظة (دورينا)، ثم بأخرى رقيقة (في زاخو والعمادية وسنه: كيره)، ليصبح العجين قرصاً دائرياً منبسطاً (طلومصه [طلومته أو طلوما]). وتوضع الطلومصه على الصاج (دوگا، في العمادية وزاخو ودهوك وأشنويه وسنه؛ وبالكرديّة: ساج) بواسطة عصا. والصاج هو عبارة عن إناء حديدي مقعر قليل العمق، يشبه مقطوعاً من كرة جوفاء، ويوضع بصورة مقلوبة على الكانونه أو على فرن (تنور أو [تنورا]). ويشوى الخبز من الجهتين قليلاً ثم يُرفع ليوضع في سلال.

وهذا النوع من الخبز (لاخميت دوقا أو لاخميت رَقيقا، الخبز الرقيق) هو الذي يستخدم للأكل عادة، وخاصة في فصل الشتاء عندما يصعب الخبز بواسطة التنور.

٤- في العمادية: تَشْتَه، وفي سنه: مَرَكَان.

٥- المراحل المختلفة في عملية صنع الخبز هي: ليشه، كوصه، باتوحيت كوصه، دَوَارته، طلومصه (في زاخو والعمادية).

وفي العمادية تُخبز كمية من لاخميت دوقا تكفي لأسبوع دفعة واحدة. وهناك عائلات تخبز في كل مرة كمية تكفي لأسبوعين. وإذا يبس الخبز يتم تليينه برشه بقليل من الماء. وفي مناطق أخرى تجري عملية الخبز مرة أو إثنين كل أسبوع.

أما الخبز المخمر وهو أثن من لاخميت دوقا فيُخبز في فرن. إذ يترك العجين بعد إضافة الخميرة إليه طوال الليل. والتنور يبدو وكأنه برمّل خزفي يوضع على الأرض أو يُدفن فيها. يُحرق بداخله الخشب حتى تسخن جوانبه.

وكما في لاخميت دوقا، يُبسط العجين على منصة خبز إلى أرغفة أكثر أو أقل رقة، ثم يوضع الرغيف على وسادة الخبز^(٦) ويلصق بالجدار الداخلي للتنور. وعندما يصبح الرغيف جاهزاً يُستخرج بواسطة قضيبين.

وبينما يأكل يهود الحضر خبز الحنطة (كما ذكرنا)، فإن يهود القرى يأكلون الخبز المصنوع من الذرة. وخبز (بريگه) الثخين غير المخمر الذي يُخبز على الدوقا يسمى تَپَيِنِكِه في مناطق بيتنوره وريكان (والإسم الكردي هو نفس هذا الإسم)^(٧). وفي هذه المنطقة، فإن الخبز المخمر الذي يُخبز في فرن الكانونا يسمى كوليره أو كولوره (في العمادية) وهو مستل من الإسم اليوناني ^(٨) κολοκύθα.

وإضافة إلى الخبز، يخبز اليهود الكرد عدداً كبيراً من أنواع الكعك والخبز המתاز، كالأصناف التي يتم إعدادها في أيام الأعياد والمناسبات.

أطباق اللحم

ذكرنا فيما مضى أنّ اليهود الكرد بخلاف اليهود اليمانيين أكّالون للحم الرخيص الثمن ومتوفر بكثرة في كردستان. حيث أنّ البنية الإقتصادية لكردستان تركزت على العدد الهائل من الماشية. وتتألف قطعان الكرد الرحّل في أغلبها من الغنم والماعز. في حين أنّ الأبقار قليلة، وذلك يعود إلى عدم ملائمتها لمراعي البلد الجبلية.

وفي المدن، يمكن الحصول يومياً على لحوم الحيوانات المذبوحة. لكن هذا غير ممكن في الريف، فرغم وفرة الحيوانات، نجد الشوحيط الذي يقوم بالذكاة الشرعية

٦- في العمادية: مارزاک، وفي سنه: مازراکه، وفي أشنويه: ريفيده.

٧- أي. ژابا، قاموس كردي فرنسي، سانت پيترسبورگ ١٨٧٩، ص ٩٤: teptep: خبز دائري.

٨- ژابا، القاموس، ص ٣٠٩.

٩- في العمادية: كيشثا وتجمع على كيشثا؛ والديك الصغير هو: وارک أو فروج. والديكة، ديكل، لاتؤكل إلا قليلاً.

اللحم المحفوظ

يحتمل اللحم المحفوظ جزءاً هاماً من موائد اليهود الكرد. وهناك أنواع عدة من اللحم المحفوظ، فالنوع الذي يُحفظ بكميات كبيرة يسمى قَلِيه، ويصنعه الكرد أيضاً، والقاورمه وهو لحم بقر مملح يبقى صالحاً للإستعمال لأكثر من سنة ويُستخدم في أطباق السبت. والقاورمه غير معروف عند الكرد.

إنّ الإستخدام الواسع للحوم المحفوظة يعود لسببين. الأول، أنّ اليهود في الكثير من التجمعات السكانية الصغيرة قد لا يكون بينهم شوحيط مقيم ولايزورهم الشوحيط الذي يعرف الذكاة الشرعية إلا في فترات متباعدة، وهذا قد يجعلهم يفتقرون الى اللحم ما لم يخزنوه. والثاني، أنّ حفظ اللحم يمكنهم من الإنتفاع بحيوانات الخريف السمينة وضمان توفير كمية من اللحم الجيد السمين للشتاء حيث لاتوجد المراعي.

إنّ عائلة كبيرة نسبياً تذبح حوالي ثمانية نعاج سمينة لحفظ لحومها بطريقة القَلِيه، الطريقة الأكثر إستخداماً لحفظ اللحم. وتجري العملية في الطابق العلوي من المنزل، حيث تقطع الآلية (في العمادية: إلبثا) الى قطع صغيرة تغلى حتى تذوب. وينبغي الإحتراز من خلط سمن الحيوان الذكر بسمن الأنثى: إذ يُقال أنّ الأجناس تتنافر؛ ولايغلي السمن. بعد ذلك يتم تقطيع الجثة الى قطع كبيرة يتم غليها على نار هادئة. أما قطع السمن التي لم تذب فتسمى سيسكه وتستخدم لصنع زيتت سيسكه، وهو نوع من الخبز يُخبز على الدوقا ويحتوي البعض من هذا السمن غير الذائب (في العمادية). وفي النهاية، يُصب السمن السائل على قطع اللحم الناضجة تماماً؛ ويوضع اللحم بعدما يبرد في أوعية كبيرة (سيد/نكا) مدفونة تحت الأرض. تملأ عائلة كبيرة عشراً أو إثني عشر منها، حيث يقدر أن يكفي الواحد منها لشهر. وتؤكل القليه من السوكوت الى السوكوت*.

والقَلِيه الخاصة عيد الفصح، يتم إعدادها بعناية فائقة، تراعى فيها تعاليم حامس بدقة، يضاف إليها عدم حضور المرأة الحائض والطفل إعدادها (في العمادية).

* السوكوت (أو السوكوس أو السوكوت): من الأعياد اليهودية، يمتد لثمانية أو تسعة أيام، من شهر تشرين الأول في التقويم المدني اليهودي، والسابع في التقويم الإكليريكي. يأتي غالباً في تشرين الأول ويحتل أحياناً جزءاً من أيلول). وينون في هذا العيد سقائف موقته إحياءً لذكرى اليهود الذين بنوا السقائف في فترة التيه في الصحراء، ويسمى أيضاً عيد السقائف. سفر لبقيتيكوس ٢٣:٢٣-٤٤. (المترجم).

غير متوفر. لذا لاياكل اليهود القرويين اللحم الطازج غير مرتين في السنة، ويعتمدون في ما تبقى منها على اللحم المحفوظ، الذي يخزنون منه كميات كبيرة.

ولحم الضان (پسريت إربه) هو أكثر أنواع اللحم شيوعاً، ويفضل لحم الشاة (في زاخو والعمادية: إيونتا، وتجمع على: إوينه). أما لحم الماعز (إزه) فهو غير مرغوب. ويسمى پسريت كومه "لحم الأسود"، على العكس من پسريت هوويره "لحم الأبيض" الذي هو لحم الضان (في العمادية وزاخو).

أما يهود سنه، فيفضلون لحم البقر (پسريت تورا). وفي أماكن أخرى يقتصر أكل اللحم البقري على الشتاء، حيث يترك البقر في الصيف ليرعى ويسمن.

وأفضل أنواع اللحوم هو لحم الدجاج^(٩). فلاينبغي أن يخلو منه عشاء السبت أو طعام أي عيد آخر، كما أنّ هناك من بين إحتفالات الزواج أمسية تسمى ليل كيثيثا "ليلة الدجاج"، بسبب العدد الكبير من الدجاج الذي يُستهلك في تلك المناسبة. وتقدم قطع الدجاج الباردة كمرّه، المقبل الكردي الذي تبدأ به كل الإحتفالات.

وهناك طائر آخر مستطاب هو كوكوينا أو كوكوانتا^(١٠) وهو نوع من الحجل (*Perdix cinerea*). هذه الطيور يصطادها الكرد وهي حية وبيعونها الى اليهود الذين يربونها داخل أقفاص (سوته، [في العمادية: ليسه]) كطيور داجنة، إذ أنّ تغريد هذه الطيور يطربهم. بل أنّ ولع البعض من اليهود الكرد بالكوكوانتا دفعهم الى جلبها معهم الى فلسطين عندما جاؤا إليها.

كما يؤكل العصفور الدوري^(١١). وينبغي أنّ تكون ذكاته شرعية. ويتم إصطياد هذه العصافير بشراك^(١٢). وعندما يمك الأطفال بعصفور يمكونه من رأسه ويغنون: چوچه چوچه قوينا باده، گازا نده، ديتيه بردم يا عصفور، يا عصفور، هرّ نيلك، ولاتصرخ، فساطلق سراكك (في زاخو، بالكردية). وتُشك العصافير في أبر حديدية طويلة وتشوى على النار. ويأكلها الأطفال أو تقدم على أنّها مرّه.

١٠- كيكوانا أو كوكوانا (آرثر جي. ماكلين، قواعد لهجات السريانية العامية...، كمبرج ١٨٩٥، أكسفورد ١٩٠١، ص ٢٨٤) وكوكوانتا (مارك ليدزبارسكي، ص ٥٥٧)، هو الحجل الآسيوي ذو السيقان الأحمر.

١١- في زاخو: چوچکئا وتجمع على چوچکيئئا؛ وفي العمادية: سيخانديك؛ وفي سنه: ميريژي.

١٢- في العمادية: تاپيكسه (المأزق) أو فرهاكييئا (الشرك). يحرم على اليهود إصطياد الطيور بمصائد مصنوعة من أغصان اللبمون لأنها قد تؤدي الى كسر ساق الطائر.

والنوع الثاني من اللحوم المحفوظة هو اللحم البقري المملح (في العماديه وزاخو وسنه: *پسرا قاورمه*، أو في العماديه: *پسرا ماكسود*، [بلغة التارگوم: *پسرا دويكا* أو *پسرا كفيتا*]؛ وفي زاخو: *پسرا كزيدا*)، وهو كما ذكرنا غير معروف عند الكرد.

وتصنع القاورمه فقط من لحوم الثيران أو الأبقار السمينة جداً، كتلك التي يجيد السريان (النصارى) تربيتها. وتهيء كل عائلة يهودية واحداً من هذه الحيوانات في *هانوكا**. ويقطع اللحم الى شرائح تخلل داخل أوعية طويلة مدفونة (*إيلينا*)، تغطي بغطاء من جلد، ليبقى اللحم حتى شاقوعوت. وأثناء إعداد القاورمه يغني يهود سنه:

قاورمِي پزانمانه: لحم مخلل من لحم غنمنا

جَزْنِي خومانه: إنه عيدنا

قاورمِي پزانه: إنه لحم غنم مخلل

گوشت هرزانه: اللحم رخيص الثمن

وفي الريف يحفظ اليهود اللحم بطريقة ثالثة هي التجفيف، واللحم المجفف يسمى *پسرا قيسا* (في أربيل وريكان وهوره، ونيره وچالا وكاكون)^(١٣). حيث يملح لحم الحيوانات المذبوحة في سوکوت، وخاصة الأبقار، ويُعلق حتى يجف. ويُحفظ حتى عيد الفصح.

ويعد النساطرة *التليه* بطريقة مشابهة. لكنهم يعلقون جثة خروف كاملة، ثم يقطعونها منها جزءاً من حين لآخر. ويؤكل البعض من هذا اللحم دون أن يُطبخ.

منتوجات الألبان

تفوق مشتقات الحليب في الأهمية، عند شعب كردستان، اللحم ومشتقاته. فالأعداد الهائلة من الأغنام والمواشي تزود السكان بكميات من الحليب هي أكبر بكثير مما يمكن لهؤلاء إستهلاكه.

ويعد الحليب الذي يأتي من الأغنام والماعز التي يملكونها، والأنواع الكثيرة من

* الهانوكا أو هانوخا: الإحتفال السنوي اليهودي بذكرى إستعادة الهيكل في القدس بعد إنتصار اليهود في ١٦٥ ق. م. على السوريين الذين دنسوا الهيكل؛ وهو عيد الإسترداد؛ وعيد الأنوار. حيث توقد الشموع طوال كل أيام العيد الثمانية. ويسمى أيضاً *چانوكا*. ويأتي هذا العيد في شهر كيسليف (الشهر التاسع في التقويم الإكليريكي اليهودي، والثالث في التقويم المدني، ويوافق أجزاء من شهري تشرين الثاني وكانون الأول). (الترجم).

١٣- يسمى في برشه وريكان أيضاً *پسرا كات*. ويمكن أن يؤكل دون طبخ.

مشتقاته من الأغذية الأساسية للرحل من الكرد. حتى أنه في بعض المناطق لا تحتل الحبوب إلا مساحة قليلة جداً من موائدهم. والخبز هو من الكماليات فلا يمكن الحصول عليه إلا في بعض المناسبات، في حين أن الحليب والجبن هما الطعام الوحيد المتوفر. وهذا التضخم في إنتاج الحليب يؤدي عادة الى هبوط في أسعار منتوجات الألبان.

ورغم أن اليهود أقل شبيهاً بالكرد الرحل منهم الى السكان المستقرين الذين يعيشون عادة على الحبوب والخضروات، فإن منتوجات الألبان تتمتع بدور هام في موائدهم وخاصة في الأرياف، حيث لا ياكلون اللحم إلا في السبت. ويحصل اليهود على الجزء الأكبر من الحليب ومنتوجات الألبان من الكرد. رغم أن البعض من اليهود يمتلكون الأغنام والماعز أو البقر. ولكن قطعان الأغنام تفوق بما لا وجه فيه للمقارنة قطعان الماعز والبقر، فإن منتوجات الألبان هي في الغالب من حليب الغنم.

والحليب الطازج (في زاخو وسنه: *حالفا*)، [وفي العماديه: *خالقا*]، وبالكرديّة: شير) قليل الإستعمال، إذ أنه يقدم فقط للأطفال والمرضى. والحليب المخثر (اللبن الرائب) هو الذي يلقى الحظوة في كردستان، كما هو الحال في أغلب البلاد التي يتخذ أهلها تربية الحيوانات^(١٤).

ولصنع اللبن (*ماستا* بالفارسية، و*ماست* بالكرديّة)^(١٥)، يصفى الحليب الطازج ويسخن، ثم يضاف اليه القليل من اللبن الرائب (في زاخو والعماديه: *هوين*)، ثم يترك حتى صباح اليوم التالي. وتطفو القشطة (في العماديه: *سرتون*)، وفي زاخو: *سرتيكا*)^(١٦) على السطح. ويستخدم *ماستا* إما لصنع الزبدة أو كأحد مكونات الأطباق الأخرى. ولصنع الزبدة يوضع *الماستا* في ممخضة (في العماديه و*برشه*)، بالكرديّة: *مَشْكَه*، وبلغه التارگوم: *گوده*)^(١٧) التي هي عبارة عن قربة من جلد غنم معلقة على شجرة تقوم المرأة بخضها وهي تغني "أغاني الخض".

ثم يتم تفريغ الممخضة من الزبدة الحلوة (في العماديه وزاخو: *نيقيشك* أو *كره*)

١٤- أنظر مثلاً: براور، *Zuge aus der Religion der Herero* (أنظر نتاجات المؤلف)، الص ٤٨-٤٩ و ٥٥.

١٥- ماكين، علم النحو، ص ١٨٦.

١٦- زايا، القاموس، ص ٢٣٩. *سرتو* "زبدة الحليب التي تستخلص من حليب غير بقري".

١٧- حول الممخضة الكرديّة أنظر: مارتيني، *Kirne und Girbe*، ص ٩٧ (نشره أف. فون لوشن)؛ أنظر أيضاً الصورة التوضيحية رقم ٨١، الحامل الثلاثي والممخضة. هذا ولم يورد مارتيني اصطلاح *مَشْكَه*.

والراشح المتبقي يسمى (دوو). وينبغي إستخدام الزبدة الحلوة وهي لاتزال طازجة. وهي تؤكل، مثلاً، مع الشاي (نيقيشك چاي). ويضاف الملح الى الزبدة اذا أريد حفظها لأية فترة. والزبدة المملحة تسمى مَشْكا (في العمادية وأشنويه)^(١٨).

ويستخدم اللبن في الطبخ، خاصة في الربيع والصيف حيث يرتفع إنتاج الحليب. ويؤكل ماستا مع البرغل أيضاً. ومع جذور كارانگه (الذي يسمى في اللهجة العراقية الدارجة كعُوب - المترجم) [في العمادية: كَنگَر؛ جذور ذات أشواك وأوراق غليظة] يتم تقطيعه الى قطع صغيرة تشكل مع الماستا، كارانگه ماست (في زاخو) أو كَنگَره گو ماستا (في العمادية) الذي يُقدّم للعروس في مراسيم تبّقه.

والجين (في زاخو والعمادية وسنه وأشنويه: گویتا؛ وبالكرديّة: بِنِر أو بِنِير) هو منتوج آخر من منتوجات الماستا (يبدو أنّ تمّ إلتباساً هنا فالجين يُصنع من الحليب وليس من اللبن، ماستا - المترجم). وفي بعض الأحيان يُجفف گویتا ويُحفظ للشتاء. أما (دوو)^(١٩) الراشح الذي يتخلّف عن عملية الخضّ، فهو مشروب واسع الإلتشار، فليس هناك مادة أخرى تتقدم عليه في الكمية التي تستهلك منه صيفاً.

ويستخدم جزء كبير من الحليب المزال عنه القشطة في صناعة الجبن الأبيض (في العمادية وسنه: كَشْك). ويتم خزن كمية من الكَشْك المجفف للشتاء، حيث يُجرش (في ميگو: مجرشة) ويذاب في الماء كما هو الحال مع مسحوق الحليب المجفف. كما يُطبخ الكَشْك المجروش مع جريش الحنطة لتصنع منه كَشْكِيه (في العمادية). [يصنع الجبن في كيس يسمى دويعيت كيستا، كيس الجبن. وهذا الجبن خالي الدسم. وعند تجفيف هذا الجبن بتعريضه الى الشمس فإنّه يتصلّب وعندها يسمى كَشْك. والكَشْك الذي يتم تليينه في الماء، يُطبخ مع الرز والعسل أو الزبدة. وفي العمادية يُطبخ الكَشْك مع البرغل، أو ما شابه، وهذا الطبق يسمى كَشْكِيه].

وهناك ژاژيك الذي يُصنع بإضافة سيابو، وهو نوع من العشب يشبه الكرفس، الى الدوو المحفوظ في ميريذا/ التي هي قريبة مصنوعة من جلد [غنم] (ماكلين، القواعد، ص ٤٣). وهذا يؤكل شتاء في العمادية مع الشاي في وجبة الفطور.

١٨- مشخا (في زاخو والعمادية بالكرديّة: روني؛ وفي أشنويه بالكرديّة: روم) هو الزبدة المانعة.

١٩- أنظر: ماكلين، القواعد، ص ٦١؛ ژابا، القاموس، ص ١٩١؛ جي. دي مورگان، بعثة علمية الى فارس، باريس ١٨٩٥، ص ١٤٣. "وهو عبارة عن خثرة اللبن ومصله مضافاً إليه الماء، ذو حموضة خفيفة، وبارد عادة لأنهم يحفظونه في جلد مسامي - وهو أكثر المشروبات المتوفرة إنعاشاً" (إي. بي. سون، رحلة متنكر الى ميسوپوتاميا وكردستان، لندن ١٩١٢، ص ١٦٨).

الخضروات (بيركه)

سبق وأن ذكرنا أنّ اليهودي الكردي يشبه الكرد المستقرين في المدن والقرى من المزارعين أكثر مما يشبه الكرد الرحّل. ومائدته متنوعة تضم الخضروات والبقول إضافة الى اللحم ومنتوجات الألبان.

وأكثر الخضروات شيوعاً في العمادية: باعجانني سموكه (الطماطة) وبعجانني كومه (الباذنجان) وبادونس (البقدونس) وباميا (الباميا) وبسله (البصل) وكليم (اللهانة) وتوما (الثوم) وقرعا (القرع) والحمص [حمص] والبقول [في العمادية: فاسولي أو لوبيا].

البرغل والرز

يمكن للمرء الجزم بأنّه ليس ثم طبق لحم أو لبن يأكله اليهود الكرد دون أن يكون من مكوناته البرغل أو الرز. ويتم إعداد البرغل (في العمادية: كُرگَر، وفي زاخو: كُرگَر) كالتالي: يتم غلي الحنطة في ماريگلا [إناء] كبير حتى تنتفخ الحبوب. بعدها تُنشر هذه الحبوب المغلية على الأرض حتى تجف، ثم تُدق من قبل شابئين قوينن يجلسان متقابلين وبيدقان الكُرگَر دقاً إيقاعياً متناغماً بقضيب خشبي (في العمادية: داگوچك، وفي زاخو: ميكوتك، وفي سنه: ميكوت). ويُرش الكُرگَر بالماء في أثناء عملية الدق؛ وعندما تنتهي العملية، يُنشر الكُرگَر على الأرض ثانية حتى يجف. وفي صباح اليوم التالي تدعو ربة البيت مجموعة من البنات الى دارها لمساعدتها في طحن الكُرگَر بواسطة الرحا، وبعد الطحن يُخزن في أكياس من الجلد (ميزيده). وتوفر كل عائلة حوالي عشرة من هذه الاكياس لنفسها.

وتجدر الإشارة الى أنّ يهود العمادية وريكان وضواحيهما يحضرون الكُرگَر في ليالي أومر [أي بين عيد الفصح وشافوعوت]*. وفي زاخو، يتم تحضير كمية قليلة خلال هذه الفترة، أما الكمية الرئيسية فيتم تحضيرها في ليالي سيليجوت** من

* ليالي أومر: تسع وأربعون ليلة تفصل بين عيد الفصح وشافوعوت، يحرم فيها المتشددون من اليهود حفلات الزواج والإحتفالات الأخرى إلا في يوم لاک با أومر. (المترجم).

** سيليجوت: أيام الصوم في الأسبوع الذي يسبق روش هاشانا (وهو من المناسبات المقدسة، يحتفل فيه بالعام الجديد في اليومين الأول والثاني من شهر تشرى - أي في شهر أيلول حسب التقويم الميلادي) والأيام العشر، بين روش هاشانا ويوم كيپور (يوم الصوم تكفيراً عن الخطايا، ويسمى يوم التكفير، وهو من أقدس أيام التقويم اليهودي، ويصوم اليهود اليوم والليلة بالكامل =

[شهر] إيلول***.

الكبة

يمثل الرز أو جريش الحنطة (كريبسه) المادة الأساسية لطبق وطني آخر من أطباق اليهود الكرد، هو الكبة (في زاخو والعمادية: كوتل، وفي سنه وأربيل: كفته). واليهود مولعون غاية الولوج بهذه الأكلة، ويأكلون أحدهم تناول أعداد مذهلة منه - عشرة أو أكثر - في وجبة واحدة.

ولصنع كوتل يسرا يهرس اللحم في هاون (ماكينا) لتُشكّل منه كرات مع الرز، ويطبخ في دهينا، شحم الالية. وتضاف إليه غالباً أمعاء الغنم المحشوة بالرز (في العمادية: كيسا). وهناك أيضاً العديد من الأنواع الأخرى للكبة، مثل كوتل رزا، كبة الرز، وكوتل كيرسا، كبة الجريش. وكوتل هو أفضل أشكال الميبوسا - الحاميم، الذي هو الغذاء الساخن في السبب عند اليهود الكرد^(٢١). وفي سنه يطلق المسلمون على الكبة إسم كفتي موسايكان، أي "كبة اليهود"، أو كفتي شمه "كبة السبب". وفي العمادية تسمى الكبة كوتلكت شمبيي "كبة السبب"، أو كوتلكت جيبا "كبة اليهود". ويأتي الكرد الى اليهود طلباً للكوتل لإعطائه لمرضاهم إذ يعتقدون أنّ فيها شفاءً من الحمى (في العمادية).

وتطبخ الكبة عادة مع مرق الخضروات، وخاصة مرق الخضروات الحامض خاموصتا^(٢٢)، الذي يُستخدم فيه العديد من أنواع الخضروات، حسب الموسم. ويُجعل طعمه حامضياً بواسطة السموكه ويطبخ مع اللحم. فمثلاً المرق المعهود في عيد بيوريم* هو خاموصتا كوي^(٢٣) "المرق الحامض للأعشاب البرية" ويُعدّ من البصل وأوراق الثوم والسموكه. [سموكه أو سماق نوع من الخضروات ذو مذاق حامضي]. ومرق كوتل خاموصتا الحامض ذو الكبة كبيرة الحجم المصنوعة من الجريش والقلية - من المأكولات الشائعة في أطباق أمسيات السبب (في زاخو).

ومسلوقه هو نوع آخر من المرق يُطبخ في الربيع (في زاخو والعمادية). وهو عبارة

٢١- في سنه، يسمي المسلمون الكبة كفتي موسايكان "كبة اليهود"، أو كفتي شمه "كبة السبب"؛ وكذلك في العمادية تسمى كتيلكت شمبيي أو جوا. ويأتي الكرد طلباً للكوتل لمرضاهم، حيث يعتقدون أنّ فيه شفاءً من الحمى (في العمادية).

٢٢- ماكلين، القواعد، ص ١٠١؛ هامويستا (ألقوش) "طبق حامضي مشبع بالخل".
* بيوريم: عيد ديني سنوي، يُحتفل به في شهر شباط أو في آذار، في ذكرى إنقاذ إيستر (الزوجة اليهودية للملك الفارسي أهاشورا - ورد ذكرها في سفر عيزرا وسفر إيستر) الشعب اليهودي من الهلاك على يد هامان. (المترجم).

٢٣- ژابا، القاموس، ص ٣٥٠، كوي "الوحشي".

أما الرز (رزا؛ بالكردية: برنج) فرغم أنّه يزرع في كردستان، إلا أنّه يعتبر من الكماليات، لذا فإنّه يلعب الدور الأساس في الوجبات التي تقدم في الإحتفالات والأعياد. ولا ينبغي أن يمرّ أيّ منها دون تقديم رزا كيثيثا "الدجاج والرز" أو رزا كوكوانا "الحجل والرز". وفي أثناء الإحتفال بالزواج تبعث عائلة كلّ من العروسين الى الأخرى بصينية من الرز تتوّجها دجاجة.

ويتم إعداد الرز بطرق عدة. ويسمي الكرد الرز باللحم بلاو. ويأكل يهود سنه أيضاً اللالو مع مختلف أنواع الأطعمة الأخرى. وفي العمادية ثمة طبق شهبي من الرز واللحم [المغلي في الماء والزيت] يسمى رزا كابولي. أما الرز مع اللدو فيشكل كولول (في العمادية) الذي يؤكل مع الزبدة المذابة والعسل. (في چالا ونيروه وريكان: ماديرا).

وهناك نوع آخر من أطباق الرز يمكن أن نقول عنه بأنّه الطبق الوطني لليهود الكرد، ألا وهو البيراخ أو اليبراخ (في زاخو والعمادية وسنه)^(٢٠).

البيراخ الحقيقي هو الرز الملفوف في أوراق العنب. ويتم إعداده بصنع كرات من الرز المخلوط بالزبيب وأحياناً باللحم أيضاً ويتم لفها في أوراق العنب، وتصف داخل قدر بعناية في صفوف دائرية متجاورة. ويضاف إليها القليل من الماء والشحم؛ ثم يتم غليها ببطء لساعات، وربما طوال الليل، على نار هادئة. ولغرض توفيرها في الشتاء، فإنّ أوراق العنب تجفف في الربيع وتعلق في خيط لحين الحاجة إليها. وإذا تم إحلال الدهانة محل ورق العنب، يسمى الطبق حينها بيراخ كلمي. أما بيراخ پشپش، فيتم إعداده بتقطيع أوراق العنب الرقيقة النضرة وخلطها بالرز (في العمادية وزاخو، وتختص باليهود وحدهم). ويُطبخ البيراخ بالزبدة أيضاً، ويسمى عندها بيراخ مشكا ويقدم مع اللدو.

= (٢٤ ساعة) ويوافق العاشر من تشرين - أي نهاية أيلول أو أوائل تشرين الثاني). (المترجم).
*** إيلول: الشهر الثاني عشر في التقويم المدني اليهودي، والسابع في التقويم الإكليريكي، ويوافق شهر أيلول في التقويم الميلادي وأحياناً يبدأ في أواخر شهر آب. (المترجم).
٢٠- في أثنويه: دوله (ماكلين، القواعد، ص ٦٢)، وبالتركية: طلمه، وبالعربية: فبراغ؛ وفي العمادية بالكردية: إبراخ، وفي زاخو بالكردية: دوله. وهو عبارة عن الكوسه أو الطماسة المحشوة بالرز.

عن مرق الشحم واللحم الذي تُسلق فيه كوتل كرسا المصنوعة من شحم الالية. [وثمة نوع آخر هو مَرَقَت ليلانثا، الذي هو مرق أوراق البنجر، الذي يُصنع من أوراق البنجر الطرية قبل أن ينمو الجذر تماماً. ويسمى هذا المرق في العمادية أبكا بِرسلقا ايضاً].

السّمك

السّمك (نونيثا، والجمع: نونيثا؛ وبالكرديّة: ماسي) رغم وفرة في مياه كردستان، فإنّه نادراً ما يؤكل من قبل الكرد، وأحياناً من قبل اليهود - دون أن يكون مرغوباً بصورة خاصة.

يأكل اليهود السمك عادة في أعياد بيوريم، والفصح، وفي مساء روش هاشانا، وهانوكا. ويتم إصطياد السمك بواسطة مادة سامة (دَرمان [في العمادية: دَرمان نونيثا، سم السمك])، تتكون أساساً من ذرق نوع معين من الطيور، ويضغط السم على شكل قرص يتم حشوه بديدان الأرض به، وتلقى الديدان في الماء وحالما تلتهم الأسماك تلك الديدان فإنّها تطفو على سطح الماء مسمومة (في زاخو ودهوك والعمادية).

كما يتم إصطياد السمك بواسطة سلال (سوتا) أو شباك، شبّكه، [أو ميروخاك وهو عمود طويل مزود بإطار خشبي دائري تثبت عليه شبكة قطرها حوالي متر واحد]، أو بواسطة الخيط والسنارة. ومن وسائل الترفيه عند الأغنياء الجلوس الى شاطيء النهر مساءً لصيد السمك بالسنارة (في زاخو ودهوك: شيصا [وفي العمادية: شاصا]). وكذلك يأتي الكرد المسلمون بالسمك من الأنهار البعيدة ويعرضونه في السوق ليشتريه اليهود.

ويؤكل السمك إما بقلية في الزبدة أو بتحميمه. ويتم التحميم بوضع الماء في القدر ثم توضع في قعر القدر عصي لتشكل حاجز قضبان وتوضع طبقة من لحم السمك فوق هذه العصي، ثم تأتي طبقة أخرى من العصي فوقها طبقة من السمك وهكذا. بعد ذلك يُغلى القدر بإحكام ويوضع على نار هادئة (في العمادية).

المزّه

لاتبدأ أية وليمة إحتفالية عند اليهود الكرد بالطعام المعد للوليمة نفسها. بل تسبقها عادة ساعة أنس يتخللها الرقص والغناء ويتمتع فيها الضيوف بالعرق

والمزّه^(٢٤). والمزّه تتألف من سمك بارد ودجاج أو كوكوانا، حجل، بارد ولحم محمّص أو مغلي، والعرهون [في العمادية: كوارك وفي مناطق أخرى: كاما وهو نوع من الفطر غير معروف في العمادية]، والفاكهة والجوز. وغالباً ما يأتي الرجال بمزّتهم معهم (كما في مساء السبت)؛ ويدعو كلُّ جاره ليشاركه فيها. أما وجبة الطعام فتأتي بها النساء فيما بعد، ما لم يجهزها المضيف بنفسه.

الحلويات

ليس اليهود الكرد مغرمين بالحلويات. فالحلوى يتناولها الأطفال بصورة رئيسة. لكن مخروط السكر (في العمادية: ريش شكر)، كما هو الحال في فارس^(٢٥)، يتمتع بمكانة هامة خاصة في مجال التهادي. وإضافة الى كونه نوعاً من الحلوى فإن له قيمة خاصة في المراسيم الإحتفالية. فمثلاً في مراسيم شيريني خوران أكل الحلوى المتعلّقة بالخطبة في سنه، (أنظر ص ١٢٤). والى جانب مخروط السكر، هناك العديد من الحلويات الرئيسية عند الكرد وهي عصير العنب [المغلي] (مي بوختا) (الدبس - المترجم)، والعسل، والمائنا (من السما - المترجم). وعصير العنب (مبيوختا) يصنع عادة من عنب ذي نوعية رديئة. والمائنا كثير في كردستان. [ووفق مصدر معلوماتي، فإن المائنا يسمى في العمادية بلغة التارگوم أرعورا. والمائنا يوجد عادة على أوراق الأشجار، وخاصة أشجار البلوط. ويتم الحصول عليه بفرش قطعة قماش تحت الأغصان، التي يجري هزّها حتى يسقط المائنا على قطعة القماش]. ويعتقد اليهود أن المائنا هو نفسه المن الذي أنزل على بني إسرائيل عندما تاهوا في الصحراء. لذا فإنّه كثيراً ما يرد ذكره في كتابات الرحالة ونادراً ما تجد رواية لأحداث رحلة الى هذه المنطقة تخلو من ذكره. إذ يقول بنيامين الثاني: "من المظاهر غير العادية الأخرى التي نذكرنا برحلة اليهود في الصحراء، هو المن الذي يكون هنا على شكل حبات تسقط مع الندى. والحبات ذات لون ضارب الى البياض وخشنة

٢٤- ماكلين، القواعد، ص ١٦٥: مزّه (بالفارسية والتركية)، من المقبلات، مشهي يقدم قبل العشاء. وعن المزّه في مجالس الشرب التركية أنظر: Arminius Vambéry, Sittenbilder aus dem Morgenlande برلين ١٨٧٦، ص ٧٨.

٢٥- [للضيف الذي وصل، لبطل اليوم، لكل من يستحق أن يُهنأ، تقدّم مخاريط السكر كلها كهديّة؛ وفوق الصنبيات الخشبية الكبيرة (كونجا) التي يحمل عليها صف الخدم الهدايا للعروس بمناسبة الزفاف يوجد العديد من مخاريط السكر بوضع قائم (Vambéry, Sittenbilder)، ص ٧٤؛ ترجمها عن الألمانية رافائيل باتاي].

الملمس. فيتم جمعه في أول النهار ويعرض للشمس؛ حيث تذيبه حرارتها، ويصبح في حالة جبينية القوام، ويؤكل وهو بهذه الحالة مع الخبز في وجبة الفطور^(١٣٦) (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، ص ١٣٦).

[وقد كتب الحبر ديفيد ببيت هليل عن سقوط المانا في أطراف السليمانية:

في الصيف، يتوفر المن الذي يسقط مع الندى هنا كل صباح. وعندما يسقط على الصخور فإنه يبدو أبيض كالثلج، ولكن من الصعب الحصول عليه إذ أنه يُجمع للحاكم والوجهاء. والمن الذي يسقط على أوراق الأشجار وعلى الحشائش يكون ذا لون أبيض مخضر إذ يمتزج لونه بلون الأوراق والحشائش. وهو كثير ويُباع على شكل كرات. وما يتخلف منه في الحقل بعد الشروق يسيل كالماء. وقد أكلت منه بنفسية، وهو ذو مذاق حلو مستساغ. ويستخدمه الناس كدواء. ويسميه السكان، وكذلك يُسمى بالعربية من شَمَا الذي يعني من السماء.^(٢٦)

ومن الواضح أن أسلوب تعامل اليهودي الكردي مع الحلويات هو نتيجة للتأثير الخارجي. فهو يعتبر الإكثار من الحلويات نوعاً من التخثت - الذي لا يليق بالرجال بل هو من صفات النساء والأطفال.

والحلوى، شَكَرات [في العمادية بلغة التارگوم: شَكَروك]، يتم إستيرادها من الموصل. وتوزع على الأطفال في مناسبات مثل الحليوت، بعد ولادة صبي. والبقلاوه^(٢٧) حلوى تركية تتألف من حوالي سبع طبقات من العجين بالتناوب مع طبقات من الجوز والعسل والزبدة، ويؤكل بكثرة في كردستان. وتُخبز في صينية في فرن. أما لوقمه فيحضر من خلط الدقيق مع العسل واللوز.

المشروبات

سبق وأن تحدثنا عن المشروبات التي تنتج من الحليب، دوو وماستا.

والشاي، چاي، الذي دخل البلاد في وقت متأخر نسبياً انتشر بسرعة وصار يشغل جزءاً من الحياة اليومية لليهودي الكردي. وترادف الظهور المتأخر للشاي عند يهود سنة قصة مفادها أن طبيباً يهودياً هو أول من شرب هذا الشراب الجديد

٢٦- [قارن فيشل، ترجمة، ماسآع ل كردستان، ص ١٧].

٢٧- [تفضل البقلاوه بصورة خاصة، وهي عجين مشبع بالسمن والزبدة، تظهر المعدة التركية معجزة بإستهلاكها" (Vambéry, Sittenbilder، ص ٧٤؛ ترجمها عن الألمانية رافائيل پاتاي).]

الساخن فظن أن أحشائه احترقت فألقى بنفسه في الماء خوفاً من الإحتراق.

أما البن (قهوه) فهو أقدم إستخداماً من الشاي. ويُشرب أساساً في المراسيم الخاصة حيث يُقدّم في أكواب صغيرة بدون تحليته بالسكر.

ومن المشروبات غير الكحولية، هناك في سنه، وبتاثير من الفرس، عدد كبير من أنواع الشرب (العصير). وفي وسط كردستان يصنع الشربت من مبيوختا عادة.

خوشاڤ [الماء الجيد] مشروب شائع التناول في الربيع. ويصنع بتنقيع الزبيب والتين وخيلو رَشكه، الأجاجص المجفف، في ماء دافئ لعدة أيام. ويفضل اليهود الكردي شرب الخوشاڤ بعد تناول طعام السبت الدسم (في العمادية وزاخو).

وفي الصيف، عند غياب الماستا، فإنهم يروون ظماهم بشرب شاميزه، الذي يتألف من تاخين [السهم المطحون في الطاحونة] وسموكه والبصل، بعد مزجهم بالماء (في العمادية).

أما المشروبات الكحولية، فتشغل جانباً هاماً من حياة الكردي^(٢٨) وكذلك الحال بالنسبة لليهودي الكردي. فهو يحب الشرب ويتذوقه في كل فرصة. وبدون العرق (اراقن) لا تكتمل له صورة أبدأً. فالعرق مشروب يلازمه في كل محطات حياته ويمنح النكهة لكل أعياده وإحتفالاته. وفي العمادية، تطور حيفرا قاديشا الى ناد رجالي يجتمعون فيه ثلاث مرات في الأسبوع للشرب (أنظر ص ٢٢٦). ويعتبر اليهود الكردي قابليتهم على تناول كميات كبيرة من شراب قوي التأثير دليلاً على القوة الجسمانية. ويعتزون بذلك كثيراً.

ولهذا إعتبر اليهود قيام البريطانيين بعد إحتلالهم العراق بمنع إنتاج العرق في البيوت، تدخلاً غير مبرر في حياتهم الخاصة. وواجهت الحكومة الكثير من الصعاب التي بلغت في بعض المناطق درجة وقوع أعمال شغب.

وإنتاج العرق في البيوت لا يزال شائعاً حيث أن أدوات التقطير (پارچ اراقن) بدائية للغاية. ويعتبر سعداني (في دهوك) وبيژيرا (في العمادية [الممتاز]) أفضل أنواع العنب لصناعة العرق. وتجري عملية التقطير في الغالب على الزبيب. وهناك ثلاث درجات من العرق، إعتماًداً على عدد مرات التقطير، وهي اراقن خامي الذي يقطر مرة، وارقن دوباره الذي يقطر مرتين، وماكروور وهو أفضل الأنواع ويقطر ثلاث مرات وعند صنعه توضع دجاجة في إناء الإستقبال لتمتص الشوائب. وتضاف عدة أنواع من التوابل الى العرق.

٢٨- [پريم- سوسين، طور عابدين، المجلد الأول، ص ١٠٠].

أما النبيذ (خَمْره) فيتمتع بأهمية أقل مقارنة بالعرق. وتصنع العائلة النبيذ الخاص بها في المنزل من العنب الأسود (إنَّه تَأْخُلِك). وقد نال يهود الهركي وچالا سمعة حسنة في إنتاج أفضل أنواع النبيذ.

وفي العماديه توجد معصرة (أفيسلا) عامة للخمر في الكنيس^(٢٩) أما الآن فإنَّ العنب يوضع في رواقيد ضخمة ويُسحق بالأرجل. ثم يتم ترشيح العصير بواسطة قطعة قماش صاييو [الأصح صاييا، في العماديه] ثم يُصب في براميل خشبية (إيلينا) مدفونة في الأرض. ويبلغ ارتفاع هذه الإيلينا حوالي مترين، وأغلبها موجود منذ أجيال. وتغلق فوهاتنا بالطين. وتُفتح الإيلينا في هانوكه أو عيد الفصح، حيث يُشرب النبيذ بكثرة.

ويستخدم النبيذ أيضاً للتبرك به في السبت والأعياد. ففي الشتاء عندما يعود الأب وأبناؤه البالغون من الكنيس، فإن العادة تقضي بأن يحتسي هؤلاء النبيذ مع تناول قطعة صغيرة من اللحم المحمص على السفود (في العماديه).

والنبيذ الذي يحتسى للتبرك يصنع من الزبيب. وهذا النبيذ المصنَّع من الزبيب، قولخيسا [في العماديه: قولخيشا] يُقدَّم أيضاً للنساء والأطفال في عيد الفصح لتمكينهم من شرب الأقداح الأربعة التي مرَّ ذكرها.

المهدرات

اليهود الكرد منغمسون الى درجة كبيرة في تعاطي التبغ (توتن) الذي يُزرع في مناطق عدة من كردستان، وأحياناً من قبل اليهود أنفسهم (في أورميه والعماديه، أنظر ص ٢٤٧). والتبغ يتم تعاطيه بالتدخين بواسطة غليون يتألف من أنبوب طويل (باسكه) ورأس طيني أجوف (كالونكه). وللعريس يُلَف الجزء الأنثوي من الغليون بقطعة من القماش. وفي الغالب يُسكب العرق على التبغ. كما ويتم مزج التبغ وخلطه بالعديد من الأعشاب لإستخدامه كسقوط (برنوت).

وجبات الطعام

بعد هذا العرض العام للأطعمة وأساليب تحضيرها. ناتي الى الحديث عن وجبات الطعام التي تقدم خلال اليوم الواحد، وهنا نتخذ من العماديه مثلاً. حيث يتم طبخ الطعام مرتين في اليوم، في الصباح وفي المساء.

٢٩- تجلس النسوة اليوم هناك عند تقديم الخدمات (أنظر ص ٣٠٧).

ولوجبة الفطور (فتارا [أو فتارتا])، التي يتم تناولها بعد عودة الرجال من الكنيس، يُقدَّم الخبز مع الشاي فقط.

وفي الساعة التاسعة، تاتي وجبة الطعام الساخن الأولى (غدييا [أو كدييا]، عيدييا). وتتألف هذه الوجبة شتاءً من العدس أو الرز أو أي أطباق مشابهة؛ وفي الصيف تُقدَّم الخضروات مع الرز أو البرغل والماستا.

أما وجبة الظهر (في زاخو ودهوك والعماديه: شاروسا؛ وفي سنه: خالا كوره) - ويشترك فيه الأطفال أيضاً حيث يعودون من المدرسة - فيتألف عادة من الأطعمة الباردة كالخبز مع تاخين أو پوختا أو، في الصيف، اللبن الرائب. ولاتقدم الخضروات المطبوخة إلا نادراً. والطبق المألوف في وجبة الظهر هو اردوشافكه [بالكرديه؛ وهو عبارة عن الدقيق مع عصير العنب]. ويتم إعداده بمزج مبيوختا مع الدقيق غير المطبوخ. وثمة طبق آخر من أطباق الظهر الشائعة وهو ارخابكه [بالكرديه؛ دقيق غير مطبوخ] وهو نوع من الأومليت.

أما الوجبة الرئيسية فتقدم مساءً، بعد صلاة معاريف. وتسمى عَشِييَا (في زاخو ودهوك والعماديه) أو شام (في سنه). وتجتمع العائلة برمتها على العَشِييَا. وهناك يقدم اللحم عادة؛ وقد درج أن يُعدَّ طبق خاص في نفس اليوم من كل أسبوع. فمثلاً تطبخ ربات البيوت جميعاً في العماديه الكوتل في مساء الثلاثاء والبيراخ في مساء الأربعاء وعند ظهور كل هلال جديد. ومن الجانب الآخر هناك طبق أدنى مستوى لعشاء الخميس الذي يمثل عشيبة الجمعة، عيد المسلمين.

القسم الثالث

العائلة

الزواج(*)

كما هو الحال عند كافة الطوائف اليهودية، فإنّ مراسيم الزواج عند اليهود الكرد تضم خليطاً قوياً من العناصر غير اليهودية - والتي هيمنوا عليها فعلاً^(١). وفي كردستان، فإنّ العادات عموماً متشابهة، لكن الاختلافات المحلية بيّنة بحيث أنّ محاولة وصفها وصفاً تحليلياً يتطلب كتاباً منفصلاً. لذا، ولكي تكون الصورة التي نرسمها لهذه المراسيم شاملة وكاملة قدر الإمكان، فإننا سنتخذ من عادات مدينتي العمادية وزاخو نموذجاً؛ مع إيراد وصف موجز لما يقابلها ويخالفها في مراكز إستيطان اليهود الكرد الأخرى.

سن الزواج

يعتمد سن الزواج عند اليهود الكرد على الوضع المالي للعائلة. فإذا كان الأب ثرياً، فإنّ الإبن يتزوج مبكراً. (إذ عندما يتكفل الوالد بصدّق العروس^(**))، فلن يكون ثم ما يمنع زواجاً مبكراً). وفي العائلات الأدنى مستوى من الناحية المادية، ينبغي على الشاب أن يكسب هذا المال بنفسه، وعندها يتأخر زواجه. وقد يحدث في بعض المرات، أنّ العريس بعد إكمال كل الترتيبات، يفقد جزءاً من ماله لسبب ما، كأنّ يتعرض لخسارة تجارية، وعندها يضطر إلى مطالبة حميه المستقبلي بتخفيض المهر (الصدّق) أو تأجيل العرس.

وقد جرت العادة أنّ تزوّج البنات بعد أول حيضة لهن. والتفسير المعتاد لهذا الإستعجال في تزويج البنات هو حمايتهن من إرتكاب أعمال طائشة. ومع ذلك، فمن الواضح أنّ لهذه العادة عند اليهود الكرد^(٢) خلفية أسطورية.

* [للمقارنة أنظر: رافائيل باتاي، حول الفلكلور اليهودي، ديترويت ١٩٨٣، الص ٢٠٢-٢٣٧، مبني على مقابلات جرت في ١٩٤٤-١٩٤٥ مع عدد من كبار السن من يهود مشهد القاطنين في القدس]

١- العادات الموجودة عند الكرد المسلمين أيضاً سيشار إليها على أنها كردية. ومصدري الرئيس في هذه المسائل هو وصف مراسيم الزواج عند الكرد في زاخو، سجلته كما رواه لي أحد يهود زاخو.

** لا يخفى أنّ لفظة العروس هي نفسها لكل من العروسين، إلا أنّنا تلافياً للإلتباس على القاريء الكريم استخدمنا عروس للزوجة وعريس للزوج كما هو دارج. (المترجم).

٢- وجدت هذه العادة متبعة في العمادية فقط.

ويقال للفتاة التي ترى دم نيداً (بالعبرية، وتعني دم الحيض) للمرة الأولى: لاخمت بيثت بيباخ حارمله [في العمادية: حارمله] اللاخ، "حرم عليك خبز [دار] والدك". وإذا لم تُرتب لها خطبة، فإنّ سوء الحظ قد يشملها ويشمل أطفالها. فمثلاً، لو مات الوالد وشهدت إبنته دم نيداً للمرة الأولى خلال عام الحداد، فإنّ العديد من كبار السن يأتون إلى أرملة قائلين لها: "زوّجي إبتك، فقد حرم عليك خبز أبيك. وإلاّ فإنّ سوء الحظ قادم". وعندها تجري مراسيم الخطبة (بالعبرية: عروسين) بهدوء كبير بسبب عام الحداد.

وإذا كان ثم فتاة مات أبواها، وطمئت للمرة الأولى، فإنّ العديد من كبار السن يذهبون إلى الكفير للفت نظره إلى الأمر. وعندها يجتمع الكفير مع الوجهاء المحليين؛ ويؤخذ مهر الفتاة بالكامل من قويات اريخا، صندوق الخيرات [المعنى الحرفي للعبارة: "صندوق الطعام"] ومن التبرعات (أنظر ص ٢٢٦).

وعند الأثرياء يكون إختيار العروس للإبن من مهام الأب الذي يأخذ في الإعتبار الأوضاع الإجتماعية والمالية للعائلة التي يختار منها زوجة إبنه. ويندر أن يعترض الإبن على اختيار أبيه. ومع ذلك لازلنا نجد، في السنوات الأخيرة - وبالأخص عند العائلات الفقيرة - أنّ الإبن يختار العروس بنفسه. وفي السابق كان يُعزل الأبناء عن البنات بعد بلوغهم العاشرة؛ ومن هذه السن لا يمكن أن تخرج الفتاة إلى الشارع إلا ووجهها مغطى. لكن الوضع اليوم مختلف. والشباب يرون الفتيات في حفلات الزواج والمناسبات الأخرى، حيث يجتمعون بحرية؛ ومن المعروف أنّ مثل هذه الإتصالات تمهد للحب بين الجنسين في المستقبل.

وقد كان مصدر معلوماتي، الذي ينحدر من عائلة ذات شأن، في الثالثة عشرة عندما رتب له أبوه زيجة. فبينما كان لا يزال تلميذاً، جاء عمه إلى المدرسة وحمله على كتفيه إلى البيت، حيث كان والده والعديد من الحاخامات يناقشون أمر تزويجه. أما هو فلم تكن لديه أي فكرة عما يعني الزواج (في العمادية).

وقد جرت العادة أنّ لايتزوج الولد قبل الثامنة عشرة والفتاة لاتزوج قبل الثالثة عشرة (أو الرابعة عشرة)^(٣). وعندما يكون الوالد قد إختار، فإنّه يبعث العجائز إلى والد الفتاة المختارة؛ وبما أنّ الشرقيين عموماً لاياتون عملاً على عجل، فإنّ والد الفتاة، في حال موافقته، يرسل لهم جوابه طالباً أن يأتوه ثانية في غضون شهر.

٣- حتى في فلسطين، تتزوج بنات اليهود الكرد في سن مبكرة جداً - في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر.

الصدّاق (تقدّه)

بعد شهر، تجتمع الأطراف المعنية في دار العروس لغرض الطلبة، التي هي الإتفاق على الزيجة. وتقوم والدة العريس بإرسال طعام الى بيت العروس لتناولها مساء التباحث حول إتفاق الزواج الذي سيتم. ويأتي والد العريس ومعه عدد من الشيوخ^(٤). ويبدأ الحازان الجلسة بدروش [موعظة] يقول فيها أنه ليس من الجيد أن يعيش الرجل لوحده؛ وفي الختام يسأل: تقدّه كيما شقلت منان؟ كم هو الصدّاق الذي ستأخذونه منّا؟".

في حوالي ١٨٩٠، تقرر في العماديه أن لايزيد الصدّاق مع قيمة الحلي عن ١٣٠ قراناً (يعادل حوالي ست جنيهات استرلينية وعشر بنسات). [وقد اتخذت قرارات مماثلة من جانب بقية المجتمعات اليهودية الشرقية. ففي حوالي ١٨٥٠ تقرر في مشهد وخراسان أن لايتجاوز الصدّاق ١٥٠ قراناً^(٥). والعامل الذي أدى الى إتخاذ مثل هذه القرارات كان الميل الى التنافس في رفع الصدّاق الى مستويات أعلى، والذي كان سيسفر عن إنهيار العائلة من الناحية المالية. وهو ما دفع زعماء المجتمعات الى إتخاذ هذا القرار].

وبسبب الإحتلال البريطاني، انخفضت قيمة المال في السنوات الأخيرة، وبالمقابل إرتفع تقدّه الى عشرين جنيهاً استرلينياً (مائتي روبيه). وفي أربيل بلغ متوسط التقديده عشرين جنيهاً. ويشترى والد العروس الحلي من مال غير هذا المال. لذا قد يبلغ الصدّاق حوالي مائة جنيه.

أما في زاخو، فإنّ البرتيل كان يبلغ حوالي خمسين مجيدياً (حوالي عشر جنيهات) في العهد التركي. وإضافة الى هذا المبلغ، على العريس أن يدفع مجيديين عن حلفت يماً "حليب الأم"، الى والدة العروس.

وليس في سنة^(٦) أيّ صدّاق. بل ينبغي على العريس أن يشتري جهاز العروس ويفرش الدار. والفقراء وحدهم يطلبون الصدّاق^(٧) (شيرقا هي؛ وهي مشتقة من

٤- في زاخو والعماديه: طلوبيه، وتجمع على طلوبيي.

٥- [قارن: رافائيل باتاي، الزواج عند اليهود المنتصرين في مشهد، إيدوث، القدس ١٩٤٧، ص ١٧٣].

٦- قدم أي. جي. براور وصفاً مقتضباً لمراسم الزواج في سنة في "مي پاراشات ماساعوتاي بأفاراس"، سيناي، المجلد الأول، العدد ١١، (١٩٣٩)، ص ٤٣٣-٤٣٦.

٧- بالكردية والفارسية: شير، "حليب". أنظر مورگان: رحلة، ص ١٤٣.

شير "حليب" وباهي "ثمن"). حيث ذكر براور أنّ العروس تتكفل بجهازها (فصل من رحلتي الى إيران، ص ١٧). وهذا لاشك إشارة الى الجهيزيه التي تؤخذ الى دار العروسين في اليوم الذي يلي الزفاف.

وفي بعض المناطق، لا تكفي أمسية واحدة لإكمال المحادثات والتوصل الى نتيجة؛ وهنا يتطلب الأمر عدة لقاءات قبل التوصل الى إتفاق بين الطرفين.

إنّ الموقف قد وصف بناء على قبول الشاب والفتاة وعندما يكون الصدّاق كالسائد عادة بين اليهود الكرد. ولكن، لدينا مادة - جاءت في أغلبها من الوثائق التي وردتنا - تطلعنا على ظروف يرثى لها جرى فيها الإتفاق على الزواج. وعلينا أن نأخذ في الحسبان هنا أننا نتعامل مع حالات إستثنائية عرضت على الأبحار لإتخاذ قراراتهم بشأنها وقد حفظت في وثائق. وقد أنبأني مصدرني أن مثل تلك الحالات قد يتكرر حتى في يومنا هذا.

لكن في الحالات الطبيعية، لا يعد الزواج بالنسبة لوالد العريس ولا لوالد العروس "صفقة تجارية" يدخلها الطرفان لمجرد الربح. بل على العكس، فإن الطرفين ينفقان الكثير. ومع ذلك، فإنّ البعض من الآباء الفقراء قد يبحثون عن النفع المادي من خلال تزويج بناتهم. وهذا يؤدي الى خلق وضع لا يكون فيه للجانب الإنساني من عملية الزواج أي تقدير، ويعامل الآباء بناتهم في هذه الحالة معاملة السلعة التجارية.

ونتيجة لتحقيق أجراه الحبر في زاخو نجد قصة حالة من هذه الحالات^(٨). إذ نال الفقر من أحد يهود زاخو وبات في ظروف صعبة للغاية اضطرته لبيع إبنته البالغة سبع سنوات لقاء ثمانية قروش الى يهودي آخر لتعمل عنده كخادمة - وهذه تجارة غير طبيعية بكل المعايير. وظل المشتري مديناً للوالد بجزء صغير من الثمن. ولما طالب الوالد بالمبلغ، أعطاه الشاري بقية المبلغ قائلاً في محضر من شهود أنّ هذا المبلغ قدوشيم (خطبة) الفتاة لإبنته. وقبل والد الفتاة. وهكذا، وبعد وفاة الشاري، أعاد إبنته الفتاة الى والدها (بحجة أنها لم تقع منه موضع استحسان)؛ وزوجها والدها لرجل آخر. وكان التحقيق يخص شرعية هذا القدوشيم الثاني، حيث أنّ الشاري المتوفى كان قد أتم القدوشيم لإبنته.

وهناك قضية ثانية وردت في إحدى الرسائل التي نشرها مان^(٩)، وهي تسلط

٨- أنظر: أساف "لا- تولدوت ها- يهوديم"، التي تورد أيضاً حدثاً مماثلاً يبيع فيه الوالدان إبنتهما عند العوز. وربما وقع ذلك في فارس حيث الأوضاع أسوأ عادة.

٩- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، الرسالة ١٩، ص ٥٤٢؛ كذلك أنظر: ص ٤٨٩.

الضوء على الموقف الأخلاقي لليهود الكرد في المسائل المتعلقة بالزواج. زوّج يهودي من سوخو^(١٠) إبنته؛ ولما كان بحاجة الى مساعدة إناث للتعويض عن خدماتها، فقد لجأ لحل أراد من ورائه "ضرب عصفورين بحجر واحد". فادخل الى داره فتاة على أن تؤدي له الأعمال المنزلية الضرورية، لكنها صارت فيما بعد زوجة لإبنة الذي لم يبلغ سن الزواج بعد. ورغم أنه لم تكن لدى الإبن أدنى معرفة "بماهيّة المرأة" (السطر ١٥)، فإنّ الفتاة اعتبرت نفسها امرأة متزوجة؛ ولهذا فإنها عندما هربت من البيت اعتذرت لهربها "بأنها لا تريد هذا (الرجل) لأنه ليس بكيفية الرجال" (السطر ٢٧). وبرزت قضية قضائية معقدة عندما مات الإبن، وهذا ما أسفر في النهاية عن اللجوء الى حاله (أنظر ص ٢٢٢).

وعندما يرفض الوالد تزويج إبنته عن طيب خاطر، يلجأ الشاب أحياناً الى القوة ويخطف الفتاة. وقد ورد في إحدى الرسائل التي نشرها مان^(١١)، أنّ رجلاً يدعى حانوكو من نيروه خطب فتاة عمرها ثمان سنوات من يهودي آخر وأراد الزواج بها. ولما لم تكن سمعة حانوكو جيدة، فقد رفض والد الفتاة الخطبة. فعمد حانوكو الى خطف الفتاة وأخذها الى بادوك، وهي قرية نائية قريبة من العمادية، وفي نيته إجراء مراسيم خطبة سرية هناك. [وفق مصدر معلوماتي ليس ثمة قرية بهذا الاسم قرب العمادية، بل هناك قرية إسمها بادي]. وحسب الرسالة، يطلب حاخام نيروه من حاخام العمادية بذل كل ما في وسعه للحيلولة دون زواج هذه القاصر.

وفي ريكان وأطرافها، فإنّ خطف البنات ليس حدثاً غير شائع. وتقع هذه الحوادث عندما تكون الفتاة موافقة والوالد رافضاً - عندها يضرب العريس عن طريق وسيط موعداً مع الفتاة، وينتظرها في المكان المحدد بصحبة مسلحين كرد ثم يأخذ الفتاة عنوة. وليس ثمة حاخام يعقد الخطبة ضد إرادة الوالد؛ إلا أنّ هذا العمل يرغم الوالد على القبول.

ليلة الدجاج (ليل كيثيثا)

بعد الفراغ من تحديد مهر العروس، يتقرر الإجتماع في مساء السبت التالي. وهذه الأمسية تعرف بإسم ليل كيثيثا (أو كسيسا)، "ليلة الدجاج"، لأنه يتم شراء

١٠- ليست هذه إشارة الى زاخو (كما تصور مان) بل الى قرية سوخو، التي تقع على مسافة يوم ونصف يوم من العمادية.

١١- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، الرسالة ٩، ص ٥٢٥؛ كذلك أنظر: ص ٤٨٦.

عدد كبير من الدجاج للضيوف في تلك الليلة (في العمادية).

ويوجه والدا العروس والعريس الدعوات عن طريق الشماش (سادن الكنيس) قائلين: سيوهون كيثيثا بي ختنا (كيلو) "هلم الى الدجاج في منزل العريس (العروس)". ويحمل الشباب عدداً كبيراً من الدجاج وزجاجات النبيذ ويرافقون والدي العريس الى دار العروس. وهناك يسقى كل واحد كأساً من العرق، بعدها يعودون الى دار العريس من طريق مختلفة (جبي بوكه)^(١٢) غير التي أتوا منها.

وفي داري الختنا والكيلو، يجتمع الضيوف الى "وليمة الدجاج". وفي ذلك المساء، عند حوالي الساعة العاشرة، يوجه والد العريس دعوة الى الضيوف الموجودين عند العروس لياتوا الى داره. فياتون مع زوجاتهم اللائي يجتمعن في غرفة أخرى. ويتبع ذلك اللهو المعتاد الذي يتضمن رقصة حكه في فناء الدار (في العمادية).

وفي سنه، تدعى وليمة مساء السبت هذه شيريني خورين "أكل الحلوى"^(١٣). وهناك يجتمع الضيوف في دار العروس. وترسل العروس الى العريس مخاريط سكر (بين ١٠-٣٠ حسب إمكانياتها)؛ ويرد العريس على ذلك بإرسال قطعة حلي ذهبية.

وفي الصباح التالي تبدأ الإستعدادات لحفل يدعى سينييه [صينية]. ويمثل طبخ الطعام، وفق العادة المتبعة جزءاً من الحفل. وتأتي الفتيات من بيتي العروس والعريس الى منزل والد العريس لتنظيف الرز وإعداده للوليمة. ويغنين الأغاني (الكردية) أثناء أدائهن العمل.

يطبخ اللحم مع الرز والحمص ويوضع على صينية كبيرة. وتغلى الصينية بقطعة قماش من الحرير، وتهيء والد العريس عدة قطع من الملابس والهدايا. ثم يحمل شاب الصينية على رأسه، ويحمل آخر الهدايا. وبينما يمر الموكب في الشوارع، يُمطر بالجوز والحلوى من البيوت التي يمر بها. وتجلس سيدة عجوز على سطح دار العروس، وعندما يدخل الضيوف تمطرهم بالقمح وهي تقول: /بنت حرد/ بقعا "لتنفجر العين الشريرة [والمعنى الحرفي هو "عين السود"]"^(١٤). وعندما يقدم الضيوف الهدايا الى والد العروس، يرقص والدا العروس أمام الشابين. ثم تلبس

١٢- تعود مواكب الزفاف عادة من طريق غير الطريق التي سلكتها عند المجيء. وهذا يعود الى معتقدات تتعلق بالسحر. وتسمى جبه بوك "على شمال العروس"، حيث يأتي الموكب من اليمين ويسلك الجانب الأيسر لدى المغادرة. [والتفسير الآخر لهذه التسمية هو "إطالة العروس".]

١٣- [عادة شيريني خوران يتبعها عملياً كل اليهود وغير اليهود في فارس].

١٤- عادة رش القمح خلال مراسيم الزواج هي من العادات الشائعة.

والدة العروس إبتها الخاتم الذهبي الموجود ضمن الهدايا. وتشد فتاة الوشاح الحريري (كسروان) على رأس العروس، وتلبسها فتاة أخرى الجوارب والأحذية المهداة إليها.

ويرقص الضيوف الحگًا في حجرة العروس. وعلى العروس أن تشاركهم في أدائها. وتوضع برذعة (كورتينا) على أكتاف أمهات العروسين، وفي أيديهن توضع ملعقة كبيرة (ترانا) بدلاً من السيف؛ وعليهن أن يرقصن بهذا الهدام.

ويوزع رز الصينية، رزّت بي كيلو [رز بيت العروس] على الحاضرين وتشكل منه كرات صغيرة يُبعث بها إلى دور المعارف. بعدها يعود أهل العريس إلى دار العريس حيث يستمر الرقص. ثم يوجه والد العريس دعوة لمأدبة في السبت التالي، تعرف بمأدبة شبّات معارف، سبت التحضير (في العمادية).

وعادة الصينية في زاخو تشبه تلك التي في العمادية. إلا أنها تسمى هناك أشايت كيلو "عشاء العروس". وعندما تعاد أوعية الرز المفرغة إلى دار العريس، يغني الحاضرون:

هي منته، منته، منته: أه، شكراً، شكراً، شكراً
منته من بيبي هيويّله: شكراً للأب [الذي] أعطى [إياها]
كوزينتا راپسا تيله: بغلاً ضخماً له
ماليتيه إيو: ليدم بيتك [قائماً]
هاي ل نوسو زيو: أه من نسيم، العريس (في زاخو والعمادية، بالكردية)

شبّات معارف

في الليلة التي تسبق الخميس، تجتمع الفتيات مجدداً في دار العريس؛ ويقمن طوال الليل بطحن الحنطة لأجل الكرسه. وعند إنتصاف الليل تقدّم لهن المرطبات. وفي يوم الجمعة، تُذبح المواشي إستعداداً للوليمة. وفي صباح السبت، يؤخذ العريس إلى الكنيس في موكب غنائّي. وكافة مراتب الشرف تكون في يد والد العريس، الذي يمنح أغلبها إلى الأقارب.

وبعد الإنتهاء، يرافق العريس إلى البيت. ثم يذهب الجميع إلى منزل العروس. وهناك يرقصون رقصة المناديل، حگت كقيه [في العمادية: حگت پاشيئه]؛ وترقص الأمهات رقصة البرذعة لتسليّة الحضور. ويتم جلب الطعام من دار العريس ويقدم

للضيوف، بينما تجلب فتاتان في خطوات إيقاعية، ترافقهن النسوة مغنيات، قدرّين من الطعام للعروس. وعند إنتصاف النهار، يتوجه الحضور إلى دار العريس حيث يبدأ الرقص والغناء مجدداً (في العمادية).

في العمادية، يفصل أسبوعان بين المعاريف وقيدوش عروسين - تبريك الخطبة، قادوش^(١٥). والقادوش يجري عادة يوم الأربعاء، اليوم الذي خلق فيه الشمس والقمر.

وفي زاخو، يأتي القاداشتنا بعد الإنتهاء من إتفاق الزواج^(١٦) مباشرة ولايتأخر عنه أكثر من أسبوع في أسوأ الأحوال. وفي أربيل يؤخر العريسه لأسبوع أو إثنين، أما في سنه فإنه يأتي غالباً بعد شيريني خوران بأربعة أسابيع.

الخطبة (قادوش)

تنشغل النسوة من أهل بيت العريس عدة أيام أخرى في الإعداد للوليمة. فتتم تنقية الرز، وتوفير الدواجن وبقيّة اللوازم الأخرى. وفي يوم الثلاثاء يؤخذ الطعام الذي تم إعداده، إلى دار العروس.

وفي يوم الأربعاء، يؤخذ العريس في موكب إلى دار العروس. وهناك يجلس في مقعد شرف بجانب الحازان والوجه، ويتم إدخال العروس عليهم. وتكون العروس متحجبة لكن لم يجر بعد أي من المراسيم، مثل الصبغ بالحناء الذي يُعتقد أنه يحميها من السحر و"العين الشريرة".

ويلتقط الحازان خاتم الخطبة الفضي (إسيكست قادوش)، الذي قد يكون ذا فص أو بدون فص، ويغمسه في النبيذ ويبرزه ليراه الشهود لتمكينهم من التأكيد على أنه شأوه پروطا^(١٧) [أو في العمادية: كطويا خا پاره، يساوي پنسا]. ثم يضعه العريس في أصبع العروس وهو يدعو بالبركة. ولاتكون العروس متحجبة خلال هذه الفقرة من الحفل، لأنه حدثت حالات تم فيها إحلال فتاة أخرى محل العروس المختارة. ثم يستدعى العريس الذي يشعر حينها بالخجل والإرباك [من قبل

١٥- هناك عائلات في العمادية تركت القادوش إعتقاداً منها بأن وليمة الخطبة تجلب عليهم سوء الطالع. والبعض منها يحتفل بالقادوش مع البركات السبع.

١٦- في العمادية، تأتي غالباً بعد الطلايه مباشرة.

١٧- [كانت] توجد أنواع مختلفة من خاتم الخطبة في مجموعة براور الجامعة العبرية. ويُفضّل الخاتم ذو الفص الأسود بصورة خاصة على إعتبار أنه يرمز لجمال العروس (قارن: أبناء سولومون ٥:١).

الرجل الذي يدير مراسيم الخطبة ووسط المزيد من الضحك] من أجل ديشوك إيداه
"يقبل يدها؛ وترتفع أصوات النساء بالكليلي (الزغاريد - المترجم). ويتبع ذلك
كسر قرح النبيذ من قبل العريس.

بعدها تعاد العروس الى غرفتها، ويجلس الرجال والنساء الى سعوت قادوش
[مائدة الخطبة].

وبعد تناول الطعام، يعاد العريس في موكب الى داره حيث يحتفل الأصدقاء
بليلت قاد/شتا [ليلة الزفاف] فيلعبون ويرقصون حتى الصباح.

أما الفتيات والنساء فيجتمعن في دار العروس لإحياء ليل قاد/شتا. وتحضر
معهن نساء بيت العريس أيضاً، جالبات معهن أطباق الحلويات.

ويصبغن يدي العروس ورجليها وشعرها - أو على الأقل واحداً من أصابعها -
بالحناء، ويقضين الليل بأكمله معها دون أن تنام منهن واحدة. وفي الصباح
يرافقنها الى الحمام ثم يعدنها الى الدار، حيث تنتظرهن وجبة طعام.

وبعد الحمام يغنين أغنية: تريني تريني خي يوما انا ميپقلي لامسايور،
"خرجت يوماً للتمشي" (ويتشابه الأمر في العماديه وزاخو). وليس في سنة قيوش
عروسين^(١٨).

فترة الخطوبة

ثمة فاصل زمني يمتد نصف عام أو أكثر بين قيوش عروسين وشقعا براخوت
[بالعبرية، وتعني "البركات السبع" وهو حفل الزفاف]. وفي زاخو تأتي البركات
السبع بعد قاد/شتا بسنة أشهر على الأقل. وهذا يعتمد على الرغبة. وإذا كان ثم
صعوبات في جمع المال اللازم، فإن الفترة الفاصلة قد تمتد الى عامين. ومن جهة
أخرى، فإن الأثرياء في سنة هم الذين يرغبون في تمديد هذه الفترة، ليظهروا
لآخرين كم يصعب عليهم فراق بناتهم. كما يحاولون بهذه الطريقة إظهار تفوق
بناتهم، وكرههم تركها تغادر دارهم الى دار أخرى تعيش فيها ظروفاً هي في
مستوى أدنى من المستوى الذي تعيشه الآن.

ولفترة الخطوبة تقاليدها الخاصة. فلا ينبغي للعروس أن تنكشف طوال هذه الفترة
على العريس أو على أي شخص ذكر من عائلته. وعليها أن تختبئ حالما يدخل أحد

١٨- يتحدث براور في "مي پاراشات ماساعوتاي"، ص ١٧، عن قيوش إروسين أيضاً؛ لكن ذلك
خطأ.

هؤلاء دارها (في زاخو والعماديه وأربيل، وكذلك الحال مع المسلمين الكرد).

بعد قاد/شتا، لا ينبغي للعريس أن يدخل دار العروس إلا بعد أن يجتاز مراسيم
بتيخت /ورخت ختنا، فتح الطريق أمام العريس". وفيها يدعو والد العروس العريس
وأهله الى وجبة عشاء. وليس هناك مراسيم خاصة تجري في ذلك العشاء. وبعد ذلك
يكون مسموحاً للعريس دخول دار عروسه؛ إلا أن عليه في كل مرة أن يطرق الباب
قبل دخول الدار ليكون أمام العروس فرصة الإختباء (في العماديه).

وفي زاخو، تدعى مأدبة العشاء هذه، التي تأتي بعد قاد/شتا بحوالي شهر،
كريث ختنا "دعوة العريس". وفيها ينبغي أن يكون العريس آخر من يغادر، وبعدها
يكون مسموحاً له زيارة دار العروس. وهناك مأدب عشاء مماثلة في أشنويه
(بيسارخيل خيتان) وفي سنه (ميهماني: وليمة).

والغاية الرئيسية من فترة الخطوبة هذه هي تكريسها لتحضير جهاز العروس.
فعلى العروس إعداد مجموعة من الأشياء - هدايا للعريس وللضيوف^(١٩)
ومستلزمات المهدي لأطفال المستقبل. وهدي العريس عبارة عن طوق مطرز باسار
قديلا "خلف الرقبة". وتعد العروس للضيوف قفازات محاكة (دس جوركه) وجوارب
(كيسنت بير)، ومحافظ للمال أو لساعات الجيب، وأغطية محبوكة للقناني (بيمودت
زقرتا). وعليها أن تجهز المهدي بالغطاء (بينود) وغطاء للسريير (كرامتا)، مصنوعة
من "الف رقعة" (يتشابه الأمر في العماديه وزاخو).

الإستعدادات للزفاف

تتم مباركة غالبية الزيجات في عيد الفصح، وقد تجرى مواسم أخرى مثل
سوكوت وشافوعوت (في العماديه وزاخو). أما موعد الزفاف فكان يحدد في السابق
- وأحياناً في أيامنا هذه - عن طريق التنجيم، بواسطة "القرعة". ويظهر هذا من
خلال مقطع من رسالة بعث بها يودا بن شمعون من العماديه الى يحيى في آشور
(الموصل)^(٢٠). ومن الواضح أن تاريخ الرسالة يعود الى القرن السادس عشر. وهي
تحدثنا عن أن كاتبها قد إقترح بخصوص بعض الأمور السياسية إلا أنه لم يكن
مسروراً تماماً لنتائج الإقترع: "إلا أنني لست متفائلاً تماماً لأن الجو كان غائماً
عندما أجريت القرعة". ويضيف القول: "فيما يتعلق بمسألة زواج إبنكم - حفله الله

١٩- هذه العادة متبعة عند الكرد المسلمين أيضاً، وربما هي بالأصل مأخوذة منهم.

٢٠- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٢١.

ووقاه - فإنه ينبغي أن يتم في ١٤ أو ١٥ أو ١٦ من الشهر، وقد بحثت وحققت في هذا طويلاً وهو صحيح^(٢١).

قبل موعد الزفاف بشهر واحد، يدعو والد العريس النساء لشراء ملابس للعروس. عندها تذهب والدة العريس مع والدة العروس وعدد آخر من النساء الى السوق لشراء الملابس والأحذية وما الى ذلك.

وتجري خياطة الملابس في دار العروس، ولايتلقى الخياطون أجراً على خياطتها، بل يقوم أهل الدارين بإطعامهم (في العماديه وزاخو وسنه).

وفي زاخو، وبمجرد قص الخياط لأول قطعة، وترفع النساء المجتمعات صوتهن بكليليي وينادين: بريخه، بريخه، هيوه بريخه، بليبا بيسسيما، "مبروك، مبروك، لتبارك [الملابس] وتفرح القلوب". [وفي العماديه يقلن أيضاً: بريخه، بريخه، نقشا خيره ايلو بنونه وبينيثه بيت ختن وخاليثه، "مبروك، مبروك، (الملابس)، وليوسخها الأبناء والبنات، والعرسال والعرائس" (في العماديه)]. وفي سنه يدعو العريس الخياطين الى وجبة طعام في داره.

وخلال الشهر الذي يسبق البركات السبع، يجتمع الشباب والشابات كل مساء في دار ختنا أو في دار كيلو للرقص والغناء. وتسمى هذه العادة في العماديه كام حيلولا، "ما قبل الزفاف" (بالكرديّة: بر داوت).

أما مراسيم الزفاف الحقيقية فتبدأ قبل شفا براخوت بأسبوع. والسبت الذي يسبق شفا براخوت يطلق عليه شبتا ديد مشموع "سبت الإعلان" (في زاخو؛ وفي العماديه سابقاً).

في صباح يوم السبت، وبينما الرجال في الكنيس، تأخذ النساء والبنات الحلويات والفاكهة والعرق الى منزل العروس. كما يصل العازفون (موطوربيي)، ويبدأ الرقص وغناء "دليليلي، دليليلي". وتشارك العروس أيضاً في الرقص. وعند عودتهم من الكنيس يبدأ الشباب من الرجال رقصة بريسا في ساحة الدار وهم يغنون لوشوانو" (أيها الراعي). ثم يعود الشباب الى دار العريس حيث يواصلون الرقص.

وبعد صلاة مینحا يدعى العديد من النساء الى منزل العريس. وتحمل إثنان منهن، من اللائي يشرفن المقام بوجه خاص، طبقين من الطعام، فيقت كيلو، فاكهة

٢١- ليس الشهر المقصود واضحاً في الرسالة. وربما هو شهر نيسان، أي الشهر الذي يوافق عيد الفصح. وبعد قليل (في السطر ٣٣)، هناك إشارة الى الأول من اذار. وذكر لي مصدر معلوماتي أن البركات السبع تجرى عادة في ١٤ نيسان قبل الغروب.

للعروس، ويأخذانها في موكب تحيط بهما بقية النساء، الى منزل العروس^(٢٢). وإذا صادف وأن كانت العروس ترقص مع بقية الفتيات في ساحة الدار عند وصول فيقت كيلو، فعليها أن تهرع على الفور الى غرفة والدتها؛ لأن من غير المستحب أن تتسلم العروس الطبقين وهي في الخارج.

وينتهي هذا السبت بما يُطلق عليه شيكيلبيست حلولة أو شيكاليست دعوا مبدء الزفاف" [في العماديه: شيكالتيث حلولة]. ويدعى أقارب العروس الى دار العريس، بينما تبعث العروس بإحدى قريباتها لدعوة الفتيات الى دارها. ويجلس الجميع في صيفين متقابلين بالتبادل (في زاخو والعماديه).

وفي سنه، تؤخذ العروس مساء الجمعة الى منزل عمها أو منزل أحد أقاربها حيث تجتمع النساء والبنات في ذلك المساء وفي السبت للرقص والغناء. ويجري الشيء نفسه في منزل العريس. وتعاد العروس الى دار والدها بعد ظهر السبت. وتبشر نهاية السبت بإلات ديواكين، "ليلة الراقصين" [في العماديه: ليلت ديوكات خگا، ليلة راقصي الحفل] في دار العريس. ويشترك في ذلك الشباب والرجال.

للتدابير المتخذة لطعام إحتفالات الزفاف أهمية خاصة في الإستعدادات الجارية خلال الأسبوع الذي يسبق البركات السبع. فتشتغل النساء بتنقية الرز لمختلف الوجبات، وإعداد الخبز، وما الى ذلك. وينبغي ذبح المواشي وتوفير الدواجن والفاكهة والمستلزمات الأخرى.

وفي العماديه، يجتمع الجميع في المساء الذي يسبق البركات السبع (يوافق مساء الثلاثاء) في دار العريس لتناول نانويز (بالكرديّة) "الخبز ولحم الضان". ويُبعث رسول الى والد العروس ليساله عمّن سيكون ممثله (قاصوت) في النانويز. فيظهر واحد من أفراد عائلة العروس. ويتخذ لنفسه مقعداً بجانب والد العريس؛ ويقوم الأخير بتزويده بالمواد التي جيء بها والتي يقضي إتفاق الزواج أن يرسلها العريس الى دار العروس لوليمة الزفاف. وهذه المواد تقررها التقاليد، وهي تتكون من الرز والدقيق واللحم ودهينا (الالية) وسموكة والبصل والقنّاء وشركوم وسلقه (الشلغم) والفلفل، والنظ لإيقاد المصابيح، وحمل من الحطب للمواقد. ويصحب نقل هذه المواد الى دار العروس الغناء والمرح.

٢٢- وكذلك الحال عند الكرد، فيقيا زاواي وفيقيا بوك.

الصبغ بالحناء

أول الأمور المتعلقة بالسحر والتي ينبغي أن يخضع لها العروسان في كردستان هو الصبغ بالحناء. ففي زاخو تتم العملية في أمسيتين - مساء الخميس ونهاية يوم السبت. ويُطلق على ليلة الحناء الأولى *ليل حنّه بيدوكل*، "ليلة الحناء الكاذبة"^(٢٣). وفي الظاهر، يُزعم أنّ هذا الترتيب يُتخذ لكي لاياتي الزفاف بعد الصبغ بالحناء مباشرة؛ لكنه في الحقيقة محاولة لخداع وإبعاد الأرواح الشريرة.

في صباح الخميس يستيقظ الناس على عزف بصوت مرتفع من جانب الموسيقيين يبلغهم بأنهم مدعوون الى دار العريس. وتُجلب الحناء في قدر تستقبله النساء بالزغاريد. ويعجن عدد من النساء الحناء داخل *تاشتا*، يذيبونها في ماء دافئ ويضيفون إليها حميرت حنّه، الذي يُصنع من سموكه. وينبغي أن تترك الحنّه حتى المساء لتتخمر.

توجيه الدعوة للأغا

بعد إعداد الحناء، فإن الخطوة التالية هي إرسال الدعوة الأولى الى الأغا [الزعيم المحلي الكردي] وإستحصال موافقته على الإستمرار في مراسيم الزفاف. وبهذا يتم إجراء مراسيم إرسال الحناء الى الأغا. فتوضع ثلاثة أوعية يحتوي كل منها حناء مطحوناً وقطعة من الصابون، على إناء نحاسي كبير وتغطي بقطعة من الحرير. ويحمل شاب الإناء على رأسه (حسب ما تمليه العادة) الى دار الأغا يرافقه موكب الموسيقيين والعديد من الرجال والنساء. ويقف الموكب أمام باب دار الأغا المقفل. ثم يبعث الأغا خادماً يسأل لمن أعدت الحناء. ويأتي الجواب "إنها حناء زواج فلان وفلانة". وعادة يقبل الأغا الحناء. ولكن في بعض الأحيان، ولسبب ما قد تكون العلاقة بينه وبين تلك العائلة اليهودية متوترة - كان لاتقرضه العائلة المال أو أنها لم تستأذنه مسبقاً في أمر الزواج - فإن الأغا يرفض قبول الحناء. وفي هذه الحالة يعود الموكب من حيث أتى دون موسيقى، ثم يبعث الأغا خادمه الى دار العريس فيشوق هذا غشاء طبل الموسيقي. ثم من خلال الرشوة ووساطة بعض الوجهاء، يحاول اليهودي التصالح مع الأغا قبل أن يفكر في إكمال مراسيم الزفاف.

أما اذا قبل الأغا الحناء، فإن الموسيقيين يطبلون ويزمّرون ويدخل الموكب ساحة

٢٣- بالسريانية القديمة: نَغيلي، "كذاب، غشاش". ماكلين، القواعد، ص ٦٠.

دار الأغا للرقص. ويأخذ الخادم (جوليمه، وبالكرديّة: غولام) الإناء الى زوجة الأغا. ثم يعطي الأغا *الشاباش* للموسيقيين، ويُعلن عنه كالآتي: *شاباشي آغاي سَرَسَري جويترا* "شاباش الأغا [أو في العماديّة: *داوات* أو *خلوليي*، الضيوف] للمجتمعين هنا". وعندما يشير الأغا الى أنّه أن أوان التوقف يؤتى بثوب كهديّة منه للموسيقيين، ثم يعود الناس في موكب الى دار العريس (في زاخو وحدها؛ يرسل الكرد أيضاً الحناء الى الأغا).

بعد ذلك يحملون خمسة أو ستة قذور من الحناء الى معارفهم الكرد. ويبادر هؤلاء أولاً بالسؤال عما اذا كان الأغا قد قبل الحناء؛ لأنه إن كان رفضها فسيعاقبهم على مسأيرتهم اليهود. وعند تلقي الجواب بالإجابة وقبول الحناء، يقوم هؤلاء الكرد أيضاً بمنح *الشاباش* وتقديم هدية للموسيقيين. وإهداء الحناء يعني في الوقت عينه الدعوة لحضور الزفاف (في زاخو والعماديّة وبين الكرد أيضاً).

ثم يعود اليهود الى دار العريس، ومن هناك يحملون في موكب عدداً من قذور الحناء المحضرة الى بيوت أقارب العروسين، حيث يُصبغ شعر كل البنات اللاتي تتراوح أعمارهن بين الخامسة والعاشرية. ويعطي الأقرباء *الشاباش* أيضاً. ويستمر الصبغ بالحناء يوم الجمعة أيضاً وحتى يوم الأحد، إذ أنّ العائلة التي يفوت بنتها الصغيرة صبغ شعرها بهذه الحناء سوف تنزعج كثيراً (في زاخو).

وفي المساء يجتمع الرجال في منزل العريس، والنساء في منزل العروس. والفتيات يجلسن حول العروس ويغنين، ثم تأتي فتاة من أهل بيت العريس وتدعوهن للذهاب الى بيت العريس لجلب الحناء للعروس. وهناك يملأ قدران بالحناء ويحملان على رأسي شابّين الى دار العروس. ويتم إختيار شابّين قويين لهذه المهمة إذ أنّ الفتیان يحاولون سرقة الحناء من القذور في الطريق. ويرافق الموسيقيون هذا الموكب. وعندما يبلغون دار العروس، ينادون "الحناء قادمة" وذلك لتتحمّب العروس. ثم تقوم النساء بفك ضفائر العروس وصبغ شعرها بالحناء. وبعدها يصبغن يديها ثم أيديهن.

بعد إنتهاء الصبغ بالحناء في دار العروس، تعاد الحناء الى العريس، وتصبغ بها يداه وناصيته وجدائله، *كولاك* [في العماديّة: *كولانك*]. وبعده يصبغ الحاضرون من الشباب أيديهم.

وفي زاخو، يأتي السبت بطقوسه الخاصة بين *ليل حنّه بيدوكل* وليلة الحناء الحقيقية. ففي صباح السبت يوقظ الموسيقيون بهذا النداء المرح: *هو، هو، هو*،

موتوربو، سَرَّ سوباحيه لييده^(٢٤)، "إستيقظوا، استيقظوا، أيها الموسيقيون، إنّه الصبح، دَقُوا (على الطبل)!".

وتقيم الموسيقى كل اليهود واقفين؛ ثم يؤخذ العريس، وهو يرتدي ملابس عادية، الى الكنيس حيث لا يُدعى هو ولا والده الى قراءة التوراة، لأنهما في مراسيم الزفاف. وخلال وجود الرجال في الكنيس، ترقص النساء والفتيات من عائلة العريس في المنزل على أنغام الموسيقيين. وتحمل أم العريس مبيوسه مع منخل (عاربالا) مملوء بالزبيب والفاكهة. وبصحبة الموسيقيين تحمل النساء هذا الى العروس لأجل سوباحيت كيلو [في العماديه: فتارتت كيلو] "طور العروس". وهناك يستمر الرقص أيضاً، ويتم توزيع الأشياء الجيدة التي جيء بها.

في هذه الأثناء، تُرسل فتاة بين حين وآخر الى الكنيس لترى إن كانت الصلاة قد إنتهت، حيث تذهب النسوة الى الكنيس بعد إنتهاء الصلاة مع الموسيقيين لإعادة العريس. وكما أسلفنا، فقد تتم مباركة عدة زيجات معاً، ويلتقي الموسيقيون في الطريق. والضجة الناتجة تكون بحيث أن الشمّاش يضطر الى الخروج من الكنيس لتهدئتهم. عندها يعود الموسيقيون مع من معهم كل الى دار عريسه.

وبإنتهاء يوم السبت يأتي ليليه^(٢٥)، التي يتم فيها صبغ العروس والعريس بالحناء [في زاخو]. وخلال تلك الليلة لا ينبغي أن ينام الشباب والشابات الموجودون في منزلي العريس والعروس، على التوالي؛ لأنّ عليهم أن يحرسوا العروسين (وكذلك هي العادة عند الكرد).

يجلس العريس على مسند منخفض، ويقوم رجل كبير السن بغسل رجليه وذراعيه وقص أظفاره. وأثناء ذلك يغني الرجال أغنية "هاي كليا بي". ثم يصبغون جديلتي العريس بالحناء وكذلك يديه من الجانبين حتى الجراجم، وقدميه حتى الكاحلين. ويغنون في هذه الأثناء ويمنحون الشابات؛ وفي النهاية يحنّون أنفسهم.

بعد الإنتهاء من الحناء يحمل الرجال عدداً من قدور الحناء ويتقدمهم الموسيقيون الى دار العروس. والعروس سبق أن صبغت بالحناء. ولكن اذا كان هناك جزء من شعرها لم يصبغ بحناء ليلة الخميس فإنه يعاد صبغه. وأثناء الصبغ بالحناء يغني الحاضرون أغنية نارليك.

أما في أربيل، التي تقام فيها مراسيم البركات السبع في يوم الأحد أيضاً، فإنّ

٢٤- ژابا، القاموس، ص ٣٨٤.

٢٥- وكذلك عند الكرد تكون الليليه الليلة التي تسبق الأحد.

ليلة الحناء، بيت حنه، هي أيضاً الليلة التي تسبق الأحد. وهناك يُصبغ خنصر وإبهام اليد اليمنى للعريس.

ليلة الحناء في العماديه

في العماديه أيضاً، تأتي ليلة الحناء (ليل صاقيعاتا [أو ليل صووعتا]) قبل البركات السبع بيوم، أي في مساء الثلاثاء. ويبعث والدا العروسين شمّاشاً ليدعو الناس: /تيتون صاقيعاتا بيتت كيلو (ختنا)، "هلموا الى الصبغ في دار العروس (العريس)". [وتختلف صبغة الدعوة الموجهة الى الأثرياء عن الموجهة الى الفقراء. فعندما يكون الرجل ثرياً، تكون الصبغة كالاتي: ادليل صواتيلا بيتت كيلو مياشليتون، "الليلة هناك صبغ في دار العروس، فاطبخ" (أي إجلب معك طعاماً). أما اذا كان فقيراً فيقال له: لا مياشليتون، "لا تطبخ"، وهذا بدوره لا يأتي معه بطعام].

يجتمع الناس في دار العريس، حيث يرقصون ويغنون ويشاركون في المرّه. ثم تقدم لهم وجبة الطعام. وبعد تناول الطعام، يقود شوشبن يامن (قريفيته راست [إشبين العريس]) الختنا بكل تودة الى بيته. وعندما ينتهي الضيوف من التبريك، يسأل كل منهم الآخر "أين العريس؟"، فيأتي الجواب "لقد خرج غاضباً (موخشميل)"، "تعال، إننا نريد إعادته". وفي الطريق الى دار الشوشبن يغنون: يا سرّ قنتركا شي ربن شي ربن، "تلك في الغرفة العلوية، جميلة جداً جميلة جداً" (بالكرديه).

وعندما يبلغون الدار، يسألون العريس "لم غادرتنا؟" ويقدم الشوشبن المرطبات للضيوف، ثم يعاد الختنا الى البيت من طريق أخرى، جيّه بوكه.

وتكون الحناء قد جيء بها من دار العروس صباحاً. وهي الآن تعجن للعريس من قبل فتاة غير بالغة. وعندما تكون الحناء جاهزة، يُجلس صبي على ركبتي العريس وتجري عليه كافة مراسيم الصبغ بالحناء قبل إجرائها على العريس. وبدءاً باليد اليمنى ثم الرجل اليسرى فاليد اليسرى والرجل اليمنى، تصبغ بالحناء وتُلف. والغرض من صبغ الصبي بالحناء هو ضمان البركة بالعديد من الأطفال للعروسين في المستقبل. وبعد صبغ العريس بالحناء، يحنّي الشباب الحاضرون أنفسهم أيضاً.

عندما ينتهي صبغ العريس بالحناء، تذهب البنات الى دار العروس ليُحنّوها، صوعاخ كيلو. وهنا أيضاً تعجن الحناء من قبل فتاة غير بالغة. ويجري الصبغ بالحناء أولاً على بنت جالسة في حجر العروس. وما عدا صبغ شعر العروس بالحناء، فإن بقية العملية هي نفسها التي تجري مع العريس. وخلال العملية تغني

النساء: حَجْوَكه سيمر كندي آخ يامان [حَجْوَكه (إسم إمراة) تضيء كالقمر، ما أجملها؛ (بالكرديّة)].

في سنه، تكون ليلة الحناء (ليل حنّه) الليلة التي تسبق الخميس، أما البركات السبع فتاتي في الليلة التي تسبق الجمعة. وتحنيّ النساء جانبي يد العريس وشعره. ويحنيّ شعر العروس ويدها ورجلاها؛ كما ترسم خطوط عدة على جبهتها.

وفي زاخو، هناك وليمة، باشيقت ختنا، تتبع الحناء وتقدم في دار العريس لحوالي مائة من الضيوف. أما النساء والفتيات فلايُقدم لهن غير الطعام الذي جيء به من بيت العروس في حفل يسمى "تَبَقّ السلال"، قبل الليلية. ويحمل الموجودون في دار العريس حوالي مائتي رغيف خبز (لحمت دوقى)، موزعة على خمس أو سبع سلال - وكذلك بعض اللبن الرائب بالكعوب (كارانگه ماست) - في موكب يرافقه الموسيقيون الى دار العروس.

ويتناول العروسان كمية كبيرة من الطعام، إذ يجب عليهما أن يصوما اليوم التالي كلّه. ويقوم الشوشبنم بإطعامهما، لكون أيديهما ملفوفة ولايستطيعان تناول الطعام بنفسهما (في العماديه أيضاً)^(٢٦). وعندما يرفع الشوشبنم اللقمة الأولى الى فم العريس - وهي قطعة خبز كبيرة - يحاول الجميع خطفها منه، ويقتطع كل واحد منها قطعة صغيرة على أنها سيگولا [بالعبرية، أي تعويذة]. ويفعلون الشيء نفسه مع لقمة العروس الأولى (في زاخو والعماديه).

وبإمكان العروس والعريس أن يتمددا ويناوما؛ لكن هؤلاء الذين يقضون الليل في داريهما ينبغي أن يظلوا مستيقظين، حيث أن مهمتهم هي حماية العروسين من الأرواح الشريرة. فيرقصون ويغنون ويلعبون لكي لا يغلبهم النوم. ويحمل البعض إبرة وخيطاً فاذا نام أحد، يخيطنونه الى الحصيرة أو الى من بجانبه. وتوجد عادة مشابهة تمارس في تشعا بأف.

وفي سنه، يختار هؤلاء الحرس واحداً منهم يكون كاد خودا "رئيس الشرطة"،

٢٦- لايمكننا الجزم بأن هذا هو السبب الوحيد أو أن المسألة هنا تدخل في باب الحرام. وتجدر الإشارة، إلى أنه من بين كل الدوائر التراثية المختلفة فإن البولنيسيين (سكان بولنيسيا، وهي مجموعة جزر في المحيط الهادي تقع الى الشرق من أستراليا والفلبين؛ ومنها جزر ساموا في جنوب المحيط الهادي - المترجم) بالذات - وكما هو الحال في جزر ساموا مثلاً، فإن من مات له ميت لا يضع الطعام في فيه بنفسه بل يجب أن يطعمه الآخرون (جورج بوشان، *Volkerkunde*، شتوتگارت - برلين، بلا تاريخ طبع، المجلد الثاني، ص ٢٣٩).

وأخرين كشرطيين، فَرَأش بيشي. وهؤلاء يحتالون مختلف الحيل على رفقائهم. فهم مثلاً، يرفضون السماح للشباب بصبغ أنفسهم بالحناء ما لم يدفعوا لهم بعض المال. وبهذا المال الذي يجمعونه يقيمون بعد الزفاف عشاءً جيداً.

حمام العروس

بعد الصبغ بالحناء، يأتي إغتسال العروس والعريس كإجراء آخر ضمن الإستعدادات للبركات السبع. وفي زاخو تأخذ العروس حماماً ساخناً في دارها بعد الحناء - بينما لاتزال الدنيا مظلمة، قريباً من الفجر. ويتم أولاً غسل بنت لايزال أبواها على قيد الحياة في الماء، ثم تغتسل العروس، ويغتسل بعدها عدد من صديقاتها.

بعد الإغتسال في البيت، تصحب إمراتان العروس الى النهر قبل إنبلاج الصبح؛ بحيث لاتزال ثم نجمة يمكن رؤيتها في السماء. وهناك تُنزع ملابسها - ولايبقى عليها مما يلبس أكثر من خاتم - ثم تغطس بنفسها في النهر ثلاث مرات. وهذه الغطسات في النهر ينبغي أن تجري حتى في فصل الشتاء.

وفي العماديه تصحب النساء والبنات العروس الى ضفة النهر (روبار)^(٢٧) ويغسلنها في الماء الدافئ بواسطة ليفة (منسوجة)^(٢٨) [يعني حرفياً "إسفنجة"؛ لكنها في الواقع محفظة يوضع بداخلها الصابون]، ويقمن برشها بماء الورد وما الى ذلك.

وفي أربيل، يجلب الشماس للعروس بعد الإغتسال أدوات من دار العريس: صابون (سابون)، وخرقة إغتسال (ليفك) ومشط (مسرك) ومناديل (بيشتمال) وماء الورد (ميات ورد) ومعجون مزيل للشعر لإزالة شعر الجسم (درمان گوره). وعندما تمشط النساء شعر العروس، في العماديه، يلتقطن سبع شعرات من التي تعلق بالمشط. ثم يأخذن هذه الشعرات الى الحاخام، الذي يركبها مع خيوط من الحرير ليشكل منها صغيرة، يُعتقد أنها تمثل إلتحام العروس والعريس الذي يدرأ ضرر السحر. وفي الليجود (أنظر الص ١٦٢-١٦٣) يفك العريس شعرة ثم تفك العروس أخرى، وهكذا الى يتم فك كل الشعرات.

بعد الإستحمام، يتم تغطيس العروس في النهر ثلاث مرات. ثم تُلبس ملابسها،

٢٧- ژابا، ص ٢٧٢: روبر، "نهر".

٢٨- [كان] هناك ليفت كيلو من هذا النوع موجود ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية (٣٦: ٦١).

ولكنها لاتلبس زي الزفاف آنذاك. وأثناء إرتداء العروس لملابسها، تغني النساء: دم خَمْلولا، دم خَمْلولا، زَيْنُوها بسرعة" (بالكرديّة) [وفق مصدرِي من العماديّة، فإنّ كلمات الأغنية هي: دم خَمْلولا، دم خَمْلولا/ تولى رَندي، دم خَمْلولا، زَيْنُوها، زينوها/ إنها جميلة ولطيفة، زينوها]. ويُقدّم الكعك والبيراح للنساء عند النهر.

ثم يُعدّن العروس وهنّ يغنين الأغاني، الى البيت محجّبة تماماً. ويخرج الموسيقيون لإستقبالهنّ؛ ويقف الناس على أبواب منازلهم يمتطرون العروس بالجوز والحلويات والقمح^(٢٩).

وفور دخول العروس دارها وإتخاذها مقعداً يُجلّسُ صبي صغير على ركبتيها، ويقال: *إشالاً برينه قَمييا هَويلاخ هَوه أورزه* [إن شاء الله سيكون أول مولود لك ذكراً، أو *إشالاً إليّيه تاخيرخ بخا أورزه*، إن شاء الله سيذكرك الله بذكرك، في العماديّة].

وفي الفترة التي تفصل بين حمّام العروس وحمّام العريس، يُكتب كيتوبّه [بالعبرية، عقد القران] (في زاخو والعماديّة).

يتم تكديس جهاز العروس في إحدى زوايا الغرفة؛ وفي صباح الأحد، يأتي الحاخام وعدد من الوجوه ورجلان يأتي بهما *الحاتان* [العريس] لتقدير قيمة الجهاز وإدراجها في الكيتوبّه، الذي يتم إعداده مسبقاً. ويتم تقدير قيمة كل شيء وتسجيل القيمة في العقد. وفي أحيان كثيرة يتشاجر الوالدان على تقدير القيمة، مما يضطر العريس الى الطلب من الحاخام كتابة الكيتوبّه حسب تقديره (في زاخو والعماديّة).

حمّام العريس (خبيبت ختنا)

في زاخو، بعد تقدير قيمة جهاز العروس، يدعو الشّمّاش الشباب الى منزل العريس حيث يرقصون ويغنون ويمنحون *الشاباش*. وقد جرت العادة في السابق أن يتجول حوالي عشرة من الشباب يصحبهم الموسيقيون، في أنحاء المدينة قبيل إنتصاف النهار لجمع الطعام لياشيقت ختنا [ويعني حرفياً "ما بعد عشاء العريس" (يقابل السحور عند المسلمين - المترجم)، في العماديّة]. لكن تم التخلي عن هذه العادة في الآونة الأخيرة. وبدلاً منها، يرسل حوالي مائة من عائلات الجوار الطعام. وهذه الوجبة هي من وسائل الترفيه (في زاخو).

٢٩- هذا يثبت قدمها وينظم أمرها. وفي أشنويه أيضاً يرش القمح، كما هو الحال في مناطق كثيرة في مختلف أنحاء العالم.

وبعد تناول هذه الوجبة، يُبعث رجل مسن مع قدر وكمية من الحطب ليسخن الماء لحمّام العريس عند النهر. وفي موكب كبير يشارك فيه كل من يسمح له وقته بالمشاركة ويرافقه الموسيقيون يؤخذ العريس الى النهر. ويشترى والده للشباب، إن كان ثرياً، قبعات طويلة بيض من اللباد (كوسيسا، وتجمع على كوسيسيسا؛ وبالكرديّة: كيومك [أي: قبعة])^(٣٠) تشبه تلك التي يلبسها النساورة.

ويأتي غير اليهود أيضاً لمشاهدة حمّام العريس عند النهر. وفي مؤخرة الموكب يأتي العديد من الصبيان حاملين صرراً فوق رؤوسهم بوقچت د ختنا [صرة ملابس العريس] التي تحتوي ملابس العريس.

وعندما يبلغ الصبيان الحاملون للصرر ضفة النهر، تبدأ النسوة أولاً بالرقص يتبعهنّ الشباب في رقصة بريسا [في زاخو؛ وفي العماديّة: خيگه أو خلوله، "رقصة" حولهنّ. ويسبق حمام العريس، كما في الحناء، إستحمام صبي غير متزوج وغير بالغ ولايزال أبواه على قيد الحياة. ويستغرق حمام العريس حوالي الساعة يرافقه غناء أغانٍ خاصة. وبعد الإنتهاء من الإغتسال يغطس العريس بنفسه في النهر ثلاث غطسات. وقد يغطس بعض الشباب ممن يريدون إظهار شجاعتهم ست مرات أو سبعاً الى أن ينادي الناس: *گمیل، گمیل، توقف!*

وبعد الغطس يلبس العريس ثياب الزفاف عند حافة النهر^(٣١). ويغرّز في حزامه خنجرأ (خنجر) يستعيره من الكرد. وهذا الخنجر يعمل كوقاية من العين الشريرة ولتخويف العروس في حال تماديها في التمتع. ويستخدم عمامة (كاسروان) [وهو مندبل حريري مزين بنقوش ملونة يلفّ حول القبعة] مثبتة عليها تعاويذ واقية من السحر والحسد - فمثلاً يرفق بها عصابة (تيتا) مزودة بسلاسل صغيرة وعقارب فضية وشفادع وأحجار خضر وأزرار مصنوعة من "عظام السمك". والى جانب كل ذلك، يحمل العريس غليوناً طويلاً جداً (باسكه)^(٣٢)، يجب أن يدخن منه عند النهر (وهي عادة كرستانية أيضاً).

ويصحب العريس رجلان من أهم رجال المدينة. ومن أمامهم ومن خلفهم يرقص الناس رجالاً ونساء رقصة *درانگه*.

٣٠- زاها، القاموس، ص ٣٥١: كويميك، مصغّر كوم "الحلاق، القلنسة". أنظر الصورة التوضيحية في كتاب بنديه، كردستان، ص ١٦٨.

٣١- يتبرع بالملابس القديمة لكبير الموسيقيين. وكمزحة قد يُقذف هذا في الماء وهو بتلك الملابس.

٣٢- في العماديّة، *باسكه بچاي*، قصة الغليون الملقوفة بالقماش. أنظر مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٣٠، النص ١٢، السطر ١١؛ ولم يتمكن من توضيح معنى العبارة.

في العماديه، يتوجه العريس الى النهر راكباً يرافقه دول وزورنا [الطبل والمزمار]. ويطلق المسلمون الذين يرافقون المركب النار من بندقياتهم. ويُغسل العريس على شاطئ النهر وتوزع ملابسه القديمة على الرجال الذي يغسلونه. ثم يُغَطَس في النهر ثلاث مرات ويُرَش عليه ماء الورد ويُلبس ثياب الزفاف. وتُغَنَّى أغنية زاوايي بينه روياري (أحضروا العريس الى ضفة النهر) أثناء إرتدائه ثيابه [أو يُغَنَّى: زاوايي بينه سرشويي - حَمَه مَم داوو، "خذوا العريس الى موقع الإستحمام، حَمَه (إسم) أمك (تناديك)]. بعد ذلك يؤخَذ الى بي حازين [حيث يلبسونه ثيابه. ويدعى الكاتب فيرسم على جبهة [العريس] بالحبر الأسود علامة ۞ كبيرة. وتُدَسُّ الورد في عمامته وحزامه ويرش بماء الورد مراراً. [يترك العريس قميصه مفتوحاً عند العنق، ويبقى مفتوحاً حتى يدخل بعروسه. واذا تمكن من الدخول بها يغلق عنق قميصه؛ وإلا فإنه يتركه مفتوحاً.

وعند إنتهاء العريس من إرتداء الثياب، يظل جالساً حيث هو، يحيط به العديد من الشباب. وقد جاء كلٌ منهم بما يأكل ويشرب - قنينة من النبيذ أو الكحول، والمزّه وما شابه. ويجلس كل واحد من الشوشبنم على أحد جانبي العريس، ويغني جميع الحاضرين الأغاني على شرفه. وهكذا يقضون الفترة بين الساعة الثالثة بعد الظهر والساعة السادسة عندما ينهض الجميع لمرافقة العريس الى دار والد العروس، حيث تجري مراسيم شَقًا براخوت (في العماديه)].

كسوة العروس

أثناء إستحمام العريس، تُكسى العروس بثياب الزفاف. حيث يكون الى جانبيها عدد قليل من صديقاتها، إذ أنّ النساء والبنات موجودات في ذلك الوقت عند النهر ليشهدن مراسيم كسوة العريس.

وبينما يكسب العريس، تغني البنات ناريك. [كلمات الأغنية هي: ناريني هي ناري، إتخذت العروس زينتها، إتخذت زينتها، بالكردية]. وليس ثم مراسيم خاصة بإكساء العروس كما أنّ هناك القليل من المرح بسبب الحزن للفراق الذي يسود النساء من عائلة العروس. وتبكي العروس ووالدتها بصوت عال، ويُستحسن أن تبكي النساء والبنات الحاضرات أيضاً.

[ليست الملابس الجزء الأهم من زي العروس، فالحلي والزينة هي الأهم. حيث تُدَسُّ في شعرها سلاسل فضية مزودة بأجراس فضية صغيرة، تصدر عنها رنة كلما حركت رأسها. وتشد على كل صغيرة من ضفائرها واحدة من هذه السلاسل ذات الأجراس. هذه السلاسل تسمى كدله. وتضع العروس على رأسها كوجمه، غطاء رأس، من الصوف مزخرف بزخارف مختلفة. والكوجمه تكون على شكل فخذ ثور (أي أنها ذات نهاية مستدقة)؛ ومنها تتدلى على جانبي وجه العروس حلي ذهبية أو فضية تبلغ صدرها. هذه الحلي تسمى شوشلاتا.

وفوق الكوجمه تضع العروس برقعاً (خبيو) أحمر خفيفاً، يغطي وجهها أيضاً. وتضع في أذنيها القرط (مرقاد) - الذي يكون ذهبياً إن كانت ثرية وفضياً إن كانت فقيرة.

وتتدلى على أنفها حلقة الأنف (خزيمته) الذهبية المثبتة في ثقب في أحد منخريها. وحول عنقها تضع قلادة (كردانه) - من الذهب إن كانت ثرية، وإلا فمن فضة. وفوق كل هذا تضع حول رقبتها قلادة عريضة من المرجان الأحمر يتدلى منها قرص دائري من الذهب. وهذه القلادة تسمى توقد كسني، قلادة المرجان، بينما يسمى القرص الذهبي دهوا أوروا، الذهبية الكبيرة. ومن كتفها الأيمن الى وركها الأيسر، تتدلى سلسلة فضية مزودة بصفحة فضية. وهذه الصفحة هي بمثابة تعويذة رسمت عليها كلمات عبرية وأغان ذات أهمية في درء الشرور، كاسماء شاداي وصقاعوت؛ وصلوات تبدأ بالكلمات: انا بيخواح؛ والحرف الأول من كل واحدة من كلمات بداية اليسالم (سفر الأناشيد)**): شير حاماعلوث إسا عيناى؛ وكلمة أركامان، التي جاءت حروفها من الحروف الأولى لأسماء الملائكة: أوريل ورافائيل وكابرييل وميكايل ونوريل. تسمى هذه الصفحة شم شاداي، وهي هدية يهديها العريس للعروس. وتزيّن يدي العروس أساور، شوبراسا، من ذهب وفضة. وفي أصابعها عدد من الخواتم الذهبية، إسقياسا (إسقيسا)؛ أما خاتم الزواج فيجب أن

* [كان في نية براور أن يكتب مثل هذه الفقرة وأخرى تليها عن زي العريس، لكنه توفي قبل كتابتهما. والمعلومات الواردة هنا هي من المحام علوان أفيداني من العماديه، وهي مدونة كما أوردها. رافائيل پاتاي].

** اليسالم (سفر الأناشيد) أحد أسفار العهد القديم مؤلف من (١٥٠) من الأناشيد أو الترانيم (يسالم).



كَمَر مالاَجَم (إبزم حزام) من العماديه



كَمَر دوتَبَق (حزام مطعم على صفيين)

يكون من فضة. وحول كاحليها تضع الخلخال (خالخيل).

وللجزء الأعلى من جسمها، ترتدي العروس بلوزة بيضاء خفيفة، سودرت كيتان، "بلوزة القطن". وفوقها ترتدي بيلكا، "صدرية" من الحرير الملون وفوق ذلك معطفاً طويلاً، كورتك أو فستانا. والأغنياء يصنعون هذا المعطف من الحرير أو من الكالابون، وهو قماش مصنوع من خيوط الفضة والصوف (أو الكتان) محاكاة معاً. وفوق هذا المعطف ترتدي العروس عباءة قصيرة، كوتكد كالابون، أي عباءة الكالابون. وفوق الكورتك أو الفستانا ترتدي نطاقاً من كتان، كنيرا، يشد من الأمام بواسطة كَمَر - صفيحتان من فضة. وتلبس سروالاً داخلياً، شرواله، عادياً من الكتان مع جوارب مزركشة، كوروي كَمه، وحذاء. وفي العماديه، يكون الحذاء إما قوندره (مصنوع من الجلد) أو بيلاو (مصنوع من الجلد الأحمر، نوع من الخف) أو كَمه (من الجلد الأحمر وذو كعب عال).

مرفاده (قرط)
من العماديه



دهفت گو توفه
(قطعة [حلي] ذهبية
تعلق في السلسلة)

زبي العريس

[على العكس من العروس المزيّنة كلياً بالحلي، لا يضع العريس أي نوع من مواد الزينة. كما لا تختلف ملابسه عن الملابس العادية التي يرتديها يومياً أو ملابس العيد التي يرتديها الشباب. ويضع على رأسه خوسيسا، قبعة، أو جمداني، عمامة للرأس مصنوعة من قماش أزرق، أو پوشيه، عمامة من الحرير. ويرتدي قميصاً من كيتان (قطن) وبنطالاً، مخيزنا، من قماش أبيض. وفوق القميص يرتدي طاليث زعورا (الطاليث الصغير، زي تقليدي مربع الشكل توجد به نتوءات كالأصابع عند زواياه الأربعة)، وفوق هذا يرتدي بيلكا (صدرية). وفوق هذه الملابس يرتدي بنطالاً وسترة، شالا شاپوكسا. ويشد على خصره شالا تورما (شال من تورما - وتورما مدينة في فارس تشتهر بصناعة الشال الذي يصدر إلى كردستان، في العماديه).

الموكب إلى دار العروس

في القرى التي يغتسل بها العريس في الحمام (سنه وأربيل وأشنوويه) يعود الموكب إلى دار العريس، ليؤخذ من هناك إلى دار العروس. وهذا يختلف عن العادة الجارية في المجتمعات التي يجري فيها إغتسال العريس عند النهر؛ حيث النهر يعدّ مكان تعبد، ومنه يؤخذ العريس مباشرة إلى دار العروس.

في زاخو، عندما يمر العريس بالمدينة في طريقه إلى دار العروس، تعجّ أسطح المنازل بالناس وترفع النسوة أصوات كليلي. ويتقدم أحد الرجال الموكب وهو ينادي: باهتيتا چوخا ليعيزل چوخا لي خييت، أيتها النساء، لاينبغي لأي منكن أن تغزل، لاينبغي لأي منكن أن تخطي. عندها ينبغي على النساء التوقف عن الغزل - العمل الذي تؤديه المرأة الكردية سواء كانت واقفة أو جالسة أو ماشية - كما لاينبغي أن يشتغل أي منهن شغل أبرة (وكذلك الحال في العماديه)؛ إذ يُعتقد أنّ مثل هذه الأعمال قد تكون نوعاً من الفال السيء بالنسبة إلى العريس. وكلما مر الموكب بدار أحد الأقارب أو الأصدقاء، تخرج سيدة الدار من الباب حاملة قدراً فيه قمح تنثره على رأس العريس، ثم تكسر إبريقاً أمامه. وعندها يصيح الناس (بالعبرية): "كُسر الإبريق وسلطنا نحن" (هاكاد نيشبار وعانحنو نملاطنو). وكذلك عندما يمر العريس بعتبة دار العروس، تنثر امرأة القمح على رأسه وتكسر إبريقاً.

في العماديه، وكما مرّ بنا، يؤخذ العريس من النهر مباشرة إلى بي حازين. وهناك يجلس الرجال والشباب إلى شيريثت كام ختنا، ويمتعون أنفسهم بالعرق

والمزه. وفي تلك الأثناء يتوجه عدد من الشباب والشابات إلى دار العروس لجلب شمعت ختنا [شمعة العريس]، التي يقدمها الشماش بمناسبة الزواج. وهي شمعة غليظة مثبتة على كعكة من الشمع. وحول تلك الشمعة الضخمة توضع سبع شمعات أصغر تمثل البركات السبع. وتلتقط كل فتاة شمعة صغيرة ملونة لتحملها في موكب الزفاف.

ينضم إلى الموكب كل القادرين على السير. أما المسنون والعاجزون والآخرون ممن لايقوون على السير، فإنهم يملأون أسطح الدور التي سيمرّ بها الموكب. وفي طليعة الموكب يوجد الراقصون الذين يحمل كل منهم عند الرقص سيفاً وترساً. ويرقص رجال مسنون رقصاً عنيفاً وفي أيديهم كوپال (العصا). وتتقدم العريس فتاة من عائلته حاملة مبخرة. [البخور نوع من الغراء، بوخاري، مصنوع من ثمار أنواع معينة من الأشجار. تنبعث منه رائحة نفاذة عند حرقه. ويُعتقد أن دخانه يُبعد الأرواح الشريرة؛ وبهذا فإنّه يحمي العريس]. ويتقدمه أيضاً كريقينا راست حاملاً الشمعة الضخمة. أما كريقينا چپ فيمشي وراء العريس. ويمسك بعباءة العريس ليحول بذلك دون مرور أي شخص بينهما؛ لأنّ حدوث ذلك يؤدي إلى تآثر العريس بالسحر.

ويحاط العريس بفتيات يحملن في أيديهنّ شموعاً موقدة وهنّ يغنين. ومن الأغاني التي يغنينها:

بيكلي [پلپلي] سهرير يا باهورا: هناك يظهر القمر، ويشيع الضياء
إلى بلهيا إل سبيست طورا: إنه يضيء فوق (قمة) الجبل

أما في سنه، فيتم إصطحاب العريس في موكب، من داره إلى دار العروس. ويحمل الناس في أيديهم مشاعل خشبية وشموعاً وهم يفتادون الحصان الذي سيحمل العروس إلى دار العريس (أنظر ص ١٥٨). والحصان الذي تتم إستعارته من يهودي آخر - يتم تزيينه بإفراط فيغطي السرج بقماش ملون بألوان زاهية وكثيرة وتضفر أشرطه ملونة في ضفائر تشدّ إلى عرفه وذيله. وعلى جانبي العريس يسير الشوشبنيم كلاهما، وفي يد كل منهما مشكاة.

وصول الموكب؛ بيراخته

في زاخو، يجري البيراخته، "التبريك" (أي البركات السبع) في دار العروس، إذ يؤخذ العريس إلى هناك. وبعد الغروب بعد البركات السبع، تؤخذ العروس إلى دار

العريس. والأسلوب المتبع في العماديه وأربيل هو نفسه، إلا أنه ليس ثم أسلوب موحد على نطاق كردستان كلها.

ففي أشنويه تجري تلاوة البركات السبع إما في دار العروس أو في دار العريس بعد أخذ العروس إليها. وخوفاً من تعرض العروس لأثر السحر، تُتلى البركات السبع في دارها^(٣٣) سراً فور إنتهاء حمّامها. وإلا فيمكن إجراء المراسيم في دار العروس أو في دار العريس.

وفي سنه من جانب آخر، تجري المراسيم عادة بعد أن يؤتى بالعروس الى دار العريس. وليس واضحاً السبب الذي أدى الى هذا التغيير في العادة الجارية.

وثمة القليل من التوحيد في العادة الجارية يتعلق باليوم الذي تُبارك فيه الزيجة. ففي زاخو يجري البيراخته مساء الأحد. وكذلك الحال في أربيل. أما في العماديه فيجري الباروخ [التبريك] مساء الأربعاء؛ وفي سنه^(٣٤) وأشنويه (المناطق الخاضعة للنفوذ الفارسي) فيجري مساء الخميس، وفي دهوك مساء الجمعة.

وفور ولوج العريس الدار، تقوم امرأة بكسر إبريق وتنتثر القمح عليه (في زاخو) أو يرشّق بالجوز (في العماديه).

في زاخو تجري المراسيم في السويّا، وفي الصيف في البربانكه (أنظر ص٨٧). وهنا لم تجر العادة على بسط قطعة قماش أمام العروس أو عليها على أنها هويّا، "ظلة العروس". وتوزع الشموع على الحاضرين لتضاء عند إجراء البيراخته. أما الأب فيحمل شمعة كبيرة جداً.

وقبل البركات السبع، يقرأ الحاخام الكيتوبه. وعندما يتلو أواخرها يهتف الحاضرون: إلبها ميعمر بيت بيبيخ، ليعمر الله دار والدك (المقصود والد العروس).

وتجري مراسيم البركات السبع في إحدى زوايا الغرفة. إذ يقف العريس قبالة العروس المنتحبة واضعاً قدمه اليمنى على قدمها اليسرى. كعلامة على خضوع الزوجة^(٣٥). وبعد الإنتهاء من البركات، يكسر العريس إبريقاً برجله.

٣٣- في زاخو، يجري العريس الذي له أعداء ويخاف من التعرض للسحر مراسيم تلاوة البركات السبع سراً في الليليّه، بعد منتصف الليل. ومع ذلك فباته يذهب الى النهر في اليوم التالي للتعديد واللبس ثم التوجه الى منزل العروس، حيث لايجري غير تلاوة الكيتوبه.

٣٤- قارن: براور، مي پاراشات ماساعوتاي، ص ١٨.

٣٥- كانت هنالك حالات لم تسمح فيها العروس للعريس بأن يدوس برجله على رجلها.

أما في العماديه، فتُبسّط قطعة قماش (بيرت كيلو) أمام العروس. ولدى قراءة الكيتوبه يمسك الحاخام بإحدى نهايات الوثيقة بينما يمسك العروسان زاويتي الطرف الآخر، وتمد العروس يدها من خلال النقاب. وعندما يبلغ الحاخام في تلاوته عبارة: مآقاراع أو مطلقطال، يضرب الحاضرون الأرض بأرجلهم ويرددون العبارة من بعده.

في الكيتوبه الكردية، توجد عدة نقاط تحدد وقت قنيان [الإكتساب]. وعند بلوغها يحمل الحاخام والعريس قماشاً من حرير لإجراء القنيان.

وإذا كان العريس قد أعطى عروسه الخاتم في مراسيم بيركات عروسين [تبريك الخطبة] فإنه يجري الآن البيع الصوري بين الطرفين بواسطة پاروطه (قطعة نقدية). ويتم ذلك بتغطيس پاروطه أولاً في النبيذ الذي سيحتسيه العروسان فيما بعد. وهنا أيضاً تظهر العروس كاشفة وجهها للعريس والشاهدين ليتأكدوا من أنها العروس الحقيقية.

وبعد البركات السبع يتقدم الكل لتقبيل العريس من رأسه، والحاخام يغني:

هاي بو مبيرك هاي بو مبيرك: أه، ليبارك [ويكرر العبارة]

زاويو بگلي معبيرك: ليبارك للعروس عريسها. (بالكردية)

الأخطار المحدقة بالبركات السبع

يكون العروسان معرضين لأخطار من نوع خاص في مراسيم البركات السبع. فمراسيم الصبغ بالحناء والتعاويد والإغتسال - كلها لاتجرى لمجرد إعداد العروسين وتهيئتهما للدخول في وضعهما الجديد، بل هي أيضاً لحمايتهما من التأثيرات الشريرة التي يكونان هدفاً لها بنوع خاص إبان هذه الفترة الإنتقالية.

فقبل البركات السبع، ينبّه الحاخام الضيوف المجتمعين الى تجنب إجراء السحر على العروسين، قائلاً:

بي رابوتاي بيت ريشوت لوت اويد زينا ابيد إرخي كاتي إيسه كاتي خيتيسه گاد گينا ابو قبطل چوخه لي اويد خا چولا زيدينه مين گينا ويل كتيا گو تورا ديني: لو ياحاقول ريبايم قاراخيف كي نَفش هو حوقل،

"أيها السادة، لايسمح لأي شخص أن يعمل عملاً يؤذي حجري الرحا (اللذين) أحدهما فوق والآخر تحت. ومن يفعل ذلك فكأنما قتل نفساً. فلايفعلن أحد أمراً لايتعلق به. ولقد جاء في النوراة: "يحرم أن يحجز المرء حجر الرحا الأعلى أو الأدنى؛

ومن يفعل ذلك فكانما حَجَرَ روح إنسان" (سفر التثنية: ٢٤: ٦١)*.

[وهناك نوع آخر من هذا التحذير (في العمادية) وهو: رابوتاي: كتيقا لي باتورا ديني مأقودشتا لي اويد زيينه إب إرخي كاتي إيسا أوكاتي كتيسا غاد ريانه اوي قاتيل، أيها السادة، لقد جاء في كتابنا المقدس، يحرم على المرء إيذاء أي من حجري الرحا (الذين) يوجد أحدهما فوق والآخر تحت، لأن من يفعل ذلك فكانما قتل نفساً. عندها يقول الرجل الذي يقوم بتنظيم حفل الزفاف: لت رَشوث مين ميدراش إليل مين ميدراش إلتاخ اودي خا شولا زودينا من كاني، لايسمج المجمع الأعلى ولا المجمع الأدنى، بأن يأتي أحد عملاً يتجاوز ما أوتي من قوة" - وهي كناية عن السحر.]

ويمكن القيام بنوع من السحر ضد العروسين أثناء البركات السبع وذلك بعمل عُقد في خيط وقراءة عبارات سحرية خاصة أثناء ذلك.

ويحمي العريس نفسه من مثل هذا السحر بأن يقوم والده أو أحد أقاربه بربط رقية في عين الوقت. ويتم فكها عند ولوج العريس الحجرة الخاصة بالعروسين (في زاخو وأشنويه). وقد سبق الحديث عن مثل هذه التعاويذ ذات العقد لدى الحديث عن إغتسال العروس في العمادية. [في العمادية وقبل مراسيم البركات السبع، يؤخذ الرجل الذي يدير العرس ويُقال له تريد أن تربط العروس والعريس الآن. ويؤتى بحلقة فضية أو ذهبية، وثلاثة أو خمسة خيوط حريرية مختلفة الألوان، وشعرتين طويلتين من رأس العروس. ثم يربط مدير العرس الخيوط والشعرتين إلى الحلقة بسبع عقد، ذاكراً عند كل عقدة إسم أحد الملائكة. كما يتلو النشيد العشرين من سفر الأناشيد. بعدها تُعطى الحلقة ذات العقد إلى العريس. وبعد تناول الطعام، يحلّ العريس إحدى العقد ثم تتبعه العروس فتحل أخرى، وهكذا إلى أن يحلّ كل العقد. ثم يخلع العريس حذاه وبذلك يبدأ الجزء الأخير من مراسيم الزواج.

في العمادية، قد يُنبّه العريس ليخلع أحد فرديتي حذائه قبل البركات السبع ثم يقوم أثناء تلاوة البركات بإدخال قدمه في الحذاء ببطء، بحيث تكون قدمه داخل الحذاء عند الإنتهاء من تلاوة البركات. ولكي يضمن العريس سيطرته على زوجته يدوس برجله اليمنى على الرجل اليسرى للعروس عندما تكون واقفة في مواجهته

* [هذه الفقرة ترجمت من قبل تارگوم القدس، الخ، وهي إشارة إلى الذين يقومون بـ"ربط" العريس (بطريق السحر)، وهذا يجعله عاجزاً عن الدخول بعروسه. أنظر كذلك: تعليقات ابن عيزرا على سفر التثنية ٢٤: ١٠، والمجلد الأول من مؤلّفي الإنسان والأرض، الص ١٩٦-١٩٧.]

ويظل على تلك الحال أثناء البركات السبع. وبإمكان العريس أن يفعل هذا فقط عندما تكون العروس على طهر (أي غير حائض) وإلا فلا ينبغي له أن يمسهها.]

كما يمكن أيضاً أن يُسحر العروسان عن طريق الطي البطيء لسكين جيب (في العمادية وأشنويه). ولغرض حماية العريس يعين أربعة من الشباب الأقياء كحرس، مهمتهم مراقبة الوضع والتأكد من عدم القيام بأعمال شعوذة. فمثلاً يجب عليهم أيضاً أن يتأكدوا من أنه ليس ثم أحد يدخن؛ لأن من شأن التدخين أن يتسبب في جعل العروس عقيماً (في العمادية). كما يمكن أن يحمي العريس نفسه عن طريق ضم أحد الأصابع أثناء أداء كل واحدة من البركات السبع (في العمادية).

إن ساعة البركات السبع رغم كونها ساعة خير فهي بالقدر نفسه ساعة خطر. ولهذا السبب تُجلس النساء العقيمت، وخاصة كيبستا أو كيبستا (أنظر ص ١٨٨) في الغالب إلى جانب العروس (في العمادية).

في العمادية، تؤخذ العروس إلى دار العريس بعد البركات السبع مباشرة. أما في زاخو فيجلسان معاً إلى مائدة لتناول وجبة طعام تقدم ليُفطرا عليها من صومهما، لكنهما يأكلان منها قليلاً.

أخذ العروس إلى دار العريس: شينويت كيلو

بعد الإنتهاء من البركات السبع ينهض الرجال ليعيدوا العريس إلى داره. ويتخلف الشباب من الرجال والنساء للمشاركة في الموكب الإحتفالي الذي ترافقه الموسيقى، والذي يرافق العروس لدى أخذها إلى بيتها المستقبلي. ولا يرافق العريس إلى داره مثل هذا الموكب الإحتفالي العظيم. ويعود العريس إلى داره عبر جابي بوكه [طريق غير التي سلكها عند الخروج]. ويتم إطلاق النار في الهواء من قبل المشاركين في العرس، ويرمي الأطفال "القبعات"، ويغني الرجال ترنيمة بيگدال (إسرائيل ديفيدسن، موسوعة الشعر العبري في القرون الوسطى، ص ١٩٥). وفي البيت يتلو الرجال صلوات مينحا ومعاريف (في زاخو). ويختلف الأمر في أربيل، فهنا تؤدى صلاة المساء في الكنيس حيث يذهب الرجال مع العريس بعد مغادرتهم دار العروس.

يذهب العريس مشياً، فيما تُحمل العروس على ظهر حصان إلى دار العريس (في زاخو ودهوك والعمادية وسنه وأشنويه). أما في أربيل فإن العروس أيضاً تذهب مشياً، بينما يمسك أبوها وأمها يديها.

وبصورة عامة، يقدم الأغا الحصان كدليل على إحترام اليهود. كما يقدم الأغا خادماً يقود الحصان (في زاخو ودهوك والعمادية). ويُبألغ في زينة الحصان. ويفضّل أن تُجلب فرس (في زاخو والعمادية: ميحين)؛ كما أنّ اللون يتمتع بالأهمية، ويفضل اللون البني (في العمادية)، ويكره اللون الأسود (في أشنويه).

ويقبل أهل العروس العروسَ وعيونهم تدمع وقلوبهم مثقلة بالأم الفراق، ولايسمح لأقاربها المقربين بمرافقتها الى دار العريس لأنّ هذا من الأمور المستهجنة. وعندما يأتي الناس لأخذ العروس خارجاً الى الفرس ينهض عمها فيغلق عليهم الباب، وعندما يسأل عما يريد يطلب منهم بشتاً دري (بالكرديّة) (٣٦) "ما وراء الباب". وبعد شجار كثير ينقلب في بعض الأحيان الى عراك جدّي، يتظاهر بإقتناعه بفتح الباب (لقاء حصوله على عدد من المجيديات من أقارب العريس) (في زاخو).

وعادة بشتاً دري هذه جارية في العمادية أيضاً، بإستثناء كون من يغلق الباب هو السقاء (سقاوي). وفي سنه، يفتح شماش الكنيس الباب - ولكن فقط بعد دفع مبلغ مناسب له (٣٧). وعندها تؤخذ العروس الى الخارج متحجبة لتُحمل على فرسها التي يقودها أقارب العريس. ويظلون ممسكين بالعروس لأن موسيقى الموطوربي أو أصوات الحشد قد تترك الفرس. وتُحمل في الموكب الشموع والمشاعل.

ويمارس الكرد أيضاً عادة بشتاً دري. فمثلاً في أثناء زواج بنت أحد الأغوات، يغلق الراعي أو السائس الباب ويقول: "بشتاً دري من دويت، أريد ما وراء الباب". وفي العمادية يُحمل مهر العروس (نقده) ضمن الموكب في صورة جهاز العروس. حيث يحمل شباب أقوياء بوقجت كيلو على رؤوسهم. وتحتوي ملابس العروس وحاجياتها، ملفوفة في "أقمشة ذات ألف رقعة". ويحمل آخرون الوسائد والصندوق والمرآة... إلخ. كما تُحمل معها أواني مملوءة بالأطعمة والفاكهة؛ ويحمل شاب الكاس الذي تشرب فيه العروس (زيفرتت كيلو) الذي يغطي بغطاء منسوج من نوع خاص (بيدومت زيفرتت كيلو) (٣٨).

[حسب ما ذكر مصدر معلوماتي، فإنّ العروس تؤخذ الى بيت عريسها على ظهر حصان في الشتاء فقط، حيث يكون المشي في الشوارع عملية صعبة. وإذا لم يكن

ثم حصان، يحملها رجل من عائلة العروس على ظهره. أما في الصيف فتذهب العروس الى بيت عريسها مشياً. وأثناء مسير الموكب تغني النساء:

هَر سِيلان وء هَر موسييلان: لقد جئنا، وجلبنا معنا

ب أسبي شليخي مأبولطيلان: وأخرجناها بالسيف المسلولة

أولأقلين ختنا مأبورخيلان: وباركناها لهذا العريس

كما يغنين أغنية عبرية:

إيمت أتأ حاتانينو: إنك حقاً عريسنا

كأمو سَهَار بأتوخينو: كالقمر بيننا، إنك كالمك في أعيننا

أوخأميلخ أتأ لأفانينو: ليبارك الله

بأخالأتخا مأود تسماح: نتمنى لك السعادة مع عروسك

بأروف مامون أوقأروف كيماح: مع الكثير من المال والكثير من الدقيق

قأتزك لاحازوت صيماح: وليمدّ في عمرك حتى ترى صيماح (المسيح)

بأيامخا أوقأيامينو: في أيامك وأيامنا

وتُغنى هذه الأغنية في السبت أيضاً أثناء إحتفالات الزفاف، عندما يُدعى العريس لتلاوة التوراة في الكنيس.]

لايسلك موكب العروس طريقاً مباشرة، وإنما يسلك طريقاً متعرجة بإتجاه دار العريس. وعلى طول الطريق تقف النساء على الأسطح ويطلقن الزغاريد كما هو الحال مع موكب العريس. وتخرج النساء من أقارب العروسين من دورهن ليمنرن العروس ومواكبيها بالقمح والجوز ويكسرن كاساً أمام الفرس التي تمتطيها العروس. وتفعل حماتها الشيء نفسه عند بلوغها دار العريس؛ وعند لوجها الدار يملطها حموها بجوز صغير الحجم يتدافع الأطفال لإلتقاطه (في زاخو، وكذلك الحال في العمادية).

في سنه أيضاً، يتخلف والدا العروس وأقاربها ويبكون فراقها. وتمتطي العروس المغطاة بقماش أحمر اللون (ديويخ) وحول وركها شال أحمر على أنّه سيمان طوف [جالب الحظ] صهوة جواد ويمسكها من الجانبين رجلان مسنان من عائلتي العروس والعريس. وهنا يتقدم العريس العروس. وعندما يبلغان منزل أحد الأقرباء تُخرج العروس مرآة وطست ماء وشربتاً (عصير الليمون) وعرقا. وينظر العريس (وليس العروس المتحجبة) في المرآة وطست الماء، بينما يقول الواقفون الى جانبه:

٣٦- زاها، القاموس، ص ٧٩: بشت در، "les traverses d'une porte".

٣٧- أنظر أيضاً: براور، مي پاراشات ماسأعوتاي، ص ١٨.

٣٨- تزين حواف هذا النوع من الغطاء المحبوك ينقش من الخرز يمثل صورة "يدين" تتصافحان يُعتقد أنهما يمثلان العروسين (مجموعة براور بالجامعة العبرية ٣٩: ٦٧).

باروخ هاطوئف وبها ميطف، "بورك الحسن وخالق الحسن". ثم يُشرب الشربيت والعرق، ويرش العروسان بماء الورد (كولاب). وتأتي العائلات الثرية بزينة ذهبية (ليس كهديفة وإنما كإعارة) تُعلّق على الحصان.

وفي اللحظة التي تتجاوز فيها العروس عتبة باب منزل العريس، الذي سيصبح منذ تلك اللحظة منزلاً لها، توهب لها ثياب خاصة بسخاء؛ وقد لا يرتبط بعض هذه العادات بما جاء في "طقوس الممر" لأرنولد فان كينيس.

وعادة يرش العروس بالقمح شائعة في كل أنحاء كردستان. وفي أشنويه تغطس العروس بالماء أيضاً. وعندما تلج العروس الدار يحييها العريس أيضاً برشقها بمواد تمثل رموزاً للخصب والنماء. أما في أربيل، فيرتقي العريس والعديد من أصدقائه سطح الدار ومن ثم يمطرون العروس بالقمح والشعير، ويمطرها شباب آخرون بالزبيب واللوز والحلويات. وفي أشنويه أيضاً يرتقي العريس سطح الدار؛ لكنه يلقي من هناك التفاح محاولاً، إن أمكنه، أن يصيب بها رأس عروسه.

وفي العمادية ترش والدة العروس كئنتها بالقمح وهي تقول:

شينوياخ بريخا: مبارك مقدمك

إبيد برون أوبينيتا: بين أبناء وبنات

حزيت كالاتاخ: ولتري كئنتك

دوچمناخ دوچمن گوراخ: أما عدوك وعدو زوجك

ناپلي خه إكليثاخ: فليقع تحت أقدامك

ثم تأخذ الحماة رغيف خبز ترشه بالملح والقمح وتعمل به ثلاث دوائر حول رأس الحصان وبعدها تطعم الحصان ذلك الرغيف. وبعد إنزال العروس من الحصان يعتلي ظهره صبي ويهرول به هرولة سريعة في الشارع ثلاث مرات جيئةً وذهاباً.

وفي سنه، ترقص الحماة أمام العروس أثناء عبور الأخيرة عتبة الباب. وأثناء رقصها ترتفع فوق رأس العروس إناءً (قيوه سيني) في وسطه شمعة وسبع فتيلات، تحيطها أوعية صغيرة من القمح والحلوى والعسل وما إلى ذلك. وكذلك توجد حولها شموع صغيرة مضاعة. وتضاء الشمعة الوسطانية الضخمة سبعة أيام وسبع ليالٍ في حجرة العروسيين. أما العسل فيُرش على قدم العروس لتُبارك وتكون "حلوة".

حجرة العروسيين

في دار العريس تهيأ حجرة (في أربيل وأشنويه: حويّا، وفي سنه: پرده، وفي العمادية وزاخو: كنون)^(٣٩) للعريس والعروس. وفي سنه تتكون البرده من قطعة قماش تعزل جزءاً من الغرفة. أما في العمادية، فإن الكنون يصنعها شماش الكنيس من أربع قطع من القماش (ستّر) مملوكة للكنيس. وتثبّت الستائر في السقف بواسطة حبال، لتكون معاً ما يشبه الغرفة. وتُفرش الكنون بالبسط والوسائد. تؤخذ العروس إلى داخل الحجرة وتدخل عليها الإناث من عائلة العريس لتقديم التهاني لها. وبعدهن يدخل الرجال الكنون لتهنئتها قائلين: بريختا أليبا خير حازيتن بكديد، آيتها المبروكة، لتري ألفاً من المحسنين معاً.

ويدخل على العروس طفل صغير يُجلس في حجر العروس. فتهدى إليه بعض المال الذي أعطاه إياها والدها عند فراقها. وبدلاً من طفل واحد يُدخل عليها بعدة أطفال يُجلسون في حجرها الواحد تلو الآخر. ويجري هذا التقليد بنية أن يبارك للعروس فترزق بالعديد من الأطفال.

ويتبع التقليد عينه في العمادية. حيث يؤتى بولد في الثالثة أو الرابعة ويوضع في حجرها. وتقوم هي بمعاذته وتقبيله، ثم تصرفه عنها بدفع منحة مالية له^(٤٠).

ويؤتى للعروس بطعام من دار والدها ويقدم لها. ولا ينبغي أن تخلو وجبة ساپويت كيلو هذه من الرز ودجاجة. ويقف الأقارب والشباب حول العروس؛ وعندما تضع لقمة من الطعام في فيها يحاول هؤلاء خطفها منها - وإذا سقط منها شيء على الأرض يُعتبر من يتمكن من التقاطه وتناوله بمثابة سيغولا^(٤١). وهذه المناسبة تكون فرصة لزيادة الأمور مرحاً.

وليمة الزفاف

أثناء ساپويت كيلو، يجلس العريس وكل المدعوين إلى سعويات ختنا في السويّا. وقد جلب كل واحد من الأقارب معه سينيّه ريش ختنا (الدجاج والرز) من داره لتقديمها في هذه الوليمة. وفي الماضي كانت العادة أن يخرج الشباب مع

٣٩- في السريانية القديمة: كنون، "حجرة العروس". ماكلين، القواعد، ص ٥٤ [قارن كلمة

التلمودية، حجرة العرس].

٤٠- أنظر العادات المشابهة (ص ١٤٧).

٤١- أنظر العادات المشابهة (ص ١٤٥).

الموسيقيين لجمع *السينيه* من بيوت الأقارب. ومع ذلك فإنه يتم إعداد طعام في دار العريس للوجوه والحاخامات الذين تتم دعوتهم، وللفقراء أيضاً.

وبعد غسل الأيدي والدعاء بالبركة يوضع الطبق الذي فيه أفضل الدجاج أمام العريس وتوزع الأطباق والملاعق على الضيوف، ويرفع الحاخام ملعقته قائلاً: يا جميعه *بيخاوبود*، أيها السادة، مع التقدير". وعندما يبدأ العريس بتناول طعامه تبدأ *ساپويت ختنا*، عندها يحاول الكل إختطاف اللقمة من فمه.

وأثناء وجبة الطعام هذه، يُرسل بعض الطعام الى منزل أهل العروس حيث الناس جالسون كالمفجوعين ويكون ويتحبون. ويذهب والد العريس وعمه الى هناك في زيارة قصيرة لتناول الطعام مع العائلة الحزينة ويحاولان الترويح عنها برواية القصص والحديث اليهم. ثم يعودان الى دار العريس لإكمال الوجبة.

يعيد الحاخام تلاوة البركات السبع، ويُبعث الى العروس بقارورة من النبيذ. ثم يقوم الجميع مع العريس؛ وبعد ذلك وبإشارة من الحاخامات يبدأ الرقص والغناء على شرف العريس. ويستمر الحال كذلك حوالي نصف ساعة وبعد ذلك والناس لازلوا يرقصون رقصة *پزومون ينأدي سيمحو نا*، *سيمحو نا*^(٤٢)، ويدخل الرجال العريس على العروس في *الكنون*.

البيهود

عند سماع العروس صوت الغناء، فإنها تسدل إزارها الذي هو برقع كبير يغطي الرأس والوجه، وتقف إستعداداً لإستقبال العريس الذي يدخل عليها ويطلب كاساً من الماء. وعندما تناوله الكأس يتعمد إسقاطها. وهذه علامة على أنه سيسيطر عليها. والوالدان الذكيان بخبران إبتتهما بهذه العادة؛ وفي تلك الحالة فإنها لاتناول العريس الكأس يداً بيد بل تضعه أمامه [وبذلك لن يتمكن من إسقاط الكاس من يدها].

بعد ذلك، يغادر الجميع الغرفة عدا العروسين. وخلف الباب الذي يقفله العريس، ينتظر رجل مسن وفي أحيان كثيرة تكون معه امرأة عجوز من عائلة العروس، لحمايتها في حالات معينة - مثلاً عندما يعتدي العريس على العروس.

وينام العروسان على الأرض، ولا يحدث أبداً أن يناما فوق سرير. وعندما تتم

٤٢- [إسرائيل ديثيدسون، موسوعة الشعر العبري في القرون الوسطى، نيويورك ١٩٣٠، المجلد الرابع، ص ٢١٠، رقم ٨٢.]

الدخلة، يفتح العريس الباب لكي يرى الناس قطعة القماش الملطخة بالدم. وتظهر هناك أيضاً نساء من عائلة العروس؛ ليتمكّن من الإدلاء بالشهادة اذا ما أثار العريس فيما بعد وفي لحظة غضب الشكوك حول العروس.

وتطلق النساء الزغاريد ويصل الموسيقيون. وتعلن الموسيقى في الليل لأهل البلد أنّ العريس قد دخل بعروسه وأن العروس كانت عذراء. فيغادر الناس منامهم ويتوجهون الى دار العروسين، قائلين: "لقد صار عريساً". ويحمل أحد أقارب العروس بجلب قطعة القماش الملطخة بالدم الى دار والدها (في زاخو).

والعادات في العماديه تشبه هذه الى حد ما. حيث تؤخذ العروس الى *الكنون* ويدخل عليها العريس فوراً. ويجلس قريئين على كل جانب من جانبي العريس، بينما تجلس *بيت بوك*، التي تسمى الآن *سرسسي*، ذات الرأس الأبيض، الى جانب العروس. وخلا هؤلاء يوجد القليل من كبار السن والشخصيات المحترمة في *الكنون*. ويقدم لهم الطعام القادم من دار أهل العروس. وعادة ما تقوم *سرسسي* بإطعام العروس المنحجبة.

ويؤتى بولد في الثالثة أو الرابعة يوضع في حجر العروس. فتعانقه وتقبله. ثم يغادر الضيوف *الكنون*. [واذا تلكا أحد الموجودين في المغادرة، يُقال له: *پلوت!* "أخرج"] ويطلب *الشوشبن* من العريس رفع النقاب عن وجه العروس: *كلي بيتت كيلو*، "اكشف عن وجه العروس". وعندما يرفع العريس حويّت *كيلو*، يجب عليه أن يهدي الى العروس قطعة من المصوغات. عندها يغادر *القريئين* و*السرسسي* *الكنون*.

وكعلامة على أنه دخل بها، يخاطب العريس العروس بصوت عال قائلاً: "إيتيني ببعض الماء!". وعند ذلك يدخل *القريئين* و*السرسسي* *الكنون* ثانية. وتعرض *السرسسي* قطعة القماش التي تحمل علائم البكارة، وثُهنأ العروس بالقول: *بيست بيبخ يومآخ خوورتا*، "لقد ابيض وجه أبيك ووجه أمك (أي رفعت رأسيهما)"^(٤٣).

وعادة *پشل ختنا* جارية في العماديه أيضاً. فبعد الدخلة يربط العروسان أزرار ثيابهما، التي تركاها سائبة من قبل خوفاً من التأثير بالسحر.

[في صباح اليوم التالي، يُسأل العريس من قبل أصدقائه "وَجَدْتِ أم عثرت على" وهي إشارة إما الى "وَجَدْتِ المرأة أمر من الموت" (سفر تثنية الإشتراع ٧: ٢٦) أو

٤٣- اذا وجد أن العروس لم تكن بكرأ، عندها يقول الناس: *بيست بيبخ يومآخ قومته*، "إسود وجه أبيك وأمك". [وفقاً للإستخدام العام لهذا التعبير في منطقة الشرق الأدنى، فإن "إسوداد وجه" شخص ما تعبير عن لحاق العار به، بينما "بياض الوجه" تعبير عن نيل الشرف].

الى "من عثر على امرأة فقد نال الصلاح" (سفر الأمثال ١٨: ٢٢) حسب التعاليم التلمودية القديمة. وعند يهود العمادية يعتبر هذا السؤال نوعاً من أساليب التساؤل عما اذا كان العريس قد وجد عروسه بكرة أم لا.]

وفي سنه، يُترك العروس والعريس فترة أطول في *الپرده*، حيث يتناولان أول وجبة طعام معاً قبل أن يتساجعا. وفي الخارج تنتظر عجوز، *ياخسو*، "بديل الحماة"^(٤٤). وبعد الدخلة، ينادي العريس العجوز ويربها قطعة القماش. فتأخذها برفقة *الشوشبنيم* وعدد من الشباب الى والدي العروس. وعند ذلك تطلب العجوز ومن برفقتها هدية من الوالدين رافضين المغادرة قبل الحصول على بعض الدجاج. وفي سنه لاتتبع البركات السبع بوجبة طعام.

أما في أربيل، فيؤتى بديك ودجاجة من دار والدي العروس. ويتم إعدادهما لوجبة الطعام التي يتناولها العروسان معاً داخل *الحويا*. وتبدأ العروس والعريس أولاً بتناول رأسي الدجاجة والديك، على التوالي، ثم يباشران بتناول الباقي. وهذه الوجبة تعتبر *كأيارا*، "كفارة" للعروسين. ويجب على العريس مغادرة *الحويا* فور إنتهائه من الدخول بعروسه. ويستقبله الناس الذين ينتظرونه في باحة المنزل بالتبريك والزغاريد. وتأخذ عجوز من عائلة العروس، تسمى *بربوك* (بالكردية)^(٤٥)، قطعة القماش التي تحمل دليل البكارة وتريه أولاً لعائلة العريس ثم لعائلة العروس.

أيام اللواتم السبعة

تتبع البركات السبع سبعة أيام للواتم (*شوعا* يومئثت *ختنا*). وخلال هذا الأسبوع الإحتفالي يظل العروسان داخل *الكنون*؛ لكن يجب أن يجلسا منعزلين لأن العروس لاتكون على طهارة. وينبغي للعريس أن لاياخذ من يد عروسه شيئاً ولا أن يضاجعها. ولهذا جرت العادة أن تدس بنت صغيرة بين العروس والعريس في الليل لمنعهما من إقتراف إثم (في زاخو). ولاينبغي أن تغادر العروس الدار خلال هذه الأيام الثمانية إلا اذا رافقتها بنت. وعندما يدخل العريس أو يغادر الغرفة ينبغي على العروس أن تقوم له. واذا كان العريس خارج الدار، فإن ولداً يُبعث الى الخارج ليستطلع ويعلن عن عودة العريس اذا عاد.

ولايُترك العروسان لوحدهما في *الكنون* أبداً. حيث يرافقهما طوال الوقت أحد

٤٤- مورگان، بعثة، ص ١٤٠: بالكردية كاسو، "belle-mere, mere de la femme".

٤٥- أنظر زايا، القاموس، ص ٤٣: *بربوك*، "commere de nocés".

القريقين اللذين لايزهبن أي منهما الى العمل خلال ذلك الأسبوع. كما لايكف سيل متواصل من الزائرين عن زيارتهما. فخلال هذا الأسبوع تاتي النساء والبنات صباحاً، والرجال في المساء. ولايُسمح لأي شخص بالتدخين أو قطع أي شيء داخل *الكنون*. ويمنع النساء من *العزل* في أي مكان من البيت كله. وهذا يدل على أن الخوف من تعرض العروسين لأثر السحر لايزال قائماً.

وفي كل صباح يبعث أهل العروس بطعام يكفي حوالي عشرين شخصاً الى دار العروسين. وهذا الطعام مخصص *للقريقين* والأقارب المقربين (في زاخو وسنه وأربيل). وفي المساء، يقدم العريس جانباً من الطعام - الذي يقدم للوجهاء. ومع ذلك فإن أغلب الضيوف ياتي بصينيته معه.

والعريس، وإن لم يكن من الشباب الذين يرتادون الكنيس عادة، فإن عليه وهو عريس أن لايفوت أي صلاة خلال هذا الأسبوع. ويصحب *الشوشبنيم* العريس في موكب صباحاً ومساءً، ترافقهم الموسيقى - وفي الغالب *دولا* و*زرننا* - الى الكنيس. ويجتمع عدد من الناس قبل الموعد في دار العريس للانضمام الى الموكب الذي سينطلق الى الكنيس. ويرقص هؤلاء *الحكّه* أمام الدار. وفي أربيل يشارك في الموكب أطفال يحملون الشموع^(٤٦).

وتفرض العادة طقوساً محددة جداً في جولات الزيارات خلال هذا الأسبوع^(٤٧).

ففي صباح الخميس وبعد البركات السبع وليلة *يشل ختنا*، يؤخذ العريس في موكب إحتفالي خاص الى الكنيس. يتقدمه الشباب وهم يرقصون رقصة السيف. ويشارك المسلمون الكرد في هذا الموكب. وبعد الصلاة يؤخذ العريس الى دار *القربيهيينا* *راسته* لتناول وليمة *هيلوله*، "وليمة العرس"، التي يعدّها له هذا في الليلة التي تتبع ليلة تأكيد بنائه بعروسه. واليوم، تقام *الهيلوله* في حال تمام الدخلة في الليلة الأولى. وبعد الإنتهاء من تناول العشاء يُعاد العريس الى منزله.

في مساء الخميس، *ساپويت ختنا*^(٤٨)، وهو أول مساء بعد البركات السبع يجتمع

٤٦- في أربيل يُعنى *البيزمون* التالي على النحو الآتي:

اللهم بارك تجمعات الناس

وارفع صوت قوة ومنعة

واجعل إسرائيل يبتهج ويفرح.

[قارن ديفيدسون، الموسوعة، رقم ٢١٩٦؛ الترجمة عن العبرية لرافائيل پاتاي.]

٤٧- الوصف التالي يعتمد على العادات المتبعة في العمادية.

٤٨- قارن ماكلين، القواعد، ص ٢٢٩: *ساپووا*، "لقمة".

كل يهود المنطقة في منزل العريس، اذا كان من عائلة ثرية، للرقص والغناء. ويجلب كل صبيته معه ويقدم شيئاً من محتوياتها للعريس، قائلاً: *بسيما نطوف نقشه برونه أوبهانيتا*، "حظاً سعيداً، ولتصبغ [أي بالحناء] أبناءك وبناتك". وعندما تعطي النساء *سابويا* لأم العريس، يقلن لها: *إيناخ بهوره خازيات نواقيناخ*، "لترى عينك الناظرة أحفادك".

وفي صباح الجمعة، يدعو الشوشبين الأيسر، *قريفينا* جبه، العريس الى داره، مثلما فعل الشوشبين الأيمن في اليوم السابق. وفي هذه الأثناء تكون النساء مشغولات بإعداد طعام السبت، حيث سيحل كل يهود المنطقة ضيوفاً على العريس.

وفي هذا السبت، يُمنح العريس مراتب الشرف. فيتلو صلاة الصبح ويُخرج التوراة ويضعها على *التيفأ*، بينما يرتل المصلون *بيزمون*. ثم يُدعى العريس مع بقية ضيوف العرس لتلاوة التوراة كشخص "ثالث". وعندما يرقى الى التوراة يعيد المصلون ترتيل *بيزمون* آخر. ويعيد العريس اللقافة الى *الهيخال* [تابوت العهد]. ويرتل أيضاً صلاة *موساف*. وحيث أن *الموساف* لا يرتل إلا من قبل رجل متزوج، يرغب المصلون منح هذا الشرف دفعة واحدة الى شاب حديث العهد بالزواج. [في العماديه أيضاً يرتلون *البيزمون* الذي يسمى *أتا* هو *يأيدي*، *هداري هودي*] (٤٩).

وبعد الصلاة يُعاد العريس ترافقه الموسيقى الى بي *حازين* حيث *الحاقيريم*، وهناك يعقد أعضاء *حقرا قديشا* [وتعني حرفياً "التجمع المقدس"، منظمة خيرية تعنى بأعمال كدفن الموتى وما شابه] ليهود العماديه (أنظر ص ٢٢٥) إجتماعهم الأسبوعي صباح كل سبت. فيهدي إليهم العريس زجاجة عرق، وتُهدى إليهم زجاجة ثانية من مخزن الكنيس على شرف العريس. ويُطلق على هاتين الزجاجتين *داكه*.

وبعد عودة العريس من زيارته *للحاقيريم* يجتمع في منزل العروسين الرجال والنساء جالسين معهم طعامهم. وهناك يحتفلون بأسلوبهم المميز. فيجلس الرجال لشرب العرق مع *المزه* وغناء أغانيهم التي هي في أغلبها كردية. وترقص النساء *الحگه* مع العروس والرجال يرقصونها مع العريس. وتستمر هذه الفعاليات حتى *الدروش* حيث تتوقف لتستأنف بعدها.

فطور العريس: صباحية دختنا

لايكاد السبت ينقضي حين تباشر والدة العريس إعداد الطعام للصباح التالي. وتدعى النساء الأخريات ثانية لمعاونتها، والنساء اللاتي لا أطفال صغار عندهن يبقين ويعملن حتى الصباح.

في صباحية دختنا (٥٠) فطور العريس، يجتمع كل يهود المنطقة في منزل العريس. ويدعى الى هذه الوليمة والدا العروس أيضاً. وهي المرة الأولى التي يظهران بها مع أقاربهما في دار العريس، إذ لا ينبغي لهما المشاركة في الولائم التي تتبع البركات السبع.

وتبدأ المراسيم *بفطارتا*، الفطور المبكر، الذي يبدأ بثلاثة كؤوس من العرق. وبعد *فطارتا*، يغادر الضيوف إلا أقارب العروس فيمكنون في منزل العريس. يعود الضيوف مبكراً ومع كل منهم زجاجة عرق وشيء من الفاكهة. ويقبل كل منهم رأس العريس ويضع الفاكهة وزجاجة العرق بين يدي *قريفينا* راسته. بعد ذلك يبدأ الحاضرون بإحتساء العرق والغناء والرقص حتى إدخال فطور العريس عليهم.

وتتبع هذه المائدة لعبة *بيسيرت ختنا*، "أسير العريس". حيث يأمر *الشوشبين الشافيش*، "الخدم"، بشد وثاق الضيوف الواحد تلو الآخر (يستثنى من ذلك أقارب العروس) وتعليقهم من أعقابهم. ولا يتم إطلاق سراح أي منهم ما لم يقطع وعداً بدفع فدية قد تكون نقوداً أو عرقاً أو دجاجاً. وتؤخذ فدية ذات قيمة كبيرة من الضيوف الأثرياء بنوع خاص. ثم يتوجه الضيوف مع العريس والعروس ومعهم الفدية التي أخذوها، الى النهر حيث يذهب الناس في هذه النزهة عادة؛ وهناك يأكلون ويشربون ويرقصون ويغنون حتى وقت الغروب. والمراسيم في زاخو مشابهة لهذه.

وفي أشنوبه، يعين أحد أكثر أقارب العريس إحتراماً بصفة *ديوامبكي* "حاكم الديوان". والى جانبه يقف إثنان من "الشرطة" (*إشكاسه*). فيصدر *ديوامبكي* أوامره، "أحضروا فلاناً وفلاناً" - وعند ذلك يطرح "الشرطيان" الضحية أرضاً

٥٠- لا يحتفل بعض العائلات بفطور العريس في صباح السبت، بل في الصباح الذي يلي البركات السبع مباشرة. وهذه العادة متبعة عند العائلات الثرية خاصة. كما توجد عائلات لاتلقي بالاً لهذا الفطور إطلاقاً. وحقيقة كون فطور العريس يتلو البركات السبع تكون لدينا الإنطباع بأن هذه هي العادة الأصيلة. كما أن من المحتمل أن يبني العريس بعروسه في الليلة التي تسبق نهار السبت، كما هو متبع في اليمن (أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور) وهكذا فإن الفطور لا يقدم حتى صباح الأحد.

٤٩- [قارن ديفيدسون، الموسوعة، رقم ٨٧٧٥].

ويضربانه حتى يوافق على إعطاء ما يُطلب منه ويكون إما مالاً أو دجاجاً. فينطلق الحضور بالغنيمة ومعهم العريس والعروس الى مزرعة كروم، حيث يرقصون ويغنون وبعد ذلك ينقضون على "الغنيمة".

وفي سنه يُطلق على هذه المراسيم *سَرَحْلُولَه*، "نزهة الزفاف". ففي الصباح الذي يتلو الدخلة، يجلس العريس متوجاً كملك (على حد قولهم) و*الشوشبيني* على جانبه. و"الشرطة" الذين سبق الحديث عنهم في موضوع الصبغ بالحناء (أنظر ص١٤٦) موجودون أيضاً. فيذهب هؤلاء "الشرطة" الى السوق وأماكن التجمع الأخرى؛ ثم يعودون ويضعون بين يدي العريس عدداً من الناس من بينهم نساء يفرض عليهم العريس غرامة (جور). وبالمال الذي يُجمع يشتري المحتفلون الطعام والشراب ويقومون بتنظيم نزهة مع العروسيين في نهاية أسبوع الزفاف.

هذه العادة متبعة لدى الكرد المسلمين أيضاً، وربما اقتبست منهم. فعند الكرد يُنظر الى العريس على أنه ملك؛ ويتصرف ثلاثة من رفاقه على أنهم ضباط تابعون له (*چاقشان*). وفي كرتن و*بردان* و*زاوي*، "الإعتقال والتسريح بأمر من العريس"، يصدر العريس أو امره إليهم بإعتقال فلان وفلان. فيُعتقل الأشخاص المحددون ليمثلوا بين يدي الملك الذي يفرض عليهم إتاوة، كأن يطلب منهم شاة أو دجاجاً أو ألف جوزة أو شيئاً مماثلاً. وإذا رفض ذلك الفلان، فإنه يُربط ويضرب حتى يوافق. وفي بعض الأحيان يؤخذ الناس من فراشهم للمثول أمام العريس.

كما يوجد لدى العريس الكردي "لصوص" (*دزين زاوي*)، يخرجون في هذه الليلة ويسرقون الدجاج بل والغنم أيضاً ويذبحونها في الحال. ويتسللون الى الدكاكين فيسرقون الرز والسكر والمواد الأخرى. وإذا ما غضب أحد الضحايا فإن العريس يدفع له ثمن ما سُرق منه. وهكذا يمرح المسلمون الكرد في منزل العريس في الليلة التي تسبق ليلة دخوله حجرة الزفاف.

لنعد الى وصف تقاليد الزفاف عند اليهود في العماديه. يعود الناس من النهر الى دار العريس. ويجلب كل الضيوف ما عدا أقارب العروس، صينيّاتهم معهم. ويرقصون ويغنون. وقد جرت العادة أن يتناول الرجال طعامهم أولاً ثم يبعثون الطعام الى النساء اللائي يتناولن ما تبقى من الطعام.

وبعد تناول الطعام تأتي عادة *التقسين*. الذي هو عبارة عن نوع من القدور الضخمة، يوجد منه ثلاثة فقط في العماديه. ويستخدم هذا النوع من القدور في حفلات الزفاف، لطبخ وليمة *الصباحيه*، وفي طبخ الطعام في الماتم.

يُطلب من *الشاويش* "الذهاب والدوران حول تقسين العريس وتقسين القريين". وتحتوي القدور الرز وفوقه الدجاج، الذي هو طعام الولائم التقليدي عند الكرد. ولكون الطعام الذي يقدم في هذه المناسبة ذا قيمة دينية. يأخذ كل ضيف من كل قدر ثلاث ملاعق من الرز وقطعة من لحم الدجاج. وبعد المتعة الكبيرة في النهار، فإن هذه الملاعق التسع هي مجرد تعبير رمزي. وهي تؤكل على أنها سيغولا. وبعد أن يأخذ كل الرجال حصتهم من الطعام، يأتي دور النساء اللائي تأخذ كل واحدة منهن أيضاً تسع ملاعق من *التقسين*.

وفي مساء الأحد تجري المراسيم المعروفة بإسم *صباحيه*. حيث توضع بين يدي العريس صينية سيتم فيها جمع هدايا للعروس، فيضع فيها العريس قطعة من الحلبي كاول هدية منه، ويتبعه الجميع فيضع كل واحد فيها قطعة من الحلبي أو قطعة نقدية. وبعد إنتهاء الرجال من تبرعاتهم، تؤخذ الصينية الى النساء^(٥١).

وتعتمد عادة تقديم الهدايا كلياً على مبدأ التبادل. والفكرة هي أن ما أمنحه اليوم للغير، سوف أستعيده في الغد. أو، بالإعتماد على المثل القائل: *ناني ميرا كيره*، "رزق الرجال مستعار" (بالكردي).

وفي مقابل الهدايا، تقوم العروس بتوزيع المواد الصغيرة التي كانت قد أعدتها قبل الزفاف.

وهذه العادة موجودة عند الكرد المسلمين أيضاً وتسمى عندهم *سَرَصُباحيه بوك*، "أول صباح للعروس". ففي الصباح الذي يلي الدخلة يجتمع الضيوف في دار العريس. وتوضع صينية وسط الغرفة، ويجلس الناس من حولها. ثم يقوم الضيوف الواحد تلو الآخر، حسب موقعهم الإجتماعي، ويضعون قطع النقود في الصينية. وفي مقابل ذلك، يحصل كل متبرع على واحدة من الهدايا الصغيرة التي صنعتها العروس. أما كبار المتبرعين فيحصلون على هدايا أكبر تكون عبارة عن ملابس.

ليس ثم وليمة خاصة بإنتهاء المراسيم. بل يذهب *الختنا* و*الكيلو*، اللذين يسميان بهذين الإسمين طوال العام الأول من زواجهما، الى مقفه [الحمام الشرعي] وبعدها

٥١- في بافاريا تقليد مشابه لهذا الى حد بعيد. يُطلق عليه *إيهرن* (المراسيم): "يشرب كل ضيف يدنو من المائدة كأساً من النبيذ في صحة العروسيين، و"يعلن" بصوت جهير عما يريد أن يهب لهما. ويثبت كاتب ذلك في دفتر" (جورج بوشان، *Die Sitten der Volker*، المجلد الرابع، ص ١٦٢؛ أنظر أيضاً الصورة التوضيحية رقم ١٢٨؛ [الترجمة عن الألمانية لرافائيل باتاني]. وتسجل الهدايا بدقة وبالصورة نفسها في كردستان. [هذا التقليد موجود عند المجتمعات اليهودية الشرقية الأخرى أيضاً.]

مباشرة يعودان الى حياتهما العادية. وتُحفظ أزياء "الملك" و"الملكة" في صناديق ثياب خاصة.

ولهذه السنة الأولى أيضاً مراسيمها الخاصة بها. ومنها الزيارة الأولى التي يقوم بها العروسان الى منزل والدي العروس. ففي العمادية تأتي سَرَسِي مساء الجمعة الذي يلي أيام الولايم السبعة وتأخذ العروس الى منزل والدها. وتسمى هذه الزيارة بيشوده (في زاخو: بيشوزه)^(٥٢). وتمكث العروس هناك حتى مساء الأحد، بينما يبقى العريس في داره. وفي مساء الأحد يأتي القَرِيْنين بالعريس الى دار حميه، حيث يجري إحتفال حسب العادة. وعندما يغادر الزوجان الشابان، يمنح الوالد إبنته قطعة من الحلي. فإذا لم ترضُ بهديتها تقول: "أنا لن أذهب؛ عندها يجد الأب نفسه ملزماً بمنحها قطعة أخرى (وكذلك الحال في زاخو).

ويمارس المسلمون الكرد أيضاً هذه العادة. فبعد ثمانية أيام من الزفاف، تذهب العروس الى منزل والدها - ويُقال عن ذلك: بوك چو هَشْتِيَا مال بابي، "ذهبت العروس الى دار والدها للثامن" (بالكرديّة). ويزورها العريس عند المساء. وتمكث العروس مع والديها ثلاثة أيام بلياليها وتحصل على هدية لدى مغادرتها. [هذه العادة متبعة عند يهود العمادية أيضاً، حيث تذهب العروس الى منزل والديها في اليوم الثامن بعد الزفاف. ويُعبّر عن ذلك بالقول: كِيلُو زِيلَا إِل بي شوده، "ذهبت العروس الى دار الفرح".]

وفي الليلة الأربعين (أربي) بعد البركات السبع، يذهب الزوجان ثانية الى مَقْه. ويأتيهم القَرِيْنين مساء للمرة الأخيرة؛ وللمرة الثانية كما في أسبوع الزفاف يجلس الجميع معاً للرقص والغناء والمرح. وتوجد العادة نفسها چلك "الأربعينية" عند الكرد المسلمين. ففي سنة يتم إنزال الحويّا في الليلة الأربعين وتذبح دجاجة وديك ليكونا كِبَارَه للعروسين.

وفي العام الأول، يُبعث بالطعام الى الزوجة الشابة من بيت والدها في كل سبت وكافة الأعياد (في زاخو والعمادية وسنه). وفي العمادية، كانت هناك عادة تقضي بأن تبعث والدة العروس العشاء كل مساء الى إبنتها.

في الماضي جرت العادة في سنة أن لاتبحر المتزوجة حديثاً دارها طوال السنة الأولى من الزواج. وفي أشنويه جرت العادة أن تظل الزوجة متحجبة داخل البيت وخارجها حتى إنجاب أول مولود لها. ولايسمح لغير زوجها برؤية وجهها.

٥٢- ماكلين، القواعد، ص ٣٠١: شوي، "مرح".

الزواج عند اليهود القرويين

كمثال على تقاليد الزواج عند اليهود القرويين، نقدم وصفاً لزواج قروي في إحدى قرى ضواحي سنه (كردستان الفارسية).

يعيش في كل واحدة من القرى عائلتان أو ثلاث فقط من العائلات اليهودية؛ لذا يجد الشاب نفسه مضطراً للزواج بفتاة من قرية أخرى. ولهذا الغرض يبعث بوسيط الى والد الفتاة؛ يناقش معه كل التفاصيل. وبخلاف العادة الجارية في المدن، يتقاضى الوالد القروي من العريس مبلغاً يتراوح بين ١٥٠ الى ٢٥٠ تومانا^(٥٣).

ولدى إنتهاء المفاوضات، يبادر والد العريس بزيارة الى والد العروس. يرافقه فيها عدد من يهود قريته، ينضم إليهم في الطريق يهود من قرى أخرى؛ لكن العريس يتخلف عن هذه الزيارة.

ويُستضاف والد العريس والضيوف في دار والد العروس يومين أو ثلاثة. وتسمى المراسيم التي تجري هناك شيريني خوران "أكل الحلوى" (أنظر ص١٣٤). وتُقدّم للعروس الحلي التي بعث بها العريس لترد عليها العروس بعدد من مخاريط السكر.

عندها يرسل سكان القرية، الذين ينذر كما أسلفنا (أنظر ص١١١) أن يأكلوا اللحم في الظروف العادية، في طلب الشوحيط [المذكي الشرعي]، وذلك للإهتمام بخدمة الضيوف الذين شهدوا رحلة مضيئية عادة. وفي مواسم الحج، لاينسى العريس إرسال هداياه الى العروس (حلي وقطعة قماش وأحياناً شاة) وترد العروس على هديته بأخرى.

وبعد تحديد موعد الزفاف يبعث العريس الى سكان القرى القريبة رسواً يدعوهم. ويدعى الى الحفل غير اليهود أيضاً.

ولدى إقتراب اليوم الموعود، يتوجه العديد من اليهود يرافقهم جيرانهم المسلمون الى قرية العروس، حيث تنتظرهم سلسلة من الولايم الإحتفالية - اليهود والمسلمين معاً - في دار والد العروس. ويساعد المسلمون أيضاً في إعداد تلك الولايم حيث تأتي النساء المسلمات لمساعدة اليهوديات في أعمال الطبخ والخبز.

ولكون يهود القرى أكثر خضوعاً لسلطة الأغا من يهود الحضر، فإن الأمر يستتبع ضرورة إستحصال موافقة الأغا قبل أن يلتزم الوالد بإرسال إبنته الى قرية أخرى أو يأتي العريس بزوجة من قرية أخرى. لذا فإن والد العروس يذهب برفقة

٥٣- عند الكرد المسلمين، يحتفظ والد العروس بنصف صداقها لنفسه.

عدد من وجوه القوم الى الأغا، مصطحباً مخاريط السكر والعديد من الهدايا الأخر، ليستأذن الأغا في مواصلة مراسيم الزواج^(٥٤).

وتُرفع العروس على ظهر حصان. ولكون مرافقتها من قبل والديها أمراً غير مستساغ، فإنهم يرسلون معها سيدة عجوز. وفي الطريق ينغمس الفرسان الذي يأخذون العروس الى قرية العريس في المرح والغناء واللعب. ولدى كل فارس ملعقة من خشب يثبتها في عمامته عند مرور موكبهم بأي قرية كعلامة على أنهم موكب عرس. وفي أغلب الأحيان يطالبهم سكان القرى بهدية قبل السماح لهم بالمرور.

ومن قرية العريس، يخرج الناس لإستقبالهم على ظهور الخيل وهم يمارسون مختلف الألعاب. وعندما تنزل العروس من حصانها في دار العروس، يتم رشها بقطع النقود والجوز، كما يُرش عليها ماء الورد. وفي حالات عدة، ترفض العروس التبرج عن حصانها ما لم تذبج لها شاة وترسم على باب الدار علامة بتغطيس يد في دم الشاة وترك بصمتها على الباب^(٥٥).

وتجري البركات السبع في القرى مساء الجمعة. ومراسيمها هي نفس التي تجري في المدن. وإذا لم تجر البركات السبع في مساء الجمعة، فإن العريس يرتقي سطح الدار بعد الدخلة ويطلق رصاصه في الهواء كعلامة على أن العروس التي بنى بها كانت عذراء. وتقام ولائم في الليلة التي تسبق السبت وفي السبت - يحضرها المسلمون واليهود. ولدى الزفاف يقيم مينيام ([هيئة من عشرة من الرجال البالغين (لاتقل أعمارهم عن ١٣ عاماً - المترجم)] والعكس لا يحصل إلا نادراً)، ويُنلى شيء من التوراة. وفي السبت تقدم الهدايا. وهي تتكون من مخاريط السكر والغنم والملابس. ثم توزع العروس على الضيوف الهدايا التي سبق وأن أعدتها وصنعت بعضها بنفسها عندما كانت لاتزال في دار والدها (كالجوارب الملونة مثلاً)^(٥٦).

٥٤- يُقال أنه حدثت حالات أعاد فيها الأغا العروس الى حيث أتت. وقد حدثني مصدرى عن حالة إحتجز فيها الأغا العروس عنده ثلاثة أيام قبل أن يعيدها الى دار أهلها. وربما دفع مثل هذا الحدث بنيامين الثاني ليقول في تقريره إن الـ"jus primae noctis" يسود في كردستان: ["وأضافة الى هذا، فإن العروس، وقبل أن تدخل بيت زوجها، ينبغي أن تكون في خدمة سيدها... ولم يتم التخلي عن هذا الإتهام البغيض إلا في السنوات القليلة الماضية، حيث استعاض عنه بتقاضى بعض المال. وكان السبب في هذا وقوع حدث دام. حيث قتلت فتاة سيدها، بعد مواجهة شديدة" (ثمان سنوات، ص ١٢٧)]. ولم يكن لدى أي من مصادرى معرفة مباشرة بعملية jus primae noctis، التي يشير وجودها الشكوك مهما كانت أسبابه.

٥٥- براور في "مي پاراشات ماسأعوتاي".

٥٦- أنظر الص ١٠٢ و٢١٤؛ بالكردية أيضاً.

وفي ريكان، قرب العمادية، لاتستمر مراسيم الزفاف أكثر من يومين. حيث يُبعث رسول (قاسوت) في وقت سابق لدعوة اليهود من المستوطنات القريبة. وبعد ليلة الحناء يؤخذ العريس على صهوة حصان الى النهر الذي يبعد مسافة ساعتين عن ريكان. وهناك وقبل إغتساله، تجرى ألعاب الفروسية (جريد/ني)^(٥٧).

ويؤتى بالعروس الى النهر في عين الوقت. وهي تركب بغلاً وترافقها زوجة الأغا التي تغني ناريكه. وبعد إغتسال العروسين تُذبج شاة وتُعد وليمة كبيرة عند شاطئ النهر يشارك فيها المسلمون الكرد أيضاً. وهي الوليمة الوحيدة التي يتكفل بها العريس، إذ يتكفل يهود قريته بباقي الولائم وبالتشارك بينهم. أما المسلمون الحاضرون فيستضيف الأغا بعضهم ويستضيف مسلمو القرية البعض الآخر.

وفي ضواحي سنه، لاتستغرق مراسيم الزفاف أسبوعاً كاملاً. حيث يعود الضيوف الى قراهم في يوم الأحد، لإستئناف أعمالهم التي تركوها وراءهم.

أما في قرى منطقة العمادية، فيقف رجل فوق سطح الدار التي جرى فيها الزفاف وينادي كعلامة على إنتهاء الإحتفالات: خولا قيتيعيله قايسه بربرله [لقد إنفصم الحبل، وتبعثر الحطب]. ويجري هذا في اليوم الثالث.

٥٧- زايا، القاموس، ص ١١٥: غيرده [-جيره] (bande de voleurs)؛ قارن في العربية: جريد، "مفرزة فرسان".

الولادة والطفولة(*)

بما أنّ المرأة عند اليهود الكرد تحتل موقعاً ثانوياً، فإن النساء الحوامل لا يحظّين بإهتمام يفوق بقية بنات جنسهن. إذ يُفترض بهن أن يؤديّ أعمالهن العادية حتى ساعة الولادة. ويجزم البعض أنّ هذا أفضل لهن من الخلود الى الراحة.

وإذا ما لقيت المرأة الحامل أيّ إهتمام فإن مصدره هو الحرص على حالة المولود وليس الوالدة. ومن الجانب الآخر فإن النساء في المجتمع يولين إهتماماً كبيراً بالأم المستقبلية ويزودنها بتوجيهات حول كيفية إعتنائها بنفسها.

وتعكس التعبيرات الشائعة حول الحمل هذا التوجه: فإذا أخذنا بالطرق الكردية الساذجة التي تعبر عن حالة الحمل، نجد أنّها بعيدة عن الكياسة.

ففي العماديه، كان يحتفل بما يسمى بالفرح للحمل (فَرَحِيه سَمِيكِه) في الماضي عند أول حمل للمرأة الشابة^(١). ففور شعور العروس بأنها حامل تؤخذ الى دار والدها. وهناك تبدأ والدتها وقربياتها بجلب الأقمشة وخياطة الملابس للقادم الجديد. والمهمة الخاصة لخياطة بُنودِه، غطاء المهدي، يُعهد بها الى سيدة عجوز ولدت العديد من الأبناء والبنات. ويدعى الموسيقيون مع دولا (الطبل) وزرنا (المزمار) الى الدار حيث ترقص النساء ويغنين. وتتلقى الأم المستقبلية مشورة جيدة تتعلق بما ينبغي أن تفعل وما ينبغي أن تجتنب. وفي المساء تقام مائدة في دار الزوج.

أما في زاخو، فإن العادة مختلفة. حيث تكون العروس خجلة لأول حمل لها وتحاول إخفاء حالتها الجديدة عن الأعين. وبصورة عامة تواصل المرأة إرتداء ملابسها المعتادة؛ ومع ذلك هناك ثوب خاص بالمرأة ترتديه عند أول حمل لها،

* [هناك مسائل كثيرة قابلة للمقارنة من تقاليد المجتمعات اليهودية الشرق أوسطية (والمجتمعات اليهودية الأخرى) تتعلق بموضوع هذا الفصل جمعها رافائيل پاتاي في "العلاج الشعبي اليهودي للعقم"، فلكلور، لندن، العدد ٥٥، أيلول ١٩٤٤، ص ١١٧-١٢٤، والعدد ٥٦، كانون الأول ١٩٣٣ وأذار ١٩٤٥؛ ص ٢٠٨-٢١٨؛ ما سبق، "ها ليدا يا مينهاك ها عمامي" [الميلاد في التقاليد الشعبية]، تالپيوت، نيويورك، العدد ٦، ١٩٥٣، ص ٢٢٦-٢٦٨، ٦٦٨-٧٠٥؛ العدد ٩، ١٩٦٥، الص ٢٣٨-٢٥٩؛ ما سبق، حول الفلكلور اليهودي، ديترويت ١٩٨٣، الص ٣٣٧-٤٤٣.]

١- شاهد شاباتي برّشه إجراء هذه المراسيم في ريكان في حوالي العام ١٩١٠.

سودرا سَمِيكِه كَمِيته (في العماديه وبينتوره وريكان وچالا وهركي). والسودرا هذه تشبه الملابس العادية لكن بها قطعة من قماش تخبّط أمام الخصر على شكل إزار^(٢). كما جرت العادة أن ترتدي المرأة الحامل إزاراً يسمى بروانه^(٣) يُرَعَم أنّ الهدف منه هو "إخفاء التغيير في حجم الجسم". لكن لاشك أن لهذه العادة أصولها المتعلقة بأعمال الشعوذة والسحر. ففي أنهالت (بألمانيا) تشد المرأة الحامل على خصرها إزاراً لكي لايرفض الطفل فيما بعد الرضاعة من ثدي والدته^(٤).

والقوانين التي تحدد تصرفات المرأة الحامل مختلفة^(٥). فمثلاً لاينبغي أن تاكل أي شيء حامض، وفي المقابل ينبغي أن تتناول كل يوم شيئاً من النبيذ ليكون المولود جميلاً وردي اللون، كما ينبغي أن تتناول العسل لأنّه يزيد من كمية الحليب (في العماديه). ويكون المولود جميلاً إذا تناولت الأم كمية كبيرة من السمك (في زاخو)^(٦). أما تناول لحم البقر فإنّه ممنوع (في زاخو).

وينبغي على الحامل الإعتناء كثيراً بقلامه أظفارها، فإذا داس عليها شخص ما فإنها ستجهد؛ ويحصل الشيء نفسه إذا داست هي على قلامه أظفار شخص آخر. والخوف من الأرواح الشريرة يرقى الى منع المرأة الحامل من صبّ الماء على الأرض في الظلام ومنعها من جلب الأواني السود الى الدار (في العماديه وزاخو).

الأخطار المحدقة بالمرأة الحامل، ووقايتها منها

هناك الكثير جداً من التعاويذ الخاصة بوقاية المرأة الحامل وتأكيدات خاصة على التعاويذ عندما تكون المرأة قد تعرضت للإجهاض من قبل (في العماديه وزاخو: تريخي) أو مات لها أطفال.

ومن العادات الشائعة جداً، حمل المرأة الحبلى قفلاً خاصاً معها (في العماديه وزاخو) ودهوك وسنه). وكذلك وضع الجلد المنسلخ عن حية داخل حقيبة صغيرة تحملها المرأة في نطاقها (في دهوك)^(٧).

٢- [كان] هناك سودرا سميكا كميّتا من هركي في مجموعة براورّ بالجامعة العبرية.

٣- مجموعة براورّ بالجامعة العبرية ٤٣:٣٩؛ بروانه (بالفارسية: بروين)؛ ماكلين، القواعد، ص ٣٩.

٤- ألفريد فيرث، *Anhaltische Volkskunde*، داسا و ١٩٣١، ص ١٣٤.

٥- حول القوانين التي تحكم التصرف أثناء فترة الحمل، أنظر پلوس بارتلز، الأنثى، الطبعة ١١، برلين ١٩٢٧، المجلد الثاني، ص ٤٦١ وما بعدها.

٦- في العماديه، وعلى العكس من هذا، فإن السمك بعينه هو المحظور.

٧- في براندنبرگ، تشد الحبلى جلد ثعبان حول جسمها، پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد ٢، ص ٤٥٥.

كذلك فتل خمسة خيوط حريرية مختلفة الألوان (أحمر، أخضر، أصفر، أبيض، أسود) على شكل حبل. وعند إجراء هذه العملية، تُلفظ أسماء عفاريت معينة. ثم يُشد الحبل بشكل قطري مائل حول الجسم مثل حزام الخراطيش الذي يشده الرجال المسلحون. والجدير بالملاحظة أنه لا يُشد إلى الخصر كما لاحظنا في الكثير من الحالات الأخر^(٨).

وفي بعض الأحيان يقوم الحاخام بكتابة التعاويذ. وهذه التعاويذ تُدفن تحت عتبة الباب، أو تُحرق لتمر المرأة من فوقها، أو يتم إستخدامها بالطريقة التي تُستخدم بها التعاويذ الأخرى المكتوبة.

أما التعاويذ المصنوعة من النحاس بروينجوك فتُعد ذات فاعلية خاصة. في زاخو، تقوم المرأة الحامل بجمع الفضة من سبع بنات غير بالغات ليست لديهن أي ميول جنسية (عيشق) وسبع نساء في فترة النفاس ليس لديهن عيشق؛ ومن هذه الفضة يصنع لها صائغ فضة يهودي صفيحة يدون عليها الحاخام أسماء عفاريت معينة. وينبغي على كل من الصائغ والحاخام مراعاة القوانين المتعلقة بالطهارة عند صنع الصفيحة هذه.

ومع ذلك فإن الأكثر فاعلية هو تعويذة نحاسية قديمة ثبت من قبل أثرها السحري في هذا المجال. وتمتلك عائلات معينة مثل هذه التعاويذ وتعييرها لمن يحتاج إليها. فهناك مثلاً تعاويذ شهيرة في بيتنوره وباشقلا. وهناك تعويذة من سوندو، عملها أ.ج. كيداليا وصممها ح. ر. راحاميم، وهي دائرية قطرها ٤٧ ملليمتر (مجموعة براور بالجامعة العبرية ١١٤:٣٨). ومكتوب عليها:

שדי	יזוה
כשם אל אלהים	כשם אל אלהים
שמי צבאות יזוה	שמי צבאות יזוה
אל מיכאל נבריאל	אל מיכאל נבריאל
רפאל נוריאל ליסה	רפאל נוריאל ליסה
הזי יסרה ברפשיאל	הזי יסרה ברפשיאל
לכשם פנואל פנואל	לכשם פנואל פנואל
פנואל זו חי חי די	פנואל זו חי חי די
פנואל מריאל	פנואל מריאל
סיג וטר חני	סיג וטר חני
לוזיה	לוזיה

٨- المصدر السابق، ص ٤٤٩، يضم أمثلة لتعاويذ تُحمل في النطاق.

[من شبه المستحيل ترجمة نص مثل نص هذه التعويذة. وعلى أية حال، فهي تحتوي العديد من الأسماء الدينية (يهوه، إل، إيلوهيم، شاداي، شباעות) والأسماء التقليدية للملائكة (ميكائيل، جبرائيل، رافائيل، نوريل)، إضافة إلى أسماء ملائكة مركبة (مثل: بارفاتيل، مارييل، شامرييل، يهادريل، يهويل، باحادييل). والسطور ٥-٨ على الجانب الأيسر هي عبارة عن الآيات الآتية: جوزيف نبتة مثمرة، هو نبتة مثمرة يرويها نبع، وفروعه باسقة تتسلق الجدار (سفر التكوين ٢٢:٤٩)، التي تستخدم عادة في التعاويذ اليهودية وقد وردت هنا بشكل محرف، إذ جرى تفسير الكلمات وتجميعها في صيغ غير مفهومة. وتتبع هذا الإشارة المألوفة إلى الملائكة الثلاثة سينوي وسانسينوي وسيمانكيلوف، التي يتوقع لها أن تستبعد الشيطانة الكبرى ليليث.]

وإذا كان ثمة خوف من التعرض للإجهاض، تُستعار التعويذة من العائلة التي تمتلكها وتعلق في عنق المرأة الحامل على صوت الشوفار^(*) (في العماديه). كما ويعتقد أن تعليق حدوة فوق الباب يمنع الإجهاض أيضاً (في العماديه). وتؤخذ المرأة إلى دار والديها أو إلى مكان آخر، بدافع الاعتقاد أن تغيير موقع السكن يمكن أن يضل الأرواح (في سنه). وإضافة إلى كل هذا تحج المرأة الحامل إلى أضرحة مقدسة معينة. فمثلاً تزور المرأة في سنه ضريح إيستر في همدان.

وإذا كانت المرأة مهددة بالخطر، يوضع على سطح الدار ليلاً إناء من الماء ليصيبه ضياء النجوم. وفي الصباح تُغمر في الماء سبع قطع من السفود الحار المحمر الذي يُستخدم لتحميم اللحم (سابوزا)؛ ثم تُسقى المرأة من ذلك الماء (في زاخو).

ويعتبر الإجراء المعقد الذي سنتحدث عنه الآن علاجاً فعالاً للغاية. تُذاب كرة من الرصاص (باريقسا)، ويوضع إناء فيه ماء فوق رأس المرأة الحامل، وتُرفع مكنسة من قش فوق الإناء. ثم يُصب الرصاص المذاب في الماء من خلال المكنسة، ليصدر صوتاً خاصاً كفحيح الأفاعي. ثم يُنثر الماء عند مفترق طرق أربع ويوضع رغيف خبز وبصلة على كل واحدة من الطرق الأربع (في العماديه، والتقليد في زاخو يشبهه).

وإذا شعرت المرأة الحامل بالقلق فيمكن حرق جلد أفعى (شلوختت خويوه) تحتها، أو تثبيت ذيل نذب على الباب (في زاخو والعماديه). [هذه الرقى ذات فاعلية ضد الأرواح الشريرة، كما هو الحال مع العين اليمنى للذئب التي تجلب الحظ في

* الشوفار (البوق) آلة موسيقية عبرية قديمة مصنوعة من قرن خروف معقوف، ولا يزال يُستخدم في المراسم الدينية اليهودية خاصة في روش هاشانا ويوم كيبور. (المترجم).

كل حال. فإذا كانت المرأة قد أجهضت في حالات حمل سابقة وتخشى أن يتكرر الأمر معها في حملها الحالي، فإنها تأخذ جلد أفعى انسلخ عنه وتشدّه فوق بطنها تحت الثياب. ويبقى جلد الأفعى مشدوداً في مكانه حتى إنتهاء فترة الحمل، عندها يُرفع الجلد وإلا فإن المرأة لن تتمكن من وضع حملها لأن جلد الأفعى "يربطها". هذا وينسلخ الأفعى من جلده مرة كل ثلاث سنوات. (في العماديه)

يتحكم في مظهر الوليد عاملان هما (١) الوحوم عند الأم و"نوباته"، و(٢) القمر.

يمكننا القول بأن تأثير التوحوم ونوباته على الطفل الذي لم يولد بعد، أمر شائع عند البشر جميعاً^(٩). ولهذا ففي كردستان أيضاً، يُوفّر للمرأة الحامل كل ما تتلفه اليه، وإلا فإن الوليد سيدخل الدنيا وفيه عيب من نوع ما (في العماديه: شامه، وفي زاخو: نيشانكه). [وشامه هي لطحه سوداء تظهر على جسم الوليد في نفس الجزء الذي لمستته الأم من جسمها عندما شعرت بالخوف أثناء فترة حملها، في العماديه]. وإذا مرت سيدة حامل باناس ياكلون، يجبرها هؤلاء على التوقف عندهم ومشاركتهم طعامهم. كذلك عندما تزور أهل بيت ما فإنهم يقدمون لها على الفور الطعام الموجود عندهم لئلا تشعر بالوحوم المفاجيء (في العماديه وزاخو).

وبما أنه يُعتقد أن للقمر أثراً على مظهر الطفل، فلا يُسمح للمرأة الحامل بمغادرة المنزل خلال مغيب الهلال (في العماديه وزاخو: دَقْهَيْقَت سَهَارَا). إذ يُعتقد أن الطفل يتحرك في رحم أمه عند مغيب القمر؛ وأن ذلك الجزء من جسم الجنين الذي سيقابل القمر ساعتها سوف يتشوه بظهور بقع حمر عليه (في العماديه وزاخو وسنه). وفي سنه يُطلق على هذه البقع كَال سَرَا.

الولادة

خلال الولادة، تلازم الأم من قبل القابلة (في أربيل: د/پيرك، "الجدة"؛ وفي العماديه وريكان: د/پيلكه [ديبيرك، "الأم الكبرى"] أو قابَلَنْتَا؛ وفي زاخو: جديكه؛ وفي أشنويه: ماماته؛ وفي السليمانية: مامانجي).

القابلة اليهودية تكون عجوزاً ذات خبرة لاتتلقى أجراً عن خدماتها بل تتلقى هدية (كقطعة من الملابس) والطعام خلال الأيام الثمانية التي تقضيها في المنزل.

وللقابلة اليهودية مكانة رفيعة عند الكرد أيضاً، حيث يلجأ الناس إليها طلباً للمساعدة. ويُعتقد أن العفاريت أيضاً تحتاج الى مساعدتها وتطلبها عندما تنجب

٩- المصدر السابق، ص ٤٧٠ وما بعدها.

نساؤها. وهذا لا يحدث إلا في حالة أنصاف العفاريت، أي عند النساء اللاتي يستبدلن طفلاً بأخر. وحكاية القابلة اليهودية التي دُعيت ليلاً لتوليد عفريته شهيرة جداً. [وفيما يلي جزء منها:

كان ثمة رجل يُدعى شاكوكو، يعيش بالعماديه. وكان فقيراً وأمه قابلة معروفة وسيدة محسنة. وعند إنتصاف إحدى الليالي، جاء أحدهم الى دارها وقال: "أيتها الخالة نوعومي!"، فسالت "ماذا تريد؟". "إن زوجتي على وشك الولادة، تعالي معي!". فأجابته "على الرحب، ساوافيك حالاً!" ثم غسلت يديها وتبعته الرجل الذي كان ينتظرها في الخارج. وعندما خرجا من المدينة، سالت الى أين يأخذها. فرد عليها "يا خالتي أغمضي عينيك!" وأدخلها كهفاً؛ وعندما فتحت عينيها وجدت نفسها داخل قصر ضخم. فيه امرأة جالسة على صخرتين وقد جاءها المخاض. وحولها تقف نساء يغنين "إذا كان ولداً، فلتسعدي - وإن كانت بنتاً، فالندامة لك". فلاحظت أنهن لسن من البشر وساورها الخوف والوجل.

أنجبت العفريته ولداً^(١٠). وكانت القابلة مسرورة جداً وفعلت كل ما كان ضرورياً. ولما لاحظت المرأة النفساء أن القابلة التي جاء بها زوجها ليست عفريته بل هي من البشر، قالت لها "كوني حذرة ولاتأكلي شيئاً. إلا بعد أن يقسم لك زوجي بأنه لن يفعل بك شيئاً، وخذي كل ما سيعطيك". وعندما جاء الرجل، قال "خالتي، سأعطيك كل ما تشائين". فردت عليه "أرجوك أعدني الى منزلي، فانا لا أتقاضى أجراً على ما أقدمه من خدمة". فقال لها العفريت "أقسم بهذا الولد أن أعيدك الى دارك سالمه!". ثم ذهب وعاد بحبل وبضع فصوص من الثوم. فتقبلتها وهي خائفة. وتوجب عليها من جديد أن تغمض عينيها، وضاع منها في الطريق بعض فصوص الثوم. أما ما تبقى من الثوم فقد طرحته في أحد زوايا الدار مهملة إياه، وألقت بالحبل على كومة من الحطب.

ولما استيقظت في الصباح، وجدت أمامها ذهباً بدلاً من الثوم؛ ووجدت كومة الحطب التي ألقت عليها الحبل القديم قد تضاعفت فصارت عشر أكوام. وصار كل ما يلقي عليه الحبل يتضاعف الى

١٠- [في رواية أخرى يكون المولود أنثى؛ وتحمل السيدة العجوز متوجسة شمعة، ومنها تشكل تمثالاً على هيئة إنسان ذكر، وتجعل التمثال يمس الوليد لتضليل العفاريت.]

عشرة أضعاف. وهكذا باتت عائلتها غنية بفضل الحبل. ومنذ ذلك الحين أطلق الناس على تلك العائلة إسم عائلة الحبل^(١١).

هذا، ويخشى من أن يكون البعض من القوابل يمارس السحر. وقد كان في ريكابو قابلة سحرت الأطفال. وبذلك باتت الولادة عسيرة على النساء. واكتشف إ.ج. ر. ميناخيم السحر وأعلن أن على المرأة في حالة المخاض أن تضع تحت وسادتها قطعة من ثياب زوجها كرقية من السحر^(١٢).

ولا ينبغي أن يكون الزوج في الغرفة أثناء عملية الولادة (في دهوك والسليمانية).

الوضع الذي تتخذه المرأة عند الولادة

في كردستان، تختلف الأوضاع التي تتخذها الأم اليهودية عند الولادة. فهي في سنه تجثم برجليها على صخرتين (كيستا) تسندها ثلاث من النساء. وفي زاخو، تجثو على ركبتيها على وسائد (دزكا). وتجلس قابلة في مواجهتها، وتجلس أخرى وراءها وتقوم بتدليك بطنها. أما التي تجلس في مواجهتها فيأبها تمسك بيديها وترفعها قليلاً عند ظهور الطفل.

أما الأسلوب الذي كان متبعاً في العمادية سابقاً، بشأن الوضع الذي تتخذه المرأة عند الولادة فيبدو أنه من العادات القديمة جداً. إذ تجثم المرأة مائلة الى الأمام ومستندة على دعامتين خشبيتين على شكل الحرف T. وهاتان الدعامتان يُحتفظ بهما في الكنيس؛ وبالتأكيد هناك زوج منهنما محفوظ في كل واحد من الكنيسين. وليس لدى المرأة عند الولادة شيء آخر تستند اليه غير هاتين الدعامتين، أما الدابليكه فإنها لاتفعل شيئاً غير القعود في مواجهتها^(١٣). وقد أبطل هذا الأسلوب من قبل الحاخام يعقوف في حوالي العام ١٨٤٠. فباتت المرأة الآن تستند عند الولادة الى سيدة أخرى. كما استحدث الحاخام يعقوف تقليداً جديداً يساعد أيضاً المرأة العاقر في الشفاء من عقمها عن طريق تقديم هذه الخدمة الى امرأة في

١١- [إريك براور، عادات اليهود الكرد، (أنظر منشوراته). [ترجمه عن الألمانية رافائيل باتاي].
١٢- في النمسا العليا ومنطقة سالزبيرج يُعتقد أن الولادة تكون سهلة اذا ما إرتدت الزوجة شيئاً من ثياب الزوج. وهذه العادة جارية في البلاد السلافية وفي فرنسا أيضاً (پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد الثالث، ص ٢٨).

١٣- بالإمكان أن نجد العديد من الأمثلة من آسيا - مثلاً في فارس (پلوس بارتلز، الأنثى، المجلد الثاني، الص ٧٥٩-٧٦٠) - على الجثو على مرتفع أثناء الولادة، لم أتمكن من العثور على أي شيء يتعلق بهذه المساند الخشبية.

المخاض. ويعتمد هذا التقليد على ما ورد في سفر التكوين (٣:٣٠) عن سعي راجيل للشفاء من العقم عن طريق جعل وصيفتها بيلهاها تنكيء على ركبتيها عند الولادة. نقلت هذه المعلومة إلي سيدة من العمادية تبلغ التسعين من العمر).

وتقضي العادة بنثر التراب على الموضع الذي تلد فيه المرأة، وذلك لتكون التربة أول ما يلمس المولود الجديد من هذه الدنيا (في سنه). وتستخدم هذه التربة المفتتة جيداً كمسحوق ايضاً، فبعد الإنتهاء من عملية الولادة بنجاح يوضع قليل من هذه التربة في كيس صغير تعلقه الأم على عنقها بطريقة تخفيها عن الأنظار. ويُعتقد أن هذا الإجراء يضمن نجاح الحمل في المرات التالية. أما ما يتبقى من التراب فيؤخذ الى مكان منعزل تجنباً لتلوث أي شخص به.

عسر الولادة

تجري عملية الولادة بصورة طبيعية في الغالب. ولا تزال حالات عسر الولادة غير شائعة لكثرة الإجراءات الممكنة إتباعها في مثل هذه الحالات. ومن الواضح أن هناك علاقة بين عسر الولادة وإنتشار الكساح بين اليهود الكرد كنتيجة لسوء التغذية والعناية غير الجيدة بالأطفال الرضع.

وتقسم الإجراءات المتبعة لمعالجة عسر الولادة الى قسمين: قسم يعتمد على السحر الممزوج بالمسائل الدينية وقسم يعتمد السحر وحده. ومن العادات القديمة الشائعة دعوة عدد من الحاخامات الى البيت لتلاوة *الپسالم* من أجل المرأة التي تعاني هذه الحالة (في سنه وزاخو والسليمانية). واذا لم ينجح هذا فإنه يُطلب من أحد الحاخامات أن ينفخ في *الشوفار*. وعند ذلك تُنفخ أسماء ملائكة معينين في أذن المرأة (في العمادية وزاخو). ومن خلال النغمة الصادرة عن *الشوفار* يمكن التعرف على ما اذا كانت الولادة ستحصل بنجاح (في سنه والسليمانية وأشنويه).

وتُذبح دجاجة (أو حتى شاة بالنسبة للأثرياء) على أنها كِبَّاره (أضحية للتكفير)، ويرش دمها على المنطقة التي تجري فيها الولادة أو على المرأة نفسها (في العمادية). وفي زاخو، يؤتى بدجاجة وديك - الأولى للمرأة، والثاني للمولود الذكر المؤمل - ويُعلقان فوق رأس الأم. ويوزع لحم الحيوانات المذبوحة على الفقراء.

ويُحضر زوج المرأة التي تعاني المخاض، من الكنيس، الجزء الأعلى من "التيجان" (بالعبرية: *رمونيم*) التي تزين رقوق التوراة. وفي كردستان يمكن فك هذا الجزء العلوي الشببيه بالقبعة. فيذهب به الى حاخام يقوم أثناء ترتيب *الپسالم* (سفر

الأناشيد) بملئه بميم حاييم [بالعبرية، "ماء الحياة"]، وبعد ذلك ودون أن ينطق كلمة واحدة يسرع الزوج بهذا الماء الى البيت ويعطيه لزوجته كي تشربه، ويجب أن يناولها إياه من الخلف (في سنه).

كما يكتب الحاخام تعاويد تتضمن أسماء ملائكة معينين، وتوضع تلك التعاويد على لسان المرأة (في سنه)، أو على سرتها (في زاخو). وفي بعض الأحيان تغسل التعاويد بالماء وتُسقى المرأة منه (وهي عادة شائعة).

كما يُعتبر "المصّ المحفوظ سبع سنوات" [الخبز غير المخمر الخاص بعيد الفصح، الفطير] علاجاً كبير الفاعلية لعسر الولادة. حيث يُخبز مصّاً صغير، بحجم الدولار مع مصّاً شأمورا (انظر ص ٣٣٢)؛ ثم يوضع لسبع سنوات متتالية في طبق سيرر^(*) لتتلى عليه البركات. وبعد ذلك، تتم خياطة المصّ في كيس مزين بالأزوار والخرز التي يُعتقد أنها تؤدي أغراضاً سحرية^(١٤). ويتم تعليق مصّاً على عنق المرأة كتعويذة (في العمادية)، أو يوضع فوق قلبها (في زاخو). كما تُسقى المرأة من الماء الذي تم تنقيع المصّ فيه (في زاخو).

والى جانب هذه العادات، التي تربطها روابط بالدين، هنالك أعمال سحرية خالصة إنتقل بعضها الى اليهود الكرد من الكرد أو من النصارى. منها أن يتم شراء قطعة قماش تكفي لتكفين المرأة وتوضع الى جانبها ويُقال لها "هذا كفك، هذا لكفك، وها نحن نهبه للفقراء على أنه كياره". ثم يتم توزيع قطعة القماش على الفقراء (في زاخو). وكدواء تُسقى المرأة شراباً مصنوعاً من من السما (أرعورا) المذاب في الماء (في زاخو [والعمادية]) أو تُسقى حساءً مصنوعاً من أوراق التين (في دهوك).

وتلعب رجل الزوج وحذاؤه دوراً هاماً في التدابير المتخذة في حالات عسر الولادة. وهذه التقاليد شائعة في جنوب شرق أوروبا أيضاً. فعند اليهود الكرد، يضرب الزوج زوجته على ظهرها بحذائه (في العمادية وسنه). وقد وجدنا العادة نفسها متبعة عند اليونانيين المعاصرين. وعندهم يضرب الزوج ظهر زوجته ثلاث ضربات بحذائه وهو يصيح "أنا الذي حملتك هذا الحمل، والآن أريد أن أخذه منك"^(١٥). أو يصب الماء في حذاء الزوج ويكون على الزوجة أن تشرب منه (في زاخو وسنه).

* السيدر هو الوليمة الدينية التي يقيمها اليهود في منازلهم في الليلتين الأولى والثانية (أو الليلة الأولى فقط) من ليالي عيد الفصح. (المترجم).

١٤- [كان] هنالك نموذج منه ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية ٣٩:٥٥.

١٥- في زاخو، جرت العادة أن تقوم المرأة التي تعاني من آلام وتخشى الإجهاد بشد إحدى فردتي حذاء لزوجها على جسمها (پلوس بارتلز، الأثنى، المجلد الثالث، ص ٣٤).

ويمارس الصرب^(١٦) وكذلك البوسنيون^(١٧) هذه العادة. وهناك علاج آخر يبدو أنه أيضاً يعتمد نفس الأسس السحرية ويقضي بأن تشرب المرأة من الماء الذي يغسل فيه الزوج رجله (في العمادية وزاخو).

رعاية الأم بعد الولادة

يتم دفن المشيمة (في زاخو ودهوك والعمادية: كاوورسه التابع؛ وفي سنه: كورته؛ وبالكردية: هاوولا بچوك "مرافق الصغير") أو يُلقى به خارجاً. وتقطع القابلة الحبل السري بواسطة مقص. وفي زاخو تقوم الجدبكه بقص الحبل فوق إصبعي القدم الكبيرين لإمرأة عاقر ليسيل الدم عليهما. وعندما يسقط ما تبقى من الحبل تحصل القابلة على هدية (في سنه). أما البقايا الجافة من الحبل السري فتوضع في كيس صغير يُعلق على المهدي. ثم يتم دفنها بعد مرور سنة (في العمادية). أما في زاخو فتوضع قطعة الحبل في الماء الذي تغتسل منه الأم بعد مرور أربعين يوماً على الولادة. حيث يُصب الماء فوق رأس الأم ووليدها ويُعتقد أن هذا يخدم نمو الطفل.

أما العادة الشائعة المتمثلة في تمديد الأم (في زاخو والعمادية: حيتا أو حياتا، المرأة النفساء) على الأرض الجرداء غير موجودة عند اليهود الكرد. بل تمدد على خرق يتم فيما بعد التخلص منها. ولأُسقى ماء في الأيام القليلة الأولى من الولادة. وفي سنه، تشرب المرأة كمية كبيرة من الزيت. ويوصى بصورة خاصة بإعطائها مشروبات حلوة - كالشاي المحلى الذي يُعتقد أنه يزيد من كمية الحليب (في العمادية) أو النبيذ والشربت المصنوع من ميپوختا، عصير العنب (في زاخو ودهوك). وينبغي أن تكون وجبات الطعام الأولى التي تتناولها الأم مكونة من أطعمة حلوة؛ ولهذا يضاف إليها عصير العنب.

العناية بالطفل بعد الولادة

جرت العادة بين اليهود الكرد أن يُدلك جسم الطفل حديث الولادة بالملح بدلاً من غسله (في العمادية). ومن المعلوم أن استخدام الملح لهذا الغرض له جذوره التي تعتمد على السحر^(١٨). إذ يُعتقد أن تدليك جسم الطفل بالملح يجعله صحيحاً وقوياً.

١٦- المصدر السابق.

١٧- المصدر السابق، ص ٣٦.

١٨- حول التأثير السحري للملح، أنظر أ.ج. پفاننشيمت، *Das Weihwasser im heidnischen und christlichen Kultus*، هانوفر ١٨٧٨.

ولهذا السبب يقول اليهود الكرد عن الشخص الكسول: *ياخيوت ليوت مومليخه مي ملخا لوتوا بي ببيوخ*، "أنت كسول [أي غرض]، إنك غير مملح، يبدو أنه لم يكن في دار أبيك ملح" (في العمادية)^(١٩). أو يقال له: *مي ياخالي أوها امري يومت بويله لي دريلو ملخا گو ميت خيبيا ديد، ما أكسل هذا الرجل، يبدو أنهم لم يضعوا ملحاً في ماء حمامه يوم ولادته* (في زاخو).

وقد وردت الإشارة إلى رش الطفل بالملح بعد الولادة مباشرة في سفر حزقيال (٤:١٦). ولهذا يمكن الاستنتاج بأن استخدام الملح في تنظيف الطفل عادة سامية قديمة ظلت حية بين ظهراني اليهود الكرد. ومع هذا فإن مثل هذا الاستنتاج صعب الإثبات. ولدينا هنا مثال يوضح مدى صعوبة إثبات كون هذه العادة عريقة بصورة قاطعة عند تعلق الأمر بالفرق اليهودية. هذا الأسلوب الذي تم وصفه هنا (أي تدليك الطفل بالملح بدلاً من غسله في ماء مملح كما هو الحال في سنه، وإلى حد ما عند سكان زاخو)^(٢٠) متبع أيضاً عند القاطنين في الجوار من النساطرة^(٢١) والكرد والجورجيين والأرمن والفرس، ويمكن أن توجد عند اليونان^(٢٢) أيضاً. وبهذا يمكن اعتبار منطقتنا مركز البقعة التي تسود فيها هذه العادة. وربما أمكن الإدعاء بأن اليهود أخذوا هذه العادة عن النساطرة وليس ثمة عادة عريقة ظلت حية إلى يومنا.

وبعد التنظيف، تضبط القابلة جسم الطفل عن طريق مديديه ورجليه وضبط قالب رأسه وجبهته، وإن كان المولود أنثى تعمل نقرة على كل واحد من خديها (في العمادية). وتضع كوهل [سلفات الإثمد المطحون (الكحل)] في عينيها (في زاخو).

والكلتوركرائيس [الدائرة التراثية، أنظر ص ٢٣] النموذجي يتمثل في شد وثاق الطفل بالقماط. ويزيد اليهود الكرد على ذلك تقييد الطفل في المهد [في العمادية: دوديه، وبالكرديّة: لاندك] بواسطة غطاء متين. ويُشدّ الطفل المولود حديثاً في أربطة

١٩- في اليونان مثلاً، تقول القابلة: "إذا لم أدلك طفلك بالملح، سيكون مخلوقاً بانساً ولن يجدي نفعاً" (قارن أ.ج. بولوس وب. رينتز، الطفل في العادات والتقاليد الشعبية، مجلدان، برلين ١٩١١-١٩١٢).

٢٠- يمكن الحصول على إحصائية عن إنتشار عادة غسل الطفل في ماء مملح في أس. راخ، دراسة عن قري الأراميين، دمشق، بلا تاريخ نشر، ص ٧٤.

٢١- "يُغسل الوليد بعد الولادة مباشرة في الماء البارد؛ وبعد تدليكه بكمية من الملح الناعم يلف في قماط (يتألف عادة من أسمال البالية)" (گرانث، النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٢٤٧).

٢٢- أنظر الأمثلة الواردة في بولوس ورينتز، الطفل، وأوو. فان هوفوركا وأي. كرونفيلد *Verglei- chende Volksmedizin*، شتوتغارت ١٩٠٨-١٩٠٩، المجلد الثاني، الص ٦٣٨-٦٣٩.

خاصة (بيچولكه) ويوضع في منخل (ريباله) مع وضع قطعة من الحديد عليه. ويُعتقد أن الحديد والمنخل يحميانه من "العين الشريرة" (في العمادية ودهوك). [ويبقى الطفل في المنخل (أرباله) سبعة أيام، وخلالها توحد إلى جانبه شمعة (في العمادية)]. والمسلمون الكرد أيضاً يضعون الطفل في منخل ستة أيام^(٢٣). ولحين حلول موعد إجراء مراسم الختان، يضع يهود زاخو الطفل في مقلاة الخبز الدائرية (دوكة) المصنوعة بدورها من الحديد أيضاً. وتوضع البنت إلى اليسار من الأم أما الولد فيوضع على يمينها.

عزل المرأة النفساء

وفقاً للشريعة اليهودية، تعتبر المرأة بعد الوضع غير طاهرة مثلها مثل المرأة الحائض. ومن الواضح أن فكرة عدم طهارة المرأة بعد الوضع هي من المفاهيم القديمة جداً عند البشر، وقد إنتشرت الفكرة في معظم أنحاء الأرض. ولم تتمكن الديانة اليهودية من إجتثاث الجذور السحرية لهذا الاعتقاد كلياً.

وحسب الشريعة اليهودية، تعتبر الأم محظورة وتُعزل لمدة أربعين يوماً بعد ولادتها لطفل ذكر، وثمانين يوماً بعد ولادة الأنثى. أما مثيلاتها الكريديات فيرقبن واحداً وأربعين يوماً عند كون المولود ذكراً، وواحداً وتسعين يوماً عندما تكون أنثى. وفي العمادية، تنتظر المرأة في أيامنا هذه أربعين أو ثمانين يوماً على التوالي. وقد أصبحت فترة عدم الطهارة الشائعة أربعين يوماً فقط، وهذا لاشك حدث بفضل تأثير الجيران من غير اليهود - ولهذا جاءت التسميات أربي (في زاخو وسنه)، وأربيبي (في العمادية، "أربعين"، وتستخدم النساء عبارة *گو أربيبي*، "في الأربيعينية" (في العمادية) وكذلك أربي *پيلاعي ريشاؤ*، "دخلت الأربيعينية" (في سنه). وعلى النحو نفسه، يسمى الكرد هذه الفترة *چلك* (في العمادية) أو *چله* (في سنه)، "أربعين"^(٢٤).

وبإمكاننا القول أن المرأة في هذه الفترة تكون معزولة وتطبق عليها التشريعات المتعلقة بالحظر. فلا ينبغي أن تغادر غرفتها. وإن أمكن ينبغي عليها أن تستلقي في

٢٣- "في الأيام الستة الأولى يوضع الطفل، المشدود الوثاق جيداً، في بيثينك" (ب. نيكتين، الحياة العائلية الكردية، ١٩٢٢، ص ٣٤٠). وبيثينك تعني منخل.

٢٤- "تسمى الأيام الأربعون الأولى بعد ولادة الطفل *زَيْستاني* بالنسبة للأم، وتعني "الشتاني" (لا أعتقد أن للكلمة الكردية *زَيْستان* علاقة بالشتاء بل هي الإسم الذي يُطلق على المرأة النفساء، وتسمى فترة النفاس *زَيْستاني* - المترجم)" (المصدر السابق، [نقله عن الفرنسية رافائيل باتاي])

فراشها خلال الأيام الثمانية الأولى من هذه الفترة (في زاخو). ولا يجوز لها الخروج الى باحة الدار ليلاً. ويجب أن ترافقها امرأة أخرى كلما غادرت غرفتها.

وقد جرت العادة في العمادية ونيروه أن تظل الأم في فراشها ثمانية أيام. ثم ترافقها القابلة الى "دار العزل" التي تبني عادة خارج المدينة للنفساوات. وعادة يوجد الكثير من النساء في هذه الدار يؤتى إليهن بالطعام من المدينة. وتبقى الأم ثم حتى يحين موعد طهرها. ويقال أن هذه العادة أبطلت منذ حوالي العام ١٨٦٠.

فرض العزلة على المرأة التي أنجبت حديثاً دافعه الاعتقاد أن قوة خطيرة تبعث الوهن تنطلق منها وتؤثر في بيئتها. وواضح أن معتقدات متشابكة تتداخل هنا: فتنبغي حماية من يعيش حولها من القوة الموهنة من جهة؛ ومن جهة أخرى تنبغي حماية المرأة نفسها من الخطر المحدق بها. وتمتد حماية المرأة لتشمل الغرفة التي هي بها وحمايتها شخصياً. وخلال الأيام الثلاثة (أو الثمانية) الأولى يحظر إقتباس النار أو إستعارة إناء، خاصة الأواني النحاسية من دارها (في زاخو والعمادية). وهنا نقف على عادة شائعة جداً^(٢٥) إذ يعتبر كل ما يتصل بالأم محظوراً ويتوقف إستعماله. وهناك علاقة واضحة بين هذه العادة وبين أخذ الطعام للأم. فلايسمح لها بالطبخ ولا بالخبز، لأنها لاينبغي أن تعمل بل لأن الأواني محظورة. ولهذا السبب يحظر في بعض الأماكن الخبز أو تحميم اللحم في بيت الأم (في بيجار). ويقال أن رائحة اللحم المحمص تضر بالمولود الصغير. كما يحظر ضخ الماء من الحوض الموجود في منزلها عند حلول الظلام (في سنه). ولحماية الأم من العفاريت والأرواح الشريرة، ترسم القابلة دائرة حول الغرفة بواسطة قضيب حديدي أو تعلق حبالاً أسود حول فراش الأم (في سنه).

ويشيع الاعتقاد بأن للبصل دوراً هاماً في طرد العفاريت^(٢٦). وقد وجدنا هذا الاعتقاد لدى اليهود الكرد أيضاً. ففي زاخو توضع ثلاث بصلات على سفود (شيبوزه) وتوضع الى جانب الأم. وفي سنه أيضاً يوضع البصل على السفود،

٢٥- [في سوابيا لايجوز إستعارة أي شيء من بيت فيه نفساء" (پلوس بارتلز، الأثنى، المجلد الثالث، ص ١٦٥؛ وقد أورد أمثلة أخرى). وعند الكرد المسلمين "لايجوز، خلال هذه الفترة، لا للد"إيبيرك" ولا لأية سيدة أخرى حضرت مولد الطفل مغادرة الدار أو رفع أي شيء جي به للإستعمال أثناء عملية الولادة (؟)" (نيكيتين، ص ٣٤٠؛ ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي).]

٢٦- لاحظ مثلاً، الإستخدام المائل للشوم عند اليهود اليمانيين (إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور، ص ١٨٩).

شيبوزه؛ ولكن هنا توضع في البداية سبع بصلات وتُرفع بصلة منها كل يوم.

ومن بين الأشخاص الذين يكونون معرضين للخطر بسبب التقرب الى المرأة التي وضعت مولوداً حديثاً، النساء اللواتي هن في نفس حالتها والمخطوبون. والشخص الذي تنبعث منه التأثيرات الشيطانية، الأم في حالتها هذه، يُسمى كيبيسه (في العمادية) أو كيبسي (في زاخو)، ضحية الشر، كيبسته (في العمادية).

ولغرض الخلاص من القوى الخطيرة، تُمنع النساء اللائي وضعن حديثاً من المرور بدور النساء النفساوات (في زاخو والعمادية وسنه). وإذا ما فعلت امرأة هذا خطأ بطريق الصدفة فإن عليها أن تبصق في فم الطفل الذي تضعه السيدة الأخرى (في سنه)^(٢٧) أو أن تلمس قدم الطفل بأصبع ملطخة باللعباب (في سنه)^(٢٨). وفي بعض الأحيان يشمل الحظر بقية أفراد عائلة الأم، كان يتعدى الى زوجها أو أطفالها الآخرين. ويكون الخطر أعظم إذا كان المولود أنثى (في سنه). ويؤدي عدم الإلتزام بالحظر الى عقم المرأة أو الى مرض وموت أفراد من عائلتها.

وعلى النحو ذاته، يمنع المخطوبون من المرور بمنزل المرأة النفساء. وفي حال عدم مراعاة هذا الحظر ينبغي القيام بالعديد من أعمال السحر للنجاة من الخطر. فمثلاً يجب أن تتخطى العروس قدم الأم ثلاث مرات جيئة وذهاباً. أو تتخطى ثلاث مرات إناء تبولت فيه الأم (في زاخو). وفي سنه، ينبغي على المخطوبين أن يفعلوا ما تُنصح به الأم التي فشلت في مراقبة الحظر. وفي العمادية، يعطي العريس أو العروس قطعة خبز للأم وتأخذ منه لقاء ذلك قطعة من خبزها؛ أو يقوم الطرفان بتبادل الإبر.

وهناك أيضاً إجراءات وقائية أخرى. فعندما يكون المخطوبون ساكنين في الشارع الذي تقطنه امرأة نفساء، فإنهم يقومون بتطبيق هذه التوصيات لنيل القوة التي تمكّنهم من المرور بدار الكيبسه دون التعرض للخطر (في العمادية).

وعند إنتهاء أيام النفاس الأربعين، توصف المرأة بأنها: نبيقلا من أربي، "خرجت من الأربعينية". وليس في كردستان مراسيم خاصة بإنهاء هذه الفترة. وتقوم القابلة بقص أظفار الأم وتأخذها الى المققه (في العمادية). وفي سنه، ترسل الأم في اليوم

٢٧- حلّ محله الآن ترطيب قطعة سكر باللعباب ووضعها في الشاي الذي سوف يُسقى منه الطفل.
٢٨- يستخدم اللعباب كعلاج ضد "العين الشريرة". وتلطخ يدا الطفل ووجهه بلعباب الذين يشك في كونهم ذوي "عيون شريرة" (في سنه). قارن إستخدام اللعباب في السحر، فريزر، الغصن الذهبي، الفهرس، كلمة "لعباب". وحول اللعباب كحامل للروح، أنظر قلهلم فُوندت، *Volkerpsychologie*، القسم الرابع، الأسطورة والدين، لايبزيغ، ١٩٢٠، المجلد الأول، ص ٩٨-٩٩.

الذي نذهب فيه الى المققه إناء فيه ثريد (كسنيه) الى أصدقائها وأقاربها، كما يحدث في عيد بيوريم؛ ويعيد هؤلاء الإناء بعد ملئه باللوز.

الأسبوع السابق للختان

يُستقبل ميلاد الولد بالفرح فحال ولادته تطلق النساء الزغاريد. أما نبا ولادة البنث فيُستقبل بصمت بخلاف ولادة الذكر^(٢٩). وإذا حدثت الولادة ليلاً فإن الزوج الذي لايهتم بعملية الولادة إلا قليلاً في حالة عسر الولادة فقط بل ينتظر ما سيحدث في هود و لن يتم إيقاظه من نومه لإبلاغه بخبر الولادة إن كان المولود أنثى.

أما اذا كان المولود ذكراً، فإن الجميع يسرعون لإبلاغ الأب إن لم يكن في المنزل وكان في دكانه مثلاً. فيترك هذا كل شيء مسرعاً الى بيته، ولا يُسمح له بالدخول الى غرفة زوجته رأساً؛ بل ينبغي أن ينتظر فترة كي لا "يُضجر" الوليد (في زاخو).

وفي بعض الأحيان، يخشى الأب الذي رزق ببنت من المجازفة بالنزول الى الشارع. حيث يتراكم الأطفال وراءه ويصيحون: توفي، توفي، خيره بأخت أبوهي، "بنت، بنت، قذارة على لحية والدها" (العماديه). [بعدما قرأ صديقي س. بن شاباب من حيفا هذه الفقرة من كتاب براور "ميلاه ويالدوت إيتزل يهودي كردستان"، ص ١٢٩ (انظر منشوراته)، أبلغني بأن الكلام نفسه يرده أطفال اليهود الشرقيين في دول الشرق الأوسط. وهناك تُلَفظ الكلمة بصيغة توهي. حيث يحيط الأطفال والد البنث المولودة حديثاً في الشارع ويغنون: توهي، توهي، خريه بلحيت أبوهي! توهي، توهي، قذارة على لحية والدها!]. وحسب بن شاباب فإن كلمة توهي مستلة من قافية أغنية تغنى في السبت بعد ميلاد البنث، عندما يُدعى أبوها لتلاوة التوراة في الكنيس. وتبدأ الأغنية بما يأتي:

بات نعيمه ماه قريتهوي: البنث الجميلة ماذا سميتها

أوقيزهاقيم عاتارتوهي: وبالذهب طوقتها

وعَل كيسي شين سَمتهوي: وعلى مقعد من عاج أجلسيتها

وكذلك عند تهنئة الأب بميلاد إبنته، فقد جرت العادة أن يُقال له بتكلف زائف: مازال طوب، توهي، توهي.

وقد سمعت أيضاً تعبيراً آخر، من إ.ج. نحاما من القدس: توهي، توهي، خيره

٢٩- يبلغ الأطفال ميلاد الطفل الجديد بالقول: لَكَلْگَ قَم مَسَلَنِي أو برونه (إبي بته)، "لقد جلب لنا اللقلق هذا الولد (هذه البنث)" (في زاخو).

فواسط ليحت أبوهي "توهي، توهي، قذارة في وسط وجه أبيها" - ويرد الأب: خيره فواسط ليما شافوهي! "القذارة في وسط من لم يرها". أنظر أيضاً بن شاباب، توها، توها"، إيدوث ٢: ١-٢، ص ١٢٧.]

والرجل الفقير في هذه الحالة يتعرض بصورة خاصة لمضايقة شديدة. حيث يقفز الأطفال على ظهره وكتفيه ويضربونه بالطين. وفي بعض الأحيان يعذبونه لدرجة أنه لا يجرواً على مغادرة داره أسبوعين. وفي سنه، على المرأة التي وضعت بنتاً أن تجلس في الظلام ويوضع المصباح بصورة لا يصيبها من ضيائه شيء.

أما اذا كان المولود ذكراً، فتقام مادبة (شَتِييه)^(٣٠) يومية في دار الأب من اليوم الذي يلي الميلاد. فياتي حوالي (١٥) رجلاً كل مساء معهم المزه والعرق ويعطون منه للأم أيضاً. لياكلوا ويشربوا ويغنون ترانيم الختان (في زاخو ودهوك والعماديه).

وفي سنه، حيث تُذبح، بعد ولادة الطفل الذكر، شاة (يذبح الفقراء دجاجة) ويتم توزيع لحمها على الفقراء، فإن الضيوف يتمتعون في كل يوم من أيام الأسبوع الذي يسبق ميلاه [بالعبرية، "ختان"]^(٣١). وتأتي النساء في النهار، والرجال في المساء. ويدعى الموسيقيون وتقدم للزائرين الحلويات والفاكهة. ويقدم للرجال العرق أيضاً.

ومن اليوم الثالث فصاعداً، يجلب الأقارب والجيران اللحم معهم الى بيت الأم. مع مراعاة عدم إدخال اللحم الى غرفتها ما لم تمش حوله ثلاث مرات. ولهذا يوضع اللحم في الباحة حيث تستطيع الأم وطفلها والقابلة تنفيذ المطلوب. ويتم هذا الإجراء للحيلولة دون أن تصبح الأم كبيسته (في العماديه)^(٣٢).

يعرف اليوم الثالث بعد ميلاد الولد بإسم خليوسه "الحلويات"^(٣٣). حيث يقوم والد الطفل بتوزيع الحلوى على الأطفال. وإذا كان ثرياً فإنه يبعث باوان كبيرة من الحلوى الى الأغا وبقية الوجوه الذين يردون بتقديم التهاني. وتأتي نساؤهم لتهنئة الأم (في العماديه).

٣٠- اذا كانت العائلة قد فقدت الكثير من الأطفال من قبل، يُدعى عشرة حاخامات الى البيت لتلاوة الزواهر (الزواهر: هو مجموعة تفاسير، لكاتب مجهول، للمسائل الروحية في الكتاب المقدس مكتوبة باللغة الآرامية - المترجم). ويمكثون بضع ساعات في بيت الرجل الفقير، أما في بيت الغني فيمكثون الليل كله (في زاخو). ويتلقى الحاخامات أجراً على ذلك.

٣١- في حالات نادرة، يحتفل الضيوف بعد ميلاد البنث أيضاً.

٣٢- السبب الذي يبرر به منع إدخال اللحم الى بيت الأم قبل اليوم الثالث هو أنها تكون في اليومين الأول والثاني ضعيفة لاتقوى على المشي حول اللحم.

٣٣- ماكلين، القواعد، ص ١٠٠: حلويات، مربي.

بيليه، "حلويات الطفل". حيث تأخذ النساء اللحم والكبة (كوفته) ويذهبن الى منزل الأم. ويعطين من الطعام للأم والقابلة ولبعضهن بعضاً. ثم يرقصن ويغنين؛ وإذا كان الطفل المولود لأم ثرية تكون الوليمة مترفة للغاية.

وقد جرت العادة في سنه أن يأتي الأطفال الى باب منزل الأم في السبت وهم يغنون: تَنو لَانو بوزابان، يحيه كَسيمان توف، "أعطونا من البوزابان، وليكن فالاً حسناً". فيُعطى الأطفال البوزابان، وهو عبارة عن لوز وحلوى. وفي بعض الأحيان يقف الأطفال فوق السطوح، ويُقذف بالبوزابان إليهم. وعند التقاطهم لها، ينشد الأطفال: بيثف قَدَميثف بريخا هَفي، "لتبارك قدمه وخطاه" (هذا هو المعنى الحرفي، لكن المقصود هو المَقْدَم لا القدم - المترجم).

وفي هذا السبت أيضاً يتم إختيار سانداق [العراب] ويساق اليه خبر تشريفه. فيبعث هذا بدوره الى الطفل ملابس يرتديها عند الختان.

الليلة السادسة (ليل شَشَه)

تعد ليل شَشَه من أخطر الليالي بالنسبة للأم. وفي سنه لاتزال هذه الليلة (كما هي أصلاً) الليلة السادسة، ليل شَشَي [بالعبرية] بينما هي في بقية أنحاء كردستان الليلة التي تسبق الختان التي يسميها اليهود الأوروبيون فاخناخت^(٣٨).

ويبدو أن ليس لكلمة شَشَه^(٣٩) أي صلة مباشرة بكلمة شَش الكردية ولا بكلمة شَشَا العبرية، بل هي في الأصل إسم لعفريته (ربما تكون عفريته الليلة السادسة) تنصب شراكتها للأطفال؛ حيث أننا لمسنا هذا التقليد نفسه عند يهود بغداد. فهؤلاء يحتفلون في الليلة السادسة من ميلاد الطفل بوليمة يوزع خلالها ماء الزعفران على الأولاد الذين يجولون الشوارع وهم يصبحون شَشَا! وتقدم لهم الحلوى^(٤٠).

ويقوم المسلمون الكرد هذا الحفل في الليلة السابعة من الولادة بدلاً من السادسة. وعن هذا كتب باسيل نيكيتين: "في الأيام الستة الأولى... لا يُسمح للد/بيرك ولا لأي من النساء اللاتي حضرن الولادة بمغادرة الدار... ويزيد التشديد في الليل. وفي

٣٨ - أنظر م. زويل، *Brauche nach der Geburt eines Kindes, Almanach des Schocken Ver-* lags برلين ١٩٣٨-١٩٣٩، ص ١٠٣.
٣٩ - بالكردية شَش: ستة.
٤٠ - إنسايكلوبيديا جودياكا، مادة بغداد؛ قارن أيضاً موسوعة الدين والأخلاق مادة ميلاد، حيث المزيد من الأمثلة.

يطلق على السبت الذي يسبق الختان شَبَابَات آقِي هَابِن [سبت أب الولد] أو شَبَابَات سعودات ميلا [سبت مآدبة الختان] في كل من العماديه وسنه على التوالي. وبينما يتم تشريف أب الولد في هذا السبت بمنحه عالِيه [دعوته الى تلاوة التوراة] - من قبل الكنيس، يمكن إن جاز التعبير أن نقول - إن أب البنت يصبح أضحوكة يتندر بها أفراد المجتمع. وبدلاً من الهدايا يُعطى أب البنت جرة ماء وحوض غسيل ويقال له: شتي خوشييه ماكيماخلوخ سيفر تور، "إشرب، ستدعى يوم الأحد الى التوراة" (في العماديه). والإستثناء الوحيد من هذا يكون في ريكانا ديم، ريكان العليا، حيث يتم تشريف أب البنت مثل أب الولد بنفس الطريقة.

أما في الحالات الأخرى، فإن أب الولد هو وحده الذي يُدعى لتلاوة التوراة، ويكون بصفة شليشي (في العماديه [ثالث])^(٣٤). ويوجه الأب دعوات في وقت سابق ويأتي الضيوف في شَبَابَات آقِي هَابِن من القرى المجاورة. ويمكنون حتى موعد الختان.

وفي المناطق التي تمنح فيها كل العالِيوت في سمحات توراه (أنظر ص ٣٨٠)^(٣٥)، فإن العادة المتبعة هي (كما في حالة العريس) منح كل العالِيوت الى آقِي هَابِن في هذا السبت^(٣٦). فيأخذ الأب الدلويح (أنظر ص ٣٨١) ويمنحه الى كوهين وليفي. ثم يُدعى كل الأقارب والمعارف الى التوراة كما دعي بنو إسرائيل. فيقومون بترتيل مي شَبِيراخ، البركات وتقديم العطايا للكنيس وحازان وهكذا. وفي الأخير يدعى الأب. أما الأقارب والأصدقاء الذين يصلون عادة في كنيس آخر، فإنهم ياتون في هذا السبت الى كنيس آقِي هَابِن.

في العماديه، وبعد الصلاة، يدعو الحاققريم الأب الى الشرب معهم (أنظر ص ٢٢٦). وفي المناطق الأخرى التي لاتتبع هذه العادة تُقدّم "الوليمة الثانية" في دار الأب. وتجتمع النساء في غرفة الأم بعد الإنتهاء من الصلاة، وتعرف هذه العادة في العماديه بإسم فطارته "الفطور"^(٣٧). وفي زاخو يُطلق على ذلك الصباح خليوست

٣٤ - في سنه، من الجهة الأخرى، يدعى الى القراءة كشخص رَقِيعي (رابع).

٣٥ - إذا كان الأب يعرف القراءة، فإنه يتلو الشَهَاريت [صلاة الصبح] وموساف أيضاً؛ وإلا فإنه يترك هذه المهمة لأحد المعارف (في العماديه).

٣٦ - في بَرَشَه، حيث يُباع عالِيوت كل سبت، يقوم الأب بشرائه كله في هذا السبت.

٣٧ - الإسم العادي للفطور هو كَدَايه؛ أما فطارته فيستخدم للفطور عندما يقدم في مراسيم التعازي أو للعروس أو لأب الإبن.

حالات الضرورة يُسمح للنساء بالغياب نهاراً لكن يُلزم بالعودة ليلاً وإلا فإن الروح الشريرة ششّه (مشتق من الرقم ستة بالكرديّة، شش) قد تقتل الأم أو الوليد^(٤١).

في سنه تأتي النساء الى منزل الأم في حوالي الساعة الرابعة عصراً. ويمرحن وفق الأسلوب المعتاد ويوزع الطعام على الفقراء. وهذا الطعام ينبغي، إن أمكن، أن يكون طبقاً حامضاً ولهذا يقع الإختيار عادة على شلّه ترشي ليلي ششّه (نوع من الثريد الخفيف المصنوع من الرز المحمّض). والى جانب هذا، يُقدّم للأطفال الزبيب وحلويات أخرى. ومن الواضح جداً أن المراسيم التي تشهدها هذه الوليمة تهدف الى منح الأم وسائل للحماية مشابهة للتي تُمنح في ليل حنّه في حالة المخطوبين (أنظر ص ١٤٤). وتضرب القابلة الأم ثلاث ضربات على صدغها، ثم تصفق ثلاث مرات، وهي تقول: سي ليليت، "غادري، يا ليليت"^(٤٢). وتجلب النساء صبغاً أزرق (تيله) أو صبغاً أصفر (زاره) من الصباغين ويطلين بها الأم. فيرسمن على وجهها رسماً مميزاً، ثم يطلين يديها وقدميها وفرجها. كما يُطلى الطفل ايضاً. ويجب على البنات اللواتي هنّ في سن الزواج مغادرة الغرفة عند الطلاء. وفي الأخير، تقوم النساء بطلاء الجدار المقابل لسرير الأم. وتسمى هذه العادة رنك كولخيله "الصبغ الذي يصبغون؟" وتُسال الأم: رنك ولاخ "هل صبغوك؟". وبعد الإنتهاء من الأم تصبغ الحاضرات جباهن وأيديهن وأقدامهن. ويُعدّ من الفال الحسن قيام ببعض الخياطة في هذه الليلة. ولهذه الليلة تضع القابلة قلادة من الخرز الكهرماني حول عنق الأم؛ وتضطج الى جانبيها قابلتان حتى الصباح. أما الرجال فيأتون الى الدار لتناول الطعام. كما يأتي الموسيقيون والضيوف للغناء والرقص.

وتأتي ليل ششّه في الليلة السادسة في أشنويه ايضاً. حيث يجتمع الرجال والنساء في منزل الأم. وتقول النساء: ششّه براخته "ششّه مباركة". وتجري تسمية المواليد البنات في هذه الليلة. ومع هذا فلا زالت عادة الإحتفال في الليلة التي تسبق الختان جارية في سنه وأشنويه.

الليلة السابقة للختان: فاخناخت

في دهوك وزاخو والعماديه تكون هذه الليلة لليلة التي تسبق الختان، أي الليلة الثامنة من عمر الوليد، وتسمى ليل ششّه. ولهذا يتم الجمع بين مراسيم ليل ششّه

٤١- نيكيتين، الحياة العائلية الكردية، ١٩٢٢، ص ٣٤٠؛ [ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي].

٤٢- ليليث هي ملكة الجن، التي تتربص بالنساء النفساوات.

والليلة التي تسبق الختان.

في المساء يؤتى بكرسي إيلياه (كرسي إياهو) من الكنيس الى دار الأب. ويتم تزيين الكرسي بواسطة ريمونيم ويوضع في مكان مرتفع قليلاً عند المدخل. ويقبل القادمون من الرجال والنساء الكرسي عند الدخول. وتوزع الحلوى على مجاميع الأطفال عند حضورهم.

يتلو الرجال الزواهر. ثم يدخل عليهم الأب بالعرق والفاكهة والمزه؛ وفي الغالب يحضر الموسيقيون المراسيم (ليس في العماديه)؛ ويكون هناك رقص وغناء.

وتجتمع النساء في غرفة الأم. وفي زاخو، تقوم النساء في هذه الليلة بطلاء راحتي يد الأم وجبهتها بطلاء أسود (ليس في زاخو). كما يطلين الوليد. واذا حدث وتواجد شخص غريب في هذه الليلة فإنه يُطلى ايضاً.

ويؤتى من الكنيس بقنديله [شمعدان] ضخم، يسمى قنديلت إياهو هتقي، مع شمعة كبيرة مزينة بالزهور ويدخل بها على الأم التي تقوم بإشعال الشمعة وتلقي قطعة نقدية في إناء الماء الموضوع فوق القنديله الذي يؤخذ بعد ذلك الى الرجال. فيلقي كل منهم قطعة نقدية في الإناء ويشعل شمعة صغيرة من التي يحملها الشماش معه. وبهذا توضع حوالي خمسين شمعة على القنديله. وبعد إنتهاء كل الرجال من هذا العمل، يُطفيء الشماش الشموع ويذهب الى غرفة النساء حيث تجري العملية نفسها. ويوضع المال الذي يتم جمعه في هذه المراسيم في كويّه الكنيس وفي قويات أريخي، صندوق الضمان الإجتماعي (في العماديه).

والعادة الجارية في أشنويه مشابهة لهذه. حيث يحمل الشماش قنديلاً مزيناً بالزهور الى بيت الأم، لكن يتم هنا استخدام مصابيح الزيت بدلاً من الشموع.

ولانتام النساء في هذه الليلة بل يقمن على حراسة الأم وطفلها. وفي ليل ششّه لايجوز أن ينام الوليد على الأرض ولا في المهده. ولهذا فإن النساء اللاتي يقضين الليلة مع الأم يحملنه في حجورهن بالتناوب (في زاخو ودهوك). ولايسمح بحمل الوليد إلا للنساء اللواتي تجاوزن سنّ اليأس قطيعته بحمل الوليد.

وتولى أهمية كبيرة للإحتفال بليل ششّه في البيوت التي يكون فيها الوليد الجديد أول مولود أو يكون أولادهم السابقون قد ماتوا.

في صباح اليوم الثامن يجري ختان الولد. وفي كردستان تجري مراسيم الختان في الكنيس عادة (في العماديه وزاخو ودهوك وسنه وأشنويه والسليمانية). وتعد بيجار إستثناء من هذا؛ حيث يجري الختان في البيت قبل أداء صلاة مینحا، وليس

بعد صلاة الصبح كما في المناطق الأخرى.

وهناك إستثناء شائع في أشهر الشتاء الباردة أو عندما يكون الأب قد فقد من قبل عدداً من الأبناء. وفي هذه الحالات يجري ختان الطفل في البيت لحمايته من العين الشريرة (عين هاراع) التي قد تصيبه في الطريق الى الكنيس (في زاخو).

قبل صلاة الصبح، يحمل عدد من الرجال كرسي إلباهو الذي كان أثناء ليل ششّه في دار الأب ويعيدونه الى الكنيس. ويُمنح شرف حمل كرسي إلباهو بالمزاد العلني إذ يحظى صاحب العطاء الناجح بشرف وضع الكرسي على التّقا [مسرح المرتلين]. ويستمر الرجال الذين يواكبونه في الغناء والرقص على طول الطريق (في العمادية). ويستخدم كرسي إلباهو في مراسيم شرف قصيرة توضع عليه فيها ريمونيم للزينة. ويعلق الكرسي بأربطة من الحرير خضراء في أغلبها تُخيط اليها تعاويذ (تحمل الإسم شاداي [القدير] وكتابات مشابهة). ومن أمثال هذه العادة قيام أمهات الأطفال المرضى بتثبيت أسنان الذئب^(٤٣) على الكرسي (في زاخو).

الختان

بعد الصلاة، يعلن الحازان أن ختاناً سيجري اليوم ويدعو الرجال للمكوث في الكنيس. وفي هذه الأثناء يذهب الشماش الى دار الأب ويبلغ النساء بإحضار الطفل. وتكون النساء قد غسلن الطفل وألبسنه ثوب الختان الذي أهدى له في شابات ميلا من قبل الساندق. وفي موكب بهيج يرافقه الموسيقيون تحمل النساء الطفل الموسد بالأغطية الى الكنيس. وعند سماع الزغاريد التي يطلقنها تخرج النساء اللاتي يسمعنها من بيوتهن مسرعات للإضمام الى الموكب. ويحمل الطفل الرضيع أولاً من قبل جدّتيه، ثم تحمله النساء الأخريات بالتناوب، حيث يعتبر من الفال الحسن ومرتبته من مراتب الشرف حمل الطفل في جزء من الطريق - ولأسباب تتعلق بالسحر يُحمل الطفل في أشنويه من قبل سيدة شابة لم تنجب طفلاً بعد.

وعلى سبيل الفكاهة يجري بعض التأخير عند وصول الطفل الى الكنيس. ويبرر ذلك على سبيل النكتة بأن التأخير حصل بسبب إنشغال إلباهو: هاي هو أوها إلباهولي / زلي بد شوعي كمزاييني، أنظروا، إلباهو هذا يبيع غزله من الصوف في سبعين سوقاً (في زاخو والعمادية). وعندما تظهر النساء ومعهن الطفل يقوم الجميع واقفين حيث يُعتقد أن إلباهو يدخل عليهم مع الطفل. وتقوم الجدة أو القابلة

٤٣- في ما يتعلق بسن الذئب أنظر أيضاً موضوع السن الأول، ص ٢٠١.

بتسليم الطفل الى الساندق الذي يكون عادة جده من جهة الأم. وليس من الغريب أن يغيب الأب عن عملية الختان، حيث يكون الرجال عادة بعيدين عن ديارهم لشهور (كما في زاخو)^(٤٤). يمرر الساندق الطفل فوق كرسي إلباهو ثلاثاً ثم يجلس إما على إحدى درجات التّقا أو على كرسي الختان الموضوع بجانب كرسي إلباهو لهذا الغرض (في زاخو والعمادية وسنه). ويزين هذا الكرسي أيضاً بأغطية من الحرير.

يقوم بإداء عمل الختان (كازيره)^(٤٥) الشوحيط [المذكي الشرعي]. ويتمتع الختانون اليهود بسمعة جيدة بحيث يستعين بهم المسلمون الكرد أيضاً لهذه العملية^(٤٦). ولايتلقى الختان عند اليهود أي أجر على خدماته، فهذا العمل الذي ينجزه يعتبر ميصفاً [من أعمال البر]. وفي زاخو كان يُقدم للختان صابون من صنع محلي كهديّة. وبسبب عدم تواجد الشوحيط - الختان في القرى ينذر إجراء عملية الختان في موعدها المحدد. لذا "يجمع" اليهود في مناطق ريكان ونيروه الأطفال ويجرون لهم عملية الختان معا في عيد سوكوت، عندما يأتي الشوحيط لذبح القلبيّه. هذا كما لا يوجد في القرى كرسي إلباهو.

ولغرض سحب الحشفة الى أمام والإمسك بها جيداً يستخدم الختان ماسكاً (ماشقاس)^(٤٧)، قد يكون مجرداً أو مزيناً وتختلف أحجامه. وعادة تكون واحدة فقط من حافتي سكين الختان (كاريته) قاطعة. ويستخدم الختان سكيناً خاصاً وأحياناً يستخدم السكين الخاص بذبح الدجاج. ولايقاف النزف ينثر على الجرح الرمد الناتج عن حرق الأوراق الزرق التي تُلف بها مخاريط السكر (في سنه) أو بذور الكراويا المطحونة^(٤٨) أو مسحوق الخشب المأخوذ من عوارض الدار (في بيجار). وفي العمادية كان الجرح يطلى أولاً بمعجون مصنوع من السموكه (أنظر ص ١٢٠) والملح ثم يُنثر فوقه رمد قاطعة قماش سوداء. وأثناء مصيصه [عملية المص الشرعية] يضع الختان شيئاً من البراندي - أو خليط من الماء وسموكه - في فيه.

٤٤- قارن مع ما سيأتي.

٤٥- كذا التسمية في أنحاء كردستان؛ وبالكرديّة سوتنكر.

٤٦- أبلغني المحام أبراهاام من سنه، أنه أجرى الختان لحوالي خمسمائة طفل كردي. و[كان] هنالك ماسكة ختان كرديّة ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية ٣٨: ١٠٤.

٤٧- [كان] هنالك عدة نماذج ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية. يعود أحدها الى حوالي مائتي عام، مكتوب عليه [بالعبرية]: "قدّمت على شرف النبي إلباهو - لتحفظنا كراماته! آمين".

٤٨- حول قدرة أومبيليفيرا (بذور الكراويا، والشبت، والشمار) في مجال طرد العفاريث، أنظر هوفوركا كرونفيلد، *Volksmedizin*، المجلد الأول، ص ٩٨.

بعد الإنتهاء من العملية يري الختّان يديه المملّختين بالدم للجّمهور؛ وينادي الرجل الذي يحمل الطفل: منخوم بديمه، "أنظروا الى الدم!" حيث يُعتقد أن الله يتجاوز عن خطايا الذين ينظرون الى هذا الدم وأنّ النساء العقيّمات يبرّأن من العقم اذا نظرن الى اليدين المملّختين بالدم (في العمادية)^(٤٩). وعلى النحو ذاته، يعتبر الماء الذي يغسل فيه الختّان يديه من الدم علاجاً للعقم. فتغتسل منه النساء (في العمادية) وأشنويه) بل ويشرين منه (في أشنويه). كما ويُعتبر الكتان الذي يُغطى به الجرح علاجاً للعقم، تتبخّر به النساء (في العمادية).

يضع الختّان الحشفة (في العمادية: *دولوكسه*، وفي زاخو: *صارموكسه*)^(٥٠) في إناء به رماد ويقول: *نيحاش عفر لحو، الحية، طعامها الغبار*. وتنتشر فوق الإناء ثياب العرس برموزها الجنسية السحرية؛ ثم يحمله صبي الى دار الأب. وتعلق الأم الحشفة على المهد حتى تجف، ثم ترفعها وتحفظ بها كتعويذة (في العمادية). وتقوم النساء العقيّمات بإبتلاع قطع الحشفة اليابسة التي تعتبر علاجاً للعقم (في أشنويه) وزاخو وسنه) وفي بعض الأحيان يضعنها في داخل فروجهن (في زاخو). ومع هذا، ينبغي الحصول على الحشفة وإستعمالها سراً حيث أن أقارب الطفل لن يسمحوا بإستخدامها في أعمال السحر. [إستعمالات الحشفة هذه شائعة في أغلب المجتمعات اليهودية الشرق أوسطية.]

وعند تلاوة البركات على النبيذ يتم تقطير بضع قطرات منه في فم الطفل. فاذا لم يبك فإنّ سيّقبل واحداً من أفراد المجتمع، ويقول الرجال لبعضهم البعض: زيه خبرييه، "هذا واحد من المجتمع" في العمادية).

وفي العمادية، عندما يعلن الأب إسم ابنه، يغمر الموهيل أصبعه في النبيذ ثم يدخلها في فم الطفل، "وذلك لكي لاينسى الطفل الإسم" (في العمادية).

وليمة الختان

لدى مغادرة الجماعة الكنيس، يُقدّم لكل واحد منهم كعكة صغيرة من قبل واحد من أفراد العائلة يقف عند الباب. ولأداء هذه المهمة يتم إختيار رجل قوي قادر على

٤٩- عند النظر اليه، يقول كل منهم للآخر: *إشاللا هال إجهاه يزخه هويّخ إيهيتخي برونه كزّخله،* "إن شاء الله، سيكون لك خلال تسعة أشهر ابن أجري له الختان".

٥٠- في زاخو تسمى الأكمام الطويلة للثياب *دولوكسه*.

التغلب على سيل الضيوف.

بعد ذلك يُعاد الطفل الى الدار، ترافقه الموسيقى وزغاريد النساء. وفي سنه تدخل النساء فقط منزل الأب حيث يقدمن الهدايا وتقدّم لهن المرطبات. أما الرجال فيتوجه كل الى عمله. وتقدم لهم وليمة الختان الوحيدة في ليل ششه.

أما في أغلب المجتمعات اليهودية الكردية الكبرى، فإنّ وليمة الختان تأتي بعد عملية الختان مباشرة. وفي كلّ الأحوال فإنها يجب أن تكون في النهار. وعادة تعالج العائلات الفقيرة الموقف في باحة الكنيس فتوزّع المربى والفظائر على الضيوف المتجمهرين (في العمادية). أما الأغنياء فيقدمون جهتهم وليمة مترفة في دار الأب.

وفي زاخو، اذا وافق إجراء الختان يوم السبت تلغى الوليمة. وبدلاً منها تقوم البنات بتوزيع الرز واللحم على حوالي مائة عائلة. أما في العمادية فإنّ الوليمة تقام في السبت أيضاً. وهناك الكثير من الترفيه يتبع الوليمة كما في مراسيم الزفاف. فلعبة *يسيرا هاكوما* "أسير الملك" واحدة من الألعاب المرغوبة في هذه المناسبة. ويكون في الوليمة عشرة من الخدم (*سابوسه*) لايسمحون لأي ضيف بالمغادرة قبل نهاية المراسيم. ويصبون إهتمامهم على الأثرياء منهم بصورة خاصة. إذ لايسمح لهؤلاء بالمغادرة ما لم يتبرعوا بهدية: براندي أو دجاج أو مال. واذا رفض أحدهم، فإنّه يعاقب عقوبة التّنوعه، أي أنه يعلق من رجليه حتى يستسلم (أنظر ص ٢٩٣).

وبالمال الذي يجمعه *السابوسه* يتم شراء اللحم والبراندي، ويذهبون به مع أصدقائهم - ونساء ليطبخن لهم - الى مكان معين خارج المدينة لإحتفال.

العناية بالطفل؛ المهد

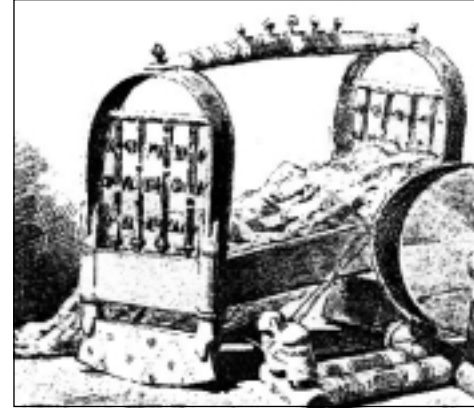
بعد إنقضاء الفترة (السالف ذكرها) التي يقضيها المولود في منخل أو في دوكه (مقلاة الخبز)، يتم نقله الى المهد [في العمادية: *دوديه*، وبالكرديّة: *لاندك*]. ويستخدم اليهود الكرد نوعين من المهد: المهد المعلق والمهد الهزّان.

المهد المعلق هو نوع من الأرجوحات. يُصنع من قماش متين مربوط بقضيب عند كل واحد من طرفيه مثل النقالة ومثبت بواسطة حبال الى عارضة في السقف. وعندما يؤخذ الطفل الى خارج المنزل يُزال المهد ويحمل معه. وهذا النوع من المهد لا يُستخدم للأطفال الصغار جداً.

أما المهد العادي فهو مثبت فوق مهزّات^(٥١). ويُشدّ الطفل الملفوف في القماط الذي

٥١- يوجد رسم توضيحي جيد للمهد الهزاز (من أرمينيا) في *يلوس بارتلز، الأثنى، المجلد =*

يمنع حركة يديه ورجليه الى المهده بقوة بحيث لا يستطيع التقلب فيه. وهذا التحديد للحركة لازم لتثبيت أنبوب الببول [في العمادية: سيباك] وهو أنبوب من القصب يلصق بعضو الطفل بواسطة قمة من الشمع تصنع بصورة تناسب الطفل ذكراً أم أنثى. ويمر الأنبوب من خلال الوسادة التي ينام عليها الطفل، ومن



المهد (عن بنديه)

قعر المهده الى إناء على الأرض (في العمادية: سينجه) (٥٢).

ويتم إخراج الطفل من المهده مرتين فقط في اليوم لتجديد قماطه. ولا يتم إخراجة عند الإرضاع. واذا أخذنا بأن المهده يوضع عادة في الداخل، فيمكننا تصور قلة الكمية التي يتلقاها الطفل من الهواء والضوء وكيف يسهل أن يقع فريسة للمرض. وعلى المهده تُثبَّت كافة أنواع التعاويذ، ومنها (مثلاً) سلسلة من اللوز والجوز والخرز الأزرق وقطعة خشب من شجر خيلايته (في العمادية).

إطعام الرضيع

يتم إرضاع الوليد منذ يوم ولادته من صدر أمه. وفي العمادية يتم إطعامه أول مرة من زبدة مذابة (مشخه)، ولا ترضعه الأم إلا بعد عشر ساعات. وعلى أي حال،

= الثالث، ص ٢٠٥، الرسم التوضيحي ٨٧٠. وتعطينا هذه الصورة فكرة جيدة عن الوضع الذي تتخذه الأم عند الإرضاع. أنظر كذلك بفلوگ "Die Kinderwiege"، أرشيف الأنثروبولوجيا، الرسم التوضيحي ٢١؛ هانس فيرجو "Die armenische Wiege, Zeitschrift für Ethnologie", ص ٢٠٨-٢٠٩. ويمكن ملاحظة نماذج من المهده المعلق في المتحف الشعبي الفلسطيني بالقدس. [وفي سنه يوجد إضافة الى هذين النوعين نوع ثالث هو المهده الخشبي المورجج، لولو - وهو بين المهده المعلق والمهد الموضوع على الأرض.

٥٢- إستخدام قصبه التبول شائع في المناطق التي يستخدم فيها هذا النوع من المهده. فنجدها في أرمينيا وكردستان وتركستان وعند القرغيز وبعض العشائر العربية. [وتستخدم أيضاً في إيران وبقية دول الشرق الأوسط.]

فلاشك أنه يطعم من اللبأ. وترضع الأم الوليد منذ البداية لأنها (وربما خوفاً من السحر) لاتجرو على إعطائه لسيدة أخرى كي ترضعه خاصة إن كان المولود ذكراً. وتدعى مرضع (في العمادية: ديدوكه) عندما تعاني الأم من توقف تدفق الحليب من صدرها أو من أي حالة مماثلة. ويستدعي بعض من النساء الثريات مرضعاً لإرضاع طفلها وذلك لتحبل هي ثانية في وقت قصير - حيث أن هناك إعتقاداً شائعاً مفاده أن المرضع لايمكن أن تحبل (٥٣).

ولدى النساء عدد كبير من أنواع العلاج عند إنخفاض كمية الحليب أو توقف تدفقها. كان يكتب الحاخام تعويذة معينة تضعها المرأة على صدرها داخل غلاف فضي. أو أن تقوم بجمع تراب من أضرحة مقدسة (مثل بي حازين في العمادية) وتمزجه بالماء وتشربه.

كما سبق وذكرنا، لا يتم إخراج الطفل من المهده لإرضاعه. بل تجثو الأم عند المهده، وتنحني على الطفل، مستندة بأحد ذراعيها الى السارية التي في قمة المهده. (أنظر بهذا الصدد أغنية المهده) (٥٤). ولتسهيل الرضاعة هناك قميص خاص (في العمادية ونيروه وريكان: سودرا مامسانته [قميص المرضع]) فيه شق عند كل ثدي يغطي بغطاء متحرك (٥٥). وتغني الأم أغاني المهده عند إرضاع طفلها.

ويستمر الطفل في الرضاعة عامين. وخلال السنة الأولى يكون الحليب طعامه وشرابه الوحيد. ولا يسقى ماء ولا شاياً. وفي السنة الثانية تبدأ إضافة الحساء أو الثريد والماء الى حليب الأم كاغذية مكملة. وعندها يجري الإهتمام بسقي الطفل كميات كبيرة من الماء لكي لا يمرض. واذا نسيت الأم أن تسقيه من الماء، ثم شرب ماءً كثيراً ومرض، فإنه يُقال "نال منه العطش" (سوخوينه يلو).

ولعلاج الطفل، يوضع الماء في إناء أنبوب جديد (كالونكه) ويسقى منه الطفل. ويجب بعد ذلك المشي أربعة أذرع في الغرفة ذهاباً وإياباً، بعدها يلقى إناء الأنبوب في النهر مع القول: سوخوينه، سوخوينه، أختمم گو ميبه يلا طارس، "يا عطش، يا عطش، أنت في الماء، والطفل معافى" (في العمادية).

٥٣- بولس بارتلز، الأنثى، المجلد الثالث، ص ١٩٥.

٥٤- يتبع النساطرة في كردستان العادة نفسها: "فهم يرضعون الأطفال داخل المهده الذي يكون مرتفعاً بحيث يمكن من إطعام الطفل عندما تكون الأم جالسة على الأرض وأحد جانبيها يواجه المهده" (كرانت، النساطرة، أو الأسباط المفقودون، ص ٢٤٨).

٥٥- مجموعة براور بالجامعة العبرية ٥٤:٣٩، من هرقي.

وعلى حدِّ علمنا، ليس هناك مراسيم خاصة تجرى عند فطام (حَسَّالَه) الطفل. وإذا كان الطفل يحب الإستمرار في الرضاعة، تقوم الأم بطلاء صدرها باللون الأسود لتخيفه، أو تنثر الفلفل الحار على صدرها.

الطفولة؛ أول الأَسنان

[عند ظهور السن الأول، يقولون: *بي إِلِيَه يَوت عارزيني وعمناهي*؛ آه، ربي، هب الكثرة والسلام؛ ويُقصد بذلك أنه مادامت الأَسنان قد حُلقت للأكل فليكن عددها كافياً للتمكن من الأكل (في العمادية).]

عند اليهود الكرد، وكما في المناطق الأخرى، يُعتبر ظهور أول سن للطفل من الأحداث السارة وتنظَّم مادية بالمناسبة^(٥٦). ويقولون: *أَكَّار دَاكي فَاكْرِي تَخْتِي دَارْكَوشتي مَالِيو پْتِيلَه كَسِينَه بِاشْلا بَاكِي*، "الطفل يطالب بهذه المادبة، حتى لو توجَّب إحراق المهده لطبخ الطعام به". ويوزع الشريد، كَسِينَه (أنظر ص ١٨٨) بسخاء على الفقراء ويُبعث به إلى الأصدقاء. ويُصبَّ شيء منه على السطح، لتمكين الطيور أيضاً من الإبتهاج بظهور السن (في سنه). وفي الغالب تقام هذه الوليمة فقط للإحتفال بظهور أول أسنان أول ابن. وفي العمادية يدعى الموسيقيون أيضاً؛ وتوزع الحلوى على الجيران والأصدقاء.

تعلق تعويذة مصنوعة من سن نئب (كِيكَه رِيَه) في عنق الطفل مكتوب عليها: *مينت بينه كيكوخ بينه كيكيت كيينه، مَنْ يَعد سنك، فليَعد هذا السن*. أو يُكتب: *كود مينخ كيكوخ مينخ بينه كيكه، من ينظر إلى سنك، فليَنتظر إلى هذا السن* (في العمادية). وفي نيروه وريكان والمدن الأخرى، يبعث الوالدان في يلبتت كيكه إناء من حَسَّيشَه، تَريد مصنوع من القمح والحمص، إلى الأقارب والأصدقاء ويلقيان لقاءه هدية هي عبارة عن قماش أو مَكِيلَا [نسخة من سفر إيستر] أو ما شابه.

وفي بَرَشَه يتم إرسال إناء فيه حلوى مع آخر فيه ملح إلى المعارف. وعند تقديم الإناعين يُقال، مثلاً: *پلتلو كيكه لا أَقْرَامِينكو، ظهَرت أسنان أبراهام*؛ ويكون الجواب: *بريخه هيوه إلال، فليبارك فيه*.

ويعتبر فالاً سيئاً ظهور أول الأَسنان في الفك العلوي. وفي هذه الحالة، يطبَّق علاج "قوي"، فيتم إلقاء الطفل من سطح الدار على قطعة قماش يمسك بها في الأسفل عدد من الأشخاص (في سنه).

٥٦- في العمادية، فَرخيه كَكَه برونخ، "وليمة أسنان إبنك"؛ وفي سنه كيكه پَلوتَه، "ظهور السن".

زمو الطفل

خلال السنة الأولى من عمره، يتم غسل يدي الطفل - دون وجهه - بالماء صباحاً. وتحلب الأم قليلاً من حليب صدرها لتغسل به وجه الطفل، وهي تقول: *بروني بيسه ولو خوليليه مَالِيخَه، ولدي، الملائكة ستغسل وجهه* [أو *مَلِيخَت سَنَّا*، ملائكة الخير]؛ أو تقول: *إِينَه حَيَلْنَا خَلَوَه، أَغسله بالحليب* (في العمادية).

تعلم المشي

تتم مساعدة الأطفال على تعلم المشي بوضعهم في مسند ذي عجلات مصنوع لهذا الغرض (في العمادية وسنه). وهناك مراسيم معينة تجرى في حال كون الطفل بطيئاً في تعلم المشي. إذ يُؤتى ببعض الأحشاء (تَالِيَه، أي القلب والكبد وما شابه) ويتم تجريد الطفل من ملابسه ورفعها فوق الأحشاء تلك مع صب الماء عليه. وبهذا يبدأ سريعاً في المشي (في العمادية).

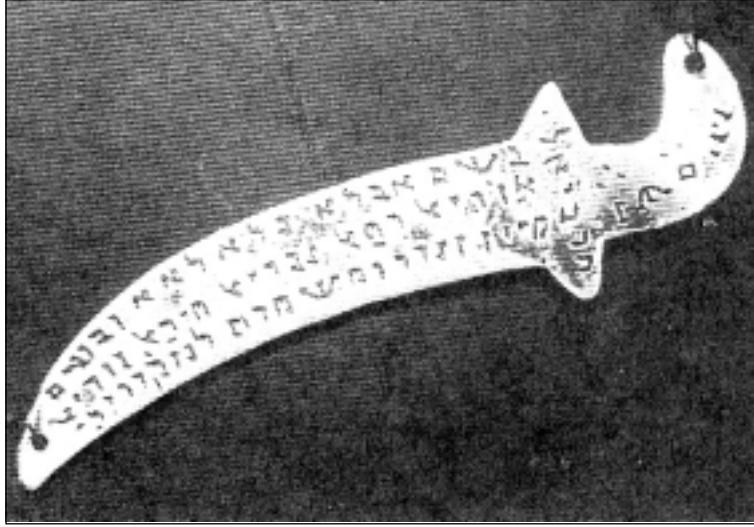
وإذا لم ينجح هذا العلاج، يتم اللجوء إلى علاج أقوى وهو "الأسر" (يسيره). حيث يتم ربط يدي ورجلي الطفل وأخذه إلى الشارع الرئيس في وقت يُعرف بأنّ الأَغا سيمر به راكباً. والأَغا الذي يعرف ما يفعل في هذه الحالة، يترجل من حصانه ويقطع الأربطة التي ربط بها الطفل بواسطة سكين (في دهوك والعمادية).

وتم وسيلة أخرى تتمثل في التبخير بواسطة قرن غزال مبنية على بيريته /قوت ٥: ٢٣: *راض كاصقي، كن رشيقاً كالغزال* (في العمادية).

وفي العمادية، تذهب الأم مع الطفل مساءً إلى موقع للعفاريت يسمى *بَري آويَه*، الصخرة المدورة. وتضع بعض الخبز والملح والبصل إلى جانب الصخرة، ثم تستلقي هي والطفل قائله: *أرجوك، يا صديقي، فك وثاق طفلي*. وبعد ساعة تحمل الطفل وتعود به، وبهذا يتأكد أنّ الطفل سيمشي في الصباح التالي.

وفي سنه، يوضع الطفل في غريبال (*أرباله*) ويُحمل ليُطاف به على سبع عائلات، تتبرع كل واحدة منها ببعض الطعام. ومن الأَطعمة التي جمعت من العائلات السبع تهيأ وجبة طعام يجب أن يلتهمها الطفل.

الكلمات الأولى التي ينطق بها الطفل تكون عادة بيببي [بابا] يمي (في العمادية) [ماما]، تاتا أو بابا (أب)، داي (أم)، والله (الرب) (في سنه). [إذا كانت الكلمة الأولى التي نطق بها الطفل هي بيبه "بابا" فتلك علامة عن أن المولود التالي للأبوين



سيبا (السيف) تعويذة لحماية الطفل. مكتوب عليه أسماء ملائكة

وبالإضافة الى بيع الطفل الى عائلة أخرى، توجد ثم عادة بيع الطفل الى الغجر (قَرَجِيَا) ^(٦١). فيشتري الغجر الطفل ثم يشتريه منهم فرد آخر من العائلة. وهذه العادة شائعة جداً في العمادية.

أخيراً، هناك عادة إستبدال الطفل بجرو. فتأخذ الأم طفلها الى كلبه ولدت حديثاً عدداً من الجراء. فتضع طفلها عند الكلبة وتأخذ أحد الجراء وتضمه الى صدرها. ثم تجيء به وتروح ثلاث مرات وهي تقول: بي كلبته، هي شَقُول برونِي تيلخ، انا شَقَللي اوها برونخ تاكيني، أيتها الكلبة الأم، خذي إبني لك. (وفي المقابل) سأخذ إبنك هذا لي. عند ذلك تستعيد إبنها وتحمله الى النهر حيث تغمره في مائه ثلاثاً (في زاخو). وعادة إلقاء الجرو في الماء قد تكون أقدم من هذه (في دهوك). وهذه العادة متبعة بكثرة أيضاً عند النساء الحوامل من اللواتي فقدن أطفالاً عديدين من قبل. وعند إجراء هذه الطقوس يقلن: أيتها النهر، لقد أعطيتك الإبن الميت، فأعطني لقاءه الإبن الحي (في دهوك).

وكتعويذة لهؤلاء الأطفال الذين يُعتقد أنّ خطراً من نوع خاص يتهددهم، جرت العادة أن يُصنع لهم سيبا (سيف). ولهذا الغرض يتم شراء الفضة من ثلاثة من

٦١- زابا، القاموس، ص ٣٠٧: قَرَجِي، "بدوي"، وبالتركية والفارسية قَرَجِي، "بوهيمي".

سيكون ذكراً. وإذا قال يَمِي "ماما" أولاً يكون المولود التالي أنثى. وهناك وسيلة أخرى للتنبؤ، فإذا أخذ الطفل الذي بدأ يمشي للتو شيئاً من الرماد وذرّه على رأسه، فتلك علامة على أنّ أمّه ستحب وتنجب طفلاً ذكراً (في العمادية).]

وفي حالة الطفل الذي يلاقي صعوبة في تعلم الكلام، يتم اللجوء الى "الأسر"، على نفس المنوال المتبع في حالة الطفل الذي يلاقي مصاعب في تعلم المشي (في دهوك والعمادية). وتم طريقة أخرى، توضع فيها ثلاث حبات من الرز المحمص تحت لسانه (في العمادية).

الأطفال المهذّون

يتبع الوالدان اللذان سبق وفقدا الكثير من أطفالهما، تقليداً خاصاً لحماية الطفل المولود حديثاً. فبعد الولادة بوقت قصير - لايتجاوز ثلاثين يوماً - "يُباع" الطفل. إذ يتم بيعه الى أنثى من الأقارب، تدفع لقاءه حوالي الجنيه. ولكنها تعيده الى الأم لترضعه وتدفع لها لقاء هذه الخدمة أجراً شهرياً رمزياً. وإضافة الى ذلك فإنها تتولى شراء الملابس للطفل حتى يبلغ حوالي العاشرة من العمر ^(٥٧). ولايجوز أن يشتري الوالدان ملابس للطفل تحت أي ظروف (في زاخو ودهوك وسنه). وإذا أمكن، فإنه يتم إختيار أم أنجبت الكثير من الأطفال كـ"مشتريّة"؛ ويحمل الطفل إسم عائلتها (في سنه).

وهناك أيضاً إجراء آخر، وهو أن يُعامل الطفل معاملة طفل الفقير، بدلاً من بيعه. حيث يتم جمع المال لشراء ملابس له ^(٥٨)؛ أو يُجمع له بعد ولادته مباشرة ثياب بالية من عدة عائلات ويُصنع له منها "ثوب ذي ألف قطعة" مثل الذي يرتديه الدراويش (سودرا كچه) ^(٥٩). ويخيّط الى هذا الثوب خرزة حمراء، ويرتديه الطفل في صباح شابات ميلا (في العمادية؛ أنظر ص ١٩١).

ولمثل هؤلاء الأطفال، تُصنع سودرا وكرتكا من كفن الأموات (كتين ميته). فإذا مات رجل مسن أو مات حاخام، فإن ما يزيد عن كفته من قماش يُباع بالمزاد ويشتره ذوو مثل هذا الطفل. وتُميّز السودرا بالخرزة الحمراء ^(٦٠) (في العمادية).

٥٧- في بعض الأحيان تشتري أول ثوب فقط، كرمز.

٥٨- كداه بوله كوله باكف.

٥٩- أنظر: مجموعة براور بالجامعة العبرية ١٣٥:٣٨.

٦٠- أنظر: مجموعة براور بالجامعة العبرية ١٥٣:٣٨.

اليهودية الكُردية

إن مسألة رسم صورة واضحة للمرأة اليهودية الكُردية تعتبر مهمة صعبة من وجهة نظر الرجل المعاصر. وذلك لأن المرء ينجرّ في هذه الحالة الى رسم صورة أحادية الجانب ما يؤدي بالتالي الى حرمانها من مكانتها الحقيقية التي تحتلها في البنية الثقافية.

إن دراسة أنثروبولوجية للمرأة اليهودية الكُردية تظهر لنا بأنها ذات هيكل جسماني ممتليء، خشن، ذي عظام ضخمة. ويمكن للمرء أن يجد أحياناً بين الفتيات الشبابات فتاة ذات جمال شرقي أخاذ؛ إلا أنه يندر أن نجد بينهن نوات الشكل الجذاب. فالعمل الشاق، والمعاملة السيئة، والحمل المتكرر، وظروف الحياة البدائية التي تعيش في ظلها المرأة، كلها أمور تسلبها جمالها وجاذبيتها في وقت مبكر. ولا يبقى لها بعد ذلك سوى قسمات المرأة الفلاحية النموذجية.

وما اللعنات التي تنهال من فم اليهودية الكُردية إلا نتاج لهذه البيئة القاسية التي تعيش فيها. وهي ليست رقيقة، ولذلك لا تُظهر في مشاعرها وأحاسيسها ما اعتدنا أن نسميه بالأنوثة. ومن الصعب أن نحظى بلمحة عن حياتها العاطفية، إلا أن إنطباعاً يتكون لدى المرء بأن أي شيء يحاذي العاطفة في حياتها سرعان ما يتعرض للقمع من قبل البيئة القاسية التي تعيش فيها.

وفي تبادلهن اللعنات تستخدم النسوة اليهوديات أسماء قاشتتي وزرّش المرأتان الشريرتان من سفر إيستر. وهنا تمس الحاجة لتفسير أولي لفهم إحدى هذه اللعنات المستخدمة من قبلهن، والذي يتضمن كشفاً عن نوعية المعاملة التي تلقاها اليهودية على يد زوجها. فالكتوبه "عقد الزواج" يوضع فور الإنتهاء من قراءته أثناء البركات السبع في حقيبة صغيرة، وتحافظ المرأة على إبقائه تحت سادتها على الدوام. ومحظور إخراج الكيتوبه من الحقيبة، لأن ذلك يتسبب في موت الزوج. وفي هذه اللعنة التي نتحدث عنها، تلعن إحدى النسوة واحدة أخرى بقولها أنها أخرجت الكيتوبه ليموت زوجها: قاشتتي بيتخات كيتوبات طار جوراخ مايس إشاللا دايم قايم هاوه طار نيخيراخ تاويرا قاشتتي، لقد أخرجت عقد زواجك، وذلك لكي يموت زوجك؛ ولكن (لعل) الله أن يبقيه حياً، لكي يحطم أنفك! (في العمادية، وكذلك



الحاخام علوان أفيداني من العمادية. وهو المصدر الرئيس لمعلومات باتاي

صاغني الفضة - يهودي ومسلم ومسيحي. ومن تلك الفضة، يصنع صانغ فضة يهودي سيفاً صغيراً. وبعد ذلك يكتب الحاخام على السيف أسماء ملائكة معينين. وفي هذه الأثناء ينبغي أن يراعي الحاخام القوانين الشرعية الخاصة بالطهارة عند صنع التعاويذ. ويشد الطفل السيف على كتفه أو قلنسوته حتى بلوغه السن التي يتمكن فيها من حمله في جعبة - تفلين (في العمادية)^(٦٢). وهناك سيبا من العمادية، يعود الى حوالي مائتي عام (مجموعة براور بالجامعة العبرية ٥٦:٣٩)، يحمل الكتابة التالية:

בסם יהוה חריבאל
בסם אבאל בלא לאא ובסם
איראל רפאל נבריאל מיכאל נוריאל
חיי נעדר ומשמרת לנשוא לזה קוסעו ויהו.

[كما يمكن استخدام يد من فضة أو ذهب كتعويذة للغرض نفسه (في العمادية).
وإذا مات عدد من الأطفال في سن حرجة ثم أنجبت الأم مرة أخرى، فإن الطفل سيسمى بإسم من شأنه أن يحميه. وقد ذكر لي مصدر معلوماتي، الحاخام أفيداني وهو من العمادية، أنّ والديه مات لهما ثلاثة أولاد قبل أن يولد هو، وأن كل واحد من أولئك الأبناء قد مات بعد الختان مباشرة. وعندما ولد هو سمّاه أبوه علوان، أضحية؛ وقد عمل هذا الإسم على حمايته واستمر في الحياة.]

٦٢- [كان] هنالك نموذجان ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية ٥٦:٣٩ و ٦٢:٣٩.

تهذيباً ورقة. وهذا يعود الى الموقف الديني. فوجه اليهودية الكُردية، من ناحية أخرى، يعكس إمارات الخشوع.

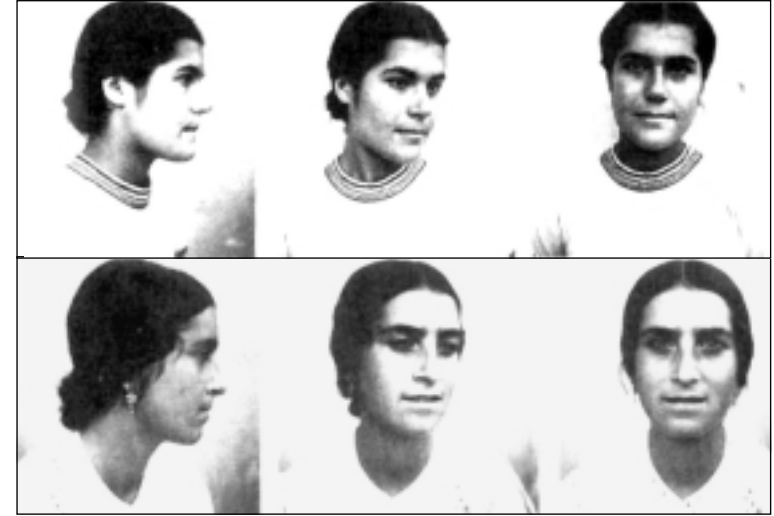
إن المرء يندهش من بدائية وفلاحية روح المرأة اليهودية الكُردية. فافقها محدود بعائلتها وبحياة مجتمعها الصغير. ولا تحصل البنات على أي نوع من التعليم، عدا القليل منهن وفي ظروف إستثنائية. ومعظم المتعلمات هن بنات الحاخامات اللواتي يتلقين التعليم حينما لا يكون في العائلة إبن تنفق وقتها في تعليمه؛ علاوة على وجود هدف عملي من وراء تعليمهن. فهؤلاء الحاخامات هم معلمو مدارس، وإذا لم يكن لديهم أبناء أو كان أولادهم الذكور أطفالاً صغاراً، فإنهم يعلمون كبرى البنات القراءة والكتابة كي تتمكن من مساعدة والدها في تعليم التلاميذ. ويرجع ذلك الى أن المعلم اليهودي في القرية الكُردية هو في نفس الوقت شوحيط وموحييل وفي كثير من المناسبات يرسلون في طلبه ليؤدي واجباته التعليمية.

ومن الأمثلة المثيرة للإهتمام بهذا الصدد، حادث من القرن السادس عشر صادفتنا أثناء قراءة إحدى رسائل اليهود الكُرد التي نشرها مان^(٢). الرسالة واحدة من رسائل عدة تناقش نفس الموضوع، وهو موضوع يعقوب بن يهودا مزراحي^(٣) الذي كان كما يبدو يهودياً كُردياً أدار مدرسة في العمادية ثم في الموصل. وكما يتضح من رسائله، فإن إدارة المدرسة كانت تعتمد في نفقاتها أساساً على المنح والهبات التي كانت تقدم لها من المحافل اليهودية في كُردستان (أنظر ص ٧٢). أخذت أرملة مزراحي عقب وفاته على عاتقها إدارة شؤون المدرسة. أما الرسالة موضوع الحديث هنا، فهي بالكاد من إنشائها هي^(٤)، سيما وأن الرسالة حافلة بالميليتيزوت [التعابير الشعرية] وتكشف تمنع كاتبها بقدرة لا يستهان بها في اللغة العبرية وأدب الأحبار اليهود. ومن خلال الرسالة إتضح لنا بأن أرملة مزراحي تلقت تعليمها على يد والدها سامويل ليثي، إذ تقول: [لم يعلمني أي شيء أو عمل خلا

٢- مان: نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٠٧، الرسالة الرابعة، قارن مع أساف لي تولدوت"، ص ٩٣.

٣- إسم مزراحي ليس دليلاً على كون الرجل من بغداد كما يفترض مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٤٨٠). ففي القدس مثلاً تجد إسم مزراحي من أكثر أسماء العائلات شيوخاً بين اليهود الكُرد. أما في كُردستان نفسها فنادر ما تصادف هذا الإسم.

٤- المصدر السابق، ص ٤٨٣، فيه مجال لقليل من الشك ("على فرض أن الرسالة من إنشائها هي"). ويجب أن لا ننسى أن اليهود الكُرد يحتفظون بنسخة من كل رسائلهم كنوع من دليل الرسائل يستخدمونه في كتابة أنواع رسائل الإستجداء وما الى ذلك.



نموذجان لليهودية الكردية

في زاخو). [يبدو أن إسم فاشتي يستخدم في لعنة أخرى: فاشتي ماري دوما "فاشتي ذات الذيل". وهذا يتماشى مع التقليد القائل بأن فاشتي رفضت المثل أمام ضيوف أهاسورس لأنها لم ترغب في أن يروا بأن لها ذياً^(*). (العمادية)]. يرتبط العديد من هذه اللعنات بتقاليد الموت. فإذا ما مات أحد الأطفال، تقوم الأم أحياناً بقص جدائلها (أنظر ص ١٠٥) - ولهذا تُنطق اللعنة هكذا: "هاي من صوصياخ قطع إيلاخ" أه، ألا قطع جدائلك! (في زاخو). وبما أن الموتى يُغسلون فوق لوح (دُركه)، فإن بعض اللعنات تتمنى صاحبتها الموت للمرأة التي تكرهها حينما تقول لها: ربي صوصياخ ريش دُركه [أو ديه] حَبيلو "جعل الله جدائلك تُغسل على اللوح!" (في زاخو والعمادية) [أو تنيشه مَرَدشي "غسلت شعرك مرة واحدة" أو بمعنى آخر "قلباخذك الموت ويغسلوا شعرك مرة واحدة والى الأبد!" (في العمادية)].

ويشيع بين الرجال اليهود اليمانيين شيء من البيرفونگستيبوس [نداء باطني] بأن المرء مدعو للقيام بعمل ما إجتماعي أو ديني - المترجم - لإستخدام تعبير كلاوس بعكس معناه أو بمعنى آخر ليس سعيداً جداً لطريقة تصنيفه للأشياء^(١). وينطبق الأمر نفسه على المرأة اليهودية اليمانية، التي تعتبر عموماً من الصنف الأكثر

* نُفيت بأمر من زوجها أهاسورس بعد رفضها تنفيذ أمره. (سفر إستر ١: ١٠ - ٢، الكتاب المقدس) - المترجم. ل. ف. كلاوس Von Seele und Antlity der Rassen und Völker ميونيخ ١٩٢٩، ص ١٦.

عمل السماء لتنفيذ ما هو مكتوب" و: "بانك سوف تدرسين هذا ليلاً ونهاراً". بسبب الخطايا الكثيرة، لم يُرزق بأولاد بل رُزق البنات فقط] (السطران ٦٥ و٦٦ من الرسالة). هذا علاوة على تصريحها بأن والدها أصرّ لدى تزويجها على إستمرارها في دراستها للتوراة: "كما جعل زوجي يقسم أمامه بأن لا يكلفني بأي عمل، فوافقه زوجي على ما أراد" (السطران ٦٧ و٦٨).

وهكذا يتبين أن مسؤولية المدرسة بالكامل كانت ملقاة على عاتقها: [كان الحبر، بوركت ذكراه، منشغلاً من البداية بدراساته ولم يكن لديه وقت لتعليم التلاميذ، فكنت أقوم بالمهمة نيابة عنه، وكنت له في ذلك عوناً كبيراً. والآن ولكثرة ذنوبي، تركني زوجي ليخلد الى الراحة (الأبدية)] (السطران ٦٨-٦٩). وتناشد هذه الأرملة المحفل اليهودي شد أزرها وإجابة طلبها حين تقول في رسالتها: [من أجل الوالد، بوركت ذكراه، والحبر بوركت ذكراه، وحتى لاتذهب أعمالهم مع التوراة وذكراهم سدى في هذه المحافل، ولأنني ساظل معلمة توراة والمرأة التي تويح وتطالب مئيلاتها من النساء (بالإلتزام) بالغطس والسبت والتطهر عقب الحيض وبالصلاة وما الى ذلك] (السطران ٥٨ و٥٩). وهكذا تؤكد هذه المرأة على نشاطها في مجال نشر تعاليم التوراة بين النساء، اللاتي تعظهن بالإلتزام بالتعاليم المتعلقة بالنسبة وقوانين السبت.

هناك إرث حي يتعلق بهاته النسوة المتعلمات بين اليهود الكُرد، وهي حقيقة تبين مدى ندرة هذه الظاهرة، أي النساء المتعلمات. إذ يقال بأن زوجة الحبر سيمون كانت في القرن السادس عشر معلمة تلاميذ في العمادية. وفي أواخر القرن الثامن عشر، كانت زوجة الحبر أشر معلمة تلاميذ في العمادية أيضاً. وفي حوالي ١٨٤٠م كانت شقيقة الحبر إلياهو مساعدة له في تعليم التلاميذ (حسب شبنائي برّشه) ومن بين قلة من اليهوديات الكُرديات في القدس من اللواتي يعرفن القراءة والكتابة يبرز إسم إبنة حاخام نيروه، التي كانت لثقافتها واعطة لكل نساء المنطقة. وفي الوقت الذي عاش فيه محدثي في العمادية لم يكن يوجد فيها سوى إمرأتين تعرفان القراءة والكتابة، ووجود نساء من هذا الصنف في زاخو أمر مشكوك فيه حتماً^(٥).

أما كلام النساء، فمعظمهن يتحدثن لغة التارگوم، والنساء في بعض المناطق (كالعمادية مثلاً) يتكلمن الكُردية بطلاقة. أما النساء اليهوديات في زاخو فإن معرفتهن بالكُردية قليلة بسبب من قلة فرص إختلاطهن بالكُرد. هذا ورغم كون

٥- قبل وقت قصير كانت هناك فتاة في بيجار تساعد والدها في تعليم التلاميذ. وبعد وفاة والدها قرأت له للقاديش في الكُنيس.

الأغاني التي تغنيها النسوة في حفلات الأعراس كُردية صرفة، إلا أنّهن لايفقهن منها إلا القليل. هذا ولم أجد أي دليل على وجود لغة سرية بين النسوة اليهوديات الكُرديات (كتلك التي تجدها عند النساء في الشرق الأدنى). أما ما يتعلق بالعبرية فمعظم النسوة لايعرفن منها إلا تلاوة بعض التبريكات الى جانب صلاة الشيماع^(٦)، وهنّ الى جانب ذلك ملتزمات جداً بأداء الواجبات الدينية.

تعدد الزوجات

يُسمح بتعدد الزوجات بين اليهود الكُرد لكنه لايمارس إلا نادراً. ففي العمادية كان هناك في ١٩٣٠ حوالي عشرة رجال لهم زوجتان، وفي أشنويه كان هناك سبعة. وفي سنه تبلغ نسبة الرجال ممن لهم زوجتان ١٪. هذا فيما يندر وجود من لهم ثلاث زوجات^(٧). ففي سنه على سبيل المثال، في وقت إعداد بحثي هذا [أواخر ١٩٣٠] ما عرف محدثي بوجود ولو حالة واحدة من هذا القبيل^(٨).

أحد أسباب زواج الرجال من امرأة ثانية هو عدم تمكن الزوجة الأولى من إنجاب ابن يرث الأب. فالعوامل الإقتصادية في الريف أكثر منها في المدن - تلعب دوراً كبيراً في تعدد الزوجات. لقد إتخذ يهودي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً ويعيش في أشنويه الريفية فتاة تبلغ العشرين من العمر زوجة ثانية له - والسبب الوحيد الذي برر لي ذلك به قوله أن العمل في بيته قد زاد الى درجة لايمكن معه لزوجة واحدة أن تقوم به. فقد كان يملك أربع أبقار، وكان واجب العناية بهذه الأبقار يقع على عاتق

٦- قيل بأن أفراد عائلات الحاخامات لم يكونوا يتحدثون بغير العبرية في السابق، وهذا يوضح سبب تعلم نساء هذه العائلات هذه اللغة (في العمادية).

٧- يوجد في القدس يهوديان كُرديان لكل منهما ثلاث زوجات، أحدهما: ه. ز من نيروه وله ثلاث زوجات وإثنتا عشرة بنتاً، ومات له عدد من الأطفال في كُردستان. والسبب الرئيس لزواجه من ثلاث زوجات هو أنه لم يرزق بإبن من زوجته الأولى، وقد رزق أخيراً بصبي من زوجته الثالثة.

٨- في سنه يستعان بالمتزوج من ثلاث، حيث يقصده المريض المحموم ويسأله: "ميردي سى ژنان چ خاسه بو درمان (بالكردية) "يا زوج الزوجات الثلاث ما هو الدواء الناجح للحمى؟". وعادة ما يصعب العثور على رجل متزوج بثلاث فيستعينون بمن له زوجتان ويقصده المريض بقوله: ميردي دوو ژنان "زوج الإثنتين". وفي العمادية تذهب زوجة المصاب بالحمى (بالكردية، شوتائي: حمى الليل) الى المتزوج من اثنتين أثناء تناوله الطعام وتقول له: "خوداني دوو ژنا كورين دوژمانا (قارنها مع - دوژمن - في قاموس ژبا، ص ١٨٣) درماني شوتايي چنه؟ (بالكردية) "يازوج الإثنتين (أسمى الله أعداءك) ما علاج الحمى؟" فيعطيها الرجل بعضاً مما بين يديه من طعامه ليتناوله زوجها المريض كدواء.

الزوجة الثانية لوحدها. والحالة الأخرى التي يكون فيها الدافع الإقتصادي الأساس هو زواج الرجل من أرملة ثرية وإتخاذها زوجة ثانية له. ومثل هذا الزواج، الذي يدخله الرجل لأسباب مالية بحتة، ليس شائعاً بين اليهود الكرد.

تكافح الزوجة الأولى بكل ما أوتيت من عزم وقوة لتحويل دون زواج زوجها من امرأة ثانية. لكنها تدرك رغم ذلك بأن عويلها ونحيبها سيذهبان دون جدوى^(٩). وحين يدخل زوجها زوجته الثانية الى الدار، فإن الأولى قد تلجأ الى السحر الذي تحدثنا عنه والمتعلق بإستقبال العروس في بيت العريس - فتصعد الى سطح الدار وتقدف الحصى على منافستها لدى دخولها وتضرب الأرض بقدمها. وهي تضمن بهذه الطريقة هيمنتها على الزوجة الثانية (في العمادية).

تختلف تقاليد الزواج التعددي، إختلافاً جوهرياً عن تقاليد الزواج الأول. وإذا ما كانت الزوجة الثانية فتاة عذراء، فإن الإستعدادات لإحتفال تستغرق ثلاثة أيام. وهذا ينطبق على الزوجة لوحدها. فالزوج مستثنى من الصيغ بالحناء ومراسيم الإستحمام. ولكن على الزوج أن يجلس مع زوجته الجديدة الثانية ثمانية أيام في الكوننة. [وفي حال كانت الزوجة الثانية أرملة أو مطلقة (تولاقتا) فتجري حينها مراسيم تناسب حالتها تلك (أنظر ص ٢٢١)].

معاملة النساء

تُعامل المرأة اليهودية الكُردية نفس المعاملة الشائعة التي تلقاها النساء بين الشرقيين، وخصوصاً المعاملة الشائعة عند الفلاحين الشرقيين. فالمرأة هنا خاضعة تماماً للرجل. وإستناداً لهذه الحقيقة فليس بإمكان المرء الحديث عن الحب أو المعاملة القاسية إلا نادراً. ومعظم النساء ينظرن الى أزواجهن منذ البداية كسيد ومولى. وحتى في المقاطعات التي بإمكان المرء أن يتحدث فيها عن معاملة النساء معاملة جيدة (العمادية مثلاً)، فإن العمل المنزلي كله يقع على عاتق المرأة، ليس هذا فحسب بل ينبغي أن تكون دائماً على أهبة الإستعداد لتلبية مطالب زوجها. والأهم من ذلك العائلة، وهنا تكون المعاملة أكثر تطرفاً. فالزوج نادراً ما يخطو خطوة في الدار أو يرفع أبداً إصبعاً في طلب. فهو يامر زوجته «هاتي لي الكتاب. هاتي لي

٩- في القدس حيث يمنع الرابي الزوج من إتخاذ زوجة ثانية إلا بعد موافقة الأولى وقعت هذه الحادثة: أراد أحد اليهود الكُرد الزواج بامرأة شابة، ولم يكن ذلك في مستطاعه لصعوبة إستحصال موافقة زوجته الأولى فأراد تطليقها، لكن الزوجة الأولى رفضت الطلاق وتمسكت حتى أنها عرضت عليه منحه كل مدخراتها المتواضعة من عملها في غسل الثياب.

غليونوي، الشاي» وما الى ذلك - فمن المعيب للرجل أن يفعل شيئاً من ذلك بنفسه. وهم يقولون عن الرجل الذي يامر زوجته على الدوام: *مانه إيلا باخته خابره خييه بريخيلو* "الذي تقف زوجته طوع أمره، سيطول عمره".

ومن ناحية أخرى فإنهم يقولون عن الزوج الذي لا يامر زوجته على الدوام: *مانه ليوه باخته خابره أمره*^(١٠) *كري لي أجاله*^(١١) *زليلو* "الذي لا تقف زوجته طوع أمره، حياته قصيرة، وأيامه معدودة".

والنسوة يتناولن الطعام لوحدهن بمعزل عن الرجال، وفي الغالب بعد تناول الرجال طعامهم^(١٢). وفي الأعياد فإن الصينية التي يقدم الطعام فيها للنساء تحتوي فتاة مائدة الرجال. وإذا ما ذهب الرجل وزوجته الى نفس المكان فإنهما لايمشيان معاً، بل تتخلف الزوجة عن زوجها في المسير بضع خطوات.

ورغم أن معاملة الزوج زوجته تماثل معاملة الحاكم رعاياه، وليس هناك داع رغم كل شيء لمعاملتها بقسوة. فإن اليهود يميلون رغم ذلك للقسوة مع زوجاتهم وضربهن ضرباً مبرحاً تسقط الزوجة على أثره طريحة الفراش في أغلب الأحيان.

وخلال حفلات الأعراس والأعياد - حينما يلعب العرق والمزّه برؤوس الرجال يقع على الزوجة واجب إحضار صينية الطعام لزوجها. حيث تلقى الزوجة التي يحدث أن تتأخر في جلب ما يطلب الزوج الضرب من قبل زوجها أمام الحاضرين. ويريد الزوج من وراء ذلك عرض عضلاته أمام الرجال الآخرين.

العمل اليومي

يمكننا القول أن من الطبيعي أن يقع عبء العمل البيتي كله على عاتق الزوجة. فهي تستيقظ صباحاً قبل زوجها. وبينما تغتسل الزوجة ترد التبريكات اللازمة، التي تعرفها كل امرأة، ثم تتوجه الى الميزوزا على الباب وتتلو صلاة الشيماع، التي

١٠- الصحيح (عمر).

١١- قاموس ژابا، ص ٢، *أكل* [= *أجل*] "اللحظة الأخيرة، ساعة الموت. وبالعبية (الأجل)، وترجم بالقول "إنتهت أيامه". لذا يقال عن الرجل الذي يلقي حتفه إثر حادثة في الطريق: *أجلا زكوالي لاي زله*، "إنتهت أيامه ولهذا رحل".

١٢- وكذلك بين النساطرة والكُرد تتناول النسوة الطعام لوحدهن (في العمادية). أما بخصوص النساطرة فقد كتب رايت يقول: "النسوة لا يأكلن مع الرجال، بل تخصص لهن - بدلاً من تناول ما يتخلف من طعام الرجال - حصة من الطعام". وفي سنه يتناول الرجال والنساء الطعام معاً، لكن في حال عدم وجود ضيوف (النساطرة، أو القبائل المفقودة، ص ٧٥).

تحفظ منها نساء العماديه حتى فقرة (أوَقْتُوخول مئودِخا) (١٣). بعدها تحضر لزوجها الماء كي يغتسل، وحينما يتلو الزوج تبريكاته تردد الزوجة لفضلة أمين. وحينما يكون الزوج في الكنيس لحضور المراسيم الصباحية، توعد الزوجة الفرن وتعد الفطور (كدييه: أنظر ص١٢٦). ثم يستيقظ الأطفال لتناول الفطور.

بعد ذهاب الأطفال الى المدرسة، تضع الأم التالما على ظهرها وتذهب لجلب الماء من النهر أو النبع. وفي العماديه تستأجر زوجات الأثرياء (سقاويي) يحضر الماء بدلاً عنهن. أما النسوة الأقل حظاً فيذهبن الى النهر أو النبع في مجاميع مرتين كل يوم، في الصباح والمساء. أما في سنه فذهبن في المساء فقط. بعد ذلك ترتب الزوجة أمور المنزل وتباشر بإعداد وجبة الغداء (شاروسه: أنظر ص١٢٦). وحين تسمع صوت المؤذن (مَلا) يصدح في المنارة، تدرك بان النهار قد انتصف (بالگيت يوم) وأن الأطفال عائدون من المدرسة.

أما غسل الثياب فيتم في يوم محدد في كردستان، وهو الخميس عادة، وذلك لكي يجدوا ثياباً وأقمشة نظيفة يوم السبت. وتجتمع النسوة بغسيلهن عند النهر، حيث ينظفن الملابس بغسلها في مياه النهر والضرب عليها بلوح خشبي (خاتوره) (١٤). ولدى الإنتهاء من غسل الثياب، تبدأ النسوة في حمام السبت (كيايا). وتجلب النسوة لهذا الغرض الى ضفة النهر قدراً كبيراً لغلي الماء. وقد تذهب النسوة في العماديه شتاءً الى أحد الينابيع الحارة (إين خاتون. وبالكرديه: كانيي خاتوني) وتعني بالتحديد نبع السيدة. ويعتبر يوم الغسل على ضفة النهر عطلة للنسوة. إذ يشرعن بالغناء والرقص حتى وقت متأخر من المساء، ثم يعدن الى بيوتهن مجتمعات (في العماديه وفي زاخو).

وعند الظهيرة تجلس النسوة للعمل في بقعة ظليلة بالباحة (بريانكي)، ويعملن شتاء داخل الغرف. واليهودية الكرديه، مثل يهوديات الشرق عموماً، مكتفية بمنزلها. فلاتذهب الى السوق ونادراً ما تغادر الحي اليهودي، وتنحصر صلاتها الإجتماعية بأقاربها وجيرانها. وتشكل أوقات الظهيرة هذه، مع الأعياد، إطار حياتها الإجتماعية. في الصيف تجلس النساء في أشنويه في باحة الكنيس - وهي أقرب ما يكون الى الحديقة التي يمكن أن يتفاخر بها اليهود.

١٣- وتعرف نساء هذه الصلاة لغاية فقرة: عال ميزوزوت بتيخه أوفيشعاريا. وفي العماديه تضيف النسوة صلاةً خاصة بهن بالتارگوم - "وفق مشيئتهن".

١٤- في سنه بالكرديه: كلاف كو.

الحرف اليدوية وأشغال الإبرة

تختلف اليهودية الكرديه عن مثيلتها اليمانية في أن أشغال إبرتها وعملها اليدوي لا تظهر قدراً كبيراً من البراعة - أو الأصح لم تعد تُظهر قدراً كبيراً من البراعة. إذ لانجد في تلك الأعمال ذلك الأسلوب الدقيق والذوق الفني المتوارث الذي طورته المرأة اليمانية في أعمال التطريز وصنع السلال.

أحد الأعمال الرئيسية التي تقوم بها المرأة الكرديه هو إعداد الصوف. فهي تمشط (١٥) وتغسل وتغزل الصوف. إذ ترى المرأة الكرديه، كلما سنحت لها الفرصة، واقفة أمام باب دارها ويدها مغزلة الصوف الصغيرة (تشييه) (١٦).

والنساء ينشغلن كذلك بحياكة الصوف، فالبسط البدائية (كليه وشيويسه) في العماديه هي من عمل النسوة. إلا أن هواية وعمل النسوة الرئيسي يتركز في خياطة الملابس وحياتها (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه). وتتألف خياطتهن الملابس من خياطة البياضات والملابس والتي غالباً ما تكون مطرزة (في زاخو ودهوك والعماديه وسنه). والقسم الأعظم من زبائنهن هم المسلمون الكردي (١٧). والحياسة هي من الحرف اليدوية الدقيقة التي تظهر المرأة الكرديه فيها براعة فنية فائقة حتى اليوم. وكنا قد تحدثنا عن حياكة الجوارب، وأردية الساق والقفازات، التي يمتاز بعضها بجمال استثنائي، والتي تحاك من الصوف الأبيض أو أصواف ذات ألوان متعددة بتصاميم فنية (أنظر ص١٠٢).

إن تعلم هذه الحرف هو نوع التعليم الوحيد الذي تتلقاه البنات؛ وهن لايتلقين هذا التعليم عادة على يد أمهاتهن، بل على يد امرأة تشتهر ببراعتها في هذا المجال، والتي غالباً ما يكون لديها العديد من التلميذات اللواتي يتعلمن لديها في بيتها مجاناً. وعدا هذا النوع من التعليم تنشأ الفتيات جاهلات وأميات تماماً.

١٥- المشط الذي يستخدم في نقش الصوف (مسيركه) ويصنع من الحديد، أو من الخشب وتكون أسنانه من الحديد.

١٦- [كانت] توجد نماذج في (مجموعة براور في الجامعة العبرية) من العماديه، وفي سنه (تشييه) وريكان (٣٧:٥، ٣٨:٩٦ و ٣٨:١٥١ على التوالي).

١٧- يصنع كثير من النسوة في سنه القبعات (عرقچين) من قطع القماش ويعشن على ما تدره هذه الحرفة، إذ يكسبن مبلغ (قرانين) في اليوم الواحد المبلغ الذي يكفي لتسديد نفقات العائلة كلها ليوم كامل.

قوانين الطهارة

في هذا المجال تشبه النسوة الرجال في الإلتزام الشديد بالشريعة. فهن أيضاً لهن معتقدات الفلاح الذي يكتفي بتنفيذ الطقوس على ظاهرها. فهن يتقيدن بالتعاليم الواجب على النسوة إتباعها بحذافيرها، ومن بين أهم هذه التعاليم تلك القوانين المتعلقة بالطهارة^(١٨). كنا قد تحدثنا عن بيوت العزل الخاصة في العماديه وفي منطقة نيروه، والتي تعتكف فيها النسوة خلال فترة النفاس أو خلال مرورها بفترة الطمث أو الأيام السبعة التي يكنّ فيه غير طاهرات (أنظر ص ١٨٦). وهو تقليد ألغي في عام ١٨٦٠م.

إن الزوجة لاتخبر الزوج حينما تكون غير طاهرة، بل يتبين ذلك من الملابس الخاصة التي ترتديها الزوجة في هذه الفترة^(١٩).

وحينما تكون الزوجة غير طاهرة لاينبغي لها أن تجلس على نفس البساط الذي يجلس عليه باقي أفراد العائلة. كما ينبغي عليها أن تاكل لوحدها، فليديها ملعقة خاصة وأطباق تُغسل جميعاً على حدة (في زاخو وسنه). وعليها أن لاتشارك في إعداد الطعام، ولايجوز لها أن تعطي الماء لزوجها^(٢٠). وهناك بين اليهود الكرد من هو متمزمت بحيث لاياخذ أي شيء بتاتاً من يد زوجته مباشرة خلال هذه الفترة. ويحكى عن الشماش يصحاق الذي عاش في ١٨٧٠ في العماديه بهذا الصدد أنه ولكي يحافظ على أداء المراسيم في الكنيس في حالة طهارة دائمة لم يتسلم طوال حياته شيئاً من يدي زوجته أو إبنته مباشرة.

تنطبق على الفتيات غير المتزوجات نفس القوانين السارية على المتزوجات. وليس ثم مراسيم خاصة بالحیضة الأولى. والحاخامات يعاملون البنات والنساء المتزوجات المعاملة نفسها؛ كما لاياخذ الوالد شيئاً من يدي ابنته مباشرة أثناء فترة حیضها (في العماديه، لا في سنه).

١٨- أنظر كذلك: زمان روباوشوفك (أورميه) في صحيفة (دافار) اليومية الصادرة في تل أبيب، عدد ٦ أيلول ١٩٤٠.

١٩- وفي سنه ترتدي المرأة أردأ ثيابها، والتي تحفظها في صرة معموله من قطع قماش كثيرة ذات ألوان فاقعة تسمى جهل تيته "أربعين رقعة".

٢٠- رغم أن الطبخ مسموح به في القانون اليهودي، ولكن العادة جرت أن تقوم نساء الجيبران والأقارب بالطبخ نيابة عنها، ولكن للزوجة عند الإضطراب أن تطبخ بنفسها (في العماديه وسنه). ولكنها يجب أن لاتتذوق الطعام أو تضيف اليه الملح أثناء إعداده بيدها (في العماديه).

وفي العماديه تحجم النسوة عن إرتداء الملابس البيض خلال فترة الحيض البالغة سبعة أيام. أما في سنه فلا يرتدينها مدة خمسة أيام أو سبعة. وبعد سبعة أيام أحر تذهب النسوة الى (ميققه) للإغتسال الشرعي.

الميققه

إن ميقة اليهود الكرد التي يسمونها (كاره) هي على العموم عملية الإستحمام في النهر (في زاخو والعماديه). ويقال بأن الميققه في العماديه (كاريت ألوجي "حمام الخوخ" [والتسمية تطلق لوجود أشجار الخوخ بالقرب من المبنى]) قديمة جداً. والبناء محاط بأسوار قديمة ترتفع لأعلى من أغصان الأشجار الموجودة قريبا، حتى لايمكن رؤية الميققه من الشارع، وقبل البدء بالإغتسال تقص النسوة أظفارهن ويشدبن جدائلهن ونساء زاخو كن يذهبن في السابق الى الميققه نهاراً أو في الليل. أما في العماديه فقد جرت العادة منذ القدم أن تذهب النسوة الى الميققه ليلاً. وسبب ذلك هو وجوب أن لاتلتقي المرأة اليهودية غير يهودي في طريق عودتها. أما الغطس في الماء شتاءً، وحينما يكون البرد شديداً جداً، فإنه مؤثر على الصحة لدرجة كبيرة؛ والنساء الثقيات بدرجة إستثنائية أظهرن ما يشبه المعجزة في البطولة إن صح التعبير لدى أدائهن هذا الواجب الديني رغم الثلج والصقيع، وطالما أن الواجب الديني يلزم اليهودي الكردي بأن يضاجع زوجته في الليلة التي تسبق السبت، فإن النسوة اللاتي يظهرن من حیضهن يوم الجمعة يذهبن الى الميققه في مساء ذلك اليوم. هذا ويروى أن زوجة الحاخام الحبر شمعون من العماديه قد فعلته ذات مرة. فقد ذهبت الى النهر في الليل، وكان الفصل شتاءً وكانت الريح الباردة تهب. وفي طريق عودتها قابلت رجلاً - فعاتت أدراجها مع المرأة التي كانت ترافقها، وغطست في ماء النهر مرة ثانية؛ ولكنها قابلت في طريق العودة رجلاً آخر. وظلت على هذا المنوال أربع عشرة مرة كلما عادت من استحمامها تقابل رجلاً في طريق عودتها الى البيت. بعدها بدأ جلدها يتقشر بسبب البرد، فما كان منها إلا أن غطت عينها بشمال لها وتركت رفيقتها تقودها في طريق العودة الى بيتها (أخبرني بالحكاية س.ي).

هذا ويعتبر قيام الزوج بمعاشرة زوجته بعد اطهرها من الحيض مباشرة من الواجبات الدينية^(٢١). ولهذا ترى الرجال - الذين يكونون في الغالب بعيدين عن

٢١- إذا لم تكن الزوجة تتوقع عودة زوجها قريباً فإنها تؤخر التطهر حين عودته سيما وأنها تخشى أن تعلم الشياطين بظهرها (في سنه والعماديه).

ديارهم - يعجلون بالعودة الى البيت ليكونوا موجودين حال تظهر زوجاتهم من الحيض أي في ليلة اغتسالهن؛ ولكن إذا تاخرت عودتهم نوعاً ما، يتملك زوجاتهم الخوف من أن يعرف العفاريات بطهرهن ويناموا معهن. ولكي تحمي هاته الزوجات أنفسهن من هذه العفاريات، فإنهن يحتفظن بسرراويل أزواجهن تحت مخداتهن أثناء النوم (في زاخو وسنه) (٢٢).

الزنا والطلاق

على الرغم من حديث اليهود المستمر عن عزلة نساءهم، اللاتي يجلسن لوحدهن في باحات دورهن، فإن ما ورد إلي من حالات إساءة التصرف من قبل النساء يثير الدهشة. والسبب الرئيس الظاهري لبقاء حالات الخطيئة هذه حية وعالقة في ذاكرة اليهود هو أنها جميعاً إنتهت بتحول المرأة موضوع الحديث الى الإسلام.

والقصة التالية التي تدور أحداثها حول امرأة من بيتنوره، تعطينا رؤية جيدة لهذه الحالة. فقد رواها لي شبتاي يوسف، وهو أورشات جَميعه [زعيم الطائفة] في العمادية. عاشت في بيتنوره فتاة بزّت كل قريناتها جمالاً في منطقة برويلنايا.

والد هذه الفتاة زوّجها لرجل، بينما هناك رجل آخر في برويلنايا يسعى للزواج منها. فلم تقاوم الفتاة الثاني ومكّنته من نفسها، فافتضح سرهما ووصل مسامع أهل العمادية. وبصفته زعيماً للطائفة بادر شبتاي يوسف الى إحضار الرجل أمامه، وطلب منه إبداء الندم على فعلته. لكن الرجل أنكر الأمر جملة وتفصيلاً. فجعلوه يقسم على إنكاره ففعل. وعندها أقاموا له *د/نن أكافا سودار*: إذ كان عليه أن يمسك بأحد طرفي *[السودار]* والحازان يمسك بالطرف الآخر، ثم يقسم باغلظ الأيمان أن يقع تحت طائلة كذا وكذا من العقوبات إن اقترب من تلك المرأة أو دخل في الشارع الذي فيه بيتها.

عاد الرجل الى بيتنوره، ولم تمض بضعة أشهر حتى وصلت الأنباء مسامع أهل العمادية عنه وعننا ثانية، فأمر شبتاي يوسف بمعاقبته بخمس عشرة جلدة؛ أي أن يتلقى خمس عشرة جلدة على ظهره وساقيه لخمس عشرة يوماً متتالية، وهكذا أصبح بعد مرور بضعة أيام على بدء العقوبة غير قادر على السير، وتوجب عليهم في النهاية حمله على بغل. بعد ذلك، وبعد فرض غرامة مالية ثقيلة وتحذيرات إضافية، أعيد الى بيتنوره، حيث ظل طريح الفراش عدة أسابيع حتى تعافى من

٢٢- يستخدمون في سنه قطع الثياب الأخرى العائدة للزوج لهذا الغرض (كالخزام مثلاً).

الجروح التي أصابته إثر ما تلقاه من عقاب.

وفي حوالي هذا الوقت تقريباً، جاء شاب - حائك من جالا- الى بيتنوره وكان ذا قوة عضلية جبارة تتيح له لئى قضيب حديدي بيديه المجردتين. وكان قد ترك جالا بسبب عراكه مع بعضهم. ذهب الشاب الى مير [سيد] برويلنايا وطلب منه الإذن في أن يستقر في بيتنوره، فسمح له المير بذلك. وبعد حين وقع هذا الشاب في حب هذه المرأة ذات الحكاية نفسها، وحاز حبها وضاجعها. وفي هذه الأثناء، تعافى حبيب المرأة الأول، وقد حرص هذا في البداية على تفادي الإقتراب من بيت المرأة، لكن سرعان ما عاد الشوق يدفعه حتى ذهب إليها وجدد وصاله بها.

بلغت أنباء الشاب القوي مير برويلنايا. فحذره هذا وأذره بالقتل إن لم يرتدع، ولما لم يرجع الشاب، أمر المير أتباعه بأن يحضروه. ولما أحضروه أذره المير مرة أخرى وقال له بالرغم من أنه كان راغباً في السماح له بالإستقرار في بيتنوره، إلا أنه لن يسمح بأي شكل بوقوع مثل هذه الأمور ضمن منطقتة. ثم أمر بعدها بضرب الشاب بوحشية (كما هي العادة لدى الميراث - ج مير) ثم جعل خدمه أخيراً يغطسون الشاب في المياه الثلجة. إلا أن الشاب، ونظراً لقوته البدنية تعافى سريعاً من آثار هذا التعذيب وما عتم أن استأنف علاقاته بعشيقته.

في إحدى الامسيات، وبينما كان العاشقان كلاهما مع تلك المرأة، عاد زوجها الذي كان في حراسة حقول الرز التي يملكها. فما كان من الشاب القوي إلا أن ألقى بنفسه عليه ولوى أطرافه حتى ظنوا بأنه مات، ثم فر الشاب. لكن الزوج لم يمت متأثراً بجراحه. وتعافى وفي أحد الأيام وبدون أن يعطي زوجته الكيت ورقة الطلاق غادر بيتنوره سراً. وذهب الى الموصل ومنها الى بغداد، وعبر مصر وصل الى القدس، حيث مازال يعيش الى اليوم. ولما أدركت المرأة أن زوجها هجرها دون أن يعطيها الكيت، توجهت الى العمادية لتسأل أن يحصلوا لها على الكيت كي تتزوج ثانية. فوافقوا على تعقب آثار زوجها لكنهم أذروها بالكف عن سوء السلوك وإلا فإنها ستلقى أشد العقاب.

ولكن المرأة لم تكف عن سوء سلوكها وظلت على علاقتها بحبيبها الأول - فما كان من مير برويلنايا إلا أن أمر بإعتقاله وإحضاره أمامه. فأمر بإدخال عمودين خشبيين طول كل منهما خمسة أمتار في فتحتي سرواله، وعمود آخر خلال فتحتي كمي قميصه، وصلبه هكذا على حائط وأمر بضربه ضرباً مبرحاً حتى سالت الدماء من كل مكان في جسمه. ثم أخذوا الرجل الذي كان شبيه ميت الى حظيرة الحيوانات

ووضعه هناك وأشعلوا روثاً تحته.

أما الشاب الذي كان قد فرّ، فإنه عقب سماعه بأن زوج عشيقته لم يموت، عاد ثانية سراً ليصل عشيقته. وكان مير برويلنايا قد ضاق ذرعاً بهذه المسألة، فاستدعى أقارب المرأة وأخبرهم بأنه يعطيهم مطلق الحرية ليفعلوا ما يرونه صواباً.

وبحلول المساء عندما علم أخوة المرأة بأن العشيق موجود مع أختهم توجهوا إلى بيتها واقتحموا غرفتها وقتلوا الرجل الذي وجدوه معها، لكن اتضح لهم بأنه لم يكن الشاب القوي بل عشيقاً آخر لشقيقتهم.

وتوجب على أشقاء المرأة الفرار. فتزوجت شقيقتهم أحد الكرد واعتنقت الإسلام. وسرعان ما توفي زوجها. فتزوجت من مسلم آخر وانتقلت معه للعيش في دهوك. وبعد بضع سنوات. حينما توفي زوجها الأخير أيضاً، أراد يهودي الزواج منها لكن المرأة لم ترغب في العودة إلى اليهودية مرة أخرى.

وبعد مرور عدة سنوات أراد أخوة المرأة العودة إلى بيتنوره ثانية. ولكن المطلوبين في ثارات الدم لا يستطيعون العودة إلا أن يطلب سكان المنطقة منهم ذلك. لذا قام الأخوة، متبعين التقاليد، بإضرام النار في زوايا أحد الحقول. وعندما لم يستدعهم أهالي بيتنوره رغم ذلك أضرمو النار في المعلق. عندها طلب أهالي بيتنوره عقد الصلح. فاستدعى مير برويلنايا أحد الأخوة الخمسة ووالد الرجل المقتول. وتمّ تحديد دية القتل بما يعادل (٢٥) جنيهات استرلينية من خزانة دار الصلاة وتعهد الأخوة بردّ المبلغ خلال بضع سنوات.

[من الصعب تحديد مدى صدق هذه الرواية وحقيقة ما حدث، وإلى أي مدى أضاف إليها الراوي من خياله. فإذا كانت صحيحة، فإننا نطلع من خلالها على تفاصيل مهمة بخصوص العلاقة بين الرجل والمرأة وبخصوص قوة العلاقات في المجتمع.

إلا أن أهم ملامح القصة هو عدم تعرض المرأة - المتهمة بتعدد العشاق والزنا المتكرر لأي عقاب. فالعشيق في جميع الحالات هو الذي يتحمل العقاب. وتتراوح العقوبة من التوبيخ إلى الضرب والتعذيب والغرامات وفي النهاية الموت.

والمثير في القصة كذلك قوة العلاقة بين أوركات جميعه، زعيم المجتمع اليهودي، والمير، الحاكم الكردي المسلم للمنطقة. فيإمكان الأول معاقبة المذنب بالجلد والغرامة، ولكن الأخير فقط بإمكانه تعريض المذنب للتعذيب الذي قد ينجم عنه الموت. ويظهر من القصة إضافة إلى ما سبق بأن أقرباء المرأة (إخوتها) يسمح لهم باتخاذ إجراء

ضد عشيقها فقط في حال سماح المير بذلك. وحتى الزوج يبدو في القصة مصمماً على الانتقام من العشيق. بينما لا أحد يمس المرأة بسوء، بل أنّ بإمكانها الذهاب إلى أحبار العمادية تطلب منهم العون كي يطلقوها من زوجها، ويوافق هؤلاء على طلبها.

لاشك أن بطلة هذه القصة كانت ذات جمال أخاذ، فعشاقها يخاطرون في سبيلها بالتعرض للتعذيب والتشويه وحتى الموت دون أن يصبروا على الابتعاد عنها. وبعد اعتناقها الإسلام تزوجها إثنان من المسلمين تبعاً. وبعد كل هذا - كل هذا الزنا والارتداد عن دينها - فما زال هناك يهودي يريد الزواج منها. ولايتضح لنا من القصة كيف يمكن لهذا الرجل اليهودي أن يتوقع منها العودة إلى الدين اليهودي، مع معرفته بأن الإرتداد عن الإسلام في الديار الإسلامية عقوبته الموت.

ومما يثير العجب أيضاً التفاصيل التي تنكشف لنا في الفقرة الأخيرة من القصة حول القواعد التي تتحكم بثارات الدم ودية القتل. على أي حال، تصور لنا القصة موقفاً لايتفق أبداً وهيمنة الرجل على المرأة التي أكد عليها براور مراراً[.

إن العقاب المعد للمرأة الزانية قاس. ففي زاخو أقامت زوجة أحد الأثرياء اليهود علاقة أثمّة مع ابن الأغا. وعلى الفور أصدر زعيم الطائفة كتاب طلاقها. وقصوا شعر المرأة الخاطئة^(٢٣)، وأركبوا حماراً بوضع مقلوب، وهي ممسكة بذيله على أنه لجام - ورافقها الأطفال وهي على هذه الشاكلة وكل منهم يضرب على مقلاة يحملها ويلوثونها بما يلقونه عليها من لبن. (في زاخو).

والمسلمون كذلك يعاقبون الزانيات والعواهر بهذه العقوبة. ففي سنة كانت هناك يهودية بدیعة الجمال أصبحت عاهراً واعتنقت الإسلام. وحينما لم تعد الحكومة تستطيع التغاضي عن مسلكها الشائن، ألقت القبض عليها وقص شعر رأسها، ثم جعلوها ترتدي ثياب الرجال وأخرجوها من المدينة.

وتلاقي القوادات (قويده) نفس المصير. فقد عاشت في العمادية يهودية عجوز كانت تعمل قوادة. ولم ينجح اليهود في إقناعها بالكف عن هذا العمل فما كان منهم إلا أن اشتكوا لدى الحكومة. فأركبوا حماراً ووجهها إلى الخلف وأحضرها إلى موقع قرب سور المدينة حيث رجمت هناك. ولم تمت العجوز المذكورة ويقال بأنها كفت عن عملها ودخلت حياة جديدة.

في بعض الأحيان ينفذ الأزواج القانون بأنفسهم. فقد خرج أحد يهود ريكان مع

٢٣- العادة أصلاً مقتبسة عن الكرد. وقصّ الجدائل كعقاب على الزنا كان يمارسه الألمان أيضاً (أنظر: تاسيتوس، جرمانيا، ١٩).

زوجته الخاطئة لحلب أغنامها، فما كان منه في الطريق إلا أن استلّ خنجره (حَنَجَرَ) وطعنها به وقتلها، وبعد فترة قتل عشيقها.

تعتبر هيمنة الرجل على المرأة في كل علاقة له بها وفي كل المراحل سمة مميزة لليهود الكرد. ويصعب جداً على المرأة أن تحصل على الطلاق من زوجها. بينما هو في المقابل يمكنه وببساطة إقناع الحاخام بإصدار كتاب طلاقه من زوجته. إن المرأة عاجزة شرعاً عن التحرر من قيود الزواج. وهو موقف صعب جداً بالنظر الى حقيقة أن الآباء يزوجون بناتهم دون رغبتهم. وهناك في هذا الصدد حالة عن امرأة في العمادية اشتهرت بجمالها، تركت زوجها لأنها لم تعد تحتل العيش معه، وأخذت طفلها منه عائداً الى دار أبيها. وذهبت كل المساعي التي بُذلت لإقناع الزوج بتطليقها سدى. وقد استمرت تلك المحاولات خمس سنوات، حتى أن الحبر في آشور (الموصل) تدخل في النزاع - وكل ذلك دون جدوى. ولكن تمت تسوية القضية أخيراً عبر توسط مبعوث حبري من فلسطين. إذ تعين على والد المرأة دفع ما يعادل (٤٠) جنيهاً استرلينياً ليضمن الحصول على الكيت لإبنته^(٢٤).

أما الحال بالنسبة للزوج فمختلف. فإذا كان قادراً على الوفاء بالتزاماته التي يفرضها عليه الديكيتوبه، فإن بإمكانه التخلص من زوجته بسهولة. فالكيت الذي يصدره الحاخام يُسلم للزوجة حيث يمزق بالطريقة التقليدية الى أربع قطع. وبعد هذه المراسيم يذهب الطرفان، الزوج والزوجة كل على حدة، الى الميقفه. ولا يعود المشاركون في هذه المراسيم الى بيوتهم بطريق مباشرة بل عبر جبه (طريق ملتوية): وهم في هذه الحالة يسبرون في طريق مثل تحويلة مؤقتة عبر السوق (في العمادية). بعدها يقوم الزوج الذي يمنح الكيت (تولقه) والمرأة المطلقة (تولاقتا) بتوزيع الخبز بين جميع أفراد المحفل اليهودي. يبقى الأطفال بعد الطلاق مع والدهم. أما المرأة فتفارق أطفالها بسهولة كما يقال (في العمادية). وإذا كان للمطلقة طفل رضيع، فعليها رضاعته حتى عامه الثاني - وهي خدمة تتلقى عنها أجرًا - بعدها يعاد هذا الطفل أيضاً لوالده. وبعد الطلاق تنقطع كافة الروابط بين الأطفال والأم المطلقة - كما قيل لي. وعادة ما تتزوج المرأة المطلقة (تولاقتا) ثانية^(٢٥)، رغم أن الرجال لا يكونون

٢٤- تُختتم المسألة برمتها بعد إنجاز بعض الصفقات التي تتخللها. لقد جذب جمال هذه المرأة الشابة أحد الأغنياء اليهود، فتزوجها فور بعد إنتهاء عدتها الشرعية البالغة واحداً وتسعين يوماً.

وقبلها كان والدها قد زوّجها لثري أعجب بها، فأصبحت زوجة هذا زوجة أب لزوجة أبيها.

٢٥- بقاء المرأة دون زواج ظاهرة معدومة تقريباً، إلا إذا كانت المرأة أرملة مسنة لها أولاد بالغون.

متلهفين للزواج من تولاقتا. وليست هناك أية طقوس عندما تتزوج المرأة المطلقة ثانية. إذ لا يعودون لها الحناء ولا يحمونها بالطريقة الإعتيادية بل يذهبون بها الى بيت زوجها دون أي إجلال يذكر. ويكون طبق طعام العروس بسيطاً، إذ يتألف من شوربا (عصيدة تخينة معدة من الرز). وإذا كان العريس أعزب (جنكه) فتجربى كل المراسيم التقليدية لرفاهه، وعليه أن يظل في الكونيه ثمانية أيام، بينما يمكن لزوجته المطلقة أن تغادرها بعد ثلاثة أيام^(٢٦).

تزويع الأرملة من أقرباء الزوج (*)

لازال هذا الزواج (بالعبرية: بيوم) يُمارس من قبل اليهود الكرد، رغم أن ممارسته ليست شائعة بقدر التسريح أو الإعفاء من هذا الإلتزام من خلال (حاليصه)^(٢٧). ففي الرسالة الثانية من سوخو والتي سبقت الإشارة إليها (مان، نصوص ودراسات، الرسالة رقم ١٩: أنظر الص ١٢٢-١٢٣) يسعى كاتبها لإعلان بطلان الزواج على أساس كون زوج الأرملة المتوفى قاصراً لعدم إنتظار بلوغ الشقيق الوحيد المتبقي للزوج والبالغ سنة أعوام^(٢٨) الثالثة عشرة، أو أن يتم تزويج الأرملة من أقرباء الزوج أو بالحاليصه.

وفي سنه تجري مراسيم الحاليصه، وذلك بسحب الحذاء [وهي مراسيم تهدف لإعفاء الأرملة وشقيق زوجها المتوفى من واجب زواجهما] خارج المدينة في مكان يدعى قُعد وكانت الحاليصه تقام في العمادية فيما مضى في كهف معين خارج المدينة، لكن الناس قاموا قبل مائة عام ببناء دار بالقرب من الكنيس خاصة لهذا الغرض وحذاء الحاليصه القديم جداً (بيلاقتيت خاليصه) محفوظ في تلك الدار.

٢٦- عند البركات السبع للـ(تولاقتا) فإن على الشخص الذي يعاني من السعال شويبا أن يشرب بعض الماء من مغرفة (تيرينا) وحينها سيشفى من سعاله (في العمادية).

* *Levirate Marriage* تزويج الأرملة من أقرباء الزوج: عادة شائعة في العديد من المجتمعات الأبوية والعديد من المجتمعات السامية ومن بينها المجتمعات اليهودية القديمة، وتمثل في إجبار شقيق الزوج أو أقرب أقربائه من ناحية الأب على الزواج من أرملة المتوفى. وذلك لكي ينجب منها أطفالاً يعدون شرعاً من ذرية المتوفى. الكتاب المقدس، سفر التثنية (٥: ١٠-١٠) - المترجم.

٢٧- أساف، لي - تولدوت، ص ٩٢-٩٣ فيه رأي أحدث: "هناك البعض ممن يقر بوجود اللجوء الى تنفيذ وصية زواج الأرملة بشقيق زوجها المتوفى - حتى إن كان هذا متزوجاً وله أطفال - قبل اللجوء الى الحاليصه". وذكر مصدر معلوماتي من سنه أن عدد حالات الحاليصه يفوق بكثير عدد حالات البيوم.

٢٨- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٥٤٣ (قول، ٢، ريكتو) السطر الرابع.

الوفاة والدفن(*)

في الوقت الذي نلاحظ فيه نفوذ البيئـة غير اليهودية في المراسيم المتعلقة بالمناسبات الإنسانية من قبيل (الولادة والزواج)، فإن المراسيم المتعلقة بالموت تختلف في هذا. فاليهود الشرقيون - ومنهم يهود كردستان - لم يقتبسوا إلا نادراً من مراسيم الموت للشعوب المجاورة لهم، ولهذا بقيت تقاليد ومراسيم الوفاة لديهم يهودية خالصة.

فإذا كان أحد الرجال طريح الفراش وفي النزح الأخير، فإن الجميع وبدون إستثناء يغادرون الغرفة التي يوجد فيها. إذ يقال إن المحتضر لن يسلم الروح إذا بكى أحدهم (في سنه). وهم يعتقدون أن طول فترة الإحتضار هي إشارة إلى أن الروح لا تريد فراق الجسد. ولهذا تجدهم يلجأون لإجراءات عديدة مختلفة لتسهيل خروج الروح وإراحة الرجل المحتضر. أول هذه الإجراءات وأكثرها فاعلية إجراء مراسيم هطّاره «الإطلاق». حيث يجتمع في غرفة المحتضر عشرة رجال بينهم عدد من الحاخامات يقيمون المريض ليقف على قدميه وهم يتلون الهطّاره. وما لم يكن مقدراً له الشفاء فإنه لن يعيش يوماً غير يومه ذاك (في العماديه).

وفي هذه الحالة كذلك يغلقون الكُنيس ويضعون مفتاحه تحت رأس المحتضر. وعندها ستبذل الروح جهداً كبيراً للخروج من الجسد، وذلك لأن المحفل يكون في انتظار ذلك المفتاح (في سنه وأشنويه)؛ أو يعطون المحتضر ماء قريعات شيماع^١ ليشربه (قدح من الماء يقرأ عليه الحاخام الشيماع. في سنه).

وحين تخمد أنفاس المحتضر، يمددونه على وجهه على الأرض المجردة في نفس البقعة التي مات فيها، وذلك لكي تشبع نفس الميت من رائحة الأرض؛ وإلا سيتلون جلده باللون الأسود. ويضعون على جسده قطعة من الحديد وتوقد الشموع حوله، عند رأسه وقدميه وعلى جانبيه (في العماديه). ويمدّد الميت في وسط الغرفة (في

* (يحتوي الفصل العديد من التفاصيل المثيرة التي تظهر الهوية الأصلية للعادات التي تمارس في حالات ولادة الأطفال والزواج والوفاة. ولكن رغم الدراسات العديدة المكرسة لهذه الظاهرة، فإن الحاجة لازالت ماسة لإجراء تحقيقات إضافية وخاصة من الناحية السايكولوجية. ولغرض مقارنتها بالعادات اليهودية الأخرى، قارن ذلك مع: رافائيل پاتاي، العادات التاريخية وتقاليد الحداد عند يهود مشهد (باللغة العبرية) (القدس ١٩٤٥).

أما في سنه فيذهب *الديانيم* والشماش والشهود -الذين يشكلون مجتمعين مينيان- مع *ياقام* [الأخ الذي يتزوج أرملة أخيه بهذه الطريقة] و*ياقامه* [أرملة المتوفى] إلى المكان المعين قبل يوم من إجراء المراسيم، وهناك يجلسون بنفس الترتيب والنظام الذي سيجلسون بموجبه في اليوم التالي عند إجراء المراسيم. ويقول الحاخام: «لقد جئنا إلى هنا اليوم لترتيب المكان للحاليصه بين فلان وفلانة». ويصوم هذان اليوم التالي. وفي الصباح يصل أعضاء فرقة *الحاليصه* مبكرين إلى القعد، معهم الطعام والبسط. وعلى أثر محاولة نهائية لتحقيق *اليوم* (زواج الأرملة من أقارب الزوج- المترجم) [وهو ما يعتبر من الأمور الضرورية] تجرى مراسيم سحب الحذاء التقليدية. إذ تضع المرأة غطاء رأسها على كتفها وتضع قطعة قماش صغيرة على رأسها حالما تصل المكان. وعليها أن لاتبصق في هذا الوقت. ويدير الحاخام المرأة مسبقاً تدريباً جيداً على مراسيم سحب الحذاء، وعلى البصق، وعلى الجملة التي يتوجب عليها ترديدها. ويحصل الشهود على مبلغ كبير من المال مكافأة على إشتراكهم في هذه المراسيم (في العماديه)، إذ تعتبر مراسيم *الحاليصه* خطيرة على جميع المشاركين؛ وهو ما يؤدي بالتالي لعزوف الجميع عن الإشتراك فيها. كما يحصل الحاخام والنسّاح الذي يكتب وثيقة *الحاليصه* على مكافات مجزية. ويصل مبلغ هذه المكافأة في سنه إلى عشرة أضعاف الأجر الذي يتلقاه الحاخام من إصداره وثيقة كيت.

في سنه يذبون ديكاً ودجاجة بعد *الحاليصه* على أنهما كپّاره. وفي العماديه لايعود المشاركون فيها إلى بيوتهم بطريق مباشرة بل يسلكون طريق كپّه، كما في الكيت.

وعلى الرجل والمرأة بعد إنتهاء *الحاليصه* الذهاب إلى الميقفه. وبعدها يتوجه كل منهما إلى السوق لشراء الخبز لتوزيعه على الفقراء وتلاميذ المدارس. وكان توزيع الخبز في الماضي يحدث قبل إجراء مراسيم *الحاليصه* (في العماديه).

زاخو) ورجله ناحية الغرب [أي متجهة ناحية القدس]، في زاخو والعمادية).

كل الموجودين في الغرفة يشقون ثيابهم. وكانوا في السابق يشقون الثياب الداخلية أيضاً، ويريق جيران المتوفى، خصوصاً في البيوت التي يمكن سماع نحيب ذوي الميت فيها، كل ما لديهم من مياه الشرب. والتفسير الإعتيادي الوحيد لهذه العادة وفي هذه الحالة، هو أن ملك الموت يغسل سكينه الملطخ بدم المتوفى في تلك المياه. ولهذا يقوم جيران المحتضر بنقل مؤونتهم من مياه الشرب مسبقاً الى بيوت بعيدة عن دار المحتضر (في دهوك والعمادية وسنه).

وتسود هيبة الموت المجتمع اليهودي. ففي العمادية كان أحد الرجال يجوب الشوارع وقد شدّ على أحد ذراعيه عصا سوداء مطرزة بكلمة "أقليوث" "حِداد"، حاملاً بيده اليسرى راية سوداء، سنجاق ثقيل، كتب عليها "راية الحِداد؛ فهذا (مصير) كل رجل" (أنظر سفر تثنية الإشتراع ٧:٢)^(١). وإذا كان المتوفى حاخاماً أو رجلاً ذا مكانة، يصدر الأمر بتوقف المجتمع اليهودي برمته عن العمل؛ أما إذا كان المتوفى شخصاً عادياً فإن الأعمال لا تتوقف إلا لفترة قصيرة قبل الجنازة.

جمعية الدفن؛ الحَقْرِيَّه

بعد الوفاة يتم إعلام رئيس جمعية الدفن حِقْرَه قَدِيشَه على الفور. وتمتلك مدينة العمادية جمعية مؤهلة على نحو خاص وبالغة القدم من الدفّانين تضم ٢٢-٢٤ عضواً^(٢)، يوجد بينهم دائماً حاخام، وكاباي، وكقيريم.

يختار أعضاء الجمعية رئيسهم شيخ حَقْرِيَّه الذي يعين نائباً له بار شيخ، وشماشاً. ويحتفظ هؤلاء بمناصبهم عدة سنوات، ولكن يمكن تغيير زعيم الجمعية إذا قصر في واجباته.

بعد انتخابه، يتلقى الشيخ هدية من الحاقيريم وهي عبارة عن قطعة ملابس (كان تكون عبايكة [أو شالا تورما "شال من تورما"]؛ ويرد هو على الهدية بدعوتهم الى مأدبة في داره.

من واجبات الحَقْرِيَّه الأساسية العناية بالمرضى، وتولي مسؤولية دفن الميت، وتهيئة كافة مستلزمات وترتيبات الجنازة؛ إلا أن هذه الجمعية قد تطورت في

١- النماذج [كانت] ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية (٣٨:٣٩ - ٣٩) وجدت في العمادية فقط، وكان ذوو الميت يشدون مثل هذه العصا خلال أسبوع الحداد.

٢- في الواقع يجب أن يكون ثمانية عشر.

العمادية لتصبح في الحقيقة نادياً للرجال يشمل على كافة النشاطات التي تقوم بها الأندية، كما أصبح النادي يمتلك نوعاً من النفوذ على المجتمع اليهودي فيها.

وللحَقْرِيَّه ما يرقى الى «نزل للرجال»، يتألف من غرفة في بي حازان، في البيت المشيد بجوار قبري الحازان ديفيد والحازان يوسف بالقرب من كنيس سيد حرقثيال (أنظر ص ٢٩٧).

في هذه الغرفة يلتقي الحاقيريم ثلاث مرات في الأسبوع لحفلات الشرب: في أمسيات الأحد، وأمسيات الأربعاء، وفي أيام السبت بعد الإنتهاء من المراسيم الصباحية مباشرة. وفي هذه الحفلات يشربون العرق، فيشرب كل حاقير ثلاثة كؤوس. ويحضر الحاقيريم المرّة معهم. وبعد تناول طعام خفيف، يلقي الحاخام بناءً على دعوة من الشيخ بإلقاء موعظة (دريشه). ويتم شراء العرق من نقود المساهمات المختلفة التي تصل بانتظام الى خزينة الحَقْرِيَّه.

وتأتي تلك التبرعات من الرجال الذين يدعون لقراءة التوراة - وعلى الحاقيريم والكقيريم الذين يحظون بهذا الشرف التبرع ودفع أجور خاصة - من الحاتان تورا والعريس والششبنين وأقي هابن وما الى ذلك. وكل الرجال الذين يأتون من المقاطعات المختلفة الى العمادية للإشتراك في المراسيم أو الذين يحجون الى ضريحي الحازان ديفيد والحازان يوسف - وعددهم كبير بطبيعة الحال (أنظر ص ٦٨) - يساهمون في إغناء خزينة الحاقيريم.

وتجري زيادة موارد هذه الخزينة عن طريق جباية الغرامات، وخاصة التي تفرض على الحاقيريم أنفسهم لإرتكابهم المخالفات. إن صرامة الضوابط التي تحدد تصرفات وسلوك كل عضو تجاه زميله - خاصة خلال إجتماعاتهم - تؤدي بطبيعتها الى فرض العديد من الغرامات من هذا النوع. والى الشيخ تعود صلاحية تسوية كافة الخلافات التي تحدث بين الأعضاء، وتفرض بعد التسوية غرامة تكون عادة في شكل بضعة قناني (كاننيا) من العرق يتبرع بها طرفا النزاع. وعلى نحو مماثل، تستخدم الأموال من كافة مصادر دخل الحَقْرِيَّه الأخرى في شراء العرق للحاقيريم. باختصار، فإننا نرى هنا نوعاً من الفريبير (المشروب المجاني).

وبالإضافة الى بي حازان فللاحاقيريم مكان للإجتماع عند ضفة النهر أيضاً. وهناك عند روكة حَقْرِيَّه "مكان الحاقيريم" يوجد عدد من أشجار الجوز، ويتم أثناء حفلات الشرب شتاءً توزيع ثمار هذه الأشجار بشكل رسمي، حيث ينادي الشيخ كل عضو ويعطيه عشر جوزات. ويقومون بهذه السريته (النزهة) في أوقات الأعياد

وفي مناسبات رحيل أعضاء من المجتمع الى آشور (موصل) لأغراض التجارة (أنظر
الص ٢٥٢-٢٥٣).

الحاقيريم الأربعة والعشرون هم ستة عشر عضواً في الواقع (وعلى رأسهم
الشيخ، أربعة يغسلون الموتى، وأربعة من الأعيان (حازان، كابي وإثنان من
الكفيرييم). والخدمة التي يقدمها هؤلاء لعائلات المرضى تتمثل في تخصيص رجلين
- يعينهما الشيخ - لمراقبة وضع المريض على مدار الساعة؛ لكن واجب الحاقيريم
الأساسي هو العناية بالموتى.

فحين يموت المريض، يكون الشيخ أول من يخطرونه، وهو بدوره يخطر البار شيخ
الذي يخطر بدوره الشماش، الذي يستدعي إثر ذلك كل الحاقيريم الى دار البار
شيخ. وبعد إجتماعهم يتوجهون جميعاً الى دار الشيخ، وهناك يتلقى كل حاقير
كاسين من العرق. ولا يخفى أن لشرب كاسي العرق هذين أهمية شعائرية. بعد انتهاء
الشماس من إحضار كافة الأدوات الضرورية، يتوجه حفارو القبور الأربعة عشر -
برفقة الشيخ - الى المقبرة لحفر القبر، فيما يتوجه غاسلو الميت الأربعة الى دار
المتوفى لغسله.

لن يجد المرء تحول حبيراً قاديشا الى ناد للرجال إلا في كردستان وفي العمادية
تحديداً. فحبيراً زاخو يقتصر إهتمامهم على الإعتناء بالموتى فحسب. وهناك شيخ
خياره "شيخ حفاري القبور" وشيخ حبييه "شيخ غاسلي الأموات" ولكل واحد منهما
نائب (بالكرديّة: ريسبي، وتجمع على: ريسبيينا "ذو اللحية البيضاء" - وجيه)^(٣).

ولشيخ الغسالين أوانيه وأغراضه الخاصة التي يجلبها معه الى بيت المتوفى
والتي تتألف من اللوح (في زاخو: درگيت ميثه)^(٤) الذي يُغسل عليه الميت
والمستلزمات الضرورية لخياطة الكفن. وفي زاخو يحتفظون بتلك الأغراض في
الكُنيس، وفي العمادية يحتفظون بها في بيت ال ميصوه في بي حازان حيث يوجد
حذاء حاليصه وملكوت أيضاً. والوعاء الذي يحتفظون فيه أواني غسل الميت يسمى
جلليت ميثه (في العمادية) أو كيسيتيت ميثه.

عند نقل هذه الأغراض الى دار ما، يركض رجل في المقدمة وهو يصيح درگيت
ميته! فتسرع النسوة لدى سماع ذلك بإدخال أطفالهن الى البيوت والى حجرة

٣- في سنه ليس هناك حيقرا، بل هناك روحيص أو ميلاخينا (الذين يغسلون الميت) وقابير الذين
يحفرون القبر.

٤- في العمادية: ديبيت ميثه، وفي سنه: تحته.

خلفية بعيدة أو الى سطح الدار، ولأبستثنى الرضع من ذلك حيث تُخرج الأم
رضيعها من المهد وتحمله الى غرفة خلفية. والشيء نفسه يجري للمرضى (في زاخو
والعمادية). ويجب حسب قولهم أن لا تقرب أواني غسل الميت من الأطفال أثناء حملها
ونقلها.

قماش الكفن (خليعتته)^(٥) مصنوع من القطن (كيتين) ويكون ذا عرض خاص ويتم
جلبه من الموصل. وفي زاخو يقوم كبير الغسالين بقص قماش الكفن بينما يقوم
مساعده بخياطته. وإعداد كفن المرأة يكون من مسؤولية النسوة اللاتي يغسلنها.
أما في العمادية فتقوم العجائز بخياطة كفن الرجال أيضاً.

وإذا خشى شخص أن لا يتوفر له كفن عند موته، فإنه يشتري قماش الكفن في
حياته. وعادة ما تشتري العجائز قماش كفنهن بأنفسهن قبل الموت، ويدعين الخياطة
وبعض صديقاتهن الى البيت حيث يقمن لهن مادة تسمى سعودت خيبيت
كوربخه. ويقدم قسم من هذا الطعام للأطفال كسيگولا "جالب للحظ" وكذلك
للحاقيريم (في العمادية)^(٦).

يتألف الكفن من قطع ملابس تشبه تماماً الملابس الإعتيادية لكن خياطتها تكون
أكثر بدائية، حيث يدخلون كل كف من كفي الميت فيما يشبه القفازات. وتتلقى جثة
الميت تأليت كاطان تفتقر الى صصبيوت "الأهداب".

تسعى الأمهات جاهدات للحصول على قطع الكتان المتخلفة عن كفن حاخام أو أي
رجل مسن مرموق. وقد ذكر لنا كيف أن الأمهات اللواتي فقدن عدة أطفال يسعين
للحصول على قطع الكفن المتخلفة هذه ليخيطن منها ثوباً يلبسنه طفلهن المتبقي
الذي يخشين أن يلاقي مصير من سبقه من أطفالهن (أنظر ص ٢٠٣). كما تقطع قطع
القماش هذه الى قطع صغيرة تعلق في رقاب الأطفال كتماثم. (في العمادية وسنه).

تجتمع النسوة حول الميت المسجى في الغرفة ويئحن عليه وهن يلطن خدودهن
ويخدشنها حول الميت ويطلبن بالطين رؤوسهن كما يلطنن وجوهن وأكتافهن بالطين
ويبتفن شعورهن^(٧)، وإذا كان المتوفى آخر طفل لأم تكلى فإنها تقص جدائلها.

٥- في العمادية: خليعتا؛ وفي زاخو: خليته. (ماكلين، القواعد، ص ١٠٠: خلعات، خلعات، خلعتا
"رداء الشرف، الهدية، الهبة"). في سنه وريكان وجالا (كوربخه) وكذلك في العمادية: خليعتا.
وهي كلمة تستعمل كتعبير ملطف). في سنه وبيجار: ملبوش أو لبوشه.

٦- في سنه يشتري المرء هذه المادة أثناء حياته.

٧- في سنه إعتادت النسوة اللاتي يتساقط شعرهن على لصق شعر مزيف على رؤوسهن بالشمع.
ولذلك يقمن - كعلامة على النواح والطم - بنتف هذه الشعور المزيفة ويضعنها على قبر ميتهن.

وهناك أيضاً نساء يحترفن النواح (في العماديه [بختيسه مع]مديد/نه) وهن خبيرات في النواح وترديد المراثيات الحزينة المؤثرة. ولاتتلقى هاته النائحات أجراً في العماديه وزاخو. أما في سنه، فإن ذوي المتوفى من اليهود والمسلمين يستأجرون النائحة ويشجعونها بالقول: «نوحى عليه نوحاً جيداً»^(٨). والمراثيات التي ترددها النائحة [مع]د/نه كردية مقتبسة من الكرد وهي في معظمها ترثي بطلاً أو حبيباً.

زواج الميت

يتخذ النواح على الميت شكلاً خاصاً إذا كان المتوفى شاباً أو أعزب أو فتاة غير متزوجة، إذ تجري حينها المراسيم تشبه الزواج، وتمثال التي تجريها رغم تنوعها شعوب عديدة وحافظت عليها حتى في أوروبا^(٩).

فبعد موته مباشرة تخضب جثة الشاب غير المتزوج بالحناء كما لو كان عريساً^(١٠). وأثناء تحضير الحناء وخلال صبغ الجثة بها، تغني النسوة نفس الأغنيات التي تردد في إحتفالات الزواج عدا أن تلك الأغنيات تقطع بين الحين والآخر بنوبات البكاء.

وإذا كان الشاب خاطباً قبل موته (بالعبرية: ميقود/ش) فإنهم يجلبون العروس أحياناً الى الغرفة التي فيها جثمانه وهي بكامل زينتها، وتجرى كذلك مراسيم تبادل الخواتم، وتعلق فيه ملابس العريس الميت الإحتفالية فوق جثمانه.

أما إذا كانت المتوفاة عروساً، فيخضبون جسدها بالحناء ويلقون ملابس وزينة عرسها فوق جثمانها، وتغني النسوة أغاني العرس (دي حملولا، ناريكه). وفي زاخو لايحضر العريس الى غرفة الجثمان، رغم أن هذا كان يتم في العماديه فيما مضى، وتجرى في العماديه أيضاً نفس المراسيم التي وصفناها.

أما اليوم فلا يخضبون إلا خنصر العروس بالحناء، أما العريس المتوفى فيقيمون له نوعاً من حوٍه الموت من القماش الأسود. وتبقى حوٍه الموت هذه معلقة عدة سنوات بعد موته إحياءً لذكرى وفاته. ويعلق والدا العروس المتوفاة ثيابها وحليها فوق السرير الذي اعتادت أن تنام عليه.

٨- في الموصل كذلك يستأجرون النساء المسلمات كعدادات يتحن على الموتى.

٩- و. شرادر، تزويج الميت، (جينا، ١٩٠٤). و. لوفر "تتويج الميت" مجلة ZVV العدد ٢٦: ص ١٦ وما بعدها.

١٠- في أشنويه، يضعون الزهور على الجسد وبعض الورود على الوجه.

وفي سنه يحضرون ملابس وزينة العريس المتوفى أو العروس المتوفاة، دون صبغ جسد أي منهما بالحناء، وتطلق النسوة في بعض المرات الزغاريد بين نوبات البكاء. وفي اللحظة التي تدخل العروس لرؤية جثمان العريس المسجى يبلغ النواح نروته.

في الماضي كانوا يدفنون مع الميت إن كان شاباً خاطباً أو شابة مخطوبة كل ملابس وحليه (باستثناء أزياء الزفاف)؛ لكن هذا التقليد ألغي بسبب نوبة غضب (في العماديه). إذ توفيت عروس قبل ثلاثة أيام من زفافها فدفنت بكامل حليها وملابس زفافها؛ فنبش أحد الكرد المسلمين القبر وسرق الحلي. وحسب مصدري، مات هذا السارق بعد أيام قليلة من إرتكابه هذه الجريمة. ومنذ ذلك اليوم يدعو اليهود والمسلمون عائلته: عائلة سارق القبور (بي كاناوت ميته).

غسل الميت

في زاخو يقيمون مائدة جنازة (كوريبيله) قبل غسل جثة الميت^(١١). ويؤتى بمكونات هذه المائدة من دار أهل المتوفى. ولهذا يعد من الميصف إرسال مستلزمات مائدة الجنازة على الفور الى ذوي المتوفى إن كانوا فقراء لايملكون مؤونة في دارهم.

يشارك في هذه المائدة كل الذين يغسلون الميت وكل الحاضرين في دار المتوفى. ويُبعت بشيء من الطعام الى حفاري القبر (في زاخو). وفي العماديه تقدم (كوريبيلت ميته) للحافيريم فقط. ويسود الاعتقاد بأن الأكل من وجبة الجنازة مجلبة للحظ بالنسبة لرجل تقي أو طاعن في السن. وتأخذ الامهات من هذا الطعام الى بيوتهن لإطعام أطفالهن منه فيما يأتي ذوو المرضى يطلبون الحصول على شيء من طعام تلك المائدة لحمله الى مريضهم (في زاخو والعماديه). وفي العماديه يرسلون من طعام كوريبيله المعد لرجل مسن أو امرأة عجوز متوفاة الى الشباب والفتيات المرضى بعد أن تتلى على الطعام عبارة كو خول لي زادئيت أياً زوبهينيله كوريوخوخ "إنهض وكل، لاتخف، لقد إشتري هذا كفنك" (العماديه).

وكنوع من الميصفاً يحضر جميع أصدقاء وجيران المتوفى ماءً جيء به حديثاً من النبع الى دار المتوفى لغسل الجثة. وبعد تسخين الماء، يطلب كبير الغسّالين من النسوة المنتحبات المولولات حول الجثة المسجاة، الخروج من الغرفة لتُحمل الجثة الى باحة الدار لغسلها^(١٢). وترفض النسوة الخروج لعلمهن بأنه حال إخراج

١١- ولهذا فإن لعنتهن: ياربي كوريبيلوخ آخلانه "أطعنا الله وجية جنازتك" (في زاخو والعماديه).

١٢- لايجلس الرجال من أهل الميت قربه، بل يجلسون في غرفة أخرى. وفي كثير من الأحيان =

الجتمان لغسله فإنهنّ لن يرينه بعد ذلك أبداً. ولهذا يضطر كبير الغسالين في الأخير للذهاب بنفسه وإخراج النسوة قسراً.

يغلى ماء الغسل في باحة الدار. ويستخدم الشباب الرماد المتخلف عن النار كتدائم للحب. إذ يأخذ هؤلاء قطع الفحم الذي لا يزال يتوهج ويقولون: كوداخ مودئيلي^(١٣) أيًا بالي هيداخ ديعخ لبيت تلويتي بيعيلي "قيما أظفيء هذه الجمرة، لينظفيء كذلك قلب محبوبتي (أي: لا يحب سواي) لكي تحبني". وإثر ذلك يفرك الشاب الجمرة لتنظفيء، ثم عليه أن يلقبها تحت أقدام حبيبته (في العمادية).

ترفع الجثة على خشبة الميت (في زاخو: دَرگه، وفي العمادية: ديبه)^(١٤). في الماضي كان الرجال أو النساء يتحلقون حول جثة الرجل أو المرأة المتوفاة على التوالي، لحجب الجثة أثناء غسلها عن المجتمعين في الباحة؛ أما اليوم، فيرفع الرجال سناراً من قماش من أربع جهات على شكل غرفة حول الجثة. وفي سنه يستخدمون خيمة خاصة بهذا الغرض [وهذا يوافق تقاليد اليهود الفرس].

وينبغي أن يحمل غاسلو الميت شيئاً ما بأيديهم لدى دخولهم خيمة غسل الميت (پردییت مینّه)، لكي لا يدخلوها "بأيد خاوية" كالميت المسجي فيها. ولغسل الميت يستخدمون أكياساً قماشية صغيرة من قطن الكفن محشوة بالصابون المجروش. وتسعى النسوة اللاتي مات لهنّ طفل للحصول على هذه (الليفه) من كبير الغسالين ليغسلن بها من تبقى من أطفالهن (في زاخو والعمادية وسنه). كما تستخدم الأمهات هذه الليف لغسل بناتهنّ في ليل بينيتا قبل البيوريم (في العمادية). وخلال غسل جثة شاب أو فتاة تغني النسوة الأغاني التي تُغنى أثناء إستحمام المخطوبين.

تعتمد نسبة الحضور في مراسم غسل الميت على المكانة الإجتماعية للمتوفى. وعند الغسل يُصبّ الماء البارد على الجثة بطريق طيقيل "التغطيس"، ويكسر الغسالون جرتين جديدتين على الدَرگه. ويقولون أثناء قيامهم بذلك: جيمع ميفاحلوله "يا أبناء المجتمع سامحوه؛ فيجيب الحاضرون: فيحلّ حلال هيوه "سامحناه تماماً" (في زاخو).

وفي سنه يقف الحاخام خارج الخيمة ويقرأ أنا بنّخوح سبع مرات. ويكسر الغسالون مع كل قراءة ست جرار ليصبح مجموع ما يكسرون إنثتين وأربعين جرّة.

= يصحبهم الناس الى الكُنيس حيث يجب أن لا يسمعون نواح النسوة.

١٣- ماكلين، القواعد، ص ٦٨. وحسب ليدزبارسكي فإن (ديعي) تعني الإطفاء.

١٤- عن اللعنات التي تستخدمها النسوة، أنظر ما ورد منها في ص ٢٠٦.

بعد الإنتهاء من غسل الميت يناولون الشيخ الكفن المهيأ والمعطر بالبخور [أو في العمادية: بخيره وهو غراء يُستخرج من البلوط] فيلبس الميت الكفن، ويوضع في يده "صك" كتيفاً تملكه أربعة أذرع من الأرض في فلسطين (كتيفت أربا دريعة)^(١٥) (قورا). ويباع هذا "الصك" بثمن باهض^(١٦) من قبل مبعوث من فلسطين ويشتره كل يهودي تقريباً.

وتروى بهذا الخصوص قصص عجيبة عن حالات جرى فيها لسبب ما نسيان وضع الكتيفاً في يد الرجل الميت. ففي چالا يقال أن ميتاً مد يده وبسط كفه طالباً وضع الكتيفاً فيها. وبعد الإنتهاء من غسل ذلك الميت حاول الحاقيريم ثني ذراعه دون جدوى: فقد كانت ذراعه متصلبة كالحديد. ثم خطر لزوجة المتوفى أن زوجها يطلب الكتيفاً. فأسرعت تحضرها له. وحالما وضعوها في يد الميت، أطبقت أصابعه على الكتيفاً، وغدت الذراع لينة كالشمع وتمكنوا من وضع الجثة في وضعها المناسب دون عناء.

وفي أوقات الإضطهاد، يضعون مع الميت عريضة إسترحام ويصلّون طلباً لخالص مجتمعهم من الإضطهاد. وفي بعض الأحيان يضعون حجرة في فم الميت لمنعه من إبتلاع قماش الكفن (في سنه). ويجمع الرجال ما يتخلف من شعر لحاهم أثناء حياتهم ويحفظونه في كيس يوضع في كفنهم بعد موتهم (في العمادية).

وإذا كان المتوفى ثاني المتوفين في العائلة خلال عام واحد، فإنهم يضعون بيضة في كيس صغير يدفونه معه. وهذا تقليد شائع جداً (في زاخو ودهوك وسنه). وبعد غسله وتكفينه يربطون الجثمان بأربطة عديدة (في سنه: شال)^(١٧) أو يخيطنون ما يشبه الكيس ويضعون فيه الجثمان (في العمادية). ثم يعيدون الجثمان المكفّن الى الغرفة، حيث توضع شمعة موقدة عند الرأس وأخرى عند القدمين. ثم يشرعون بقراءة الزواهر لحين انطفاء الشمعتين. ويعتمد طول مدة الدفن على المدة التي يحتاجها حفارو القبر (حَبييره) لحفر قبر الميت.

١٥- ماكلين، القواعد، ص ٧٠: دريعة أو دريبه هي وحدة القياس الفارسية التي تقابل المتر وطولها حوالي (٣٩) سنتمراً.

١٦- السعر في دهبك دينار واحد أو ديناران، وفي العمادية أربع جنيهات استرلينية.

١٧- في أشنويه يلفون الرباط حول الجثة سبع لفات، ومع كلّ لفعة يضعون فيه حصاة وقطعة من النقود، ثم يلقون بهذه الأشياء جانباً أثناء الدَحَقُوت.

وچالا وما جاورهما فلا يضعون درجات على جانبي اللحد، بل توضع أحجار تعمل كركائز تستند عليها الألواح الخشبية. وبعد وضع الجثة في اللحد، تُغطى بصخرة بدلاً من الألواح.

النعوش الخشبية غير معروفة في كردستان، إذا يوضع الجثمان في تابوت^(٢٣) مؤلف من عارضتين خشبيتين متوازيتين مربوطتين إلى بعضهما بحبال (في زاخو والعمادية وبينتوره). ويستخدم يهود سنه كتابوت صندوقاً خشبياً ذا أربعة مقابض.

موكب الجنائز

توضع أفضل ملابس المتوفى أو ملابس عرسه على التابوت - وينبغي أن تضم اللصيصيت إن كان المتوفى رجلاً مسناً، ووشاح الرأس إذا كانت المتوفاة فتاة شابة. أما في أشنويه فيحمل ملابس الميت أقرباؤه المنتحبون. وفي العمادية يغطون التابوت بقطعة قماش سوداء (جاشبِه كاسوئيت ميثه).

لا يتسم موكب الجنائز بالنظام. إذ يتقدم الكهنة التابوت بمسافة نحو خمسة عشر متراً، يأتي بعدهم المسنون والحاخامات. وبعد هؤلاء تأتي الجنائز يتبعها ذوو المتوفى، ويتبعهم الغسالون وبعدهم العامة (في العمادية). وميصفاً الإشتراك في حمل النعش يتناوب فيها الناس، حيث يقول كل واحد منهم عندما يحل محل آخر "ياذن الحبر شمعون بن يوحاي". وفي أشنويه يرافقون جثمان العريس أو العروس إلى أطراف المدينة بموسيقى دولاً وزرناً. وإذا مر موكب الجنائز بدار فيها عروسان أو أم وضعت حديثاً، فإنه يجب أن يكون كل هؤلاء ومنهم المولود في غرفة خلفية أو على سطح الدار عند مرور الموكب (في زاخو والعمادية). ويصحب سكان كافة البيوت التي يمر الموكب من أمامها قليلاً من الماء في الشارع (في زاخو).

إذا كان الميت حاخاماً أو من الأعيان يحمل جثمانه أولاً إلى باحة الكنيس، حيث يتلى عليه /دوده أو معدوده (في العمادية [موعظة الميت]). ويسمح في تلك الأثناء لنساء عائلة المتوفى وأولاده بالحضور هناك. لأنه بخلاف ذلك لا يسمح للنسوة بمرافقة الجنائز إلا لغاية نهاية الشارع الذي فيه دار المتوفى، وللأبناء حتى بوابة المدينة. [عند بلوغ الموكب بوابة المدينة يتوقف الحاخام الذي يسير في مقدمة الموكب ويقول «إنه قرار رابينو كيرشون، وضياء الشتات أن ليت راشوت مين إنس جنس

٢٣- في زاخو: ميطا؛ وفي العمادية: شقليت ميثه؛ (وإذا كانت الجثة محمولة عليها تسمى: ميطا)، وفي سنه (تاقوت: والكلمة كُردية) (واليهود كذلك يسمونها) "د/ربستة".

كما رأينا فإن حفاري القبر في العمادية يتوجهون فور سماع نبأ الوفاة إلى المقبرة يرافقههم شيخ حَقْرِييه الذي يختار مكاناً لحفر القبر، وبعدها يجتمع كل الحَقْرِييه في بقعة قريبة من موضع القبر ويجلسون للأكل والشرب، حيث يرسل الشيخ في كل مرة واحداً منهم للحفر^(١٨). وفي زاخو يقيسون الجثة، ليقوم بعدها كبير الحفارين بتحديد أبعاد القبر. لقد كان منصب أو مهنة حفار القبر وراثياً في زاخو لعدة أجيال. وللمدينة حالياً حوالي ثلاثين حفار قبور. حفار واحد يقوم بالحفر في كل مرة؛ لأن الإعتقاد السائد بأنه لو كان إثنان في القبر أثناء حفره فإن أحدهما سيموت. وكميصفاً يحاول كل حفار أن يعمل بكل طاقته حتى يغطي العرق جسمه. والحفار الذي يحل محل الحفار المتعب يجب أن لا يتناول المجرفة من زميله مباشرة، إذ أن على الأخير أن يضعها على الأرض أولاً. وفي العمادية يقف شماش الكُنيس على سور المدينة في انتظار إشارة شماش حَقْرِييه إيداناً بانتهاء حفر القبر في المقبرة الواقعة عند وادي النهر أسفل المدينة. والإشارة تتمثل في قيام شماش حَقْرِييه بقذف معطفه في الهواء كعلامة على الانتهاء من الحفر. عندها يسرع شماش الكُنيس راکضاً عبر الشوارع وهو يصيح ميصفاً! وهذه هي إشارة التوقف عن الأعمال (في زاخو والعمادية).

شكل القبر موحد عند كافة اليهود الكرد^(١٩). إذ تحفر في البداية حفرة عمقها متر، وطولها وعرضها مطابقان لقياسات الميت؛ بعدها تحفر حفرة أخرى أضيق داخل هذه الحفرة بعمق نحو نصف متر، وعلى جانبي الحفرة درجات تسمى بري قوره (في العمادية: أخوة القبر)^(٢٠) ويشيع هذا الشكل من القبور بين المسلمين الكرد أيضاً^(٢١). وتوضع الجثة في الحفرة الأضيق وتوضع ألواح خشبية (في زاخو: فَرشِه)^(٢٢) معدة لهذا الغرض فوق الدرجات لتغطية الحفرة. أما في بينتوره

١٨- الأراضي المخصصة للمدفن لاتسد الحاجة، لذا فهناك من العجائز من تشتري لها من شيخ حَقْرِييه قبل موتها قطعة أرض تدفن فيها، وتكون عادة بجانب قبر ابن عزيز لها مات قبلها. وهن لا يدفن ثمن الأرض نقداً بل يقدمن العرق ثمناً للقبر.

١٩- تسمى عموماً (قوره). وفي سنه (زيارته).

٢٠- في زاخو (برا قوره)، وفي سنه (ألحد) وفي أشنويه (ميانگور).

٢١- نيكتين، الحياة العائلية الكردية، المجلة الانثوغرافية للتقاليد الشعبية، العدد ٣ (١٩٢٢): ٣٤٢.

٢٢- هي في الحقيقة "صخور". وهذا يؤكد احتمال أن استخدام الصخرة كان الشائع في الأصل. ويسمون هذه الصخرة في سنه (كيبا ألحد).

دبلو بيرييه مين ديبه ناشا ماها لي بييت نيلاً دير "لابسمح للرجال ولا للأرواح الشريرة التي ولدت من هذا الرجل [تحديداً، أن تؤذي]؛ إنها لن تعبر هذا المكان، بل ستعود أراجها". و"الأرواح الشريرة" المشار إليها هي - حسب المعتقدات السائدة بين يهود السفاردي والمجتمعات اليهودية الشرقية عموماً، وكذلك بين يهود الاشكنازي - التي ولدت من المنى المقذوف لا إرادياً خلال نوم الرجل، أي عند إحتلامه^(٢٤). وبعد سماع هذه الكلمات من الحاخام يعود أبناء المتوفى من عند أبواب المدينة الى ديارهم].

ويجب على النسوة أن لا يدخلن بيوتهن ثانية بعد الخروج في اتباع الجنازة دون إغتسال؛ ولهذا يصب الجيران الماء على أيديهن لدى عودتهن. ولا يجتزن عتبة باب الدار إلا بعد عودة الرجال من دفن الميت.

وفي المقبرة خارج المدينة يوضع النعش على بعد أربعة أذرع من القبر؛ ثم يُطاف بها الحَقْفوت [الطواف] سبباً، يتبع ذلك المراسيم المعتادة. بعدها ينزل كبير الحفارين ونائبه الى القبر وينزلون الجثة اليها كما هي ولا يضعون شيئاً آخر في القبر. يضعون الجثة على ظهرها والقدمين [ناحية الغرب] في إتجاه القدس. بعدها توضع الألواح الخشبية المهيأة (أو الأحجار كما في سنه وبيتنوره وچالا) على درجات اللحد بدءاً من ناحية الرأس. وخلال ذلك يردد الجميع هذا الشعر: قُئهو راحوم يئخاير عَقون قُئلو يئشحيط، قُئهيريابه لئهاشيف أُو، قُئلو ياعر كول حما تو ثلاث مرات ويلقي كل واحد منهم حفنة من التراب في القبر عند نطق كل كلمة فيلقون بذلك جميعاً تسعاً وثلاثين حفنة تراب في القبر.

ثم يتلو الحاخام *الهشكا فا* [«الاستلقاء للراحة»]، ويجتث كل واحد من ذوي الميت حزمة من الحشائش يقذف بها الى الخلف من فوق الكتفين. ويتلقون بعدها التعازي وفق التقاليد المعتادة. ويجب حمل النعش قبل أن يغادر أحد المقبرة. وهم لا يحملون التابوت الفارغ، بل يدحرجونه مرة وثانية وثالثة حتى يخرجوه من المقبرة، حيث يقومون بتفكيكه على الفور (في زاخو والعماديه).

ثياب الحداد

يعود ذوو الميت من الجنازة حفاة يرتدون ثياباً سود، ويجلسون على بسط مفروشة على الأرض. ويضعون في الغرفة مصباحاً يشتعل ليلاً ونهاراً والى جانبه

٢٤- [قارن: جي. ل. زلوتنيك، معاسه يروشالمي، القدس ١٩٤٦، الص ٣٢، ١٠٢.]

قدح ماء (في العماديه).

ليس هناك في كردستان سعودات هَقْرَع خاصة، لأن أول وجبة يتناولها ذوو الميت بعد الجنازة تعتبر سعودا هَقْرَع [«وجبة العافية»]. ويتوافد الزوار على ذوي المتوفى ليلاً ونهاراً، جالبين معهم طعامهم الذي يتناولونه مع العائلة التكلّى. والمزّه التي يجلبها المحزون لأبد أن تحتوي بعض البيض، وفي بعض المناطق القليل من العدس (في العماديه وسنه). وبعض الناس يتبعون عادة إحضار كأس من نبيذ تلا عليه الحاخام تبريكاته الى ذوي المتوفى (في سنه والعماديه).

وفي العماديه يعيّن شيخ حَقْرِييه من سيزور ذوي الميت في كل يوم من أيام الحداد السبعة. إذ يدعو شيخ حَقْرِييه الأثرياء خلال أمسيات الحداد إذا أمكن، طالما أن وجبة المساء يجب أن تشتمل على العرق الذي يحضره الأثرياء معهم إضافة الى الطعام [الذي يحضره] للعائلة المنكوبة.

شَحَاريت، ومنحه، ومعاريف هي الصلوات التي تتلى كل يوم في دار المتوفى. وفي اليوم الذي يقرأون فيه التوراة، يرافق الناس ذوي المتوفى الى الكنيس بعد صلاة شَحَاريت. ويتم تأخير القراءة في الكنيس لحين حضورهم، إذ يأتون حفاة ويحتلون أماكن غير أماكنهم المعتادة في الكنيس - وتكون عادة قرب الباب.

وتقدم لذوي الميت يوم السبت وجبة طعام دسمة مع العرق. أما إعداد طبق الميوسه في دار الميت فأمر يتولاه الأقارب (في زاخو).

وتخضع الدار التي زارها الموت، خلال أسبوع الحداد، لنفس الحظر الذي يفرض على الدار التي ولد فيها حديثاً طفل. إذ يحظر على الآخرين إقتباس نار أو خميرة من أهل هذه الدار (في زاخو والعماديه). وفي بيجار يحرم على ذوي المتوفى أن ياكلوا من الخبز الذي يعدونه بأنفسهم، بل يؤتى إليهم بالخبز من البيوت الأخرى. وعموماً ينبغي أن لا يتناول ذوو الميت خلال الأيام الثلاثة الأولى من الحداد طعاماً معداً في بيتهم. ولكن هذا لا يسري في مدينة سنه، ففيها قد ينحر أحد الأغنياء بالمناسبة شاة لإعداد وجبة سعودا هاقْرَع.

بإقتراب أسبوع الحداد من نهايته تأتي سعوديت^(٢٥) رَش تيمانيا [وجبة "بداية" اليوم الثامن]، وهي وجبة طعام يصرف عليها الأغنياء ببذخ. إذ يدعى اليها عدد كبير من رجال المحفل، وهم يقضون الليل في قراءة الزواهر وما شابه من الأسفار

٢٥- [يبدو أن تنوعات سعودات، سعوديت، سببها إختلاف نطق الكلمة وتنوعه لدى محدثي العديدين].

المقدسة. ولابن المتوفى عادة ثمانية شماسيم لتقديم: القهوة والفاكهة والساكنر. وبعد صلاة معاريف يتناولون العشاء لتتواصل بعدها القراءة حتى الصباح دون نوم. ويقدم أهل الدار لهؤلاء وجبة طعام أخرى في الصباح (في العمادية وزاخو).

عند انتهاء القسم الأول من المراسيم الصباحية، يخلع أفراد عائلة المتوفى الثياب السود البالية التي إرتدوها طوال أسبوع الحداد ليرتدوا بعدها وطوال العام الثياب السود الخاصة بعام الحداد. بل إن النسوة يرتدين ثياباً داخلية سود (في العمادية) وينبذن أيضاً كل حليهن ويكتفين بصفير شعورهن بصفيرتين أو ثلاث بدلاً من سبعة أو عشرة كما اعتدن قبل أن يخطف الموت عزيزاً لهن.

كما يحرم خلال عام الحداد تبييض جدران البيت، وتحجم العائلة أيضاً عن الإشتراك في احتفالات الأعياد والسيرانه. وهناك تقليد آخر شائع أيضاً يمارسه أفراد عائلة المتوفى يكمن في الامتناع عن تناول الحبوب والمكسرات، ظاهرياً لأنها تصدر ضجيجاً عند كسرها والضجة محظورة في هذا الوقت (في العمادية). ولهذا ترى ذوي المتوفى يحرصون خلال هذا العام على التحدث برقة وتجنب المشاحنات فيما بينهم.

وفي زاخو يرسل ذوو الميت، طوال عام الحداد، حصته من الطعام في مواعيد الوجبات اليومية الثلاث (أشيبه كيد/يت ميثه) الى الحازان أو أحد الحاخامات. وحين تتلقى زوجة واحد من هؤلاء هذا الطعام، فإنها تقول: ماتيا گو نشيمه "عسى أن تبلغ روحه" (في زاخو والعمادية). [وفي العمادية يرسلون كل مساء طبقاً من الطعام الى الفقير طوال عام الحداد. ويقول من تلقى هذا الطعام: "ماتيا إننشيمه گو قصریت گان ئیدن" عسى أن تبلغ روحه في برجها بجنة عدن]. ويشيع كذلك قيام ذوي المتوفى بشراء كل أنواع الفاكهة التي تدخل السوق حال بدء موسمها وتوزيعها على من يلاقون في طريقهم ليلتوا عليها التبريكات. وفي روش حودش آدار، وخلال البيوريم يرسلون الزلوييه [فطائر مقلية] الى الكُنيس لتوزيعها على الناس (أنظر ص ٤١٦).

وفي مساء كل سبت والمساء الذي يليه طوال عام الحداد تتلى صلوات منحا ومعاريف في دار المتوفى.

بعد مرور ثلاثين يوماً على وفاة الوالد يقوم الأبناء بخلق رؤوسهم وإرتداء ثياب جديدة ويذهبون الى الملقفه. ويخاطب الناس هؤلاء الأبناء بقولهم: لي خيبيتون أنا خيبيه [عسى أن] لاتغتسلوا مثل هذا الغسل أبداً (في العمادية وزاخو)، [أو

إشاللا أنا خيبيه لي خيبيتولو إلا بأفرحبي إن شاء الله لن نستحموا هذا الإستحمام مرة أخرى، بل ستستحمون في فرح (في العمادية)... وعموماً يجبر الحاخام أبناء المتوفى على حلاقة رؤوسهم لأنهم يتمنعون بالقول بأن لا عزاء لهم.

بعد مرور شهر على الوفاة ثم بعد عام أيضاً، يقيم ذوو المتوفى وليمة تسمى سيعودت رَش يرخه [وليمة الهلال الجديد] وسيعودت رَش شاته [وليمة السنة الجديدة] على التوالي ويدعون اليها الحاخامات وعدداً كبيراً من أفراد المجتمع اليهودي، وتقرأ خلال الوليمة الزواهر والكتب المقدسة الأخرى. هذا ويقام المسنون، وخصوصاً الذين لا أولاد لهم ولا يأملون أن يكون لهم أولاد، هاتين الوليمتين أثناء حياتهم لإدراكهم بانها لن تقام لهم بعد موتهم.

المقبرة وزيارة القبور

بما أن مرافقة النسوة لجنائز الميت يوم دفنه محظورة، فإنهن يقمن بزيارة قبره في اليوم التالي ويقمن برش القبر بماء الورد. وفي العمادية تقوم نساء عائلة المتوفى بزيارة القبر ثلاثة أيام متتالية، أما في زاخو فتكرر هذه الزيارات (زارتياسه) مدة أسبوع إلا في يوم السبت. وعادة ترافق نساء المتوفى نسوة من الجوار، وتضع نساء المتوفى ثيابه على القبر ويكينه، وكذلك تحضر مرافقاتهن ثياب موناهن وبكين عليها. ولدى عودتهن من المقبرة تغسل النسوة أيديهن عند النهر، أما من يلتقيهن من الناس في طريق العودة فيبتعد عنهن ويختبئ لأنه لا يريد أن يرى نساء الميت. وفي العمادية تُزار القبور خلال عيد الفصح والسوكوت. وفي زاخو في التاسع من آب، وعند بداية كل شهر خلال عام الحداد الأول، وكذلك في عشية روش حوديش نيسان وفي التاسع من آب.

تقع مقابر اليهود^(٢٦) في كُردستان خارج أسوار المدن، وتقع مقبرة العمادية على سفح الجبل الذي تقع عليه المدينة وأما القبور الأحدث فتقع في الوادي، ويدفن يهود العمادية الحاخامات فوقها في موقع أعلى يقال له تبييت أدونيم [تل الأسياد]. ولا يقيم الناس أسبحة للمقابر ولا يضعون للقبور شواهد^(٢٧). إذ يكتفي الناس

٢٦- في العمادية: بيته حايم؛ وللنساء: طيبه "كتف الجبل" [تبه: كلمه فارسية تعني "تل"]; وفي سنه وأشنويه: بيت هاكامي؛ وفي زاخو ودهوك: قوربه؛ وفي سنه وبيجار: زياربي؛ وفي زاخو وريكان: زيارتيئا؛ وبالكرديّة: زيارتان.

٢٧- يقال أن في العمادية قبوراً قديمة جداً يعود تاريخها لسبعمئة سنة، وأن على شواهد بعضها كتابات (عبرية) مثل [هذا قبر فلان ابن فلان، الذي غادرنا في سنة كذا، في شهر كذا، في =



يهودي من العمادية



سيدة يهودية من دهوك



يهودي من دياربكر



سيدة يهودية من زاخو

بتحديد مواقع المقابر ببناء جدار منخفض بدائي من الأحجار حولها، ولذلك تعطي هذه المقابر إنطباعاً بالوحشة الشديدة. ورغم ذلك توجد في مقبرة العمادية بضعة أشجار جوز تعود ملكيتها للحقريه. وهنا نقتبس من والتر شوارتز الوصف التالي لمقبرة قرية سندور:

"مقبرة القرية مليئة بالقبور ومساحتها تتعدى مساحة القرية الحالية. وهي تماماً كالمقابر الكردية تفتقر للعناية بها ما يُعد في الحقيقة سمة مميزة للمقابر الكردية والعربية، التي تنعدم فيها الأشجار وتحدد القبور بأحجار صغيرة مستطيلة تبدو من على بعد مسافة وكأنها مزرعة سخور. وتشاهد فيها أحياناً أحجار قديمة جداً بإمكان المرء أن يفك الغاز بعض الحروف للكلمات العبرية المنقوشة عليها، وأما شواهد القبور الجديدة فلا كتابات عليها. وتقع المقبرة على موقع مرتفع عن القرية"^(٢٨).

= يوم كذا الى الدار الأبدية، وترك الحياة لأبنائه، عسى أن تُربط روحه بحزمة الحياة". وفي سنة ايضاً هناك قبور عليها كتابات منقوشة. وكان الكرد قد منعوا قديماً نقش الكتابات على شواهد القبور اليهودية.

٢٨- والتر شوارتز "حول اليهود الكرد" JR، عدد ١٢ تموز ١٩٣٥، ص ٣ [ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي].

القسم الرابع
الأوضاع الإقتصادية

الزراعة

كُردستان بلد زراعي سكانها مزارعون ورعاة. أما التجارة والحرف اليدوية واستغلال الموارد الطبيعية فليس لها سوى دوراً ثانوياً في إقتصادها. ولو استقصينا عن موقع اليهود في هذا الإقتصاد لوجدناه يختلف إختلافاً بيناً عن دور إخوانهم اليهود اليمانيين الذين شكّلوا في اليمن طبقة واضحة المعالم من أصحاب الحرف في مجتمع الفلاحين العرب والسادة الإقطاعيين، وكان هؤلاء قبل الزحف المتزايد للفساد الإداري والحكم الشمولي في جنوب الجزيرة العربية الحرفيين الوحيديين في البلاد. وظل الحال على هذا المنوال حتى عقود قليلة مضت حين بدأ العرب - بسبب إنعدام المصادر الأخرى للدخل - يغزون عنوة هذا القطاع الذي كان حكراً على اليهود.

أما الوضع الإجتماعي والإقتصادي لليهود كُردستان فكان أفضل من نظرائهم اليمانيين، وذلك لعدم انغزالهم في شريحة محددة بذاتها من إقتصاد البلاد. فقد كان أكثر اليهود يعيشون في المدن والبعض منهم يعيش في القرى كذلك، أي كان منهم التجار وأصحاب الأراضي والفلاحون أيضاً. أما في كُردستان فيحرم القانون الإسلامي على غير المسلمين إمتلاك الأراضي أو البناء عليها ذلك لأن ضريبة العُشر لم تكن مفروضة عليهم.

وأما الخطر الذي كان يتهدد اليهود في كُردستان فكان نفسه الذي يتهدد يهود أوروبا؛ أي إنضمامهم المتزايد والمستمر الى شريحة التجار. وهناك خطر آخر يكمن في حقيقة وجود عدد ضئيل منهم يعمل في الحرف اليدوية. فاليهود هنا، بعكس يهود اليمن، ليسوا الوحيديين العاملين في قطاع الحرف اليدوية إذ يزاحمهم في هذا القطاع النصارى. وهكذا احتل اليهود والنصارى في كُردستان نفس المواقع التي إحتلها الأرمن في المجتمع الكُرد في شمال كُردستان.

أفول الفلاحة

من الأهمية بمكان بالنسبة لنا هنا تتبع الدقيق للأسباب التي أدت الى هذا التحول التقدمي لليهود في كُردستان من الفلاحة نحو التجارة. لقد امتلك اليهود في كُردستان كل ما يلزم من مقومات تطور طبقة فلاحين عظيمة، فقد أتاحت لهم الفرص

ليمدوا جذورهم عميقاً في أرض هذه البلاد كفلاحين. ولم تك العقبات الخارجية التي تعترض استقلال الفرد أكبر من تلك التي واجهها النساطرة مثلاً والذين تمكنوا رغم ذلك من تثبيت أنفسهم كفلاحين في المجتمع الكُرد.

وبإمكاننا أن نبحث عن الأسباب المذكورة في عدد من الظواهر التي من بين أهمها تلك المتعلقة بكيفية تطور الوضع الإقتصادي في كافة البلدان الزراعية خلال الفترة من ١٨٩٠ الى ١٩٤٠. فالتقدم الهائل الذي حققته الدول الصناعية وما صاحبه من إزدياد هائل في عدد سكانها تسبب في دفع البلدان الزراعية ككُردستان للتوغل أكثر في ظلام تخلفها. وهكذا تناقصت أعداد الفلاحين^(١) وتزايدت الهجرة الى المدن، الى حيث يعيش التجار عيشة مرفهة نسبياً قياساً بمعيشة المزارعين.

وكان لتلك الظاهرة تأثير خاص على اليهود المتمسكين بدين تكيف ليلائم الحياة المدنية بمرور الزمن. فحياة اليهودي الحضري، الذي يمكن أن يذهب يومياً الى الكُنيس ويحافظ على نظرة الآخرين اليه كمتقف، هي غاية المنى عند اليهودي الذي يعيش في قرية ليس بها (على الأغلب) كُنيس مما يجعل مراقبة إلتزاماته الدينية عسيراً. وفي المدينة - حسب إعتقاد اليهودي القروي - بإمكان المرء أن يعيش حياة يهودية حقيقية. هذا علاوة على أن ثم قيمة عظيمة لإعتبار العملي القائل بأن المدينة توفر لليهودي قدراً أكبر من الأمن والسلامة.

ولابد أخيراً من التطرق الى عامل آخر ساهم أيضاً في جذب سكان الريف الى المدن وهو حالة انعدام الأمان العامة التي يعاني منها أفراد الطبقة الفلاحية في كُردستان. فيمكن ملاحظة هذه الحالة في كافة المناطق التي تعيش فيها العشائر الرحل الى جانب العشائر المتوطنة واقتتال الطرفين المستمر. وبذا يصعب على المرء أن يعيش في كُردستان دون وجود من يحميه.

ويعطينا (سعد) مثلاً شيقاً لذلك. فبينما كان في خانقين عُرِضت إحدى القرى للبيع هناك. فقرر شراءها؛ لكنه حين استشار القائمقام بخصوص ذلك شدّد عليه الأخير ناصحاً أن لا يشتريها متسائلاً: "ماذا ستفعل هناك لوحدك؟ إن عليك على الأقل أن تجند ثلاثين رجلاً مسلحين ببنادق المارتيني ليحموك. فلو تعرضت الى السرقة غداً، فستاتيني... وسارسل قائد الطابور حينها؛ وتعرف ما سيفعله؛ فعندما

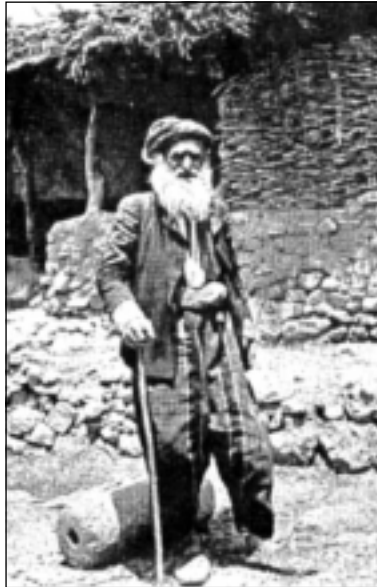
١ - كتب شوارتز عن اليهود في سندور: ("رغم أن المزارع وحقول الكروم تلقى عناية جيدة وتنتج ثماراً جيدة، ورغم أن حاجات اليهود الكرد متواضعة، فإنهم فقراء لأنهم لا يجدون سوقاً لمنتجاتهم" (والتر شوارتز "حول اليهود الكرد" JR، ١٢ تموز ١٩٣٥، نقله عن الألمانية رافائيل باتاي).]



أطفال يهود من
قرية سندور



رجال يهود في
قرية سندور



يهود من قرية مزور القريبة من دهوك

يكون اللصوص قد هربوا نحو اليمين يتجه هو نحو اليسار" (٢).

واليهود بخلاف النساطرة لم يفتنوا الى بناء قوة سياسية لهم في كردستان. فهم يعتمدون في وجودهم فقط على حماية أحد الأغوات. ورغم أن موقعهم في تلك الحالة لا يختلف كثيراً عن موقع النصارى والکرد المتوطنين فإنهم في الواقع لا يتمتعون بنفس الحقوق السياسية، ولم يتمكنوا قط من توثيق إرتباطهم بالأرض الى درجة تمنحهم روحاً مقاومة لتحويلهم عن الفلاحة. ورغم ذلك لانجد بين اليهود الشرقيين من هم أكثر إظهاراً للميزات الفلاحية القوية، من اليهود الكُرد. فكيان اليهودي الكُردى بالكامل من الخارج ومن الداخل كيان فلاح. وكثرة المرات التي تبرز فيها العناصر الفلاحية فجأة بين يهود الحضر إنما تدفعنا مباشرة الى الإفتراض المسبق القائل بأن الحركة نحو المدن إنما هي ظاهرة اقتصرت على العقود القليلة الماضية، ولسنا مخطفين في هذا الإفتراض؛ لذا يمكن أن نفترض أيضاً بأن أعداد اليهود الكُرد في كردستان، في الماضي، كانت أكبر مما هي عليه الآن.

اليهودي كفالح

توجد في كردستان اليوم قرى يهودية خالصة تماماً مثلما أن هناك قرى مسيحية بالكامل كذلك الموجودة في المقاطعة الواقعة شمال العمادية. ومن بين القرى اليهودية:

القرية	الموقع
تَل كَبَّار	قرب زاخو
سندور	قرب دهوك (٣)
شندوخه	قرب دهوك
بيتنوره	قرب العمادية
سوندو	قرب ريكان (وتعتبر إحدى أقدم المستوطنات اليهودية في كردستان، تسكنها ٧٠ عائلة)
كاني بليوه	قرب چاليك (كانت تسكنها قبلاً ٤٠ عائلة، تقلص عددها الى ١٥ عائلة)

٢- سعد، ١٦ سنة، ص ١٧٧.

٣- زار هذه القرية الحبر ديقيد دبيت هليل ايضاً (فيشيل، مساع ل كردستان، ص ١٠). ويقدم والتر شوارتز وصفاً جيداً لزيارة قام بها الى قرية سندور. [يقطن قرية سندور اليهود فقط. لذا فقد كانت بعيدة أقصى ما يمكن من بعد" (أنظر الهامش ١؛ ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي).]

جيداً من أعلى الأراضي الزراعية. ومهنة يهود برّشه الرئيسية كانت زراعة الرز. عند البدء بحراثة حقل الرز لابد أن يتولى الحراثة أكبر أفراد العائلة سنّاً لاعتقادهم بأن ذلك يجلب حسن الحظ. ثم يتم بعد الحراثة تقسيم الحقل الى ألواح مستطيلة تُغمر بالمياه وتترك على تلك الحال عدة أيام. وعندما يحين موعد البذار لابد أن يقوم ثانية أكبر أفراد العائلة سنّاً بحمل الرز المخصص للبذار من الدار الى الحقل مشياً لينثره في الحقل، حيث تبدأ بعد البذار عملية التعشيب. ويُترك قسم من الحقل غير مزروع ولكن يمر فيه الماء، ويخصص لرعي ثيران الفلاح. والفلاح عند الحراثة يخاطب ثوره قائلاً: *أبو وره مالا بابي من نيسو حتّا مورن كرينّا* الى الامام والى الخلف، نيسو، يا ملك والدي، سنظل نجتهد حتى الموت".

النشاطات الجماعية

في موسم حصاد الرز (جزيدت رزا) يجتمع الفلاحون في عمل جماعي يسمونه (زباره)، وهي كلمة تعني تجمع المسلمين واليهود للعمل الطوعي لصالح أحد رجال الاقطاع في القرية أو لإحدى عائلات الغنية (يستوي الأمر بالنسبة للعائلة اليهودية والكردية). الزبارة ليست عملاً إجبارياً عكس عمل السخرة الإجباري (وهو حق من حقوق الأغا الإقطاعية، أنظر ص ٢٦٩)، بل هي نوع من العمل الطوعي لصالح أناس يمتلكون مزارع كبيرة. وطلب الخدمة من شخص ما أمر له أهميته. وهناك من الزبارة أنواع في قرية برّشه قرب العمادية:

١- حراثة بساتين الكروم (حَبييره).

٢- الحصاد (جزيدته).

٣- حصاد الرز (جزيدت رزا).

٤- جمع الحطب للشقاء (قطيت طاريا).

وبما أن عائلات عدة تشترك في الزبارة، فإن جزيرييه خادم المُوختار ينادي قبل يوم من العمل الجماعي من على سطح أعلى بيوت القرية بأن زبارة لفلان ستجري في اليوم التالي. وفي صباح اليوم الموعد يجتمع الرجال أمام بيت من ثقام له الزبارة في وقت مبكر ليتوجهوا بعدها على أنغام (الدولا و زرنا) للعمل في الحقل. أما عدد المشاركين في هذا العمل الجماعي فيعتمد (إضافة الى حجم القرية وعدد سكانها) على مركز العائلة ونفوذها في القرية. وقد يصل عدد المشتركين في هذا العمل الجماعي أحياناً الى (١٥٠) رجلاً.



يهوديان في
أحد أزقة
سندور

وهناك بالإضافة الى ذلك قرى فيها مزيج من السكان. وكل اليهود الموجودين فيها، أو على الأقل معظمهم من الفلاحين وتقع مثل تلك القرى في أطراف باشقلا (مثلاً قرية قردا والعائلات الثمانون فيها "جميعها عائلات فلاحية")^(٤) وأطراف العمادية (مثلاً قرى برّشه، هويرا، هير، هركي، ميزه، شوخو). وتقع شوخو على مسافة يوم ونصف اليوم من العمادية وقد ذكرها (الحبر ديقيد دبيت) بأنها قرية صغيرة تتألف من ثلاثين عائلة يهودية جميعها عائلات فلاحية^(٥).

المحاصيل الزراعية الرئيسية لدى اليهود هي: الحنطة (خَطه) والشعير (شعيره) والرز (رز) والسمسم (ششمه) والعدس (تلوخه) وكذلك التبغ^(٦). كما يمتلك اليهود بساتين الفاكهة والكروم وقطعان الماشية التي يتولى أمر رعايتها الكُرد في الغالب. ويحصل اليهود أيضاً على جانب من دخلهم من جمع ثمار البلوط والثمار الأخرى التي "يجمعونها" ومن زراعة أشجار (سبيندار) الشائعة في المنطقة والتي تُستخدم أخشابها في البناء، ويطلقون على مزارع هذه الأشجار (جنينكا سبيندارا).

زراعة الرز

الى جانب محاصيل الحبوب التي تدخل في إعداد الخبز، يعتبر الرز من أهم المحاصيل الزراعية في كردستان لأنه يباع بأسعار ممتازة، ويعتبر حقل الرز المروي

٤- الرابطة الأنكلو يهودية، لندن، التقرير السنوي السادس ١٨٩٧، ص ٩٧.

٥- فيشل، مسّاع ل كردستان، ص ١١.

٦- في برّشه مثلاً. وفي السابق، كانت في أثنويه ٢٥ عائلة تعمل في زراعة التبغ فيما صار العدد اليوم خمس عائلات فقط.

يتولى ريش زياره توجيه عمل الزبارة، وتتخلل العمل فترات إستراحة يتناول خلالها الرجال الطعام^(٧) ويرقصون على أنغام الموسيقى. وعند انتهاء يوم العمل يتوجه الجميع الى دار سيد الزبارة لتناول إبخالا عَشِيرَتِي، أي وجبة العشييرة.

ولتمكين اليهود أيضاً من المشاركة في وجبة الطعام هذه، يقتصر المضيف على تقديم الأطعمة التي تحتوي اللبن. إذ تتألف الوجبة الرئيسية من الرز واللبن والزبدة. وتحمل النساء عبئاً كبيراً لإعداد الوليمة لهذا العدد الكبير من الرجال.

زراعة الكروم

تعتبر كُردستان بلد زراعة الكروم. والنبذ الذي كان يُصنع فيها كان يعد من أجود أنواع النبيذ في الأزمان القديمة، ولازال النبيذ يلعب حتى هذا اليوم دوراً كبيراً في إقتصاد هذا البلد. ولليهود الكُرد باع طويل في مجال زراعة الكروم، وصناعة وبيع النبيذ سيما في أرض بلد يحكمها الإسلام. والواقع هو أن اليهود الكرد يعتبرون خبراء في زراعة الكروم.

إن قسماً كبيراً من بساتين الكروم (في التارگوم: كَرمت إنقَه؛ وبالكرديّة رَزَا تري) الآن يمتلكه اليهود، وهناك دلائل تشير الى أنهم كانوا يمتلكون في السابق عدداً أكبر مما يمتلكون الآن. وامتلاك مزارع الكروم لاينحصر في يهود القرى فقط، بل يتعداه الى يهود المدن الذين يرثون هذه المزارع جيلاً عن جيل. وبساتين الكروم العائدة لليهود توجد في مناطق عقره^(٨) وزاخو ودهوك والعماديه. وهناك في أشنويه عشرون عائلة يهودية لديها بساتين كروم. والنبيذ الذي ينتجه يهود هركي (خَمرا هرکيي) وچالا (خَمرا چالنیا) يعد من أجود أنواع النبيذ. إلا أن من الملاحظ بأن يهود هذه المناطق هم وحدهم من يعمل في زراعة الكروم، فيهود المناطق الأخرى (في أشنويه) مثلاً يؤجرون بساتين كرومهم للكُرد.

وفي برَشه تمتلك كل عائلة يهودية عدداً من بساتين الكروم، ويصل الإنتاج السنوي لبعضها الى (٤٠٠٠ روتل) أي (١٠٠٠٠ كيلوغرام). ويبدأ العمل في بساتين

٧- هذه "الوجبات" هي مادة المقطع الشعري القائل: مامّي حول إخال كلبا قو قياامت أريه، "أيها الأخ الصغير، كل طعام كلب وانتفض كالأسد"، أي كل طعامك سريعاً كالكلب لتعود سريعاً لإكمال عملك وأنت قوي كالأسد (في برَشه).

٨- "توجد حول المدينة حقول مشمرة تلقى عناية جيدة. وتنمو أشجار الزيتون والنخل وكذلك الكروم على المنحدرات، ويعود قسم يعتد به من هذه الحقول والبساتين الى المجتمع اليهودي" (بنيامين الثاني، ثمان سنوات، ص ٧٤).

الكروم في شهر نيسان بال(خَپيره)، تقلب التربة. وإذا كانت العائلة المالكة للبستان ثرية يتم إنجاز هذا العمل عن طريق ال(زبارة) (انظر ص ٢٤٨) إلا أن الفلاح العادي يستعين بفلاحين من جيرانه على أن يرد لهم تلك الخدمة في عمل مماثل يحتاجون اليه لاحقاً. وبعد شهر نيسان يشرع الفلاح بعملية التقليم (كزيخه)^(٩).

وفي تموز^(*)، حين تبدأ العناقيد تتدلى من الأغصان يستعين صاحب البستان بحارس ليلي يحرس له بسنانه - لا من البشر بل من تخريب الحيوانات البرية كالدببة والخنازير البرية (خازورا) التي تلتهم كميات كبيرة من العنب. وتسكن عائلات مزارعي الكروم في زاخو في أكواخ (كَپرينه) خلال موسم القطف لحراسة بساتينهم، وليس هناك حاجة لحراسة البستان من اللصوص وذلك لإنخفاض أسعار الكروم في الأسواق المحلية ولأن بإمكان كل شخص الحصول على ما يريد من العنب من أي بستان لقاء مبلغ زهيد بل وربما مجاناً.

لا يتناول الفلاحون إلا جزءاً قليلاً من المحصول طازجاً، ذلك لأنهم يحولون القسم الأكبر منه الى (مي پوختا) عصير العنب المركز (الدبس)، والذي يعد بديلاً مهماً للسكر (انظر ص ١٢٢) أو الى زبيب (بيشيسه؛ وبالكرديّة ميوز). وللزبيب قيمة تجارية كبيرة جداً ويعد من الصادرات الرئيسية في كُردستان. ولصناعة الزبيب يُستخدم عمال يهود، رجالاً ونساءً تدفع لهم أجورهم على شكل كميات من الزبيب. ويبلغ الأجر اليومي للرجل سنة (روتل) وللمرأة ثلاثة (روتل).

ويحضّر الزبيب بغمس عناقيد العنب في الماء المغلي الذي أضيف اليه الرماد (مَزايته) ثم تُفرش على (مشطبخه) وهي مساحة من الأرض مكبوسة بقوة وخالية من الأتربة، حيث تقوم النسوة بتصنيف العناقيد الى ثلاثة أصناف:

١- (قوشموشيه) ذو الحبات الصغيرة معدومة النواة (وهو أعلى الأصناف ويصنع من عنب زَرَك)

٢- (بييره) وحباته أكبر من القوشموشيه.

٣- (بارات مشطبخه) وهو أردأ الأصناف.

٩- أصناف العنب هي: زَرَك: أفضل الأصناف، دائري الشكل أبيض اللون (يستخدم للزبيب)؛ رَشَمعو: أسود اللون ذو حبات بيضاوية (يستخدم للزبيب)؛ سَلَيبي: صنف جيد ولونه أبيض؛ ميراني: أبيض؛ سَعَداني: أبيض وحباته بيضاوية؛ تَعليك: أسود (يستخدم للنبيذ).

*- تموز: الشهر العاشر في التقويم اليهودي المدني، والرابع في التقويم الاكليريكي. ويبدأ في حزيران ويشغل جزءاً من تموز ايضاً. (المترجم).

التجارة

من ملاحظتنا السابقة لأوضاع اليهود الكُرد يبدو أن هؤلاء كانوا في الماضي منهمكين في الزراعة والحرف اليدوية أكثر مما هم عليه الآن. وتحول اليهود الى التجارة ظاهرة حديثة نسبياً ترتبط بزيادة تركّزهم في المدن^(١).

إن غلبة التجار على الحرفيين تظهر بوضوح أكبر في شرق كُردستان. فمن بين (٣٠٠) رب أسرة يهودي في أورميه نجد أن (١٢٠) منهم أصحاب حوانيت و(١٠٠) منهم باعة متجولون. وفي كركوك لا يوجد حرفي يهودي لأن جميعهم من التجار^(٢). وفي زاخو يبلغ عدد التجار (١٥٠) من مجموع (٣٠٠) رب أسرة يهودي. وفي العماديه كان التجار (خاصة الباعة المتجولون) يمثلون الأغلبية في السابق، ولكن يقال بأن عددهم تناقص بشكل كبير منذ تعرضهم للنهب على يد (ميرا كوره).

ويمكن تصنيف التجار اليهود في العماديه الى ثلاثة أصناف:

- ١- تجار الجملة، أو (تيجيره)؛ ٢- أصحاب الحوانيت (دوكانديره)؛
- ٣- والباعة المتجولين (كاديره أو باقيله).

التجارة الرئيسية لتجار الجملة هي المتاجرة بالأقمشة (بزيجي) ويحصلون على بضائعهم من الموصل أو من الشرق من أورميه وتبريز. ويستورد معظم تلك الأقمشة في الأصل من مانجستر من قبل تجار بغداد^(٣).

في الوقت الحاضر [عام ١٩٤٠] يقطع التجار رحلة الشراء الى الموصل

- ١- لا نملك معلومات تاريخية تتعلق بالأوضاع الإقتصادية والإجتماعية لليهود في الماضي. ولا يمكننا إلا القول بأن المستوطنات اليهودية في الحضر قديمة جداً. وفيما يتعلق بالهجرات المشابهة من الريف الى الحضر وما يصحبها من ظواهر قارن مثلاً هجرة اليهود البابليين في العصر الكاوتي.
- ٢- "في كركوك كما في كردستان كلها، تعدّ تجارة الأقمشة المهنة الرئيسة لليهود القاطنين بها. ويهيمن تجار الأقمشة تماماً على سوق الأقمشة القطنية والأقمشة المطبوعة"؛ وكان في القافلة التي غادر سون كركوك معها يهوديان متوجهان الى داخل كردستان لبيع ما عندهما من الأقمشة القطنية المطبوعة (إي. ب. سون، رحلة متنكر الى ميسوپوتاميا وكردستان، الطبعة الثانية، لندن ١٩٢٦، الص ١٢٣، ١٦٤). وواضح أن الوضع مشابه لهذا في هالابيا: "يوجد في سوق هالابيا ٥٢ دكاناً، يشغل ٢٠ منها تجار الأقمشة القطنية والكتانية وهؤلاء بالدرجة الأساس من اليهود الذين يشكلون القسم الأساسي من شريحة التجار" (المصدر السابق، ص ٢٣٢).
- ٣- المصدر السابق، ص ١٢٣.

ثم تُفرش العناقيد على المشطيخه وتترك لمدة أسبوع لتجف. وعندما يتم إحضار الزبيب الجديد الى البيت^(١)، يرقى مالك بستان الكروم فوق سطح داره ويلقي بحفنة من الزبيب القديم على الناس وهو يقول:

بي بروني ميسون قايم أيبوكون بيسوق: ياأبنائي أجلبوا (الزبيب)، وفيكم ينطبق قول الشاعر:

أخليتون آتيقه معيتيqa آتيقه من قيمات كيسا بالطيتون: ستاكلون ما كنتم خزنتموه طويلاً، وستجلبون المزيد وتاكلون القديم قبل الجديد (سفر ليشي ١٠:٢٦)

ويتم الإحتفاظ بعُشر محصول الزبيب لتوزيعه على الفقراء (على أن يتم ذلك في جنح الظلام، كذلك في زاخو)، وعُشر آخر يُدفع للحكومة، ويعطى قسم من العنب الأسود للكُنيس لخمّر (قدوش) في (برشه).

١٠- يجري النقل في زاخو تحت جنح الظلام تجنباً لـ"العين الشريرة".



منظر للعماديه
(عن بنديه)

(أي الرُحْل) أغنامهم لتسديد ديونهم لتجار الجملة. ويحدث في كثير من الأحيان وبهدف تفادي الوسطاء، أن يعقد القرويون الصفقات مباشرة مع تاجر الجملة الذي يجلب لكل واحد من سكان القرية ما طلبه من بضائع على أن يدفع ثمنه في موسم الحصاد، ويمنع سكان القرية مسبقاً في هذه الحالة من بيع أي من محاصيلاتهم. وعند حلول موسم الحصاد يأتي المختار [كبير القرية] المتعامل أو التاجر إلى القرية، حيث يتحاسب هذا مع كل فلاح لوحده وفي داره. ويتصرف المتعامل في هذه الحالة على أساس كونه البائع والمشتري في آن واحد، لأنه يشتري الحبوب مقابل البضائع التي كان قد جلبها ولم يسدد الفلاح ثمنها له، وهو لذلك يكون في موقف المستفيد من الصفقة فائدة كبيرة (في العماديه). فقبل كل شيء يكون بائع الجملة هذا بمثابة البنك للبائع اليهودي المتجول (بَقِيلَه) وهم يشكلون القسم الأكبر من مجتمع التجار اليهود^(٧). ويمكننا أن نميز بين الباعة مجموعتين: (١) الذين يعملون برؤوس أموال كافية. (٢) الذين يتجولون في القرى حاملين كميات ضئيلة من البضائع.

والصنف الأول يعمل أساساً في تجارة الأقمشة التي يحملها على ظهور البغال أو الحمير، أما الصنف الثاني فيزود الكُرد في القرى بمواد البقالة من قبيل السكر والتوابل والثقاب والقهوة والشاي والمواد الأخرى كالإبر والخيط والمرايا والخواتم، أو بإختصار يزودهم بما يحتاجونه من مواد في إقتصاد مجتمعهم المكتفي ذاتياً. وقد لانتجاوز قيمة مجمل ما يحمله بائع من هؤلاء جنيهاً استرلينياً واحداً.

وحين يدخل البائع اليهودي المتجول أي قرية فإنه يبحث عن دار المختار، إذ
٧- ما بين ثمانين ومائة بائع متجول من مجموع ثلاثمائة تاجر. في العماديه ٤٠ من ٢٠٠؛ وفي سنه ١٢٠٠ من ٤٠٠؛ وفي أورميه (في حوالي عام ١٩٠٠) ١٠٠ من ١٠٠.

بالسيارات في بضع ساعات، المسافة التي كانت تستغرق في الماضي عدة أسابيع، حيث كانت مغادرة التجار حدثاً يشارك فيه سكان المدينة. فكان التجار عشية هذا الحدث وفي صبيحته يدعون أصدقاءهم ومعارفهم إلى بيوتهم، كان الجميع يرافقهم لمسافة قصيرة خارج المدينة عند بدء رحلتهم. وكان التجار يقدمون الهدايا لحاملي الماء الواقفين عند بوابات المدينة ولديري المدارس والطلبة الموجودين ضمن جمهور الحضور. وكان الحاقيريم أيضاً يتلقون هدية من كل واحد من التجار المسافرين ثم يجتمعون لاحقاً في مكانهم المعتاد لشرب العرق الذي يشترونه بالمال المهدي لهم.

ولتجار الجملة دكاكين (دكينه) في السوق أو مخازن في بيوتهم. وحتى في حال تجار الجملة هؤلاء، فلا بد للمرء أن يتصور عملهم في ظل ظروف بدائية جداً. وللتجار الأصغر وأصحاب الدكاكين الآخرين مواقعهم في السوق. ويعتبر عدد اليهود الذين يمتلكون المحلات والدكاكين الصغيرة كبيراً. ففي العماديه يملك اليهود كافة دكاكين بيع الأقمشة^(٤). وغالبية أصحاب الدكاكين الصغيرة في خانقين يهود^(٥).

ليس هناك ما يميز محلات اليهود في العماديه و سنه فهي موجودة بجانب محلات المسلمين. أما في زاخو، فعلى النقيض من ذلك يقع شوكت هوديعي [السوق اليهودي] بجوار الحي اليهودي. وينطبق الشيء نفسه على أربيل وكركوك.

وإضافة إلى الألبسة والأقمشة يبيع اليهود في دكاكينهم مواد البقالة والأدوية والتوابل^(٦)، وبعض تلك الدكاكين يبيع هذه المواد بالجملة.

وتجار الجملة العاملون في تجارة الحبوب يسمون (عليه) وفي زاخو توجد أربعة من هذه المحلات. يقوم تجار الحبوب هؤلاء بشراء الحبوب من قرى المنطقة وبيعونها لسكان المدينة. كما يشتري هؤلاء التجار الحبوب من الفلاحين الكُرد في بارزان. ويشتررون أيضاً محاصيل بساتين الفاكهة والكروم برمتها قبل قطفها لبيعها بعد ذلك في عقره والموصل.

ترتبط تجارة الجملة في الواقع إرتباطاً كبيراً بالصفقات المالية، لأن تاجر الجملة عادة ما ينتظر قيام الكُرد بتسديد المبلغ في موسم الحصاد أو لحين بيع الكوجر

٤- للحصول على صور توضح دكاكين العماديه أنظر: بنديه، كردستان، ص ٢٠٦.

٥- ألبالا، نشرة الرابطة الإسرائيلية العالمية - باريس، ١٩١١: ٧٤. ويملك اليهود دكاكين ضخمة أيضاً: "في الأسواق، يملك وجوه اليهود مخازن كبيرة" [الترجمة عن الفرنسية لرافائيل باتاي].

٦- تجار الأقمشة، باعة الخردة، بقالون، أصحاب حانات، صرافون متجولون، وإلى آخره" (في خانقين، نشرة الرابطة الإسرائيلية العالمية - باريس، ١٩١١: ٧٤؛ [الترجمة عن الفرنسية لرافائيل باتاي] ولا يزال هؤلاء التجار كلهم يعرفون باسم بَقِيلَه (في العماديه).

يعرض بضاعته في داره، ويقضي ليلته هناك أيضاً، فالمختار هو الذي يستضيف الغرباء عن القرية (في زاخو وأشنويه). وقد يتلقى المختار في بعض المناطق أجراً معيناً من البائع المتجول لقاء ذلك (في زاخو وبارزان، وسابقاً في العمادية).

الفلاح عا ما يلتزم بالشراء من بائع متجول يهودي معين، لذا فمع وصول أي من هؤلاء الباعة يجتمع زبائنه الدائمون حوله مساءً في دار المختار. وإذا كان هذا البائع يهودياً عادياً (وهذا ما ذكره لي شبناي يوسف) فعليه أن يسلي الكرد المجتمعين لديه بحكاياته.

وللباعة المتجولين طرق محددة يطرقونها حيث يسافرون في مجموعات تتألف من إثنين أو ثلاثة. ولكون عدد الباعة المتجولين بين اليهود كبيراً، فإنك تجد في معظم أيام الأسبوع قسماً كبيراً من الذكور متغيبين عن بيوتهم. ولايتناول اليهود خلال رحلاتهم إلا أطباق الحليب - رغم أن معظمهم ليس ملتزماً بدقة بالطقوس الدينية، فمثلاً لا يحملون معهم *التفلين* (الحقيبتان الجلديتان اللتان تضمان نصوصاً من التشريع اليهودي يحملهما الذكور من اليهود المتدينين في صلوات الصبح لتذكيرهم بواجباتهم الدينية وقوانين الشريعة، وتشدّ إحداهما على الجبهة والأخرى على الذراع الأيسر - المترجم). وتعتمد مدة تغيب الباعة اليهود المتجولين على الظروف المختلفة. فقد يمتد تغيبهم في بعض الأحيان بضعة أشهر. وهكذا ترى بعض الباعة المتجولين من يهود سنة الذين يبيعون الأقمشة يغادرون بيوتهم في عيد الفصح في الربيع ولا يعودون من جولاتهم إلا عند بداية الشتاء (كيسلنغ^(*)). ويبقى هؤلاء في بيوتهم حتى عيد بيوريم عند نهاية الشتاء خلا قيامهم برحلات قصيرة ولذا تجد معظم الولادات عندهم يحدث في الخريف.

وقد يغادر البائع المتجول اليهودي في يوم أحد لكن هذا لا يعني بأنه سيعود في نهاية الأسبوع. فالطريق التي يسلكها بائع أقمشة خارج من زاخو - والذي قد يسافر ببغلة - قد تبلغ به إلى مناطق تابعة لمنطقة وان في الشمال أو إلى كويسنجق في الجنوب^(٨).

وهناك من الباعة المتجولين من يرافق بعد شاقوعوت - الكوجر الكرد (أو القبائل

* كيسلغ: الشهر الثالث في التقويم المدني اليهودي والتاسع في التقويم الكليبريكي، ويوافق أجزاء من شهري تشرين الثاني وكانون الأول.

٨- هناك مخاطر حقيقية تنربص بهؤلاء الباعة المتجولين في المناطق الجبلية، أنظر ص ٢٧١. وقد شاع القول بأن باعة زاخو المتجولين لا يموتون في بيوتهم: بل في الطرق بعدما يلاقون ميتة طبيعية أو إعتداءً.

الكردية المرتحلة) إلى مراتعهم الصيفية (زوزان) محمّلين بغالهم بما يحتاجه هؤلاء، ويعود الباعة إلى منازلهم بعد سوگوت (في منطقة زاخو مثلاً).

وتجارة هؤلاء الباعة في معظمها قائمة على المقايضة لذا فإنها مرتبطة بموسم الحصاد وجز الأصواف وما إلى ذلك. وكثمن لبضائعهم يقبل الباعة المتجولون أشياء من قبيل الصوف والقطن وثمار البلوط (أيسه) والحبوب والرز والجلود والزبدة والزيت وما إلى ذلك من المواد التي تشتهر كردستان بتصديرها. والنقود التي يحصل عليها الباعة المتجولون من تجار الجملة يشترون بها البضائع التي لا يمكن لهم أن يحصلوا عليها عن طريق المقايضة.

تعتبر ثمار البلوط (أيسه؛ وبالكرديّة مازي) من صادرات كردستان الرئيسة^(٩). وهذا المحصول النباتي من نتاج الإقتصاد القائم على جمع الثمار الطبيعية. وتعتبر الغابات الطبيعية المنتشرة بين العمادية ورواندر من أغنى غابات البلوط في كردستان، ولذلك تعد المدينتان بالنتيجة سوقين رئيسيتين لهذا المحصول^(١٠). ولكل قرية فيما يخص تلك الغابات حدودها الخاصة، وهناك حراس في مناطق معينة لمراقبة الغابة. وحصاد ثمار البلوط يبدأ دائماً في الثامن أو التاسع أو العاشر من آب (أي في نهاية تموز وبداية آب) حيث يتوجه جميع سكان القرية إلى غابات البلوط على أنغام الطنبور والناي والطبل والمزمار. ويشترك السكان اليهود كذلك في هذا الحصاد الجماعي. ويحمل كل واحد من الفلاحين عصا طويلة ذات نهاية معقوفة تسمى (جليگه) لقطف ثمار البلوط. وإذا كان المحصول وفيراً فقد يتمكن كل فرد من جمع ما مقداره ٤٠ (روتل)^(١١)، واليهود هم أكثر من يشتري هذه المحاصيل من الفلاحين.

إن من الصعوبة بمكان الحصول على معلومات دقيقة عن مقدار مبيعات ودخل تاجر الجملة أو البائع المتجول في كردستان. كما لا يمكن بأي حال من الأحوال المقارنة بين هؤلاء التجار اليهود وتجار بغداد أو بومباي. وقد تعطينا الحالة - التي تركت إنطباعاً عميقاً لدى المهتمين بها - والتي سنشرحها فكرة جيدة عن طبيعة

٩- تظهر هذه في رسائل يعود تاريخها إلى أواسط القرن الثامن عشر أيضاً، والتي نشرها مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول، الرسائل ٦ [الص ٥٢٠-٥٢٢] و١٢ [الص ٥٣٠-٥٣١] و١٣ [ص ٥٣١]). ومن هذه الرسائل أيضاً يبدو أن النشاطات التي تم التطرق إليها كان من صغائر الأمور.

١٠- بانس، تركيا، ص ٢٣٠.

١١- يعود باتمان واحد (٤ روتل) على صاحبه بما يتراوح بين خمس وعشر روبيات (في العمادية).

وأهمية الصفقات التجارية (في العماديه). فقد تنازع أمير قبيلة برويلنايا مع إحدى القبائل وقام بعدها شيخ بامرني بترتيب صلح عقد بين الطرفين. وأراد الأمير من أجل مراسيم المصالحة توزيع هدايا ثمينة، أرسل رجاله مع جياذ وبغال الى العماديه لجلب أفضل تاجر فيها مع بضائعه الى برويلنايا. فأخذ التاجر معه معظم أصناف الأقمشة واللبسة. وبعد جدال مطول حول الأسعار إشتري الأمير بضائع من التاجر بقيمة ٤٠ جنيهاً استرلينياً. وكانت الصفقة ستغدو بالنسبة للتاجر المذكور صفقة خاسرة لو لم يحالفه الحظ في بيع ما حصل عليه من المواشي لقاء ما ابتاعه الأمير بأسعار جيدة.

وأرباح الباعة المتجولين ضئيلة بطبيعتها، إلا أن ما يتيح الإرتزاق بهذه المهنة والإكتفاء بها هو رخص أسعار المواد الغذائية في كردستان ومستويات المعيشة البدائية فيها. فقد كان البائع المتجول من سنه، الذي يبلغ دخله السنوي ٢٠ تومانياً (ما يعادل خمسة جنيهاً استرلينياً) يعتبر في ١٨٩٠ من ميسوري الحال. إذ كان بإمكانه أن يوفر خمسة توماتان كل عام من دخله السنوي هذا.

ويجمع الباعة المتجولون القسم الأكبر من أرباحهم عبر صفقات المقايضة. ففي موسم الحصاد يستطيع البائع اليهودي المتجول أن يحصل على كميات كبيرة من الرز أو الزيت أو ما شابه مقابل أشياء ليست بذات قيمة. وقد يبلغ ما يكسبه البائع المتجول ذو الرأسمال المعتدل في بعض الحالات، خمسين جنيهاً استرلينياً أثناء موسم الحصاد عبر مقايضة بضائعه مع الفلاحين.

النقود عزيزة في كردستان، وأفضل من يخبرك بذلك هو التاجر الذي لا يملك رأس المال الذي يعمل به، أو البائع المتجول الذي أنفق رأسماله وعليه أن يكافح من خلال العمل كوسيط (في زاخو چوركچويه) فيشتري البضائع من الكرد الذين يأتون الى المدينة ويبيعها على الفور، أو من خلال العمل لدى شخص آخر. فقد كان صبي في الثانية عشرة يحصل على أجر شهري من عمله في أحد الحوانيت مقداره قرانان (أي ما يعادل شلناً واحداً). والذي زدني بهذه المعلومات يهودي من سنه في العشرين من عمره كان يعمل هو الآخر كبائع في دكاكين القماش لدى أحد البزيريين بأجر سنوي قدره ١٨ تومانياً (ما يعادل أربعة جنيهاً استرلينياً ونصف) وكان المذكور حسب قوله موضع حسد كبير من الآخرين بسبب مدخوله الكبير هذا.

إن اليهود في كردستان يحتلون عين الموقع الذي يحتله الأرمن في المقاطعات التي لا يوجد فيها يهود، فاليهود يعتبرون كالأرمن ذوي دهاء كبير، ولهذا لا يرى الكردي

نفسه نداءً لليهودي في مجال التجارة. وهناك حكاية طريفة عن يهودي جاء مرة الى بيت أحد الأغوات الكرد الذي خاطبه قائلاً: "اليهود دهاءة لذا أريدك أن تعلمني فن الخداع". فانتاب اليهودي الخوف ولم يدر ماذا يفعل. فقال اليهودي للأغا: "ليحضروا كوصه (كرة من خيوط قطنية مغزولة) كبيرة". وحينما أحضروا له ما طلبه ربط اليهودي طرف الخيط في كرة الخيوط حول أطراف أصابع الأغا وهو يقول له: "أمسكه بقوة حتى أعود إليك". فأمسك الأغا بالخيط، وخرج اليهودي من الدار وهو يفك الخيط عن الكرة تدريجياً حتى ابتعد مسافة عن الدار وربط الخيط بقطعة من الخشب وقطع الباقي، ثم توجه الى السوق وباع كرة الخيط التي كانت كبيرة ولم يستهلك منها مقدار كبير من الخيوط. وفي تلك الأثناء ظل الأغا جالساً ينتظر الساعة تلو الساعة دون أن يعود اليهودي، فأمر الأغا بالتحقق من الأمر ليتضح له بأن اليهودي قد علمه درساً في فن الخداع.

القرى كذلك وبصورة أكثر إنتشاراً. والكثير من الفلاحين اليهود يمارس الحياكة كمهنة خلال فترة بطالتهم في أشهر الشتاء.

وهناك أيضاً الحاكة النصارى في كردستان الذين تفوق أعمالهم أعمال اليهود جودةً وإتقاناً. ولكن على العموم تنحصر الحياكة في بعض المناطق باليهود فقط. ففي العماديه مثلاً، يوجد أربعون حائكاً يهودياً وحائك مسلم واحد ولا يوجد فيها حائك مسيحي. ومن بين ستين رب أسرة يهودي في رواندن يعمل خمسة وعشرون منهم في الحياكة، وكان في زاخو في ١٩٢٠ عشرون حائكاً يهودياً يقابلهم خمسة وعشرون حائكاً مسيحياً.

وبغض النظر عن إحتراف اليهود للحياكة شتاءً لتوفير ما يحتاجونه أو قسم مما يحتاجونه في الشتاء، فإنك تجد في كل قرية حائكين أو ثلاثة من اليهود، وأغلب هؤلاء الحاكة اليهود هم من الحاخامات الذين يعملون في بيوتهم.

أما الصوف الذي يستخدمه هؤلاء الحاكة اليهود فيأتي من مواشيهم نفسها من أغنام وماعز، ويتم تهيئته الصوف بأيدي يهودية. أما المتاجرة بأصواف الأغنام فهي عموماً بيد اليهود ويعود ذلك في قسم منه الى الحقيقة (التي ذكرناها سابقاً) قيام اليهود بوظيفة الصيرفة بين طهراني الكرد. إذ يفترض أصحاب الأغنام الكرد الأموال من اليهود لتسديد ضريبة الماشية (قمجور) للحكومة في الربيع، ليقوموا بتسديدها في موسم جز أصواف الأغنام. وبحلول موسم الجز يدعو شيخ الكوجر اليهود الى مراتعهم الصيفية (زومه) لحضور عمليات وزن الأصواف (هري بر). وعادة ما يجني اليهود من وراء تلك الصفقات فائدة إضافية من خلال فرضهم السعر الذي يختارون على ما يشترونه من صوف مقابل قروضهم.

عموماً يصنف شعر الماعز الى ثلاثة أصناف هي: (مرعز خويره) وهو شعر أبيض ممتاز يستخدم في صناعة أقمشة (شالا شاپوكسا) ويصنع منه قماش له رونق كرونق الحرير^(٣). و(مرعز سموكه) وهو شعر الماعز الأحمر. و(كوما) الذي هو شعر الماعز الأسود وكلاهما يستخدمان لنفس الغرض. و(سيعيرا) شعر أسود خشن يصنع منه الكرد خيمهم وهي خيم لا يستخدمها اليهود.

= الأجنبية. وهذا أيضاً نوع من التجارة التي يعتبرها الكثير منهم صناعية. ويشغلون في صناعة البسط أيضاً. وآلة النسج عندهم بسيطة للغاية، فهي تتألف من خشبتين موضوعتين على الأرض والبعد بينهما ثابت، ويصنعون بضاعة جيدة بل رائعة. " (ثمان سنوات، الص ١٢٩-١٣٠). في سنه يطلق على الحائك جولا، مثلاً عيزرا جولا.

٣- بغية الحصول على بريق حريري يغمس الغزل الصوفي في مستخلص نوع من البص يسمى لكه.

الحرف اليدوية

الى جانب الفلاحين والتجار، هناك في كردستان حرفيون يعيشون في المدن والقرى. ورغم أن اليهود الكرد، بخلاف اليهود في اليمن، ليسوا الحرفيين الوحيدين في البلاد (طالما أن تواجد الكرد والنصارى أكبر في مجال الحرف اليدوية) لكن ذلك لا يلغي دورهم المهم في مجال الحرف اليدوية. ففي كل قرية تجد عائلات يهودية تعمل في مجالات الحياكة والصياغة وصنع الأقمشة وصنع الأحذية وما الى ذلك. ونظراً للتطور الثقافي الضئيل في البلاد - أو ربما نتيجة للتدهور الثقافي - لا تنتج الحرف اليدوية الكردية الآن سوى أعمالاً بدائية توفر الحد الأدنى فقط من المواد الضرورية والحيوية التي يحتاجونها في أعمالهم اليومية.

إن النماذج الحرفية القليلة التي شاهدتها من أعمال صاغة الفضة والحاكة كانت ذات جودة وإتقان عاليين. إلا أن الإضطرابات السياسية وما ينجم عنها من عواقب مقلقة تسببت في إصابة البلاد بفقر وصل الى درجة جعلت الفن المحلي ينقرض إنقراضاً تاماً بعدما كان له حضور قوي في وقت ما. ولهذا كان على اليهود الكرد تجاراً ومزارعين وحرفيين أن يكافحوا في سبيل بقائهم فحسب^(١). فالطبيعة الفلاحية التي تنكشف في أحسن صورها لا تكون قادرة على توفير تربة ملائمة لإنبثاق الفن المحلي. وأفضل فرصة نالها الفن المحلي ليزدهر تمثلت في أشهر الشتاء الطويلة وما تفرضه من خمول إجباري على المزارعين اليهود والذي دفعهم الى الإنهماك في بعض الحرف اليدوية كالحياكة على وجه الخصوص.

الحائكون

أكثر الحرف شيوعاً في كردستان هي الحياكة. إذ تجد الحاكة اليهود (زاكيره وتجمع على زاكيري؛ وبالكرديّة: بيركار والجمع بيركاره)^(٢) الى جانب المدن، في

١- والتر شوارتز، *JR, Bei den Kurdischen Juden*, ١٢ تموز ١٩٣٥، يقول عن اليهود في سندور: ["الحرفيون في القرية يتعرضون الى الإضطهاد بالدرجة الأساس". ترجمه عن الألمانية رافائيل باتاي].

٢- يتحدث بنيامين الثاني أيضاً عن كون اليهود الكرد يعملون في الحياكة: "الأنواع المختلفة من المنتوجات الصوفية التي يصنعها اليهود في كردستان، يتم أيضاً تصديرها الى الموانئ =

زاخو التي فيها أربعون خياطة من النساء وخياط واحد من الرجال. وفي كل من زاخو والعمادية يشرف رجال مسلمون وكذلك يهود^(٤) على النسوة الخياطات لعدم وجود الخياطين الرجال فيها. وفي الأماكن التي يوجد بها خياطون رجال يوجد عدد من اليهوديات يعملن كخياطات لدى النسوة الكرديات.

يفتقر عمل الخياط الكردي وبشكل كبير للحس الفني، وعلى كل حال نحن لا نرى اليوم أي قطعة فنية في هذا المجال ولو كانت قديمة، طالما أن الثياب هنا تستخدم حتى تبلى تماماً. والخياط هنا لا يكلف نفسه مشقة أخذ مقاسات الزبون. فأهم شيء في العمل هو الزخرفة (تُقش) التي تطرز بعض هذه الملابس وتحدد أسعارها.

وتزود الخياطات الباعة المتجولين بالألبسة الجاهزة، وخاصة السراويل والسترات، وهو المجال الذي تبرز فيه زوجات الحاكة برونزاً كبيراً. وتبيع النساء كل سترة أو سروال بثلاث أو أربع روبيات وأقل من ذلك بقليل للألبسة التي يرتديها العامل الأجير أو الراعي (في العمادية).

الكلاكون

يعمل العديد من اليهود في مجال النقل. وفي العادة يمتلك التاجر اليهودي بغلاً أو على الأقل حماراً لنقل بضائعه، ولكن هناك علاوة على ذلك يهود يعملون كسائسي بغال في القوافل (قَاترِجِي) - في بارزان وزاخو على سبيل المثال^(٥).

يسيطر اليهود نوعاً ما على نقل البضائع في المجالين البري والنهري. فيهود زاخو على وجه الخصوص اتجهوا الى هذا العمل بتأثير من الموقع المركزي لزاخو الواقعة على جزيرة وسط نهر الخابور الممر الرئيس لشحن البضائع من كردستان الوسطى الى السهول المحيطة بدجلة. فقد كان (٧٠) رب أسرة من بين (٤٠٠) كانوا يعيشون في زاخو قبل الحرب العالمية الأولى يعملون كالأكين (طَرِيخَا، والجمع طَرِيخَه) وهي مهنة لها إرتباط وثيق بتجارة الأخشاب. وحقيقة كون عائلة بي دَحليكا أقدم العائلات اليهودية في زاخو، عائلة كالأكين دليل على طول باع يهود زاخو في الملاحة النهرية بواسطة الأكلاك.

وهناك نوعان من الكلاكين: طَرِيخْت بَار /إيلي، الكلاك الأعلى (أي العامل في منطقة التلال) وطَرِيخْت بَار تَحْتِي، الكلاك الأسفل (أو العامل في السهول). والأول

٤- في زاخو، طالما أدى هذا الى مضاعفات حيث استعاض الكرد الخياطين اليهود.

٥- لاميك سعد، ١٦ سنة، ص ٢٥٤. "اليهود (في زاخو) يقودون البغال بين الموصل والجزيرة".



الكرد الرحّل (كوچر) وخيمهم المصنوعة من الشعر. (عن بنديه)

أما صوف الأغنام أمره (خویره، سموكه، كوما) فيستخدم في صناعة الألبسة الخشنة، كما يصنع منه أحياناً (شالا شاپوكسا) المخصص للعمل اليومي. أما الإستخدام الرئيسي لصوف الغنم هذه فهو لحياكة البسط والأغطية.

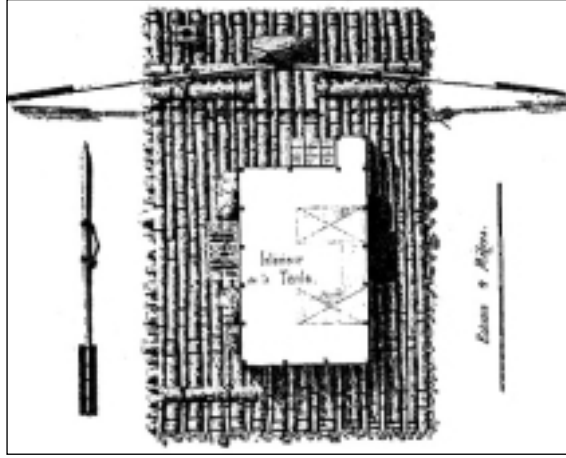
ومن مسؤوليات المرأة إعداد وتهيئة الصوف للحياكة (أنظر ص٢١٤)، حيث تبدأ العملية بغسل الصوف ثم تمشيطه بمشط حديدي (ماسييركت پريزلا) لينتج عنه ثلاثة أنواع من الصوف: صوف طويل الشعرات (سَرشوف)، والمتوسط الطول (تافشيكَا) والقصير (كولكه).

أما آلة الحياكة - النُول (في زاخو والعمادية: گوبا؛ وفي سنه: چارج جوليه؛ وبالكرديّة: بير) فهو في شكل نموذج بدائي مسطح يجري العمل عليه بدون دواسات عادية أو دواسات غارقة في الأرض. وهو نول مصمم لحياكة الأنسجة البسيطة كحياكة السجاد.

الخياطون

في كردستان تكاد تنحصر ممارسة مهنة الخياطة بالنساء فقط، ولكن هناك في أربيل وأشنويه خياطين من الرجال (خايبيط، خايبيطه) وفي سنه يقوم الرجال المسلمون بخياطة الألبسة للرجال فيما تقوم النساء بخياطة ملابسهن.

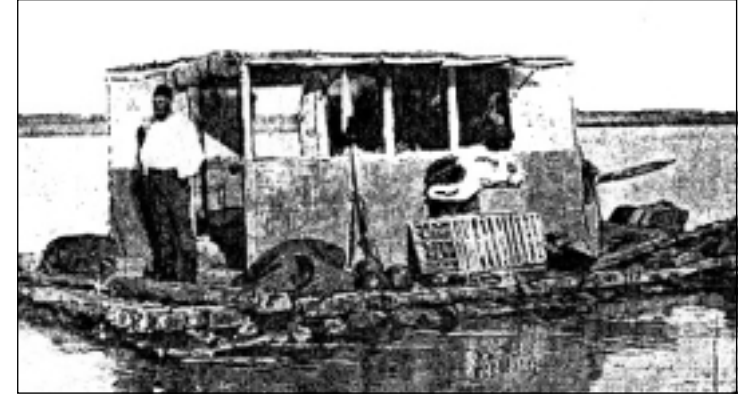
أما في العمادية فتحترك النساء حرفة الخياطة إحتكاراً تاماً (خبيطه)، وكذلك في



مخطط للكلك. (عن بنديه)

الحيوانات (درفه، وفي الموصل يقال لها جربان). بعد ذلك يتم إنزال الكلك في الماء ليتم تحميله بالبضائع. ويعمل على المجاديف (مجرفه) في الكلك من إثنين إلى أربعة كلاكين حسب مستوى مياه النهر وسرعة التيار فيه. ويتم بيع الجذوع التي تؤلف الأبره عند وصول البضاعة إلى المكان المحدد، أما الدرفه فتعاد ثانية إلى زاخو.

[ويتحدث هيرودوتس عن أناس يصنعون الأكلاك في أعالي نهر دجلة ويعومونها بواسطة القرب الجلدية المنفوخة ليركبوها إلى مناطق معينة في أسفل دجلة، وعن قيام هؤلاء بتفكيك تلك الأكلاك هناك وبيع أخشابها ثم إعادة القرب المنفوخة على ظهور الحمير إلى المكان الذي جاؤا منه (هيرودوتس، ١، ١٩٤). صحيح أن هيرودوتس يتحدث عن كل ذلك في سياق الحديث عن القفّه "القارب المدور الصغير" الذي لا زال يستخدم إلى يومنا هذا في نهر دجلة، ولكن وكما أوضح السيد جيمس هورنيل في رسالته وجهها إلى، فإن هذا خطأ لأن وصف هيرودوتس هذا ينطبق بدقة على الأكلاك الكبيرة، كلك.]



الكلك. (عن بنديه)

ينقل الألواح الخشبية من التلال إلى السهول، بينما ينقل الثاني (وهو الكلاك الحقيقي) تلك الأخشاب إلى الموصل. يذهب الكلاك الأعلى بعد عيد الفصح إلى الجبال لشراء الأخشاب من الفلاحين الكرديين. وعادة تكون كلها من الحور البيضاء (سبينديره). ويقوم الكردي بقطع تلك الأشجار بعد بيعها وتقطيعها إلى ثلاث قطع (قري، الجذر، نافتييه، القسم الأوسط؛ سرتييه، القسم الأعلى) فيقوم الكلاك بنقلها بعد ذلك إلى ضفة النهر بواسطة البغال. بعدها تُلقى الجذوع في النهر لتعوم في مجموعات (جلب، قطيع) يسوقها (تربيت جلب، سواق القطعان)، أو ينقل الجذوع على أكلاك صغيرة (كرخه) تقاد بواسطة مجاديف صغيرة (كاركي). أما الطوف - الكلك الكبير، أو أبري (الجمع أبره)^(٦) - فيستخدم في بعض الأحيان لنقل جذوع الأشجار إلى زاخو؛ وتصنع هذه الأكلاك في زاخو فقط.

بعد وصول الأخشاب التي يحمل كل جذع منها علامة خاصة بمالكها^(٧) إلى زاخو يجري تجميعها (سنگور: كومة جذوع الأشجار) لتستخدم بعدها في صناعة الأكلاك حسب الطلب. فمن القسم الأعلى من الجذوع يتم تشكيل مستطيل (مالين) تربط أضلاعه بالوواح أخرى. وتستخدم الأغصان الصغيرة (شيوه) في صنع المفصلات المتحركة. وتحت الكلك يربط الكلاكون ١٢٠ - ٢٠٠ قربة منفوخة من جلود

٦- [يبدو أن هذا الإسم مشتق من نفس الأصل التلمودي للكلمة التي تعني طوف، مَباره: قارن رافائيل پاتاي، الملاحه اليهودية في العصور القديمة [بالعبرية] (القدس ١٩٣٨) ص ١٤٨.]

٧- للعلامات أشكال كالأشكال الآتية: أو

القسم الخامس

التنظيم الإجتماعي والتعليم

الآغا واليهود التابعون له

أوضحنا خلال نظرنا لموضوع التاريخ أنه رغم فصل المقاطعة عن نفوذ الحكومة المركزية في بغداد، إزادات قوة الزعماء الكُرد (أغبيعه، مفرده آغا). وقد كانت سلطات هؤلاء في السابق مطلقة. ويصف بنيامين الثاني ذلك بدقة حين يقول: "إن تبعية كُردستان للمملكة التركية هي بالإسم فقط". ويقدم لنا الكاتب المذكور الوصف التالي لأوضاع اليهود في ١٨٤٠:

اليهود مبعثرون هنا وهناك، وهم مرغمون على البقاء في الأماكن المحددة لهم، إذ تحيطهم قبائل متوحشة بكل ما في الكلمة من معنى. وعادة ما ترى خمسة أو عشرة أو حتى عشرين عائلة يهودية تعيش ضمن أملاك كُردية واحد يتقل كاهلهم بالآتاوات ويسيء معاملتهم. حيث تُفرض على اليهود آتاوات مجحفة تصل المفروضة منها على أفقر عائلاتهم إلى (٥٠٠) قرش. وأخيراً تجد السيد يرغم اليهود في أوقات مختلفة من السنة على العمل كآقنان في الأرض، فيزرعون حقوله دون أن يتلقوا أو يستحقوا جراء ذلك أبسط أجر لقاء أعمالهم..... وللسيد السلطة المطلقة على حياة وموت كل عبده، [و] بإمكانه متى شاء أن يبيعهم إلى سيد آخر إما مجتمعين أو فرادى^(١).

إن التهدة التقدمية لهذا البلد تمخضت عن تغييرات عدة. ورغم ذلك، لا يزال المرء إلى يومنا هذا يجد أجزاء من كُردستان يحكمها الآغا حكماً مطلقاً^(٢). وبالنسبة لليهود يمثل الآغا مصدراً هاماً للدعم السياسي. ولأن اليهود عاجزون سياسياً، فإنهم يدخلون في حماية واحد من الأغوات يعاملهم بعد ذلك وكأنهم من أفراد قبيلته. فهو يحميهم من الاعتداء ويعاقب كل من يعتدي عليهم وفق القانون الكُردية.

كان في منطقة العمادية ثلاثة أغوات يحكمون، وفي السليمانية أربعة^(٣)، ولا يوجد

في زاخو سوى آغا واحد^(٤). وفي أحيان كثيرة لا يلجا اليهود في المقاطعات الريفية إلى الزعماء القبليين طلباً للحماية، بل إلى عائلات متنفذة يسمون رؤساءها آغا أو بس مير "أي ابن الأمير" (في جالا). ففي نيروه مثلاً ظلت العائلات اليهودية العشرين في المنطقة تتمتع لأجيال بحماية رئيس إحدى هذه العائلات المتنفذة^(٥).

أما الخدمات التي يقدمها اليهود للكُرد مقابل هذه الحماية فتختلف باختلاف المقاطعة التي يقطنونها. ويصف لنا بنيامين الثاني هذا الموقف بأحلك الألوان، فهو يصف تلك الظروف بأنها كانت حتى بدايات القرن العشرين صعبة جداً في بعض الأماكن كالسليمانية على سبيل المثال:

[لا يجبر اليهود على أن يدفعوا للآغا مبالغ محددة، لكنهم مرغمون بأن يرسلوا لهم هدايا في كل عيد ومناسبة، سواء كانت إسلامية أو يهودية، كان يرسلوا مخاريط السكر أو الأقمشة أو الملابس. فمثلاً ترى أحد مرافقي الآغا يدخل دكان يهودي لشراء شيء ما ويدفع نصف الثمن أو ربعه أو لا يدفع الثمن أصلاً وقد يتردد الإسرائيلي في الشكوى. وعلى كل يهودي لدى عودته من رحلته كبائع متجول سواء كان غنياً أم فقيراً أن يدفع للآغا قسماً من أرباح سفرته]^(٦).

أما في المقاطعات الريفية فيقدم اليهود خدمات من نوع آخر. فخلال الأعياد الإسلامية يقدمون الهدايا لهُماتهم والهدايا تكون غالباً ملابس أو مواد غذائية (في جالا يقدم اليهودي ثلاثين بيضة ومن زبدة). وفي المناطق التي يوجد بها حائكون يهود يوفر الحائك اليهودي للآغا ما يحتاجه من منسوجات. وفوق هذا كله، يكون اليهودي بمثابة مصرف للآغا فيمنحه قروضاً معفاة من الضرائب. كما يقدم اليهودي الذي يزوج إبنته ثلث مهر العروس (نقده)^(٧) للآغا، وفي المناطق التي لا زال

٤- لضمان دوام سلطتهم كان الأغوات يبعثون إلى السلطان في القسطنطينية آتاوات كبيرة. وبالمقابل كانوا ينهبون ضحاياهم - المسلمين ودرجة أكبر غير المؤمنين من اليهود والنصارى - وكانوا يلجأون إلى القتل إن دعت الحاجة. فعندما رفض اليهود في كويستنج، ذات مرة، دفع الآتاوة للآغا هوجم حاخامهم وقتل لإخافة بقية أفراد المجتمع. أنظر نشرة الرابطة اليهودية العالمية، ٢١ (١٨٩٦)، ص ٥٤.

٥- [قارن أيضاً وصف ويكرام المشوق لليهود الذين "دجّتهم" الأغوات الكرد (دبليو. أي وأدغار تي.

أي. ويكرام، مهد البشرية [لندن ١٩١٤] [الص ٣١٧-٣١٨]

٦- [ن. ألبالا، شرق وغرب، برلين ١٩٠٩، ص ٥٧٩؛ الترجمة عن الألمانية لرافائيل باتاي]

٧- في هذه المناطق يتحمل العريس تجهيز الصداق، نقده [أنظر الص ١٢١-١٢٣].

نفوذ الأغا فيها قوياً (في أورده مار ونبروه) يقدم اليهودي للأغا مهر العروس بأكمله. في حين يمنح الپس مير "الأغا الصغير" اليهود الذين يعيشون في كنفه كمية من الرز أو المحاصيل الأخرى التي ينتجها^(٨). أما في المناطق التي تدهورت فيها سلطة زعماء العشائر فتكون الاتاوة التي يدفعها اليهود لهؤلاء رمزية تتخذ طابع الهدية (في دهوك والعمادية وسنه)، ففي العمادية تكون تلك الاتاوة في هيئة سبع إلى ثلاثة عشرة بيضة، ويجب أن يكون عددها فردياً لأن أحد أفراد العائلة سيموت إذا كان العدد زوجياً.

ورغم ذلك لم يختفِ عمل السخرة (سُخره) حتى غزو البريطانيين العراق وكان أمراً شائعاً. ففي منطقة العمادية مثلاً وحينما كانت الحاجة تدعو للسُخره كان أغوات المنطقة الثلاثة يرسلون أتباعهم يومياً لإحضار اليهود التابعين لهم. ويعد الحصاد من المناسبات الرئيسية للسُخره^(٩). وكان من حق الأغا أن يجمع إضافة إلى غلة حقوله ضريبة العُشر (تعشير) التي اشترى من الحكومة حق جبايتها من حقول القرى التابعة له. والأغا الغني كان يجمع العُشر من قرى كثيرة قد يبلغ عددها عشرين قرية، وجمع هذه الضريبة كان يتطلب أعمال نقل وتحميل الحبوب وتفريغها وما إلى ذلك من أعمال. وينطبق الأمر نفسه على موسم حصاد الرز وقطاف الكروم. هذا ويقوم اليهود بنقل جذوع السبينديره للأغا من ضفة النهر إلى القرية علاوة على مشاركتهم في أعمال البناء التي يحتاج إليها الأغا. إذ كان على كل يهودي أن يعمل لما لا يقل عن ثلاث ساعات يومياً.

ويشير بنيامين الثاني إلى أنه كان بإمكان الأغا أن يبيع يهوده إلى أغا آخر إما جميعهم دفعة واحدة أو فرادى. ويتحدث ألبالا عن الشيء نفسه في منطقة السليمانية: «لقد ورّعوا اليهود فيما بينهم. فأخذ كلٌ منهم عدداً من العائلات وضعها تحت "حمايته"... ومؤخراً حينما كان البكّ الكردي يبيع أرضاً كان يبيع معها في الوقت نفسه اليهود الذين يعيشون عليها»^(١٠).

كان اليهود في المقاطعات الريفية، ولكونهم تحت رحمة الأغا أكثر من يهود المدن، يعتبرون رصيماً مهماً للأغا. وكان هؤلاء اليهود يعتبرون من موروثات عائلة الأغا

٨- أبلغني محدثي بأنه عند نفاذ ما عند ربة البيت اليهودية من رز أو ماستا (اللبن) فإنها تذهب إلى زوجة الپس مير التي تقوم بتزويدها بما تحتاج إليه.

٩- هناك في العمادية ثلاث عائلات مستثناة من السخرة من بينها عائلة بي يوسف برّشه. ويمكن للعائلات الثرية الحصول على إعفاء عن طريق تقديم بديل.

١٠- ألبالا، شرق وغرب، برلين ١٩٠٩، ص ٥٧٩؛ [الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي].

يرثهم جيلٌ عن جيل. والأغا الذي يوجد في كنفه وحمايته ثلاثة يهود أو أكثر كان يعتبر من الأغوات الأغنياء والمتنفذين لأن اليهودي يمثل رصيماً للأغا، لا من الناحية النظرية فحسب، بل لقيمتة التجارية المرتفعة ورواجه للبيع بسبب ما يستطيع تقديمه من خدمات.

كان الأغا في السابق يتاجر بيهوده ويجني من ذلك أرباحاً قد تتراوح بين (٣٠٠-٤٠٠) قران (ما يعادل ١٥-٢٠ جنيهاً استرلينياً) لكل يهودي يبيعه. فكان الأغا كلما احتاج مالاً يبيع أحد يهوده^(١١). وكان بإمكان الأغا أن يبيع اليهودي على مراحل، إذ كان يبيع قدم اليهودي أولاً وهو يقول: "بييكي جو بو خو دي فرووشم" أي (سابع إحدى رجلي اليهودي) وكان ثمنها يبلغ عشرة جنيهات استرلينية.

وتُظهر لنا القصة التالية كيف أن حياة اليهودي تعتمد على رواجه. إذ ذهب أطفال يهودي في چالا يوماً إلى الجبل لجمع الحطب، فحاول ابن أحد الأغوات إعاقتهم وقطع حبالهم. فنشبت جراء ذلك مشاجرة بين صبي يهودي وابن الأغا فقد على أثرها ابن الأغا أربعة من أصابع إحدى يديه. فلم يجرو بعدها الصبي اليهودي على العودة إلى منزله وفر إلى الجبال. ولما عاد ابن الأغا إلى البيت وقص ما وقع له، استشاط والده غضباً لكنه لم يكن قادراً على عمل شيء لأن عائلة الصبي اليهودي كانت تعيش في حماية الپس مير كردي آخر. فذهب الأغا والد الصبي إلى الپس مير وقال له "بعني يهوديك" لكن الپس مير رد قائلاً "لن أبيع".

أخيراً وعد الأغا الصبي اليهودي بالأمان (رييو بأخاد)، وعندما عاد الصبي إلى منزله بناءً على ذلك الوعد حاصر الأغا دار الصبي برجاله وقبض عليه، إلا أنه لم يجرو رغم ذلك على تنفيذ إنتقامه من الصبي اليهودي، بل أرسل بطلب الپس مير وعرض عليه شراء الصبي بمبلغ مائتي قران (عشر جنيهات استرلينية). فوافق الپس مير ولكن زوجته أشفقت على الصبي مما ينتظره وسهّلت له أمر الهرب. فهرب ولاد بالنساطرة النصارى في كوچانس.

كان الأغا يحمي اليهود من التعرض للإعتداء سواء من العشائر الأخرى أو من أفراد عشيرته نفسها^(١٢). وكان البائع المتجول اليهودي يقصر نطاق رحلته عادة

١١- يعاني النصارى أيضاً الورطة نفسها. فقد قال رئيس البلدية الكردي في زاخو لسعد: "في الفترة الأخيرة كتب إلي أحد البيكات الكرد، وهو مدين لي بمبلغ من المال، أن ليس عنده الآن نقود. لكنه سيبيع قريباً أحد نصاراه، أي ينقله إلى سلطة بك كردي آخر، عندها سيدفع لي" (١٦ سنة، ص ٢٥٥؛ [الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي].

١٢- في حالة القبائل الكردية الضعيفة قد يحدث العكس أيضاً. فعن السليمانية مثلاً كتب ألبالا: =

على القرى التي تتبع الأغا الذي يعيش هو في كنفه. وإذا أراد الذهاب إلى القرى التي لا تتبع أغاه يستحصل موافقة الأغا لذلك.

لم يكن تعرض اليهودي إلى السرقة والإعتداء مقتصرًا على ما يطاله من أسياده، بل ما يطاله أيضاً لإعتباره فرداً من أفراد العشيرة التي يعيش في ظل حمايتها. ويمكن لذلك أن يقع بسهولة ضحية لثارات بين العشائر ويدفع حياته ثمناً لها. ولكن المؤكد أن الثأر لدم اليهودي المقتول كان يتم بنفس طريقة الثأر لأي فرد آخر غير يهودي من العشيرة. ومثال ذلك عائلة الحاخام شالوم التي كانت تعيش في زاخو في كنف طي الذين يعيشون بين الجزيرة وزاخو والتي فقدت إثنين من أبنائها أثناء تجوالهما في ضواحي زاخو لبيع البضائع حيث التقيا جماعة من الشرنخيين الذين كانت لهم ثارات مع طي فقتلوا ولدي الحاخام ونهبوا بضاعتها. ورداً على ذلك أغارت طيء على بعض قرى الشرنخيين ونهبتها (ناحوم وزاخو).

أما دية القتل (ديمه) فليست محددة لأنها تعتمد على مدى سلطة ونفوذ حامي اليهودي القتيل. وحسب مصدر معلوماتي، لم تقع سوى حالات قتل قليلة لليهود في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى.

ففي قضية البائع المتجول اليهودي شابو من زاخو الذي قتل قرب العمادية، شكّلت محكمة فصل عشائرية من يهوديين ومسلمين. طلب اليهود تعويض عائلة القتيل بمبلغ قدره (١٠٠٠) روية بالإضافة إلى دية القتل. ولكن أولاد اليهودي رفضوا تسلم دية أبيهم^(١٣)، فوافقت المحكمة أخيراً على تعويضهم بالف روية تدفعها القرى الثلاث الواقعة قرب مسرح الجريمة.

في المقاطعات التي يكون اليهود فيها في حماية عائلات متنفذة قوية يذهب الپس مير إلى الأغا إذا انتهك أحدهم حق أتباعه اليهود ويطالب بتعويض عن هذا الإعتداء (نخپوسه، والمعنى الحرفي للكلمة: "الإذلال") فيعتمد الأغا إلى إستحصل مبلغ التعويض من القرية أو القرى التي كانت وراء الإعتداء، وإذا لم يتم للأغا تحصيل المبلغ بهذه الطريقة فإنه يلجأ حينها إلى السرقة. والسرقة هنا على ثلاثة أنواع:

١- السطو على قطعان الماشية والبغال والحمير وما إلى ذلك (گارينه).

= [السرقة في الليل شائعة في الأحياء اليهودية. حيث يقوم عدد من الأفراء المدججين بالسلاح بكسر الباب واقتحام الدار وحمل كل ما يختارون... واللصوص هم أتباع للأغوات ويعملون لحسابهم" (شرق وغرب، برلين ١٩٠٩، ص ٥٧٩؛ الترجمة عن الألمانية لرافائيل پاتاي)].

١٣- ثم مقولة شائعة بين الكرد: دمت ببيوخ خيلوخ، "أكلت دية أبيك".

٢- سرقة حيوانات الحراثة (جوتبييره).

٣- الإغارة على قطعان الأغنام والماعز (أربت ميسه).

وهناك قصة مثيرة عن سرقة جوتبييره في منطقة نيروه. فقد خرج الحاخام مردخاي المذكي الشرعي في نيروه، في رحلة ذات مرة حاملاً معه أدوات الكتابة التي يستخدمها في كتابة التمايم، التي يسعى وراءها اليهود وغير اليهود على حد سواء، مع بعض خيوط الكتان التي يصنع منها حبالاً مفتولة (كيجلا كتيينه) لإستخدامها في علاج الحمى.

ولما بلغ الحاخام حقلاً يحرقه فلاحان كُرديان بثيرانهما، وكان نير أحد الثيران مكسوراً، سأل فلاح الحاخام ما إذا كان يحمل معه بعض حبال الكتان ليربط بها النير المكسور، فانكر الحاخام أن معه حبالاً. لكن الكُرد لم يصدقوه وفتش أغراضه ثم أخذ منه حبال الكتان عنوة. فعاد الحاخام إلى نيروه على الفور وأخبره حامي الكُرد بما وقع له. فما كان من هذا إلا أن إستدعى بعض رجاله وأرسلهم إلى الفلاحين اللذين إعتديا على الحاخام وأخذوا منهما ثيرانهما وجلبوها إلى دار الحاخام.

ونتيجة لذلك أغارت قرية الفلاحين المذكورين على نيروه وفي القتال الذي تلى ذلك قُتل سبعة من الكُرد. وبعد فترة توقفت الإشتباكات بين الطرفين وجرت تسوية المسألة بالمفاوضات، فأرغمت قرية الفلاحين اللذين إعتديا على الحاخام على إعطاء الحاخام ثوراً كتعويض له (شاباتاي والعمادية).

المجتمع اليهودي

[يشكل اليهود أينما وجدوا، في كل قرية ومدينة مجتمعاً متماسك الأجزاء يفرض سيطرته على كل اليهود الذين يعيشون في نطاقه. ولا يتصور أحد بان اليهودي أينما عاش ليس عضواً في مجتمع يهودي، يشترك في نشاطاته الإجتماعية - الدينية ويخضع لقوانينه وأحياناً لنزوات قادة المجتمع. والسلطة في المجتمع تكون في يد الكفيريم (أي "الأسياء") والگاباي (أي رئيس الكُنيس) الذين يختارونهم. والأدوار التي يلعبها رجال الدين من حاخام (حبر) وحازان (مُنشد وقائد الصلاة) وشوحيط (المذكي الشرعي) ومعلم أو أستاذ (مدير المدرسة) وموهيل (ختان) هي أدوار هامة. والذي يساعد كل واحد من هؤلاء بطريقة ما هو الشَّمَّاش (سادن الكنيس) الذي ينجز أنواعاً مختلفة من المهام في الحياة اليومية للطائفة اليهودية. وكانت مراقبة ومعرفة توقيت الطقوس والشعائر الدينية والمراسيم والأعياد العائلية كلها تتم في إطار المجتمع اليهودي ويشترك فيها جميع أعضاء المجتمع، وهو الذي أضفى على حياة اليهود الكُرد المعنى والإثارة والمتعة والرضا].

الگاباي

يسمى رئيس الكُنيس گاباي [بالعبرية: رئيس الكنيس]، وهو منصب ينحصر عادة في عائلات يهودية معينة يتقلد أفرادها المنصب بشكل وراثي. وتتميز هذه العائلات بثرائها ومكانتها الإجتماعية ويحمل أفرادها لقب گاباي مثل يعقوف گاباي (في العماديه) أو إسحاق گاباي (في زاخو). وبما أن منصب الگاباي وراثي فهذا يعني أنه يبقى في منصبه لحين وفاته، لكن هذا لم يمنع تعرض عدد من هؤلاء للطرد والإعفاء بسبب عدم أدائهم مهام منصبهم على نحو مرضٍ. ففي العماديه مثلاً طرد من كانوا يشغلون منصب الگاباي أربع مرات خلال ثلاثين عاماً، أول هؤلاء إستقال لعدم إستطاعته التفرغ بشكل كامل لمهام المنصب. وثانيهم لم يستحق البقاء في المنصب لأنه كان يستغل أموال الكُنيس في تجارته، وقد وجد اليهود قسماً كبيراً من أموال الكنيس مفقودة من الخزينة بعد تركه المنصب.

وبما أن رغبة اليهود الكُرد في شغل منصب الگاباي لم تكن كبيرة (ربما بدأت هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة) فقد كان يجري إختيار الگاباي من قبل ثلاثة من

الكفيريم وسبعة بينونيم، وكان يجري ترتيب المسألة على النحو التالي: يقوم الرجال العشرة المذكورون (الكفيريم الثلاثة والبينونيم السبعة) بإختيار ثلاثة مرشحين لمنصب الگاباي، يقوم هؤلاء الثلاثة بعد إختيارهم بإجراء القرعة بينهم ومن يعلو سهمه في القرعة يجب عليه أن يقبل بالمنصب (في العماديه).

لم يكن الأثرياء من اليهود الكُرد الأغنياء يسعون لنيل منصب الگاباي، الذي كان في الواقع منصباً فخرياً لأن إدارة الكُنيس في كُردستان مهمة سهلة لا تتطلب كثير جهد. والكُنيس هو المنظمة الوحيدة التي يستخدم اليهود الكُرد أموالها لتغطية نفقات الخدمات الدينية والإجتماعية الهادفة لإزدهار المجتمع اليهودي. وليست هناك ضرائب يفرضها الكُنيس على أفراد المجتمع بل تتألف الأموال التي تتجمع لديه من التبرعات التي ترتبط جميعاً بالطقوس والشعائر الدينية اليهودية. والذي يشرف على هذه التبرعات هو الگاباي. وتأتي أموال الكُنيس من المصادر التالية:

١- المبالغ المستوفاة من بيع المناصب الفخرية، وهي غالباً ما تأتي من تلاوة التوراة (أنظر ما سيأتي)^(١).

٢- التبرعات المدفوعة الى قوِيَّات أريخا إذ يتبرع كل فرد لهذا الصندوق بقرش واحد أسبوعياً. هذا علاوة على ما يجمعه الشَّمَّاش للصندوق يومياً داخل الكُنيس. وگابايته صديقه [الگاباي-المرأة المشرفة على جمع الصدقات] هي التي تجمع هذه التبرعات من النسوة. والصدقات المخصصة للفقراء والمنطقة والفقراء المناطق الأخرى الذين يأتون الى العماديه تدفع لهم من قوِيَّات أريخا. وعادة ما تدفع أثمان أكفان الأموات للفقراء، والعطايا للشلحيم رسل الحاخام الذين يأتون من فلسطين في الغالب (في زاخو ودهوك والعماديه وبرشه).

٣- المبالغ المستوفاة عن طريق تخريم المخالفين.

٤- المبالغ التي تأتي من أنواع التبرعات الأخرى، كمؤون الزيوت والخمور وأخشاب الوقود وما الى ذلك. وتشمل هذه التبرعات في سنة التبرعات المقدمة من كل فرد من أفراد العائلة للكُنيس في يوم كيبور.

المبالغ التي تدخل في خزينة كُنيس العماديه تتراوح بين (٨٠-١٠٠) جنيه استرليني سنوياً في المواسم الجيدة، ما يعد مبلغاً ضخماً جداً بالقياس الى مستويات المعيشة في كُردستان. والقسم الأكبر من هذه التبرعات يدفعه الرجال

١- جرت العادة أن لا يدفع من يسعى لنيل مراتب الشرف الثمن نقداً بل يدفع سلعة. وعلى الگاباي بيع تلك السلع وإدارة الأموال.

الذين يُستدعون لقراءة التوراة. ومن بين واجبات الكاباي إدارة كافة الأمور المتعلقة بالكُنيس، كالإشراف على البناءات الجديدة فيه وترميم القديم منها والحفاظ على تحفه الثمينة (التوراة، التيجان، لوحوت الخ)، كما ويدير الكاباي أوقاف الكُنيس.

في بعض الأحيان تستخدم أموال الكُنيس في تغطية نفقات لا علاقة لها بالكُنيس، وهو ما يوضح حقيقة كون هذه الأموال في الواقع ملكاً لجميع أفراد المجتمع ويتم التصرف بها وفقاً لإحتياجات هؤلاء الأفراد. فذات مرة سحبت الطائفة في جالا من أموال الكُنيس لتسديد ديّة قنيل لإحدى العائلات. وفي قرية (قردا) جاء الى الكُنيس ذات مرة كُردي مسلم يندب المصيبة التي ألمّت به إذ كان سيدخل السجن إن لم يدفع ديناً مستحقاً عليه يبلغ خمسين فرنكاً. فما كان من الكاباي إلا أن نقده المبلغ من أموال الكُنيس، وكان لذلك أثر عميق في المسلمين.

لايتلقى الكاباي أي أجر عن الواجبات التي يؤديها، فكاباي زاخو أشرف مدة عام كامل على أعمال ترميم كُنيس زاخو دون مقابل. ولكن مؤخراً كانت هناك حالات مشابهة تم فيها دفع مقدار معين من الأجر عن هذا النوع من المهام.

وجرت العادة في العماديه أن يقيم الكاباي مآدبة للطائفة بعد عيد سوكوت، يطلق عليها سعودت كَتَيْتْ فصله، أي وليمة توثيق الحسنات" وكان يتم خلالها تسجيل المناسبات الفخرية في (سيمحات تور). وفي زاخو يُحفظ اللولاف في بيت الكاباي ليؤخذ بعدها الى الكُنيس (أنظر ما سيأتي). أما سعودات كوهين هاكادول، "مآدبة الكاهن الأعلى" فتقام في عشية يوم كيبور من قبل الكاباي أيضاً (في زاخو).

الحازان (المنشد)

لازالت إقامة الشعائر والطقوس الدينية محصورة بيد فرد واحد في المجتمع اليهودي، يكون عادة من بين أكبرهم سنّاً. وكذلك قد يقوم بواجبات المنشد "حازان" والشوحيط [المذكي الشرعي] ومدير المدرسة والختان شخص واحد فقط. لذلك ترى الحازان في كُردستان هو نفسه الحاخام، هذا علاوة على قيامه بكتابة الأدعية لليهود والمسلمين كذلك. ولكون القيام بالمراسيم والشعائر الدينية واجباً دينياً وطاعة لايتلقى الحازان أجراً على قيامه بها^(٢)، فإنّ عليه أن يكسب قوت يومه بالعمل مدير مدرسة أو قصاباً، وهناك حازانيم يعيلون عائلاتهم بالعمل في الحياكة.

ومع ذلك يتلقى الحازان بعض الأجور، فمثلاً يتقاسم مع الشّمّاش التبرعات التي

٢- أصبح في زاخو مؤخراً حازان خاص، لكنه غير مجاز للعمل كشوحيط.

يقدمها أوليم: الغرباء الذين يأتون الى المدينة للإشتراك في السبت والأعياد وهم الذين تسميهم التوراة موسيف. ومثل الشّمّاش يحصل الحازان على قسم من الهدايا التي تُقدم عند اللجوء الى حطاره (أنظر ص ٣٦٦) وكذلك على قسم من المبالغ المستحصلة عن طريق الغرامات. كما يحصل الحازان أيضاً على أجور مقابل إصدار الكتيوبوت وأوراق الطلاق (أنظر ص١٤٧).

أما واجبات الحازان الإعتيادية فتتمثل في ترتيل الصلوات وقراءة الحصة الأسبوعية من التشريع اليهودي لأنه (وكما أسلفنا) لايستطيع اليهودي الكُردي قراءة الحصة الأسبوعية من التشريع بنفسه. وفي كثير من الأحيان يوكل الحازان أمر ترتيل الصلوات الى المغنين في الطائفة. كما يشرف الحازان عادة على مراسيم ال(دراشه) بلغة التارگوم في السبت الذي يلي مينحه. وكل هذه الطقوس تستند الى الحصة الأسبوعية من التشريع، باستثناء الفترة بين الپاسوفر وعيد شافووعوت حيث يتعاملون مع بريقه آقوت [فصول الآباء].

ومن واجبات الحازان الأخرى الحفاظ على دفتر الطائفة (دَفتر كَنيشته) وسجل الوفيات (دَفتر ميته ليهاشكافا). وفي يوم كيبور يقرأ الحازان خلال هاشكافا على المصلين الأسماء الداخلة في (دَفتر ميته ليهاشكافا) وعادة تستغرق هذه العملية ساعتين (في العماديه).

وفي سنه لا يحتوي دَفتر كَنيشته إلا على قائمة باليضائع والمواشي التي يمتلكها الكُنيس، ولا تسجل فيه الولادات ولا الوفيات إطلاقاً، فكل عائلة تدون ولاداتها ووفياتها على الصفحات البيض الأولى أو الأخيرة من كتاب الصلوات.

الشّمّاش (السادن)

في كُردستان كما في الأماكن الأخرى يطلق على سادن الكُنيس إسم (شماش) (عموماً في العماديه وبالكُردية)^(٣) ولأن الشّمّاش هو الذي يقدم الطعام للغرباء فإنه يطلق عليه أحياناً إسم پارناسا (في زاخو). يعين الشّمّاش من قبل الكيفريم ولمدة غير محدودة، ورغم أن أجر الشّمّاش الذي تدفعه الطائفة قليل، إلا أن الكثيرين يسعون حثيثاً للحصول على هذا المنصب لما يتلقاه الشّمّاش من أجور إضافية تجعل عمله سهلاً خالياً من الهموم. وفي سنه يتلقى ايضاً سكتناً مجاناً في الكُنيس.

وتمّ شّمّاشيم يؤدون مهامهم تطوعاً كواجب ديني ولايقبلون أجوراً بأي شكل عدا

٣- في سنه بالكردية: خادم.



الشوحيط في سندور

الشوحيط (المذكبي)

كما ذكرنا سابقاً، فإن مهنة الشوحيط [المذكي الشرعي] يمارسها بشكل رئيس الحازانيم ومعلمو المدارس. ويتدرب المرشحون لهذا المنصب على يد شوحيط أقدم. وفي الكثير من الأحيان تكون هذه المهنة متوارثة، حيث يتدرب أبناء الشوحيطيم على يد آبائهم. وعلى العموم فإن الشحيطا [الذكاة] مهنة يتولاها الفقراء لأن أبناء الأغنياء يعملون في التجارة.

في السابق كانت سندور وبارزان مركزين رئيسيين لتعليم الحاخامات والمذكين. وحتى اليوم يقول الناس في كردستان: "التشريع من سندور وكلمة الرب من بارزان". وفيما بعد آلت المرتبة الأولى الى نبروه⁽⁵⁾، أما اليوم فتحتلها زاخو. ويجري تدريب المذكين في العماديه وفي عقره ودهوك ايضاً.

وكان التدريب على شحيطا يقوم فيما مضى على سفر يئمين موشي أما الآن فتمت الاستفادة من سفر زفحي شيدق. وهناك أيضاً كتاب كُردي للحاخام شمعون بن يونان بارزاني يتعلق بالموضوع بعنوان شيهيطات بارزاني لا يزال مخطوطاً⁽⁶⁾.

5- تنحدر عائلة بي أفيداني، التي ينتمي اليها أربعة من حاخامات العماديه، من نبروه في الأصل. وفي الرسائل التي نشرها مان (نصوص ودراسات، المجلد الأول) يظهر أن حاخامات العماديه بالدرجة الأساس كانوا هم من يمنح الشهادات، مثلاً الحاخام شمعون شموئيل دوگا (الرسالة رقم 8) وشمعون بن بنيامين هالافي (الرسالة رقم 15) - وربما ينتميان كلاهما الى أواسط القرن الثامن عشر.

6- فيما يتعلق بهذا الكتاب أنظر، أساف، لي تولدوت، الص 109-111. وقد جاء وولتر فيشيل بنسخة من هذه المخطوطة المؤرخة في 5420 = 1660م من كردستان.

الملابس التي يشتريها لهم الكاباي من أموال الكُنيس في عيد الفصح. ويوزع الشَمَاش زيوييت شماش (الخبز) الذي يجمعونه يوم الجمعة للفقراء. ومن هذا الخبز يأتي القسم الأعظم من دخل الشَمَاش، ففي زاخو يتجول الشَمَاش في شوارع المدينة عند انتصاف نهار الجمعة وهو ينادي تلمست شابسا إلبها مازيدلوحون، "خبز للسبت بارك الله لكم فيه". وتساهم كل عائلة برغيف من الخبز للفقراء. وقد يتمكن الشَمَاش التابع لكُنيس كبير من جمع حوالي مائة رغيف، فيما يجمع شماش كُنيس صغير حوالي خمسة وعشرين رغيفاً (وكذلك في العماديه). أما في سنه فينادي الشَمَاش لنفس الغرض: الله مازيز «مزيد» إلاخوم بريخا وبيتا «زويتا» شابسات، "زاد الله من بركاته لكم خبزٌ للسبت"⁽⁴⁾. بعض النسوة يتبرعن برغيفين واحد عنهن والآخر عن أزواجهن. ويتقاسم الشَمَاش مع الحازان المبالغ المستحصلة من الرجال الذين يُدعون لقراءة التوراة، أو يتبرع بها من ثلثت من أجلهم مي شَبْرَاخ. وتضم التبرعات ما يتبرع به الغرباء أوليم الذين يججون الى كُنيس المنطقة.

ويتلقى الشَمَاش كذلك الهدايا في الأعياد، ففي العماديه مثلاً يقدم الحاقريم للشماش الذي لايعتبر منهم بطبيعة الحال - دلواً من العرق كل سبت من الشافوكوت حتى السوكوت. وفوق ذلك يتلقى الشَمَاش قسماً من الكوربيله، طبق الرز والدجاج الذي ترسله عائلة المتوفى لحفاري القبر أثناء مراسيم الجنازة، وتفرق زوجة الشَمَاش عادة محتويات الطبق على أطفال الجيران كصدقة تحمي العائلة. وفي سنه يقدم للشماش رأس وحواصل كل ذبيحة من ذبائح الكِبَّارَه الكثيرة.

ومن بين واجبات الشَمَاش دعوة اليهود للصلاة وإيقاد القناديل والشموع وتوفير المياه لغسل الأيادي وتغيير كسوة التوراة وتغيير تيجان التوراة وما الى ذلك. وفي بعض الأماكن على الشَمَاش أن يصنع الشموع التي يستخدمها الكُنيس لأغراض معينة وتوزيعها على أعضاء المحفل في مناسبات معينة.

أما أعمال تنظيف الكُنيس فتتولاها امرأة عجوز في كل كُنيس يطلق عليها ميصفاً ولكن بإشراف الشَمَاش. وقد قيل عن إسحاق شماش العماديه بأنه كان يتأكد من أن صحائف التوراة قد تم إزالة الغبار عنها بشكل ممتاز عن طريق إختبار نظافتها بشعر لحيته. وقد ظل هذا الشَمَاش في منصبه مدة ثلاثين عاماً لنزاهته وورعه. فخلال مسيرة حياته كلها لم يأخذ أي شيء من يد زوجته مباشرة؛ وكان دائماً يغسل يديه قبل أن يوقد أي قنديل أو شمعة.

4- هذه العادة سارية بين المسلمين ايضاً في سنه.

كان من بين الذين تحدثت إليهم شخص تدرّب على الشحيطة في شبابه على يد والده لكنه لم يكن قد حصل على شهادة. وعندما بلغ السابعة والعشرين من العمر درس ثمانية أشهر على إثنين من الحاخامات في سنه. ويرافق التلميذ معلمه مدة ستة أو ثمانية أشهر للتدريب العملي. وعلى التلميذ كذلك أن يذبح بعض الحيوانات في حضور معلمه.

لا يحق لكل الحاخامات المختصين بالذبح منح الشهادات. وطالما أن الشهادة التي تُمنح في زاخو لها قيمة كبيرة في الوقت الحالي بصورة خاصة، فإن الحاخام إليياهو حاخام العماديه الحاصل أصلاً على الشهادة من حاخامات العماديه، يجب أن يحصل أيضاً على شهادة من حاخامات زاخو^(٧).

ويتوجب على المرشحين قبل الحصول على شهادة الإختصاص بالذبح أن يذبحوا بقرة بحضور الحاخامات. ويتم تناول لحم تلك البقرة في مادبة سعودات سميخه [بالعبرية: وجبة الإنتظام في سلك المذكين] يُدعى إليها الحاخامات وأفراد المجتمع.

وبما أن عدد المذكين يقصر عن تلبية الطلب عليهم، فإنه يُسمح بقيام من لم يكمل تدريبه منهم (الذين لم يحصلوا على شهاداتهم بعد مثلاً) بممارسة ذبح الحيوانات. ويعود ذلك في جانب منه إلى أن الأرباح الضئيلة المترتبة على المجتمع الصغير لا تكفي في الواقع لدفع أجور شوحيط مؤهل. لذا فعلى التلميذ في تلك الحالة إما أن يعمل مع تلميذ آخر أو تحت إشراف إثنين من الحاخامات^(٨).

وعلى المذكي الحاصل على الشهادة إجتياز إختبار إضافي من قبل المبعوث القادم من فلسطين، ويعتبر هذا الإختبار غاية في الأهمية.

وعلاوة على الشوحيطيم المقيمين، هناك أيضاً شوحيطيم متنقلون يخرجون من مدنهم في جولات إلى قرى المنطقة^(٩). ويظهر هؤلاء كذلك في عيدي الفصح والسوكوت لذبح الذبائح التي تحفظ العائلات لحومها للشئاء (أنظر ص ١١٣) أو أثناء الإحتفال بالختان والأعراس. وعادةً يعتبر قدوم الشوحيط حدثاً هاماً في القرى النائية فهو أيضاً الحاخام المسؤول عن الإرشاد الروحي لهذه المجتمعات.

يتلقى الشوحيط أجراً على وظيفته وقسماً من لحم الذبيحة - باستثناء الدجاج

الذي يذبحه للناس مجاناً. ففي زاخو يتلقى الشوحيط حوالي سنة بنسات (تكة واحدة) مقابل ذبح ثور، وبنسين (قمرى واحد) إضافة إلى كمية من اللحم والأحشاء مقابل ذبح خروف. ويحصل الشوحيط من بيع حصته لباعة معينين على مدخول كبير. وفي العماديه يحصل الشوحيط إضافة إلى أجره العادي على الذيل (دوما) إذا ذبح ثوراً أو بقرة وعلى الرقبة (قيديه)^(١٠) إذا ذبح خروفاً أو نعجة.

أما الشوحيط المتنقل الذي لايتيح له وضعه الإستفادة من حصته من لحم الذبيحة وأحشائها، فيتلقى عوضاً عنهما أجراً أكبر وكذلك مواد من قبيل الزبيب والتبغ و/المبيوخته [عصير العنب المركز]. وفي أحيان كثيرة قد ترافق زوجة الشوحيط المتنقل زوجها في أسفاره، وتعمل تقدينه. وتتمثل مهمتها في إزالة العروق والأوردة من لحم الذبيحة. وفي العماديه تنجز التقدينه عملها دون مقابل لأنهن يعتبرن ذلك حسنة، ميصفاً. أما في زاخو فتتلقى أجراً على ما تقوم به.

وبما أن ذبح الحيوانات مهنة مربحة في المجتمعات الكبيرة، فإن تعيين الشوحيط في كردستان يكون عادة سبباً في خصومات عنيفة قد تنتهي في بعض الأحيان بإراقة دماء بين المتخاصمين^(١١). وقد جرت محاولات للحصول على منصب الشوحيط بوسائل ملتوية. إذ يذكر بنيامين في كتابه حالة وقعت في المناطق القريبة من بارزان إشتري فيها يهودي أمياً تماماً هذا المنصب المغربي من أحد زعماء العشائر مقابل مبلغ من المال يدفعه له سنوياً^(١٢).

إن عقوبات إنتهاك قوانين الشوحيط شديدة جداً. وهذه حكاية بهذا الخصوص:

عاش حاخام قديماً في منطقة هرّكي وكان في عين الوقت شوحيطاً. وكان هناك سبعة حاخامات آخرين يعيشون في منطقة هرّكي. وذات يوم خرج الحاخام لتفقد حقوقه، لأن يهود منطقة هرّكي يمتلكون أراضي كثيرة. أثناء غيابيه ذبحت أخته ثمانى دجاجات بنفسها وطبختها في قدر استعارته ودعت الحاخامات السبعة للشاء. وعندما عاد أخوها في المساء ووصل الحاخامات السبعة إلى داره. وضعت

١٠- لدى الشوحيطيم في سنه (الذين يعلمون في المدارس أيضاً) الكثير من اللحم وخاصة في أيام الجمعة فيرسلون تلاميذهم ليجوبوا الأحياء ويبيعوا اللحم. واللحم رخيص الثمن لدرجة مثيرة. فسعر روتل واحد من اللحم في سنه بنسان فقط.

١١- المصدر السابق، الرسالة رقم ٢١، الص ٥٤٥ وما بعدها. تطلعتنا على حادث من هذا النوع.

١٢- تظهر قضايا من هذا القبيل عند اليهود في القوقاز أيضاً.

تعليم الصبيان*

لانملك في الواقع مصادر مادية تتعلق بمستوى التعليم بين اليهود الكُرد في الماضي. فاليهود الكُرد يفتقرون الى نتاجات أدبية، إذ لم يظهر لهم لحد الآن عمل أدبي خاص بهم. ولانملك في هذا الصدد سوى الرسائل التي نشرها مان، وهي خمس^(١) يعود تاريخها الى النصف الأول من القرن السادس عشر وتتحدث عن أمور تتعلق بنظام المدارس في كُردستان. وقد استعنا بهذه الرسائل عند الحديث عن المرأة الكُردية وعملها في مجال التدريس (أنظر الص ٢٠٧-٢٠٨). فهي تحكي وضع المدارس في القرن السادس عشر والذي يختلف قليلاً عن مدارس اليوم.

كتب الرسائل الحاخام يعقوف بن يهودا مزراحي^(٢) وزوجته وابنه. كان الحاخام يعقوف يدير مدرسة في العماديه؛ وكان يمكن العثور على تلاميذ مدرسته السابقين في العماديه ونيروه وشرانش (قرب برويلنايا) مثلاً. ولأسباب لم ترد في الرسائل، إنتقل من العماديه الى الموصل مخلفاً وراءه قسماً كبيراً من كتبه ومخطوطاته (أنظر الرسالة الخامسة السطر ٢٢-٤٠). وفي الموصل أسس مدرسة كان يدرس فيها تلاميذ من كُردستان نفسها. ولكن لم يكن ممكناً إبقاء المدرسة مفتوحة دون معونات؛ مما اضطر الحاخام يعقوف أن يخصص من وقته الكثير لكتابة رسائل يتوسل فيها المجتمعات اليهودية الكُردية وحتى المجتمعات اليهودية الموجودة في حلب وبغداد وديار بكر ومراغه (أنظر الرسالة الأولى السطر ٦٩) طلباً للعون.

وما وصلنا من رسائله هي عرائض طلب مساعدة من المجتمعات اليهودية في نيروه والعماديه وسندور. لكن حظ رسائله من النجاح كان ضئيلاً؛ لهذا اضطرت أرملته (والتي كانت تساعده في التدريس خلال حياته، أنظر ص ٢٠٨) بعد وفاته للإستمرار في كتابة رسائل طلباً للعون. وحينما كبر إبنيه شموئيل بن يعقوف مزراحي، سار على خطى والده في التدريس بالمدرسة وكتابة رسائل طلب المعونة

* [قارن المعلومات الواردة في هذا الفصل مع: رافائيل باتاي، التعليم العبري في مجتمع مراني بمشهد، باللغة العبرية، إدوت ١، رقم ٤، تموز ١٩٤٦، ٢١٣:٢٦٠].

١- مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص ٤٨٠ وما بعدها.

٢- يصفه مان بأنه "متعلم بارز" (ص ٤٨١)، وربما في ذلك شيء من المبالغة.

الأخت النبيذ والمرّه أمامهم، ثم جاءت بالدجاجات الثمانية المطبوخة. وعندما انتهوا من تناول عشائهم، سالتهم قائلة: كيف وجدتم مذاق لحم الدجاج؟ أجابها الجميع "جيداً جداً". ومضت الأخت في حديثها قائلة: "ليس هناك شيء غريب بشأن الدجاجات، أليس كذلك؟ فكما ترون ما تتطلب منكم وقتاً طويلاً كي تتعلموه تعلّمته أنا في ساعة واحدة، فهذا أنا قد ذبحت الدجاجات بنفسني وطبختها في الزبدة". عندها صرخ الحاخامات في أخيها: "ماذا فعلت؟" فأجابهم مرتاعاً: "لقد ظننت أن أهدكم هو الذي ذبح الدجاجات". إذن فقد ظن كلّ منهم أنّ الآخر هو الذي ذبح الدجاجات.

ونتيجة لذلك فرض الحاخامات على أنفسهم صيام سنة وعشرين يوماً كعقوبة. وحطموا القدور وحبسوا الفتاة ثلاثة أشهر في بيت منفصل (جود). وقد شاع حينها بأن جميع الحاخامات توفوا خلال تلك السنة، وهكذا انقرض جنس الحاخامات في منطقة هرّكي.

الى المجتمعات اليهودية، ويظهر بأنه كوالده لم يلاق نجاحاً يذكر، إذ نجده يشككي في الرسالة من أن عدداً من المجتمعات لم يقدم له أي عون طوال اثني عشر عاماً (راجع السطر الثاني عشر).

بالطبع لا يمكن جمع ألة كافية عن أوضاع التدريس من هذه الرسائل فقط، لكن وبالاعتماد على الخط العام لها نستطيع إستخلاص نتيجة عامة مفادها أن المدارس اليهودية في ذلك الوقت كانت في نفس مستوى المدارس الكُردية الآن^(٣).

المعلمون والمدارس

رغم أن المستوى الحالي للمدارس اليهودية في كُردستان ليس عالياً، ولكن الأمر الجدير بالذكر هو إرتفاع نسبة الصبيان الملتحقين بالمدارس والبالغه ٨٠٪ في مجتمع المدن الكُردية التي تعتبر في الواقع مجتمعات أمية تماماً.

ولا مفر هنا من التفريق بين مجتمعات المقاطعات الحضرية والمجتمعات الريفية. فاليهود الريفيون في كثير من الحالات يشكلون مجرد مجموعات صغيرة في القرى، ولايحظون بفرص توفير وسائل التعلم لأطفالهم. فإذا كان الوالد ميسور الحال في تلك المجتمعات فإنه يرسل ولده لكي يدرس لفترة في المدن، أو يوفر له التعليم حين يأتي الشويحط الى القرية باستبقاء الأخير فترة تمتد لشهر أو أكثر في القرية لتدريس ولده. وعلى العموم يشبّ القسم الأعظم من أطفال القرى وهم لايسنططيعون قراءة الصلوات أو ترديدها.

لكن الوضع مختلف تماماً في المدن حيث نسبة الملتحقين بالمدارس (كما ذكرنا) تبلغ ٨٠٪. ففي زاخو والعماديه يذهب جميع أولاد اليهود الى المدارس، وتبلغ نسبة هؤلاء في سنه ٥٠٪ فقط. وهكذا يمكن القول بأنه بخلاف الآباء المعدمين فإن جميع اليهود يرسلون أطفالهم الى المدارس. جميع التلاميذ اليهود (تلميذ) والجمع تلميذه) يدخلون المدارس في عمر أربع سنوات تقريباً، رغم أن هناك من الآباء من يرسلون

٣- من أشهر المعلمين الآخرين في العماديه: ح. ر. شمعون (في حوالي ١١٦٤٠)، ح. ر. إيليا (في حوالي ١١٨٤٠)، ح. ر. شمعون (في حوالي ١١٨٦٠)؛ ومنهم في زاخو: ح. ر. موشي إسحاق باكلوگنایا، توفي عام ١٩٠٠ عن سبعين عاماً، وكان من مشاهير المعلمين. وفي سفر شيريه زيمرا من تأليف ح. باروخ يوجد الكثير من أشعاره.

٤- في باشقلا يبعثون الصبيان الى المدارس عند بلوغهم السادسة أو السابعة حيث يدرسون حتى بلوغ الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة. قارن ما جاء في التقرير السنوي السادس للجمعية الأنكلو يهودية، لندن ١٨٩٧، ص٩٨.

أولادهم الى المدارس في عمر سنتين ونصف^(٤). وتعتبر المدرسة (بالعبرية: بيت مدرّاش، وتسميها النسوة كنيشتا) وما يتعلق بها شأنًا إجتماعياً عاماً ويتلقى المعلم أجره من المجتمع اليهودي. وكان هذا الأجر يصل في السابق الى جنيه وعشرة بنسات شهرياً، لكنه ارتفع لاحقاً ليصل ثلاثة جنيهات، وهناك الى جانب الأجر الشهري الهدايا التي يقدمها أولياء أمور التلاميذ للمعلمين. وتعتبر الدراسة شأنًا عاماً في مناطق چالا ونيروه وريكان، حيث يمكن للرجل الذي ليس له أولاد في المدرسة المساهمة في ميصفاً (حسنة) نشر التعليم.

أما في بقية أنحاء كُردستان فالمدارس خصوصية يمتلكها المعلم^(٥) الذي يتلقى أجراً شهرياً من آباء التلاميذ، يتراوح من ثلاثة الى عشرة قروش. وقد يتعاقد والد التلميذ أحياناً كما في سنه على الدفع للمعلم بحسب تقدم سير الدراسة في كل فصل. فهو يدفع مثلاً مقابل تعليم أليف بيت [الألفباء] الى سوف هميقرا [بالعبرية، "نهاية التوراة"] خمسين قراناً (خمسة جنيهات استرلينية تقريباً).

وليس في سنه عطايا أو هبات إضافية على الأجر الشهري للمعلم، بخلاف المدن الأخرى التي تشكل فيها هذه الهدايا القسم الأكبر من دخل المعلمين. إذ يحضر كل تلميذ معه كل يوم جمعة كعكة (في زاخو: زووعتا، والجمع زووبيتا)، ويحرص المعلم على أن لايتخلف أي من تلاميذه عن إحضارها لأنه سيعيده في تلك الحالة الى أمه البخيلة لإحضار الكعكة وتلقيها درساً في هذا الخصوص. وعلاوة على الكعكة يجمع المعلم من كل تلميذ رغيفاً من الخبز يحضره التلميذ في اليوم الذي تخبز فيه عائلته الخبز كل أسبوع، هذا علاوة على حصة المعلم من كل ذبيحة تذبحها العائلة. أما في أربيل فمن الطبيعي جداً أن يذهب التلاميذ لسرقة الجوز للمعلم.

ومن ناحية أخرى تزيد الهدايا التي تقدّم للمعلمين في الأعياد المناسبات من مدخولاتهم. إذ يرسل كل صاحب دكان من اليهود عادة هدية للمعلم مما يبيع من بضائع، فتاجر الألبسة يرسل له قطعة لباس والبقال يرسل له الرز أو الدقيق أو المواد الغذائية الأخرى، وعلى العموم يرسل له كل بقال هدية تليق بالمناسبة التي ترسل فيها اليه. وعلاوة على ذلك يتمتع المعلم بامتياز مالي آخر يكمن في إعفائه من دفع الرسوم المختلفة التي يجمعها أفراد المجتمع.

لايقتصر دور مدير المدرسة اليهودي الكُردية على التعليم فحسب، بل هو عادة

٥- المعلم: في العماديه وسنه مَعَلَم أو مَعَلَم. وفي زاخو ودهوك إستاز، وتجمع على إستازواسا. وفي العماديه (وخاصة للنساء) إستادي. وفي أربيل أوستال وتجمع على أوستالا، وفي سنه كليفه.

مسؤول عمومي ايضاً في المجتمع. فقد يعمل إضافة الى واجباته التربوية، عمل الحازان (المنشد)، والديان، والشوحيط، والموحيل. وعمله بصفة شوحيط عادة ما تكون له نتائج سلبية على أدائه التربوي^(٦)، وذلك لأنه يضطر بسبب إعداد اللحم ليوم السبت في الكُنيس الى التغيب طوال صباح الجمعة. ومعظم معلمي المدارس في زاخو يعملون مذكّنين لذا يطلب الناس خدماتهم باستمرار في أيام الجمع، وفي باقي أيام الأسبوع ايضاً^(٧). ورغم أن تغيب المعلم في حد ذاته ليس بمصيبة في الواقع لأن التلاميذ الأكبر سناً ينيبون عنه في تعليم الأصغر منهم، لكن المصيبة تكمن في إستغلال هؤلاء لموقعهم ذاك في القيام بالكثير من التصرفات الطائشة.

أما موقع المدرسة فيكون إما في بيت مدير المدرسة أو في الكُنيس (في زاخو والجزيرة والعمادية). ومدرستا العمادية تقعان في الكُنيسين الموجودين بها، وفي كُنيس ناقي حرقيل تقع غرفة المدرسة بجانب غرفة الحاقريم. وللجلوس يجلب كل تلميذ معه قطعة من نسيج صوفي. وفي فصل الشتاء على كل تلميذ أن يجلب معه قطعة حطب يومياً لتدفئة غرفة الدرس، لذا ترى التلاميذ حينها متوجهين الى المدرسة وكل واحد يحمل قطعة حطب يسيرون كالجند «حاملين أسلحتهم على أكتافهم» وهم ينشدون:

ساون آزأخن نوران أوداخلا: دعونا نذهب لإشعال النار

دوكان باسماخلا حيل أستاذيني آسه: كي نجعل الغرفة دافئة قبل قدوم المعلم.

زاقنيني بسرت كسييسا: سيشتري لنا لحم دجاج

تار أخلاخني تا خيظر قاراخني: كي ناكل ونتعلم.

شيميت إيلاهيني ياسناخلي: سنمجد إسم ربنا

تا خاطر ناظريني: كي يحرسنا ويحمينا

٦- [لأن أحبار اليهود وحاخاماتهم منشغلون طوال اليوم بأداء واجباتهم العديدة من ذبح للحيوانات وإزالة الشحم والأعصاب عن لحوماها، وعمليات ختان للصبيان في بيوت المسلمين، وكتابة الرقي والتعاويد وما الى ذلك، فإنهم لا يملكون الوقت الكافي لتسابعة تعليم الأطفال اليهود" (جَي). باسان، نشرة الرابطة اليهودية العالمية، العدد ٢٦ (١٩٠١)، ص٢٧٧، ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي].

٧- قارن ذلك بالرسالة التي كتبها أرملة يعقوف مزراحي: [كان الحبر، تعطرت ذكراه، منشغلاً بمعايناته ولم يكن يملك الوقت الكافي لتعليم الأولاد، لذا فقد حلت محلّه في هذا العمل وكنت معاونة له". (مان، نصوص ودراسات، المجلد الأول، ص٥١١، السطور ٦٨-٧٠؛ ترجمه عن العبرية رافائيل پاتاي].

من كالتو خالسليني: وينجينا من الكالتو (المنقى) (في العمادية).

هذا ويبيع الأولاد شتاءً في المدارس الأماكن القريبة من المدفاة بالمزاد فيما بينهم.

أما أعداد المعلمين والمدارس في أي مجتمع يهودي فتعتمد على حجم المجتمع أو المحفل. ففي أربيل هناك ست مدارس، وفي العمادية (كما أسلفنا) مدرستان في كل كُنيس مدرسة، وبيت مدرّاش شل عيزرا في العمادية السفلى لا يدرس فيها شتاءً إلا عدد صغير من التلاميذ وذلك لأن الطريق الى المدرسة تصبح شاقة بسبب غزارة الثلوج. وعلى كل حال لا يعيش إلا عدد قليل من اليهود في العمادية السفلى شتاءً. أما في الصيف فيزداد عدد التلاميذ في كل مدرسة ليبلغ ٤٠-٥٠ تلميذاً. وفي زاخو لا توجد سوى مدرسة واحدة لها أربعة من المعلمين، فيما بلغ عدد التلاميذ فيها في ١٩٢٠ حوالي (٢٥٠). أما في سنه فكان يدير المدارس فيها أربعة حاخامات لكل منهم بين ٤٠-٥٠ تلميذاً في بيته^(٨). أما عن المدرسة اليهودية في خانقين، التي سكانها يهود وكرد فقط، فنستعين بالفقرة التالية:

"ليس هناك تلمود تورا. وقد جمع حبران فقيران معدمان بمشقة كبيرة، كل في منزله الحقير، حوالي عشرين صبياً يلقناهم المباديء الأولية للعبرية"^(٩).

التعليم

اليوم الدراسي (دائه) مقسم الى نصفين: (دان بينوكه) الذي يمتد من الثامنة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً، و(دان أصرته) الذي يمتد من الواحدة من بعد الظهر حتى السادسة مساءً. وفي فترة الإستراحة من الثانية عشرة الى الواحدة، يذهب الأطفال الى البيت لتناول الطعام (في زاخو والعمادية).

يدرس الصبيان في المدرسة جميعاً في غرفة واحدة ولكن يتم تقسيمهم فيها الى فئات مختلفة حسب العمر^(١٠). وحينما يحضر أحد الآباء ابنه للمرة الأولى الى

٨- من ناحية أخرى [فان تلمود التورا، حتى في أكثر أشكاله بدائية ونقصاناً، لا وجود له في سنه. والقليل من اليهود يستطيع تلاوة الصلوات من كتاب الصلوات" (جَي). باسان، نشرة الرابطة اليهودية العالمية، العدد ٢٦ (١٩٠١)، ص٢٧٧، ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي]. ولكن ربما لم يعتبر باسان مدارس الحاخامات مدارس بمعنى الكلمة.

٩- نشرة الرابطة اليهودية العالمية، ٣٦ (١٩١١)، ص٧٤، [ترجمه عن الفرنسية رافائيل پاتاي].

١٠- تسمى المجموعات: في العمادية (جوات) وفي زاخو (جواته) والجمع (جواته ياسا) وفي سنه (كاوكه أو نسته).

المدرسة فإنه يحمل ابنه على كتفه كما يُحمل الخروف الى الجزائر. [حين يأتي صبي الى المدرسة أول مرة، يكتب المعلم كل حروف الهجاء بحروف كبيرة على ورقة، ثم يلطخ الحروف بالعسل ويطلب من التلميذ أن يلعقها. عندها يردد المعلم قائلاً: ريبونو شيل عولام، بي إيليه ماتو دوشا خيليا إيله هيدق تورا خاليا گو پوميت دايا يالا، "يا سيد الكون! اجعل التوراة حلوة في فم هذا الصبي كما الشهدا" ثم يخاطب الشخص الذي أحضر الطفل الى المدرسة (الأب أو الأم) المعلم قائلاً: *إستادي، پسرا تيلوك گرمه تيلان، "معلمي، اللحم لك والعظام لنا." وهو يعني بذلك "لاتحطم العظام، ولكن إضربه حتى يتعلم."* (في العماديه)]. وهكذا تتم تحليلية اللحظة المرة بحلاوة السكر. حيث يجلب الشخص الذي أحضر الطفل معه مخروط سكر، وحلوى سكرية، وبعض البيوض الملونة باللون الأحمر للمعلم (في سنه). ويتظاهر المعلم بعدها بأن الحلوى قد نزلت من السماء بطريقة عجائبية للتلميذ الجديد؛ وفي كل مرة يعود فيها الصبي الى البيت يحصل على بيضة أو قطعة من الحلوى فيركض عائداً مسروراً الى أمه ليحكي لها الحكاية.

القراءة هي أول ما يُدرّس في المدرسة. ويجلب كل تلميذ معه لوحاً صغيراً^(١١) الى *الميدراش*. ويتم لصق قطعة من الورق على لوحته، يكتب المعلم بعدها بقلم القصب (قَلِيمه) والحبر (في زاخو دويوا؛ وفي العماديه حوبره؛ وفي سنه مَرَكْف) حروف الأبجدية العبرية على الورقة بشكلها التقليدي تماماً. ويضم السطر الأول مما يكتبه المعلم على الورقة الحروف من *أليف* الى *يود*، والسطر الثاني من *كاف* الى *عين*، والثالث من *بي* الى *تاف*. وهناك بضع وسائل تساعد في رسم شكل الحروف وترسيخ الصورة في عقول الأولاد، حيث يتم غرس أشكال الحروف الموجودة في السطر الأول عن طريق الأشعار التالية:

ألف إيتلا أربه ريشاواث: أليف، له أربعة رؤوس

بي داخ كانونالا: بيت، مثل الموقد

جيمل إيتلا دوما: جيمل، له ذنب

دال داخ درگيلا [مگيلا]: داليت، مثل الباب

هي بروننا ويلاه گو خبيقتا: هي، لها إبن بداخل جسمها

قوا داخ قطيعه إيللا: قاف، مثل العصا^(١٢)

١١- في العماديه (لوحا) وفي سنه والعماديه (دَيه) وفي سنه (تخته).

١٢- قطيعه: العصا التي يضرب بها المعلم تلاميذه.

زين إيتلا ششتا: زين، لها عمامة

حيث داخ حودا^(١٣) إيللا: حيث، مثل دورق الماء

طيت إيدا ويلاه گو إيبيا: طيت، يدها على ثديها

يود زورتيللا ميخواتوخ: يود، صغيرة مثلك أنت (في العماديه)

[والنسخة التي ذكرها محدثي، وهو أيضاً من العماديه تتماشى مع القصيدة

المذكورة أعلاه لغاية الحرف (هي). والبقية هي كالاتي:

واو داخ صوبويتالا: قاف، مثل الإصبع

زين ششتيله بريشا: زين، لها تاج على رأسها

حيث داخ درگا إيللا: حيث، مثل الباب

طيت ريشا لكييا علگاوا: طيت، رأسه ملقو الى الداخل

يود زورتيللا ميخواتوخ: يود، صغيرة مثلك أنت

السطر الثاني:

كاف حور كنونا: الكاف مثل الجحر المستدير

لامد ... (؟): لامد (؟)

ميم إيللا غلقتا: ميم، مغلقة (الميم المنتهية)

نون ريشا نيللا مومتا إيلي تودوما نيللا دعيبنا إيلي: نون، رأسها مستقيم

وذيلها منحني

نون پورشاقتا: نون، ممدودة (النون الأخيرة)

ساميخ جنجوگير نيللا: ساميخ، مدورة

عين تري ريشي نيللا: عين، لها رأسان

السطر الثالث:

بي ريشا نيللا دعيبا علگاوا حور خووا: رأس بي ملقو الى الداخل كالأفعى

بي پورشاقتا: بي ممدودة (بي المنتهية)

صاديك گيمشايبا إيعيني أوناخيرا أويوما: صاديك، تشبع العين والأنف والفم

صاديك پورشاقتا: صاديك الممدودة (المنتهية)

١٣- بالعربية (حوض)، ماكلين، القواعد، ص ٩٤.

قوف (ريش، شين) إيللا حميلتا ريش دا أقلا: قوف، (ريش، شين) تقف على رجل واحدة^(١٤)

تاو أخلتا پلومتيلتا: تاو، رجلها معقوفة.]

إضافة الى ما تقدم يتم إدخال الحروف في كلمات سهلة على الصبي وتكون ضمن نطاق تفكيره. وهناك سلسلتان من الكلمات، تضم إحداهما أسماء الأطعمة والأخرى أسماء المدن والقرى. وسلسلة الكلمات الخاصة بالأطعمة هي: أرعورا (المن) بيعه (البيض) جوزي (الجوز) دوعه (ناتج فصل الزبد عن اللبن) هناره (بالكرديّة، رمان) وردّه (وردة) زَبْشا (بالكرديّة، رقي) حَبرمين (عصير الرمان) طاحين (زيت السمسم - الراشي) يَفْشاتا (زبيب) (في زاخو والعماديّة)^(١٥). [وأضاف محدثي من العماديّة زيتي (الزيتون) وحوّنه (الحناء). والسطر الثاني يرد فيه: كاميسري أو كارصيني (الكمثرى) لوبيه (اللوبياء) مشمشه (مشمش) نيمويه (الليمون) سوسينه (ثمرة تنمو في الجبال؟) علوجه (الأجاص). ويرد في السطر الثالث: پرتاقيله (البرتقال) صَنصَفِي (نوع من الثمار؟) قَرعه (القرع العسلي) ريشتَنيسه (الرشطة أو الشعيرية) شَعده (اللوز) توسه (ثمار التوت) أو ترعوزي (خيار الماء).]

أما أسماء المدن والقرى وغالباً القريّة من العماديّة فهي كالآتي: (١) ورمي (أورميه، بغداد، غارگو، دهوك، هيزان، وان، زاخو، الخليل، طبريا، القدس؛ (٢) كركوك، ليوين (قرب تياربي)، ملاختا، نصيين، سابرا، العماديّة؛ (٣) پنيانيش، صيوا (قرب العماديّة)، قَدش [عقدش] وتبعد عن العماديّة مسيرة ساعة ونصف الساعة) رَقلا، شَرانش، تاصيا (قرب أورمار). [وهناك نسخ مختلفة أيضاً من السطر الثالث لأسماء المواقع: صابلاق (والأصح صابلاغ)، قارو (قرية تبعد عن العماديّة مسيرة يوم) روبار (إسم لنهر وللقرية التي تقع على ضفته، وتقع قرب العماديّة) أو رولكه (مدينة تبعد عن العماديّة مسيرة يومين)، وتغليس].

وبعد أن يستوعب التلاميذ الحروف يقوم المعلم بكتابة مجموعات مركبة منها على لوحة التلميذ. حيث يجري مزج الحرف الأول بالحرف الأخير والحرف الثاني مع

١٤- ["يقول المثل: شيفر (الكذب) لا أرجل له." والمعنى أن الحروف شين وقوف وريش لا أرجل لها لذا فلا يمكن للكذب أن يظل واقفاً.]

١٥- في هذا السياق توجد في سنه تنويغات عدة: دوشا (عسل) حَلوا (حلوى) زاتيه (كعك) حَنّه (حناء) تينه (تين).

الأخير ولكن ليس مع الأول وهكذا دواليك كل حرف مع الذي يليه فقط. لذا يقرأ التلاميذ تركيبات مثل: أَلِف-تاو، آت، بي-شين، باش؛ هي-صاد، باصوطه (الصاد المنتهية)، هاص وهكذا دواليك. وتنتهي هذه القائمة بتركيبات الحروف يود ميم يام، كاف لامد كول، أما السطر الأخير فيرد فيه: موشي، حازاق، حازاق، حازاق (في العماديّة وزاخو ودهوك وسنه). وفي أربيل يتعلم الأطفال تركيبات الحروف أبجد، هُوژ، حطي، كَلْمَن، سعفص، قَرَشَت^(١٦).

ولمدارس العماديّة نظام خاص للمبتدئين، حيث يتعلم الأطفال الأساسيات بطريقة عملية. إذ يضع المعلم ثمرة معينة أو أي طعام آخر في يد الصبي ويقول: بروني بِيرَخ، "ياولدي، ردد البركة" وفي نفس الوقت يتعلم الأطفال الألفباء أيضاً بهذه الطريقة. والخطوة الثانية هي ماخوره (مثل هذا). ويجب على الطفل أن يعين بإصبعه في كتاب مطبوع الحروف التي تعلمها. وبعد الماخوره تأتي نوقطه، "نقاط أحرف العلة" - تعلم أحرف العلة؛ وفي الختام حُجه، "المقطع"، أي مزج الحروف والنقاط لتشكيل المقاطع (في العماديّة)^(١٧).

وحيثما ينتهي الطفل من تعلم الحُجه، يحتفل بالمناسبة بجلب إناء من الثمار الى المدرسة للمعلم والتلاميذ لأنه سيشرع بعد هذا في القراءة من كتاب مطبوع.

دراسة الكتاب المقدس

تبدأ دراسة اليهود الكُرد للكتاب المقدس بسفر ليفيتيكوس (ليفي)^(١٨). ويتوج الوالد اللحظة السعيدة التي يبدأ فيها طفله قراءة التوراة، بإقامة مأدبة عشاء يدعو إليها المعلم وعدداً من الأعيان وبعض التلاميذ الأكبر سناً من ابنه. وفي صباح اليوم التالي يحمل الصبي إناءً آخر من الفاكهة الى المدرسة هدية لزملائه التلاميذ (في العماديّة وكذلك زاخو).

ويتشابه الأمر في سنه حيث يبدأ الصبي قراءة التوراة من سفر ليفيتيكوس؛ ولكن الذي يختلف هو أن المعلم يكتب له البداية - حتى يصل الى الفصل الثاني - على

١٦- حدثني آيرين غاريل بأن هذه التراكيب نفسها كانت تستخدم في السابق في تعليم الألفباء في المدارس العربية. [ولازالت تستخدم الى يومنا بين يهود إيران وكثير من الدول الشرق أوسطية؛

قارن كتاب التعليم العبري لباتاي، الص ٢٢٠-٢٢١.]

١٧- يسمى الصف الدراسي في زاخو: تنياسا، نوكته حُرْفه، ميهاكوي. وفي سنه أَلْف بيت، نوكته، حجوهي.

١٨- في سنه: قارن مع "شبتيت ديلومخه" ليوسف ي. ريتلين، زاويون يبيوت، ٥٩:٤:١.

صحائف منفصلة يقرأ منها التلميذ. ويطلق على هذه الدروس في سنه *پالي* "الصحائف". ولايشترى الوالدان للتلميذ تورا مطبوعة إلا بعد إنتهائه من *پالي*، حيث تقدّم في احتفال بالمناسبة هدية لمعلم التلميذ. وفي الصباح التالي يأتي الأب ونساء العائلة الى *المدرّاش* جالبين معهم عدداً من مخاريط السكر.

وقراءة سفر ليفيتيكوس هو مجرد تدريب على قراءة الكلمات. والأطفال لايفقهون منه شيئاً، لأنهم يقرأونه دون ترجمته. وحين يبلغ التلميذ فقرة *پاتوت توتا* بيتيم (ليقي ٦:٢) يجرّ المعلم أذن التلميذ قائلاً: "ماذا ستدفع لنا؟" فيذكر الصبي مبلغاً من المال يتماشى وقدره والده المالية، حيث يشتري المعلم بذلك المال فأكهة لتلاميذه (في العمادية وسنه)^(١٩). أما في زاخو فعند بلوغ التلميذ الفقرة المذكورة يحضر التلاميذ طعامهم الى المدرسة ويأكلونه في تلك اللحظة، ويقومون خلال وجبة الطعام بتقطيع الخبز قطعاً صغيرة يلقونها في المرق. وهو ما يفهمه الأطفال من فقرة *پاتوت أوتا* بيتيم. أما في أشنويه فيطلب والد التلميذ الذي بلغ في قراءته تلك الفقرة من ابنه قراءة سفر ليفيتيكوس من البداية. بينما تهدي والدة التلميذ في تلك الأثناء الى المعلم مبلغاً من المال مع صينية من الطعام والعرق. وبعد إنتهاء التلاميذ من قراءة سفر ليفيتيكوس ينتقلون لدراسة الأرقام وسفر تثنية التعاليم وسفر التكوين وسفر الخروج بهدف تعلم القراءة فقط دون فهم معناها (زاخو والعمادية وأشنويه)^(٢٠).

يختلف تسلسل المراحل في أشنويه، حيث ينهي التلميذ قراءة فصول من سفر ليفيتيكوس لحين تيسر القراءة عليه لينتقل بعدها لقراءة سفر التكوين. وبعد سفر الخروج يأتي سفر يشوع وكافة الأنبياء والكتابات، ولكن مع هذا يظل الأطفال جاهلين معنى ما يقرأون. وخلال هذه الفترة يحضر كل تلميذ إناءً مملوءاً بالطعام الى المدرسة خمس مرات: حين يبدأ بقراءة سفر ليفيتيكوس، وفي بداية قراءته سفر يشوع، ولدى قراءته سفر الأناشيد، وأخيراً عند إنتهائه من كلّ الأسفار (في زاخو).

لايبدأ التلميذ قراءة الشّرع إلا بعد بلوغه العاشرة، والشّرع هي دراسة تفسير (بيروش) للنص التوراتي وترجمته الى التارگوم، لغة التلميذ. وترجمة النصوص شفاهية توارثها اليهود جيلاً عن جيل. وسفر الأناشيد هو السفر الوحيد غير المترجم (في زاخو).

١٩- في سنه يقول المعلمون: *خا أكليلا خوارتا هاميتي! كميتي؟*، "هات لي دجاجة بيضاء، هلا قرعت الجرس؟"

٢٠- أنظر أيضاً: ريفلين، شبتيت ديومخه، ص ٥٩، ن ١.

ويختلف ترتيب مراحل هذه الدراسة في العمادية أيضاً. إذ يقيم والد التلميذ مادبة سعورت تبيمت تورا [مادبة ختم التوراة] عقب إنتهاء ابنه من القراءة البسيطة للتوراة... بعدها يبدأ الصبي بقراءة سفر التكوين ثانية ولكن في هذه المرة مع تلميذ أكبر سنّاً يجلس الى جانبه وهو يتلو عليه ترجمة السفر مع قراءته هو.

أما واجب تعليم التلاميذ فليس مقصوراً على المعلم لوحده، إذ يساعده في ذلك تلاميذ الصفوف المتقدمة. ويمضي هؤلاء نصف ساعة يومياً في تعليم تلاميذ الصفوف الأولية. بعدها ينهي تلاميذ الصفوف المنفصلة (أو التلاميذ المنفصلون) حصة الدرس بأنفسهم. إذن لا يدرّس المعلم سوى المبتدئين وكبار التلاميذ فقط. وهناك في كل يوم دراسي إمتحان (تينايا) يقف فيه التلميذ ومعلمه-التلميذ أمام مدير المدرسة يستذكران ما تعلّما. وإذا أخطأ المبتدي يستجوبه المعلم ليعلم أهو المخطيء أم معلمه التلميذ، بعدها يتعرض المقصر الى العقوبة. لا شك أن المعرفة التي يكتسبها هؤلاء التلاميذ سطحية، إذ لايتعلم سوى عدد قليل منهم القراءة بطلاقة وأقل من هذه القلة يفهم ما يقرأ.

التلاميذ الأكبر سنّاً يقرأون (عين ياكوف وبيت ياكوف) بالإضافة الى الكتاب المقدس. أما المصادر المتعلقة بالتشريع فيدرسون منها الميشنا وأوراح حاييم، ولكن دراسة الجيمارا (شروح الأحبار بالأرامية على الميشنا، والتي بإجتماعها مع الميشنا تؤلف التلمود - المترجم) نفسها غير معروفة (العمادية، زاخو، دهوك، سنه). وبما أن معظم الطلاب يترك المدرسة في الثالثة عشرة أو قبل ذلك للعمل وكسب الرزق، فإن عدداً قليلاً جداً منهم يتجاوز في دراسته الكتاب المقدس.

وعند بلوغ التلميذ تُضاف الى منهج المدرسة بعض دروس تعلم الكتابة والحساب، ويتم تدريس المادتين في فترة ما بعد الظهر. ويتركز درس الحساب (رَقَم) يتركز في تعليم التلاميذ المعلومات التي ستفيدهم في حياتهم العملية من قبيل حساب الأرقام وأسعار البضائع وكيفية ترتيب فواتير التجار^(٢١).

العقوبات

العقوبات المدرسية فصل قائم بذاته، فقد إتضح لنا بأن اليهود اكتسبوا بعضاً من قسوة وخشونة البيئة الكرّدية. ويتضح ذلك من سلوك المعلم ومن طبيعة العقوبات

٢١- في باشقلا يستخدمون المسيحة (تسبي) لتعليم التلاميذ الحساب (التقرير السنوي السادس للجمعية الأنكلو يهودية، ١٨٩٧، ص ٩٨).

(في العمادية، جزاً؛ وفي سنه، جريمه) التي سرعان ما يفرضها على تلاميذه.

ويدعم والدا التلميذ قسوة المعلم هذه، وقد رأينا كيف أن ولي أمر التلميذ حين يحضر الطفل للمدرسة لأول مرة يجيء به وهو يحمله على كتفه، ويظهر لنا هذا أنه ينظر الى ابنه كضحية قوربان، يسلمه للمعلم بهذه العبارة: "ميخوات قوربان طي، إستيدت عولام، ضحية لرب العالمين". ويضيف الى هذا القول: يسره طيلوخ كارمه طيلي، اللحم لك والعظم لي"^(٢٢). [فهم يعتقدون بأن الأجزاء التي تتعرض لضرب المعلم من جسد الصبي تحرم على نار جهنم. وهكذا فحينما يعود الصبي الى بيته متشكياً من ضرب المعلم، يواسيه الوالدان بالقول: بروني، مل مَخيلوخ إستيدوخ، كو دوكيت شَبوقيت علاكلي إيبا نوري جهنم لي غاكيم إيبا، دع المعلم يضربك، فلن تطل النار ما تلمس عصاه من جسدك". (في العمادية)].

ويعاقب صغار التلاميذ بإجبارهم على الوقوف على قدم واحدة (في العمادية) أو الوقوف حفاة على الأرض الساخنة (أربيل). وهناك عقوبات أخف كجرّ الأذن الذي يسميه التلاميذ (مرواده) القرط، وجرّ الأنف الذي يسمونه (حوزيمتا) قرط الأنف. ولضرب التلاميذ يستخدم المعلم أنواعاً متعددة من العصي (في العمادية: شيبوكه، وفي سنه: طول) والعصا الغليظة (في زاخو: قطيعه، وفي سنه: صيوه). ويطلق التلاميذ على ضرب باطن الكف بالعصا دَس كوركه، "القفازات". هذا ويغتتم التلاميذ كل فرصة تتاح لهم لإخفاء أو كسر عصي المعلم.

أما العقوبات الأشد من هذه فهي *التلوعه* (في سنه: *تالوعه*)، "التعليق" وفَلَق (في سنه: فَلَقه) وهي عقوبة معروفة وشائعة في المنطقة إذ يشد تلميذان بإحكام قدمي المذنب بين لوحين معدين لهذا الغرض ويقوم المعلم بضرب باطن القدمين بالعصا. أما *التالوعه* فيجري فيها تعليق التلميذ المذنب من قدميه بحبل يمر من فوق عارضة خشبية معدة لهذا الغرض. وفي مصطلح الصبيان يطلقون إسم قناره على المكان الذي تجري فيه عقوبة *التالوعه*، أي مكان تعليق الذبيحة بعد الذبح. فتراهم يقولون للتلميذ المذنب قناره ولبلا محدرتا طيلوخ، "لقد أعدوا لك المذبح" (في العمادية). ولزيادة الأمر سوءاً على المذنب يضع الصبيان كمية من الروث على الأرض قريباً من أنف المذنب ويشعلون فيها النار فتفتث عليه رائحة خانقة. وبعد ذلك، وكان ما تعرض له لم يك كافياً، يجبرون التلميذ المعلق على إستذكار وتلاوة حصة التوراة

٢٢- في سنه يقول الوالد للمعلم: "يسرو طالوح كرمه أو مشكو هولوا باكي،" خذ لحمه وأعد إليّ جلده وعظمه فحسب".

الأسبوعية وهو على تلك الحالة (في العمادية).

هذه العقوبات رغم كل شيء ورغم قسوتها لا تُفرض على نحو علماني (إن جاز التعبير)، بل تُفرض وتنفذ على أنغام آيات التوراة. فترى الأطفال يضربون على إيقاع سفر الأناشيد ٣٨:٧٨ قنهور/حوم وهكذا دواليك (في العمادية وزاخو وسنه). وفي سنه إذا ضرب المعلم طفلاً أثيراً لديه فإنه يقرأ الآية: "ليمنحك الرب من ندى الجنة وأماكن الأرض الغنية وكثيراً من الذرة والنبيد" (سفر التكوين ٢٧:٢٨).

ويشيع كذلك في المدارس اليهودية معاقبة الأطفال مقدماً كإجراء وقائي. إذ يصف بعض المعلمين مثلاً التلاميذ مرتين كل يوم - عند الظهيرة وفي المساء قبل ذهابهم الى بيوتهم - في صف واحد ويضربهم بخفة على أكفهم المبسوطة على إيقاع الأشعار التي يرددونها ونصها: [ك شكري يا إلهي، يا إلهنا وإله آبائنا إذ جعلتني من الذين يجلسون في بيوت التعلم ولم تجعلني ممن يجلسون في زوايا الطرق" ب. براخوت ٢٨:٦] (العمادية وأشنويه). وفي بعض المدارس يضرب المعلم التلاميذ يوم الجمعة كنوع من "الدفع مقدماً" ليضمن حسن تصرفهم في اليوم التالي^(٢٣). هذا وتصل قسوة بعض مدراء المدارس حد الإفراط، إذ وعت حالات تعرض فيها التلاميذ لضرب مبرح أقعدهم في فراش المرض لعدة أسابيع.

أحياناً يذهب التلاميذ في الطقس الحسن الى ضفة النهر بدلاً من الذهاب للمدرسة، فيعاقب الجميع على إثرها *بالتلوعه* (في العمادية). وقد حدثوني عن تلميذ خرج في نزهة بريئة الى محل يبعد عن العمادية مسيرة ساعة بدلاً من الذهاب الى المدرسة. فأسرع المعلم للحاق به، فما كان من الصبي المرتعب إلا أن واصل الهرب خوفاً منه وإستمر يعدو حتى بلغ بامرني التي تبعد مسيرة ست ساعات عن العمادية. وهناك وبعد أن خارت قواه أمسك به المعلم الغاضب وأشبعه ضرباً حتى لم يعد الصبي قادراً على السير أو الكلام. فتعين على المعلم الذي كان لا يزال يغلي من الغضب أن يحمل التلميذ في طريق العودة الى البيت. ولما ملّ من حملته الثقيل ألقى التلميذ على الأرض وكانه يلقي كيساً.

ويستغل المعلم تلاميذه لأغراضه الخاصة. ففي سنه مثلاً وعند ذهاب المعلم للعمل كشوحيط عند شخص ما، فإنه يفرض على تلاميذه إنجاز أعماله المنزلية اليومية والتي تتمثل في تنظيف البيت والتسوق وإحضار مواد البناء، أي باختصار يعامل تلاميذه معاملة العمال.

٢٣- في سنه يضرب التلاميذ يومياً، لكن دون أن يرافق ذلك ترديدهم الأشعار.

وإجمالاً يعتبر التعليم في مستوى متدن، إذ لا يتعدى ما يتعلمه الطفل القليل من القراءة والكتابة دون فهم ما يقرأ. ولهذا ليس من الغريب أن تجد في بيئة كهذه عقوبة كالتي سنصفها فيما يلي: يوقف الطفل الذي لا يعرف شيئاً في إحدى زوايا الغرفة ويقول المعلم للتلاميذ: روكون إيللي تار لايب، "ابصقوا عليه لكي يتعلم" - وهو ما يقوم به باقي التلاميذ (في العماديه)^(٢٤). فبئس التلاميذ الصبي الغبي بقولهم: أماريضا، توركا ليسا، "جاهل، كيس الصمغ". [ومرة أخرى يعيرون صبياً كهذا بقولهم: ريشوخ ريش كيا إيله، "رأسك رأس حجر!"].

ولعلاج تخلف التلاميذ يتم اللجوء الى العلاجات السحرية، حيث يقوم الحاخام كما في حالة الرجل المريض بكتابة أسماء ملائكة معينين على قصاصة ورق أو بيضة ويغسل الحبر عنها بماء يشربه الطفل. وقد يكون العلاج أكثر فعالية إذا كُتبت أسماء الملائكة على ثمار اللوز. وعلى الطفل وضع ثمار اللوز تحت وسادته عند النوم ليأكلها صباحاً. ويُنظر الى ثمار اللوز على أنها ذات فاعلية كبيرة لأن شجرة اللوز تحمل ثمارها قبل الأشجار الأخرى. وهناك علاقة بين اختيار اللوز وبين سفر الأشعار الذي يقول: "ثم قال لي الرب: لقد رأيت بنفسك، لأنني أراقب [الضمير هنا يعود على شجرة اللوز] كلماتك لكي تنفذها (سفر إرميا ١: ١٢).

والأطفال أيضاً يمارسون السحر. حيث يلقون الورقة التي يكتبون عليها تمارين الكتابة في أحد الينابيع أمليين أن يصبحوا (معيان حوخما) ينبوع حكمة. وتم ممارسة تناقض هذه تماماً وتكمن في قيام أحد التلاميذ بإحراق ورقة تمرين الكتابة العائدة لأحد زملائه معتقداً أنه بذلك إنما يحرق معها ذكاء صاحبها (في سنه). وكذلك حين يقوم التلاميذ بقص أقلامهم القصبية من نبات القصب ياكلون نخاع القصب لإعتقادهم بأن ذلك يجعل منهم خطاطين مهرة (في زاخو). كما يعتقد التلاميذ بأن لعق الحبر أيضاً يجعل منهم خطاطين (في العماديه).

أما العلاقات السائدة بين التلاميذ في المدرسة فهي على العموم جيدة، حيث يتبادلون القاباً أبرزها وأحسنها لقب يوعاب بن صيرويوا أو أفتر بن نير. ولقب ابن الكثير هو داويد. أما المشاكس فيُنعت بلقب تيتوس أو يروفعام بن نبات.

السفرات الطلابية

أهم أحداث العام الدراسي يتمثل في السفرات الطلابية (سرينه تلميذا) حيث

٢٤- فيما يتعلق بالبصاق علاجاً سحرياً، أنظر أيضاً ص ١٨٨.

يشعر التلاميذ أنهم بالغون وبالمودة تجاه الأكبر منهم. وأهم تلك السفرات الطلابية يكون في الپاسوفر (سرينه پاتيره) وشافوعوت (سرينه زييرا) والپيوريم (سرينه ميگاله) وهانوكه (سرينه حنوكه). وإضافة الى هذه، هناك سفرات أخرى خاصة كما في شاباث نحامو وفي المناسبات التي تخص التلاميذ مثل عيد ميلاد أحد أبناء المعلمين أو إنتهاء أحد التلاميذ من قراءة التوراة (سرينه حَتيمه تورا).

للتلاميذ في كل مدرسة رئيس أورويت تلميذا. يساعده شماش تلميذه وإثنان من الصبية مهمتهما قطع الأخشاب لتوفير الحطب (تويرت صيوه). وهؤلاء الثلاثة الشماش والحطبان مستثنون من دفع التبرعات لصندوق الطلبة.

للتلاميذ صندوق لجمع التبرعات يدعمونه بطرق متعددة، منها إستلام التبرعات من الرجال الذين يدعون لقراءة التوراة والعرسان، وإشدين العريس، وآباء الأطفال المولودين حديثاً. وتستخدم أموال الصندوق لتغطية نفقات السفرات الطلابية. فقبل القيام بأي سفرة يجمع أورويت تلميذا المال من التلاميذ، حيث يتم شراء خروف بذلك المبلغ - هذا إن لم يكن شراء الخروف من واجب والد أحد التلاميذ كما هو الحال عندما تكون السفرة بمناسبة إتمام ابنه قراءة التوراة في سرينه حَتيمه تورا - بعدها يقوم شماش تلميذه بجولة على بيوت التلاميذ لجمع بقية لوازم السفرة.

قد يدعو التلاميذ أحياناً البالغين للإشتراك في سفرتهم، وخصوصاً الأغنياء لأنهم سيحضرون معهم بعض العرق. وفي الموقع الذي يختاره البالغون للسفرة تخصص للتلاميذ زاوية خاصة بهم (دوكه تلميذه) حيث يشجعون في الرقص والغناء. بينما تقوم النساء المشتركات في السفرة تترزعهن زوجة المعلم - بطبخ طعام السفرة في الموقع (في العماديه وأشنويه). وكما أسلفنا يقوم التلاميذ بالإعداد لسفرة إذا رزق معلمهم بصبي. ويقومون بجمع الطعام بنفس الطريقة التي يجمعونها للإحتفالات الأخرى، وتقام مأدبة للإحتفال بالمناسبة في بيت المعلم (في العماديه).

الكنيس

تتمحور الحياة الإجتماعية لليهود اليمانيين حول الكنيس (كنيس). فالكنيس عندهم ليس مجرد دار للصلاة فحسب، بل يمكن لنا نحن [الألمان] القول بأن ما يمثل بيت الرجال إنما يماثل بناية مقر النادي أو مقر مجتمع الهنود الأمريكيين أو سكان جزر بحر الجنوب^(١). أما بالنسبة لليهود الكُرد فإن الكنيس لم تكن له هذه الأهمية. فالكنيس بالنسبة لهم ليس سوى مكان يجتمعون فيه لأداء الشعائر الدينية. كما أن كون الدراسة الجماعية للتوراة غير معروفة عندهم إنما يساهم في تعزيز هذا الموقف. ففي كُردستان يعتبر المنزل مكاناً لتجمع الرجال أكثر من الكنيس، وحتى لو دعت الحاجة كما في حالة الحافرييه في العماديه لغرفة منفصلة للإجتماعات لايجا اليهود الكُرد الى الكنيس بل يخصصون غرفة أخرى في مكان آخر.

أعمار الكُنيسات وأسمائها

قبل الخوض في أية تفاصيل عن الكُنيسات^(٢) في كُردستان يتعين علينا إجراء تحقيق شامل دقيق عنها وكذلك القيام بتنقيبات أثرية معينة عنها. لاشك أن العديد من الكُنيسات الموجودة الآن قديم جداً كما يظهر من خصوصياتها المعمارية. حيث يُقال أن تاريخ بناء صلولت قلعه، "كنيس القلعة" في أربيل القديمة (ذلك القسم من أربيل الواقع على التلة) يعود الى القرن السادس عشر. ولكن لم تبقى سوى أجزاء من هيكله القديم وذلك بسبب تجديد بنائه مرات عديدة.

أما كنيس ناقي حزقييل في العماديه الذي يعتقد أنه بُني في ١٢٥٠ فيستحق بعض التأمل والإهتمام. إذ يوجد على أحد أعمدته الخشبية كتابة [لغتها عربية لكن حروفها عبرية] ليس عليها تاريخ تقول: [أول عمارتها أتقنت أيضاً تجددت في ١٥٥٩، ايضاً تجددت في ١٥٦٠؛ ايضاً في ١٦٠٠ تجددت صفوفها]^(٣). ويعلق سفر بيترون حالموت، "كتاب تفسير الأحلام" المكتوب في ١٧٨٨ والموجود الآن

١- براور، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٣٠٣.

٢- في زاخو ودهوك والعماديه، والسليمانيه ايضاً تسمى كنيسنتا، وفي أربيل: صلولا.

٣- [ترجمه عن العربية ر. ب.] [الموجود هو النص العربي وليس ترجمة پاتاي - المترجم].



كنيس ناقي حزقييل بالعماديه

لدى أحد حاخامات العماديه - على الكتابة المذكورة بقوله: "بداية بناية الكنيس كانت في ١٥٥٩ [من تقويم] من الوثائق ولم يكتمل بناؤها إلا في العام الثاني أي في ١٥٦٠ من الوثائق. وبعد أربعين سنة بنوا القاعات المحيطة بالفناء أي في ١٦٠٠ من الوثائق"^(٤). [وتعبير "السنة كذا وكذا من الوثائق" الوارد في هذا التعليق إشارة الى العهد السلوقي، الذي كان أساساً لفصل التواريخ خلال عصر المحفل الثاني وظل يستعمل في بعض المجتمعات اليهودية حتى الأزمنة الحديثة. ويبدأ حساب العصر المذكور من بداية ٣١٢ أو ٣١١ ق.م السنة التي عاد فيها سلوقس الأول نيكاتور الى بابل عقب معركة غزة؛ أي أن العام ١٥٥٩ "من الوثائق" يقابل ١٢٤٨م، و ١٥٦٠ من الوثائق يقابل ١٢٨٩م].

ومن المثير أن نذكر بأن الإسكندر الأكبر قد تم إستبداله في الذاكرة الشعبية بسلوقس الأول نيكاتور الذي ترتبط بإسمه الفترة المذكورة في الوثائق. وأحد محدثي الذي ترك العماديه عام ١٩٢٥ قال لي في القدس في ١٩٤٥ بأن التاج الخشبي للعمود الجنوبي الغربي، أحد الأعمدة الأربعة المنتصبة في وسط الفناء الداخلي للكنيس يحمل هذه الكتابة: [أول أمارتها ١٥٤٩ [كذا] ليشتاروت إسكندر،

٤- أساف، "لا تولدوت"، زايبون ٦ (١٩٣٤): ١١١، ص ٢٧.

أحاري أربعين سنة بانو إيت هاعازاروت، "بوشر ببنائه في ١٥٤٩ من وثائق الإسكندر؛ وبعد أربعين عاماً بُنيت القاعات".

أما أسماء الكُنيسات فمتنوعة، فبعضها يميّز وفقاً لحجمه مثل: كنيشتا ربتة [الكُنيس الكبير] وكنيشتا زورتا [الكُنيس الصغير] (في زاخو وسنه وأربيل). والبعض الآخر وفقاً للمحل الذي يقع فيه مثل صلوت قلعه في أربيل (المذكور أعلاه) والكُنيسين الأعلى والأسفل في العماديه.

وفي كثير من الأحيان يحمل الكُنيس إسم عائلة أو كُفّير كما في اليمن - حيث تُبنى الكُنيسات بمبادرات فردية خاصة لا كما هو الحال في كُردستان حيث الكُنيس شأن عام للمجتمع^(٥). وفي أشنويه يوجد كُنيس يطلق عليه إسم كنيست موسا [كُنيس موسى] على إسم الكاباي موسى، وفي السليمانية يوجد كنيشتا معير موشاكا [كُنيس معير موشاكا].

وإضافة لذلك هناك كُنيسات عريقة تحمل أسماء شخصيات الكتاب المقدس، على افتراض أن لتلك الشخصيات صلة من نوع ما مع تلك الكُنيسات أو (بأي حال) بالمناطق القريبة منها. ففي الموصل وبيت ناعورا هناك كُنيسات تحمل إسم النبي إيليا. وفيما يلي قصة عن كنيشتا سيّد إيليا [كُنيس السيد إيليا] في بيت ناعورا:

قبل سنين عديدة عندما كانت توجد حوالي ثمانمائة عائلة يهودية في بيت ناعورا، أراد المجتمع اليهودي بناء كُنيس له. وشرع العمال في البناء؛ لكنهم حين بلغوا موقع البناء في صباح اليوم التالي لم يجدوا أي علامة لما قاموا به من عمل بالأمس. إذ كان النبي إيليا قد نقل الجزء الذي بنوه من الحائط إلى بقعة قريبة من الكهف الذي يُقال أن قبره فيه، والذي يعتبر مزاراً في كُردستان. ولأن الكهف يقع خارج المدينة فقد فضل أعيان اليهود أن لا يبنوا الكُنيس بالقرب منه. لكن كلما بنوا جزءاً من الكُنيس في الموقع الآخر كانوا يجدونه في الصباح التالي قد انتقل إلى الموقع القريب من الكهف. وذات ليلة برز إيليا في المنام لليهودي يدعى إيليا خديده، وقال له: "إذا لم تبنوا الكُنيس بالقرب من كهفي فسادمركم جميعاً". وهكذا تم بناء الكُنيس قرب كهف إيليا.

٥- براور، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، الص ٣٠٦-٣٠٧.

موقع الكُنيس

يمكن إعتبار بناء الكُنيس الكُردي قريباً من مصدر للماء الجاري سمة مميزة لكُنيسات كُردستان. والرغبة في الإغتسال الشرعي داخل الكُنيس هي الدافع لإختيار هذا الموقع. لذلك تعتبر ضفة النهر الموقع المفضل لبناء الكُنيس وقد يتم إختياره في كثير من الأحيان حتى لو كان بعيداً عن المدينة^(٦). فلزاخو ودهوك وبيت ناعورا جميعاً كُنيسات مبنية قرب ضفاف الأنهار. وقد تُمدّ الينابيع إلى الكُنيسات في أماكن أخرى كما في نبروه وچالا وبيجار وأشنويه. فقد بُني كُنيس عقره خارج المدينة ليكون عند أحد الينابيع. ويتدفق ماء الينبوع في قناتين تدخل إحدهما البناء والأخرى تجتاز فناء الكُنيس. ويصف لنا بنيامين الثاني ذلك الكُنيس بالقول:

"وسط الحقول وعلى نصف ساعة من المدينة، ينتصب الكُنيس المتميز ببنائه القديم، وبالقرب منه خزان ماء يستخدم كحمام للنساء... وفي كل [في الطبعة الألمانية "جمعة"] ظهيرة يذهب اليهود إلى النهر الجاري قرب الكُنيس" (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، الص ١٠٤-١٠٥).

التصميم

يقول يهود العماديه بأن تصاميم كُنيساتهم تماثل تصاميم كُنيس بيت مقداش [هيكل القدس الوارد وصفه في سفر حزقييل]. وتتشابه غالبية الكُنيسات الكُردية في جانب من تصاميمها وبالتحديد في إمتلاكها جميعاً لباحة داخلية مسورة^(٧) تستخدم صيفاً ككُنيس صيفي. وعلى النقيض من الكُنيسات اليمانية - التي تتألف عموماً من بضع غرف في أحد البيوت^(٨) - فإن كُنيسات اليهود الكُرد تكون على الدوام بنايات مستقلة تُبنى لهذا الغرض. وهي حقيقة تشهد على الإختلاف الكبير بين هذين المجتمعين اليهوديين.

٦- [مع ذلك، قارن "تاشليك" ليعقوب ز. لوترباخ، النشرة السنوية لكلية الإتحاد العبري، العدد ١١ (١٩٣٦)، الص ٢٠٧-٢٠٨.

٧- نشر وولتر شوارتز خرائط أولية لكُنيس العماديه، كُنيس ناقي حزقييل وسندور، JR، عدد ١٢ تموز ١٩٣٥. كما وهناك وصف لكُنيس سندور: ["والكُنيس في حد ذاته... يستخدم شتاءً كمكان للعبادة. أما في الصيف فيتحول إلى مخزن لغلال المجتمع وقد وجدنا... في إحدى زواياه كومة كبيرة من الزبيب" (المصدر السابق، ترجمه عن الألمانية رافائيل پاتاي)]

٨- براور، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٣٠٠.

لقد إخترنا كنموذج للكنيشتا الكردي كنيشتت ناقي حزقييل في العماديه العليا والتي بُنيت (كما أسلفنا) في حوالي ١٢٥٠. وتصميمه مشابه لتصميم كنيشتت عزرا هاسوفير الأقدم منه. حيث تظهر في خريطة تصميمه ثلاثة أقسام: الفناء، وبنية الكُنيس، وجناح (مرتبط بالبنائية) مؤلف من غرف صغيرة.

باحة الكُنيس

باحة الكُنيس (حَببيل [بيت البوابة])، على المرء أن يجتاز بوابتين للدخول الى الكُنيس، وهو مطلب تم إستنباطه من سفر الأمثال ٨:٣٤: "سعيد هو مَنْ يستمع اليّ، ويراقب أبوابي يومياً، ويقف على أعتاب أبوابي" (وكذلك في سنه). [عند دخول الكُنيس، يقف الناس للحظة في الحَببيل حيث يتركون غلايينهم وما الى ذلك، ثم يدخلون الباحة].

تشرف على الباحة منصة مرتفعة عنها (دَكّه، وجمعها دَكَيْته) يغطيها سقف قائم على دعائم خشبية مزينة (ستون) لها تيجان (كولسه) متدرجة تشبه التيجان الساسانية^(٩). [يبلغ ارتفاع هذه التيجان حوالي ٣-٤ أمتار وعرضها متراً واحداً؛ أما الأعمدة نفسها فإرتفاعها متران ونصف المتر]. وتختلف الأعمدة في تفاصيلها الدقيقة حتى ليبدو وكأن كل تاج ينتمي لفترة مختلفة. وفي وسط الباحة (المتنوعة على السماء والمحاطة بالأعمدة الخشبية) فسحة على شكل حديقة مزروعة بالأزهار والأشجار ومحاطة بحائط حجري منخفض. [وتحت القسم المركزي من الباحة يوجد خزان كبير جداً وعتيق لخرن المياه به فتحة صغيرة في وسطه وثقب في جانبه الجنوبي. كان هذا الخزان محطماً لعدد من السنين فكانت مياه الأمطار التي تدخل فيه تتسرب الى باطن الأرض.

وخلال أداء الصلوات لايجلس أي شخص على سياج الفناء لكن في أيام السبت بعد انتهاء صلاة الموساف يجلس أعضاء حيفرا قاديشه لاحتساء العرق].

شعائر الكُنيس تقام في الباحة في أغلب أوقات السنة، أي من بيوريم الى هانوكّه. وفي الجانب الغربي من الكُنيس تم توسيع المنصة لتتسع لمنصة القراءة (سيده) وجلس كبار السن أيضاً.

أما للفترة من بيوريم حتى هانوكّه فتقام الشعائر داخل بنية الكُنيس وهي ذات

٩- حسب مصدر معلوماتي، لا يوجد هذا النوع من الأعمدة إلا في العماديه وفي الأبنية اليهودية بالذات.

هيكل ثانوي من الحجر المقطّع. والجدران - وهي حجرية أيضاً - يعود تاريخ بنائها الى عهد أحدث. وليس هناك نوافذ ولايدخل الضوء إلا عبر فتحات في السقف ومن خلال الأبواب الثلاثة المواجهة للباحة. ويطلق على تلك الأبواب هيخالوت [وتعني حرفياً القاعات] لأنها مغطاة بالسناثر.

وسقف البناء [الذي يحيط بالباحة في شكل هيكل مربع] ينتصب على أعمدة خشبية نُقشت على تيجانها كتابات ونقوش معينة تتضمن التواريخ وبعضاً من أشعار سفر الأناشيد، [أشرنا الى واحدة من تلك الكتابات في ص ٢٩٧. ويحمل تاج العمود الجنوبي الشرقي كتابة (عبرية) جاء فيها: "كل الأمم التي خلقتها أنت ستاتي وتعرض نفسها أمامك وستمجد اسمك، سلاه" (سفر الأناشيد ٩:٨٦، مع تحويرات طفيفة)].

يقول اليهود بان قسماً [ثنتين] من الأعمدة أشجار لازالت جذورها راسخة في الأرض^(١٠). [بُني الكُنيس في موقع كان مزروعاً بأشجار الجوز واللوز في السابق. وعند بناء الكُنس، صمم البناء بحيث تبقى شجرتان من أشجار البستان في مكانهما كدعامتين مركزيّتين لبنية الكُنيس. فتم قطع الأغصان وأقيم سقف البناء على الجذعين المنتصبين. وتنتصب الشجرتان العمودان في وسط الكُنيس الى الشمال قليلاً من باماً]. والمكان الذي يجلس فيه الرجال القرفصاء (الذي يسمى أيضاً دكه) مغطى بالحصار، بينما يجلس عليه القوم على بسط خاصة تعود الى الكُنيس تُوجر لهم ويدفع المحفل أجرتها^(١١).

لكل فرد مكان ثابت في الكُنيس يتوارثه عن أبائه ولايغيره إلا من كان في حداد حيث يجلس هؤلاء في الزواية الشمالية الشرقية داخل الكُنيس. أما عليه القوم فيجلسون على يمين الهيخال [تابوت العهد] الذي يوضع بمواجهة المحفل. وفي سنه لكل عائلة مكانها الثابت المتوارث، أي يجلس أفراد المحفل وفق ترتيب العائلات وليس حسب السن. وتجلس عائلات كافة الأطباء في مكان واحد. وكانت في السابق تحدث مشاجرات عنيفة بسبب تغيير أحدهم مكانه وجلسه في مكان عائلة أخرى، لدرجة أن المنازعات كانت تصل حدّ عرضها على السلطات الحكومية.

١٠- ينطبق هذا على كنيس عيزرا ها سوفير في العماديه أيضاً. [ويذكرنا العمود بأسطورة تلمودية تقول إن أعمدة هيكل القدس إنما كانت أشجاراً مخضرة وجذورها غائرة في أعماق الأرض]. (قارن رافائيل پاتاي، الإنسان والأرض، القدس ١٩٤٣، المجلد الثاني، الص ١٩٧ وما بعدها؛ المصدر السابق، الإنسان والهيكل، أدنبره ١٩٤٧).

١١- لما سُرت هذه السجاجيد ذات مرة في سنه، عوضهم عنها حاكم المدينة بأخرى بديلة.

[الأرضية داخل الكُنيس منخفضة عن الباحة حيث ينزل الداخل اليه ثلاث درجات تماشياً مع الآية القائلة: "لقد ناديتك من الأعماق"]^(١٢) وهناك وسط بناية الكُنيس منصة ترتفع عن أرضيته (دوشكا)^(١٣) تنتصب عليها منصة القراءة (سيده) وهي منصة طويلة ذات أربعة مساند (إقليته) في زواياها توضع عليها تيجان التوراة وسبع تجاويف توضع فيها المشاعل في البيوريم (فقط في العماديه، أنظر ص ٤١٧). أما في زاخو فلا وجود للمساند إقليته لأن تيجان التوراة تبقى على رقوقها خلال القراءة ولا يطرح شرف إزالتها أثناء القراءة في المزاد. وفي سنه تنتصب السيده على منصة مرتفعة عن الأرضية بعض الشيء والى جانبها عدد من المقاعد لأعيان القوم وهي كذلك مقاعد تتوارثها العائلة جيلاً بعد جيل.

الهيخال - الحرم

في الجانب الغربي من كنيشتا ناقي حزقييل ثلاث غرف، الوسطى تسمى دوكه أو منزل وهي صغيرة جداً فيها دولاب خشبي بمجرات يسمى (صندوق) لحفظ رقوق التوراة وله باب خشبي مغلي بستان. كما تحوي الدوكه على مكيل [رقق إيستر]، وكرسى إياهو [كرسي إياهو]، والشوفار، والملقوت (أشرطة جلدية) للجدل عشية يوم كيبور وجرة من زيت السمسم.

على الجدار الشمالي للدوكه قرب السقف هناك فتحة ضيقة مطلة على الغرفة الثانية التي تستخدم بمثابة بي جينيزا (غرفة خزن) للمخطوطات العبرية والكتب التي لم تعد تصلح للإستخدام لرنائتها.

أما الغرفة الثالثة وهي بي خمره (غرفة الخمر) فتتصل بالدوكه من الجهة الجنوبية، وفيها يتم خزن الخمور اللازمة للإستخدام من قبل الكُنيس أو الحاقريم. [وأرضية الجينيزا أقل إرتفاعاً من أرضية الكُنيس وهناك فتحة صغيرة في الكُنيس تؤدي الى غرفة الخزن التي تحتوي حوالي ثلاثمائة من رقوق التوراة وعدد كبير من كتب الصلوات]. أما في زاخو فهناك غرفة منفصلة للهيخال تقع في الزاوية الجنوبية الغربية من الكُنيس ومرتفعة عنه قليلاً، فيها رقوق التوراة موضوعة على رفوف (دكانيته) على جدرانها الغربية والجنوبية دون غطاء يغطيها أو يحميها. كما تحتوي هذه الغرفة في زاخو كرسى إياهو، الملقوت، والقناديل مع ملحقاتها ومؤناتها.

١٢- زاها، القاموس، ص ١٩٤: دوشكا، "فراش، وتعني حرفياً الفرشة الخاصة بالنوم".



أما في سنه - في المناطق الكُردية الفارسية - فإن رقوق التوراة لأتحفظ في غرفة منفصلة. إذ يشمل الهيخال هنا على محاريب (تيقه) في الجدار الغربي ولهذه المحاريب أبواب كما أنّها مغطاة بالسناثر (بردي) - وعادة ما تكون عدة سناثر الواحدة فوق الأخرى تأتي من الهدايا ويمتلك الكُنيس الكثير منها. وهناك في أرييل وأشنويه وقرية سندور نفس النوع من الهيخال.

رقوق التوراة

تحفظ رقوق التوراة في صناديق خشبية ثقيلة الوزن مربعة تسمى (تيك، وفي العماديه تيكه) ذات دعائم فضية عادة^(١٣). أما رقوق التوراة الأحدث فتحفظ في صناديق دائرية تشبه تلك التي يستخدمها يهود السيفاردي. وفي سنه تغطي هذه الصناديق الخشبية الدائرية (قَاب) بالقماش وتُرِين بمسامير معدنية.

تاج التوراة - برّشه ١٨٦٣.

مجموعة براور

أما عاصا حاييم [بالعبرية وتعني حرفياً أشجار الحياة]، وهي العصي التي تُلف عليها رقوق التوراة

فتسمى شيبوكا (في زاخو والعماديه) أو (عامود) في سنه. وللرقوق عباءة واحدة أو أكثر لتغطيتها (في العماديه: فَرَجِي [أو حويو]، وفي زاخو: كورتك، وفي سنه: كابي)، تتبرع بها زوجات أو الإناث من أقارب المتبرعين بالرقوق، أو الأمهات اللاتي أصاب المرض طفلاً لهنّ. وتخييط النساء أيضاً عمالات وحبوات المرجان (كيسنه) وحمالات التعاويذ (خياروكه) وما الى ذلك على عباءات التوراة ويقدمنها هدايا في مناسبات متنوعة وفاءً ببنذور قطعنها.

وعلى قمة العصي تأتي تيجان التوراة (ريمونيم أو ريمونيا)^(١٤). وكل الريمونيم

١٣- التيكه القديمة في العماديه، كانت عبارة عن صناديق خشبية غير مزخرفة.

١٤- تطلق على الريمونيم عند البيع تسمية عاصا حاييم في العماديه. وفي سنه تسمى تاج تورا ايضاً وتعني "تاج التوراة".

الكردية التي رأيتها مصنوعة من الفضة على الطراز الكلاسيكي والمواضيع الرئيسية لـ زخارفها قد تكون مستمدة من التراث التركي. فزوج الريمونيم من كُنيس قرية بَرَشَه^(١٥) مصنوع من الفضة على شكل تصميم لأوراق العنب، ويتألف من أربعة أقسام: (١) الساق، (٢) و(٣) الكرة التي يمكن فصلها الى نصفين؛ و(٤) اللولب يدور الى جهة اليمين. وقد رأينا (في ص ١٨٢) كيف يصب الماء في نصفي الكرة ليباركه الحاخام وتشرب منه بعد ذلك المرأة التي تعاني مخاضاً عسيراً.

القسم العلوي من الكرة عليه سطر مفرد لكتابة (بالعبرية) محفورة على طول حافظتها تقول: "هذه ريمونيم مقدسة لدى الرب، فهي لاتباع ولا تسترجع. [من ممتلكات] كُنيس محفل بَرَشَه المقدس (لثبني مدينتنا [أي أورشليم]، أمين!) في العام ١٨٦٣م. وهناك أجراس صغيرة (في العماديه: زيگه [لسان الجرس، والجرس نفسه يطلق عليه إسم زَنگروكي]؛ وفي زاخو: زَنگلي؛ وفي سنه: زَنگله) معلقة بالريمونيم.

في زاخو يتركون الريمونيم دائماً على رقوق التوراة. ولا يرفعونها إلا في حالات القلائل حيث يخفونها في منزل الكاباي لحمايتها من الضياع. أما في العماديه وعلى النقيض من ذلك، فلا يبقون سوى ثلاثة أزواج من الريمونيم في الكُنيس فيما تحفظ البقية عادة في منزل الكاباي. ويجري استبدال هذه التيجان بأخرى مرتين كل شهر تقريباً حتى يكون لجميع التيجان شرف استخدامها زينة لرقوق التوراة التي يقرأ منها اليهود فعلاً. وتستخدم الريمونيم كذلك لتزيين كرسي إيلياهو الذي توجد فيه مواضع خاصة توضع عليها التيجان.

في الماضي، كان في كُردستان عدد من معلمي التشريع اليهودي، لذا فإن قسماً من رقوق التوراة - المكتوبة على الجلود - هي من صنع محلي. ولكن منذ انقراض هؤلاء^(١٦) فإنهم يجلبون الرقوق من الموصل وبغداد أو (في كُردستان الفارسية) من همدان. ويختلف عدد رقوق التوراة الموجود في كل كُنيس. ففي كُنيس زاخو الكبير يوجد عشرون رقاً، فيما توجد في الكُنيسات الصغيرة عشرة، وفي كُنيس عزرا هاسوفر سبعة رقوق أما كُنيس ناقي حزقييل ففيه حوالي إثني عشر رقاً^(١٧). وفي

١٥ - مجموعة براور بالجامعة العبرية ٣٨: ٧٠. هناك نموذج مماثل موجود الآن في الكنيس الذي شيده المهاجرون من بَرَشَه بالقدس. والنموذج مشكّل بالطريقة ذاتها ويعود تاريخه الى ١٧٨٣م.
١٦ - عاش في العماديه كل من الحاخام ربحاميم والحاخام حايميم (في حوالي ١٨٩٠) وقد اشتهرا بنسخ التوراة.

١٧ - يقال أنه يوجد في جنيزا كنيس ناقي حزقييل حوالي مائتي رقاً توراة قديم وبال.

كُنيس سندور يوجد أقل من عشرة رقوق^(١٨).

يُضاء في داخل الهيخال أو على بابهِ "قنديل أبدي" شريعته (يسميه الحاخامات وحدهم وبالعبرية: نير تاميد). كان هذا القنديل يصنع في السابق من الحديد إلا أنه الآن يصنع من الخزف، ويوضع عادة على صندوق خشبي قرب الباب. فيما يضعونه في العماديه على حمالة حديدية ثلاثية الأرجل.

وعلاوة على القنديل الأبدي هناك وسائل إضاءة أخرى تضاء باستمرار. فالعائلات التي مات أحد أفرادها تقدم في بعض الأحيان هدية للكُنيس على شكل مؤنة من الزيت لكي يبقى الشماس هذه القناديل مضاءة مدة عام كامل. وفي سنه تجد في الغالب ثلاثين الى أربعين من هذه القناديل تشتعل في نفس الوقت.

وفي أيام السبت وأيام الصوم خاصة تزداد أعداد هذه القناديل المضاءة. ففي بعض الأحيان تقوم أم ثكلى، أثناء حملها بطفل آخر، بإيقاد قنديل على أنه "نور النبي إيليا" لطفلها كل يوم سبت مع إطلالة القمر في الشهر الجديد، وفي يوم الصوم لسنة أعوام متتالية (زاخو).

الغبار وبقايا الزيت المتخلفة عن "القناديل الأبديّة" هذه تعتبر وسائل علاج قيّمة. لذا تجد المصاب بالأم مبرحة يذهب الى الشمّاش مستجدياً منه قليلاً من شحّت بينوتتا "غبار [مخلفات] الرقوق" ليستخدمها كمرهم (في زاخو والعماديه).

وخلال قراءة التوراة لا يوضع الرق مفتوحاً على ظهره بل يُسند الى ظهر السيد. ويسمى المؤشر الذي يستخدم أثناء القراءة (في العماديه: يد أو ميخوثا، وفي سندور: مانخيد)، وفي سنه وأربيل قلم) والذي ليس على نفس الهيئة - التي تصادفنا كثيراً في الأماكن الأخرى - هيئة كف إحدى أصابعه ممدودة. فلدينا مؤشر قراءة من بَرَشَه^(١٩) صناعته بسيطة لكنه يُظهر حساً راقياً في شكله وأسلوبه. وبعض المؤشرات عليها كتابات محفورة (كان تكون مثلاً إسم الذي تبرع بها).

وخلال مراسيم البركات، يغطي رق التوراة بقطعة قماش، حتى لا يظن أحد بأي حال من الأحوال، بأن المراسيم المؤداة مكتوبة في التوراة، التي لا يجب قطعاً إضافة أي شيء اليها كتابةً مهما كان صغيراً. وتعلّق قطعة القماش هذه (شيشاك أو شيشه) في العماديه بين الريمونيم. فيما تُلف حولها في زاخو، بينما إسمها كُفيه [بالعربية ويعني الوشاح]. وفي سنه فإن قطعة القماش تلف حول العبادة مثل نطاق

١٨ - في حوزة كنيس اليهود القادمين من بَرَشَه بالقدس خمسة رقوق توراة.

١٩ - مجموعة براور بالجامعة العبرية ٣٨: ١٥٤، يقال أنّ تاريخه يعود الى العام ١٧٧٠م.

وفي كُنَيْسات أربيل الثلاثة تحتل النسوة قاعة مغلقة يستطعن منها النظر الى أسفل الى غرفة الرجال عبر عدة نوافذ صغيرة. ولايتردد على تلك القاعة سوى عدد قليل من النسوة العجائز.

وفي سنه ايضاً تقع غرفة النساء (تُكّه /إنشي) فوق بيت البوابة ولها شبابيك خشبية بمقدور النسوة أن ينظرن منها الى غرفة الكُنَيْس الداخلية. وأثناء الصيف تجلس النسوة على سطح بيت البوابة المشرف على الباحة.



حز التوراة
كنيس قرية سندور

جنيزا

لاحظنا فيما سبق أن الجنيزا في كُنَيْس ناقي حزقييل بالعماديه تقع في غرفة منفصلة تسمى بي جنيزا. ولكن يظهر حالياً بأنه لا يتم تخصيص غرفة للجنيزا إلا في العماديه (رغم إحتمال العثور على نموذج لترتيب قديم جداً) .

وفي سنه تكون منصة السيده، سكو سيده، مجوفة وتخدم كجنيزا، يجري إدخال وخزن الكتب وما شابه فيها عبر فتحة في أحد جوانبها^(٢٢). وفي زاخو يجري ترتيب مشابه، إذ تُخصص مساحة للجنيزا وتُترك تحت الدرج الذي يؤدي من الباحة الى سطح البناء. وفي أشنويه تقع الجنيزا في قبو تحت الهيخال، وفي دهبوك

في فسحة مجوفة في الجدار السميك. وحينما تمتلئ الجنيزا يصنف الحاخام محتوياتها. ويضع القطع عديمة الأهمية في أكياس تُدفن في باحة الكُنَيْس، بينما تعاد رقوق التوراة وكافة الكتب المقدسة ثانية الى الجنيزا.

٢٢- أشار براور الى الجنيزا باختصار في: مي باراشوت ماسأعوتاي، سيناي، المجلد الأول، العدد ١١ (١٩٣٨): ٤٣٨. [يوجد في الكنيس جنيزا لم يتم إخراجها منذ عهد بعيد، لكني لم أتمكن من الإفادة منها. وربما وجد فيها المهتمون مواد تتعلق بتاريخ اليهود في كردستان الذي لانعلم عنه غير القليل" (ترجمه عن العبرية رافائيل پاتاي)]. وعن الجنيزا في سندور أنظر فيشل، ماسأع ل كردستان، سيناي، المجلد الأول، العددان ٣ و٤ (١٩٣٨): ٢١٨-٢٥٤.



مؤشر قراءة - العماديه. عليه إسم واهبه: شاباتاي موشني مزراحي

وتسمى لذلك خاصه^(٢٠) "حزام".

وفي بعض الكُنَيْسات (كما في زاخو ودهوك والعماديه وسندور وبيجار وسنه) تعلق قشرة بيضة فارغة بنية اللون كبيرة بواسطة خيط من السقف تسمى بيته سيمرغ أو بيته نشره "بيضة النسر". وسيمرغ هو الطير الخرافي الذي يحتل مكانة بارزة في الأساطير الفارسية^(٢١). ويربط اليهود استخدام هذه البيضة الفارغة (التي يكتب عليها عدد من آيات التوراة أحياناً) مع ما جاء في سفر الخروج ٤:١٩ "أحملكم على أجنحة النسور" وسفر تثنية الإشتراع ١١:٣٢ "مثل نسرة تهيء عشها". ويقال ايضاً بأن طائر روما كسكه "ذو الذيل الأخضر" الذي يجلب الطين من قبر موسى (في العماديه) يبني عشه على السقف فوق مكان البيضة تماماً.

القسم المخصص للنساء

القسم الأعظم من الكُنَيْسات القديمة في كردستان ليس بها قسم مخصص للنساء، طالما أن النسوة نادراً ما يذهبن الى الكُنَيْس. أما القلة التي تذهب (من العجائز عموماً) فإما يبقين في الباحة، أو يدخلن محجبات للجلوس داخل الكُنَيْس. وفي زاخو تحتل النسوة والفتيات داخل الكُنَيْس في يوم كيبور بينما ينهمك الرجال في شعائرهم الدينية في الباحة.

وفي باحة كنيس ناقي حزقييل في العماديه هناك منصة مرتفعة عن أرضية الباحة قليلاً (ديكت أقيسلا [منصة عصر الخمر]) كان يتم عصر العنب بالأقدام عليها لإنتاج خمر الكُنَيْس في الماضي. أما اليوم فتجلس النسوة هناك؛ بما أن المكان لم يعد يستخدم كمعصرة للخمر وقد باتت تسمى ديكت بختيه).

٢٠- ماكلين، القواعد، ص ٦٨: حبيصه، "حزام". وفي سنه يستخدمون تعبير خيسي إستا، "المتحزم بحزام" عندما لا يريد أحدهم أن يقول سيفر تورا، "لفاقة التوراة".

٢١- عن طائر سيمرغ أنظر على سبيل المثال بيس آلن دونالدسن، نيسنة بوية، لندن ١٩٣٨، ص ١٦٦؛ موسوعة الأديان والأخلاق، ١. ٥١٤ أ، ٣. ٤٤٨ ب، ٨. ٢٩٤ ب.

السبت

السبت هو محور الحياة الدينية بالنسبة لليهودي الكردي، والتزامه الصارم بالشرع الذي يحرّم عليه الراحة في هذا اليوم يتماشى والصلابة التي هي من السمات المميزة لطبيعته الفلاحية. وهناك عناية فائقة بتصرف المجتمع أيام السبت، وأي إنتهاك لقوانين السبت يواجه بعقوبة شديدة.

ففي أربيل عوقب أحد الإباء لأن إبنة أشعل عود ثقاب يوم السبت بغرامة مالية قدرها ثمانون قرشاً. وفي العماديه يجب على المذنب دفع غرامة مالية يحصل الكُنيس على ثلثيها والحازان على الثلث الباقي. وعلى المذنب علاوة على ذلك أن يقدم للحاقيريم كمية معينة من العرق. وإضافة الى كل ذلك، فإنّه يُجلد أربعين جلدَة وفي بعض الأحيان يعاقب بالصوم سنة وعشرين يوماً.

وهناك وصف جيد للكيفية التي يتعامل بها اليهود الكرّد مع انتهاكات كهذه لقوانين السبت في القصة التي تحكى عن الحبر شموئيل البارزاني، هذا نصها:

قصة شجرة الرمان الشافية^(١)

قبل (١٥٠) سنة في كُردستان وفي يوم جمعة من منتصف عيد السوكوت جلس الحبر ناتانيل هاليثي، الذي كان قد تجاوز المائة، وابنه الحبر شموئيل جالسين في كشك لهما في قرية بارزان وهما غارقان في دراسة مقالة حكيّكة من التلمود ويناقشان موضوع المَرَكَاثَا أي الملكوت أو عالم العرش الإلهي. وتاهت بهما الأفكار وهما يحاولان حلّ معضلة معرفة ما يوجد فوق المَرَكَاثَا.

وفجأة هبط شعاع أخضر توقف فوق السوكّه. في تلك الساعة كان شيخ بارزان جالساً فوق سطح داره فرأى الشعاع الأخضر فوق كوخ

١- [سجله براور باختصار في القدس قبل ١٩٣٧، وذلك نقلاً عن يهودي كردي من العماديه، ونشره في Almanach des Schocken Verlags، برلين ١٩٣٧-١٩٣٨، الص ١٦٤-١٧٣، بعنوان Der Heilsame Granatapfelbaum. ولتلام الصيغة مستوى جريدة شوكن فقد رواها براور بعد أن صاغها صياغة أدبية رقيقة ربما تختلف كثيراً عن صيغة الرواية الأصلية التي سمعها من محدثه الكردي. وقد حاولت خلال ترجمة رواية براور الألمانية مجازاة أسلوبه قدر المستطاع. رافائيل پاتاي.]

اليهودي، فدعا خادمه على عجل وأرسله لمعرفة ما يجري، ذلك أنه كان متعجباً لأمر الشعاع الذي كان يرتفع الى السماء دون أن يدمر شيئاً.

أسرع الخادم الى الموقع، ولدهشته العظيمة رأى هو الآخر عمود النار الخضراء فوق السوكا والحبر وابنه جالسين متكبين على كتبهما لالتلمسهما النار. فعاد الى الشيخ وأخبره بما رأى. وحال انتهائه من روايته ابتدره الأخير قائلاً: "الأمر الواضح الوحيد، هو أن هذين الإثنين ليسا حَبْرين بل سيّدان* من نسل النبي محمد (ص)، وإلّا كيف تنزل شعلة خضراء من السماء على بيت يهودي دون أن تلتهمه أو تدمره؟ إذهب وأحضرهما في الحال لأسالهما عن شجرة نسبهما".

إمتثل الخادم للأمر وعاد الى الشيخ ومعه الحبر ناتانيل وابنه الحبر شموئيل. فسالهما الشيخ: "ما معنى النار الخضراء التي وقفت ساكنة فوق سقيفتكما؟". أجابه الحبر ناتانيل: "لا علم لنا بعمود النار ولم نلاحظ شيئاً لاستغراقنا في قراءة كتبنا المقدسة". لكن الشيخ قال: "لا، ليس صحيحاً. لقد رأينا جميعاً تلك النار. والنار الخضراء هي نار السادة. فاذكروا لي شجرة نسبكم إذ لابد أن تكونوا من ذرية محمد (ص)". فأجابه الحبر ناتانيل: "أنت مخطيء وهذه شجرة نسبي" وراح يذكر له شجرة نسبه ويعد أسماء أجداده، لكن الشيخ لم يصدقه وقال: "أنتما من أولاد محمد (ص) ويجب أن تتحولوا عن دينكما الى الإسلام وإلا لقيتما حتفكما". قال الشيخ هذا ثم أمر بحبسهما في زريبة الحيوانات، ولكي يعذبهما أمر بإشعال نار من الروث اليابس بالقرب منهما. فجلس الإثنين في الزريبة والدخان الخانق يدخل في عيونهما.

فكر الحبر ناتانيل مع نفسه قائلاً "دعهم يقتلونني، لكنني خائف على ولدي ويجب أن أنقذ حياته". ونادى الحبر الأب خادم الشيخ يطلب لقاء الشيخ. ولما حضر بين يدي الشيخ قال له: "ياشيخ، إنك تعلم بأنه محرّم علينا العمل ومغادرة منازلنا في السبت. فاسمح لنا أن ننضي يوم السبت في بيتنا كي نتمكن من التفكير بعناية فيما سنختاره مما تفرضه علينا، أنقلب الى دينك أم نختار الموت؟ وسنعود يوم الأحد لنبلغ بقرارنا".

* دأب أهل العراق، أن يصفوا من ينتسب الى آل الرسول محمد (ص) بسمّة السيّد. (المترجم)

وافق الشيخ على إقتراح الحبر ناتانيل، فأسرع الأخير مع ابنه الى دارهما وطفقا يرددان الصلوات والتبريكات لأن السبت كان قد بدأ فعلاً. وجلسا في البيت لتناول وجبة السبت وكانا خلال ذلك يتأملان مصيرهما المحتوم. سأل الحبر شموئيل والده: "ألا يلغي خطر الموت الداهم قانون السبت؟". أجابه الوالد: "نعم يلغيه". وعندها نظر الإبن الى السقف حيث كان قد علّق رَشِكُهُ^(٢) خفه الصيفي. ثم نهض وأنزله وانتعله. فبدأ الحبر ناتانيل بالبكاء، فقال له ولده: "لا تبك، أليس اليوم يوم سبت؟ أو ليس البكاء محرماً اليوم؟". فأجابه الوالد: "دعني، فقد صار بكائي تسلية في هذا السبت لأنه يخفف عذاب روحي".

خرج الولد الى وجهته، وسار الليل كله خوفاً من أن يتبعه أحد. وفي الصباح بلغ نهر الزاب فرأى أمامه قرية سوريا، لكنه لم يلمح أي عبارة تعبر به النهر. ثم أجال بصره في الأنحاء فرأى على الضفة المقابلة للنهر يهوديين جاء - جرياً على عادة الكرد - الى ضفة النهر لقضاء الحاجة والإغتسال. فنادهما. وتولت المذكورين دهشة كبيرة لرؤيتهما الحبر شموئيل الذي كانا يعرفانه جيداً. فأسرعاً بإرسال الكلك الذي يعمل عليه أحد المسلمين الى الضفة حيث شموئيل، لنقله الى الضفة المقابلة^(٣). وما أن وصل حتى تلقياه بهذه الكلمات: "يا إلهي، شموئيل إنه يوم سبت. كيف جئت الى هنا في يوم سبت الله؟ يمكن لنا إذن أن نذهب للعمل على أنوال حياكتنا^(٤)". فاستشاط الحبر شموئيل غضباً ونظر إليهما بعينين تقدحان شرراً وقال: "أنتما شريران حقاً! فتحولا على الفور الى شجرتي صفصاف يابستين لا أوراق عليهما إلا بضع وريقات صغيرة في قمتيهما كآثر يدل على أنهما كانا ذات يوم شجرتين خضراوين تطفحان بالحياة.

في ذلك الوقت كان الحبر شيمون معلماً وقاضياً في العماديه، وكان كذلك منجماً عظيماً. فاستنتج من قراءته تجمعات النجوم أن زائراً هاماً سيأتيه يوم السبت. لذا أخبر زوجته، التي كانت على وشك إعداد طعام

٢- أحذية الصيف مصنوعة بالكامل من مادة منسوجة ليس لها أي نعل جلدي، وهي تلام تماماً طرق كردستان اللطيفة.

٣- يطفو الكلك على الماء بواسطة قرب منقوذة من جلد الماعز.

٤- الحياكة هي من الحرف اليدوية الرئيسة لليهود الكرد.

السبت، أن تعد للوجبة الثالثة دجاجتين محشوتين بالرز بدلاً من واحدة إضافة الى جرتين من أفخر أنواع النبيذ.

وفي مساء السبت جلس يهود العماديه كما كانت عاداتهم صيفاً، في باحة كُنيس عزرا النَّسَّاح. وكان المجتمع اليهودي في العماديه كبير العدد، فكان عدد الجالسين في المكان حوالي (٤٠٠) رجل يستمعون لخطبة الحبر شيمون.

وفي منتصف خطبة الحبر شيمون دخل رجل يعلو ملابسه غبار الطريق عبر الباحة خلسة ثم جلس في الكُنيس الخالي بجانب تابوت العهد المقدس. وتعرف الحاضرون على الفور على ابن الحبر ناتانيل بارزاني وهم مندهشون لحضوره المفاجيء في السبت ويتساءلون ما إذا كان متواجداً في المدينة منذ الليلة الفائتة. ولما انتهوا من صلاة المنحه نهض الحبر شموئيل من مكانه في الكُنيس ووقف أمام المحفل اليهودي في العماديه وقال: "أتوسل اليكم أن تنطقوا بالحكم ضدي لأنني انتهكت حرمة السبت".

عندها قال الحبر شيمون: "أنا أعرف عقوبتك. تعال الى داري فقد أعددنا لك الوجبة الثالثة. أعرف بأن خطراً قاتلاً كان يتهددك ولذلك انتهكت حرمة السبت". وفي يوم الأحد أرسل شيخ بارزان خادمه لجلب الحبر ناتانيل وولده. فأحضر معه الحبر ناتانيل وحده، وهذا أخبر الشيخ بهروب ولده وبقراره الذي اتخذه بتفضيله الموت على التحول الى الإسلام. فاوشك الشيخ بسبب غضبه أن يأمر بقتل الحبر المسن، لولا أن رفع أحد مستشاريه وكان رجلاً مسناً يجلس الى جانبه، صوته قائلاً: "لم تريد قتل هذا الرجل المسن طالما أن رجله باتت أصلاً على حافة قبره؟ الأمر لا يستحق سفك الدماء، بإمكانك صرف جهدك للقبض على إبنة".

إقتنع الشيخ بكلام مستشاره العجوز وأطلق سراح الحبر ناتانيل وبعث برسائل الى جميع شيوخ الكرد متقصياً مكان تواجد اليهودي شموئيل الذي هرب منه، طالباً إرساله حال القبض عليه مخفوراً الى بارزان، لأنه بخلاف ذلك سيلاحقهم وسيفه بيده. لكن كل الردود التي بلغته قالت بأنهم لم يروا أي أثر لليهودي شموئيل. إلا أن شيخ بارزان

لم يعد الحيلة فقد كان يضرب الرمل، فكتب عدداً من المعادلات واسم الحبر شموئيل على رمله، وعلم من النتيجة بأن الحبر شموئيل مختبئ في العماديه. فقام على الفور بتحرير رسالة لشيخ العماديه طالباً منه إعتقال وتسليم الحبر شموئيل.

أما الحبر شيمون فقد كان يعرف بأنه لابد وأن يأتي الى العماديه من يبحث عن الحبر شموئيل، لذا فقد اصطحبه الى كُنيس عزرا النسّاخ وطلب منه الإختباء في غرفة الجنيزا الخاصة بجانب الكُنيس، فهناك ثلاث غرف كهذه ملحقة بالكُنيس: في أولها يخزنون النبيذ الخاص بالكُنيس، وفي الثانية يحفظون رقوق التوراة شتاءً، وفيها نافذة ضيقة تؤدي الى الثالثة. والأخيرة مظلمة يخزنون فيها الرقوق القديمة المقدسة المخزّنة منذ مئات السنين للتوراة وكتب الصلاة التي لم تعد تصلح للقراءة والإستخدام لطول فترة تخزينها. وتسمى هذه الغرفة الأخيرة الجنيزا. أدخل الحبر شيمون الحبر شموئيل عن طريق النافذة الوحيدة في الجنيزا وزوده بالطعام والشراب، ثم أغلق عليه النافذة بعناية.

ولدى تسلّم شيخ العماديه رسالة شيخ بارزان أمر بإجراء بحث دقيق بين اليهود ولكن دون أي جدوى، لأن بحثه لم يطل غرفة الجنيزا التي ظلت عصية على الإكتشاف، فلم يتمكن لذلك من العثور على الحبر الهارب. فكتب بذلك لشيخ بارزان. إلا أن الأخير لم يكن مقتنعاً، فسأل الرمال السحرية ثانية، فجاءته الإجابة بأن اليهودي الذي يبحث عنه موجود في العماديه. فأرسل لذلك رسالة ثانية الى شيخ العماديه فيها من الوعيد والتهديد أكثر مما في الأولى.

علم الحبر شموئيل من مخبئه بأن شيخ بارزان لجأ الى السحر لكشف مكان إختبائه في العماديه. كما علم بانسداد منافذ الهرب في وجهه. فسأل الحبر شيمون بأن يسمح له بترك مخبئه وأن يزوده بالتاليت (وشاح الصلاة) والتفلين، ثم رسم دائرة حول العمود الشمالي الغربي للكنيس وتضرع الى الله لياخذ روحه في الحال حتى لا يقع في يد مطارديه فمات من فوره. وهكذا وجد يهود العماديه ميثاً فاخبروا شيخهم الذي أعلم بدوره شيخ بارزان. ثم دفن الحبر شموئيل في مقبرة الأتقياء والقديسين، وأقيم نصب تذكاري على ضريحه، ونثرت

حوله بذور الرمان. ومن تلك البذور نمت حديقة رمان كثيفة اشتهرت ثمارها بين اليهود والمسلمين، لإعتقادهم بأن من يقطف ثمرة من البستان دون إذن الحبر شموئيل يصاب بالحمى. لهذا يخشاه المسلمون ويسمونه شيرا دين، "الأسد المجنون"، لكن الشخص الذي يعاني من الحمى ويأتي الى هذا الضريح ويطلب الإذن منه يقطف ثمرة رمان ويتناولها بعد ذلك، فستزول عنه الحمى على الفور.

إن يهود الريف لقلة عددهم في مواطنهم، يكونون أقل صرامة نوعاً ما حيال قوانين السبت. ففي سنة مثلاً يقال بأن اليهود القرويين، لقلة معرفتهم باليهودية، ينسون في بعض الأحيان هل حل السبت أم لا. وهناك حكاية في هذه الصدد تقول:

ذات مرة أرسل يهود إحدى هذه القرى - بسبب إختلافهم على هذه النقطة - أحد الكُرد الى قرية مجاورة ليرى ماذا يفعل يهودها. فذهب هذا ثم عاد اليهم ليخبرهم قائلاً: "النساء جالسات على أعتاب الدور يصطلن القمل، والرجال يشربون العرق ويأكلون البذور". فردّ عليه أحد اليهود قائلاً: "إذا كان كما تقول، فإن اليوم هو السبت" (في سنة).

لكن اليهود، حتى في مدينة مثل سنه يتساهلون في مراعاة قانون السبت اليهودي، حتى أن بعضهم اعتاد في السابق الذهاب للسوق لشراء الفاكهة، ما دفع زعيمهم روات جميعه الطلب من الحكومة توفير حراس واجبهم التأكد من عدم ذهاب أي يهودي الى السوق في السبت.

في المناطق الجبلية وبسبب من برودة الطقس التي لايمكن معها إطفاء النيران حتى في أيام السبت، فقد تم تبرير انتهاك القانون اليهودي لهذا السبب^(٥):

يقال بأنه في مساء يوم جمعة قبل غروب الشمس، ظهر أحد رسل اليهود في قرية جبلية فيما كانت نارهم على وشك الخمود، فنادوا على "كُردي السبت"، نورايًا [وتعني التسمية "رجل النار"] - الذي كان اليهود يستاجرونه للعناية بالنار في السبت^(٦). وهنا قفز الرسول وصاح بهم: "يُحرم تأجيج النار يوم السبت!" فأوضح له اليهود

٥- ينطبق الشيء نفسه على النساطرة، إذ يقول غرانت: "يقال أنه يوجد نساطرة في تباري لايقودون النار للطبخ في السبت؛ لكن شدة البرد في الشتاء عندهم تجبرهم على إيقاد النار لتوفير الدفء الضروري" (غرانت، النساطرة أو القبائل المفقودة، ص ٢١٥).

٦- في سنة، يسمى كردي السبت: كُر ماله.

المجتمعون بأن البرد سيكون غير محتمل بدون نار؛ لكن الرسول لم يصغ اليهم فانطقات النار. واستمرت درجات الحرارة طوال الليل في الإنخفاض، وكان على الناس في الصباح التالي الخوض في الثلوج المتساقطة كي يصلوا الى الكُنيس. وكاد الرسول اليهودي أن يموت من البرد متجمداً وهو يرتجف ويصيح: "أسرعوا في صلاتكم". فرداً عليه الذي يتلوها: "لماذا، إنه يوم السبت؟". ولما عاد الرسول من الصلاة ظن بأنه سيتجمد فعلاً. وفي النهاية اضطر للسماح للنوراي بإيقاد النار (في العمادية)^(٧).

يوم الإِستعداد

تستغرق الإِستعدادات الخاصة بالسبت شطراً من يوم الخميس إضافة الى يوم الجمعة بأكمله. فالنسوة ينهمن في تمشيط شعورهن بعناية خاصة يوم الجمعة، إذ يحرم عليهن ذلك في السبت. ومن الأسئلة الشائعة بين النسوة في هذا الصدد: "خوارسي إناخ كيخيلاخ بشكاخ بتليلاخ طا شَبَسا؟" هل اكتحلت يا صديقتي وهل لففتِ جدائلِك ليوم السبت؟. ولكن اليهود لا يلبسون ثياب الأعياد إلا صباح يوم السبت، باستثناء الشباب اللائي يتخذن زينتهن في ليلة السبت.

الرجال أيضاً يستعدون ليوم السبت، فيحلقون رؤوسهم صباح الجمعة. والحلاقة مهنة متوارثة في العمادية تختص بها عائلات معينة. والحقاق اليهودي يحلق مجاناً معتبراً عمله هذا ميصقاً يقدمها تبركاً بيوم السبت^(٨). وعند حلول المساء يتباطئ الرجال، شباناً ومسنين، ثيابهم الزاهية الخاصة بالمناسبات ويتجهون الى ضفة النهر حيث يقومون بالإغتسال الشرعي.

وإغتسال الجمعة (خيايا) هذا شبيهه باغتسال العريس (أنظر الص ١٤٧-١٤٨). ويعتبر هذا الاغتسال بالنسبة لليهود - وخصوصاً للشباب - مناسبة عامة بهيجة. بعد الاغتسال يرتدي الرجال ملابس السبت ثم يعودون الى منازلهم (في زاخو

٧- ذات مرة وفي يوم سبت، وقعت شرارة نار على ثوب امرأة وشبّت فيه النار فصرخت صراخاً مفزعاً لكن لم يجرؤ أحد على المخاطرة بإطفاء النار، الى أن أرسل في طلب النوراي لإطفاء النار (في العمادية).

٨- ليس في زاخو ولا في سنه. فلا يوجد في زاخو سوى الحلاقين المسلمين. وفي اليمن يؤدي مدير المدرسة (موري) عمل الحلاق؛ وهو إنما يؤديه مجاناً على أنه نوع من الميترقا (الميترقا: القرصنة أو الواجب الديني أو الأخلاقي - المترجم)، أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور، ص ٣٠٨.

والعمادية). أما في سنه التي تخضع لتأثير فارسي قوي، فقد أقام اليهود فيها حمامات ساخنة على غرار جيرانهم الفرس.

أما الإِستعدادات الخاصة بإعداد طعام السبت فهي بطبيعة الحال من واجب النسوة، مع أن الأزواج لا يعدمون وسيلة للإِشتراك فيها. فطالما لاتذهب النسوة للسوق لشراء لوازم السبت، ومعظمها موجود في بيوتهم، فإن الرجال هم من يذهب لشراء اللوازم من قبيل الفاكهة والدجاج وما الى ذلك. والرجال يعتبرون قيامهم بهذا العمل ميصقاً، لذا يجلبون في كل مرة حاجة واحدة من الحاجات المطلوب شراؤها من السوق ليزدادوا أجراً. وقد أخبرني محدثي من سنه بأنه عادة ما يقوم بعشرين رحلة من البيت الى السوق كل يوم جمعة لإِتمام شراء هذه الحاجات.

الخبز المعد ليوم السبت خبز عادي، ولكن البعض قد ينثر على لإخميمت هاموصي [خبز بركة حاموصي] بذور السمسم أو الكراويا^(٩). وأما عن مساهمة الشمّاش في تلومست شَبَسا فقد تحدثنا عنه فيما سبق (أنظر الص ٢٧٦-٢٧٧).

إن على ربة البيت أن تعد يوم الجمعة الطعام اللازم للسبت إضافة الى وجبة عشاء الجمعة. وحامّين اليهود الكُرد أو طبق سبتهم الساخن ميبوسه^(١٠) يختلف باختلاف الفصول والوضع الإقتصادي لكل عائلة، ونحن حتى في هذه الحالة نلاحظ التحفظ الفلاحي لليهودي الكُرد. فالنوع المفضل من حامّين هو الكبة (كوتيله أو كفته؛ أنظر ص ١٢٠) التي تُطبخ بطرق مختلفة يتم في معظمها خلطها مع (كيسه) أو قطع من أمعاء الغنم المحشوة بالرز (في أربيل وزاخو والعمادية وچالا وسنه). وأما طبق الميبوسه الصيفي المفضل فهو الدجاج مع الرز، رزا كسيسا، ويطلق الكُرد على الكبة كفتي شَمّه "كبة السبت" وينسبون اليها قدرات علاجية (أنظر ص ١٢٠).

يتم طبخ الميبوسه في الفرن (كأنونه) الذي هو وعاء من الطين المفخور ذو ثلاثة جدران. ويستخدم في تسخين الفرن وقود الفحم (بليت نورا)، ولكي يحتفظ الفرن بسخونته يغطى نار الفحم بالرماد الذي يسمى (بريش دژمنه "على - رأس - الأثيم [العدو]) (في زاخو). وفي هذا إشارة ضمنية الى التقليد اليهودي المتبع بنثر الرماد على رأس الميت، والهدف منه كما يبدو أن لايطال ذلك الرماد أياً من أفراد العائلة. بعد تغطية النار بالرماد توضع بلاطة من فخار (سدوده) على الطرف المفتوح للفرن

٩- في سنه، تخبز المرأة ستة أرغفة دائرية صغيرة من الخبز، جوجه شابّات، إثنان لكل وجبة من الوجبات الثلاث.

١٠- في زاخو: ميبوسه، وفي العمادية وچالا: ميبوسه.

ثم تُسد الثغرة بين القدر والفرن. ويضعون البيض في هذا الفرن المحكم لشيءه ويسمونه (مبيسه).

ليس اليهود الكُرد، بخلاف اليهود اليمانيين الذين تكمن أهمية الفرن لديهم في الإبقاء على قهوتهم (كيش) ساخنة^(١١)، معتادين على تناول المشروبات الساخنة في يوم السبت، وذلك لإنهماك الرجال في شرب العرق بإفراط. أما النسوة فلا يشربن غير الماء. وفي العماديه يرسل المسلمون الكُرد في كثير من الأحيان الشاي الساخن لأصدقائهم اليهود، وفي أربيل قد يطلب اليهود القهوة التي دفعوا ثمنها مقدماً من المقاهي الكُردية.

مساء الجمعة

في أيامنا هذه، لا يُعلن عن قدوم السبت على الملأ. لكن فيما مضى كانوا مثلاً ينفخون في الشوفار علامة على قدوم السبت^(١٢). وفي بيتنوره هناك شوفار خاص لهذا الغرض. النفخة الأولى من الشوفار تنذر اليهود الموجودين في الحقول بالتوقف عن العمل والعودة الى ديارهم. والنفخة الثانية للعاملين في بساتين قريبة من بيوتهم. أما الثالثة فلاضاءة القناديل. أما اليوم فيذكر أذان ملا المسلمين من على منارة الجامع، النسوة بحلول ساعة الإنتهاء من إستعدادات السبت (في زاخو والعماديه). وقبل مغادرة الزوج الى الكنيس يحضّ زوجته قائلاً: "مالك مَليك شريعة ميشافه دوکسا مبيس مبيسا" أو قدي القنديل وافرشي السجاد وسختي المبيسا" (في العماديه) [أو موبيسلوخون مَلكون شريعة خابجا هاي مروزدگلوخون شولان دقوكولا شبسا هاي] هل أعددت الحامين؟ استعجلي في إيقاد الشمعة بسرعة أكبر! هل أعددت المائدة؟ أنهي إستعدادات السبت بسرعة أكبر قليلاً! وهو في كل ذلك يوجهها برقة].

في الماضي، كان قنديل السبت يصنع من الحديد أو الفخار في شكل بيضاوي كالقناديل القديمة التي يعود تاريخها الى العصر البابليوي^(١٣). وفي نيره لازالوا يستخدمون تلك القناديل الفخارية الى يومنا هذا. وهناك في سنه أيضاً قناديل

١١- أنظر إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور، ص ٣٠٩.

١٢- فيما مضى، كان يتم الإعلان عن السبت في أربيل عن طريق النفخ في الشوفار (البوق) من فوق القلعة.

١٣- [كان] هناك شريعة شابسا من حديد يعود الى حوالي مائتي سنة ضمن مجموعة براور بالجامعة العبرية (١٠١:٣٨).

فخارية ذات مقابض يطلقون عليها إسم شريعة همداني [قناديل همدان] ما يدل على أصلها الفارسي. أما أكثر أنواع القناديل شيوعاً في الوقت الحاضر فهو المصنوع على شكل دورق زجاجي مملوء بزيت الخروع وله عدة فتائل.

بعد إيقاد القناديل تعد ربة البيت صينية السبت. فتضع أربعة أو ستة أو اثني عشر رغيفاً من لاختمت هاموصي على الصينية أو في سلة^(١٤) (عند الفقراء). وكانوا فيما مضى يضعون فوق إناء الخبز إناء آخر أصغر فيه ملح ثم تغطي الصينية بقطعة قماش (في العماديه: ماده)، وهي غطاء قماشى مؤلف من قطع قماش صغيرة مربعة مختلفة الألوان، ويطرزونها عليها في بعض الأحيان عبارة مأثورة باللغة العبرية من قبيل (تذكر يوم السبت لكي تقدسه). وفي سنه أيضاً نجد بعض هذه الأغطية الجميلة مزينة بزخارف وكتابات عبرية، ويشبهه واحدها الغطاء القماشى الذي يغطي به طبق الپاسوشر.

توضع كأس التبريك الى جانب خبز السبت، وكأس (كانينا) - عادة - كأس عادي مصنوع إما من النحاس أو الخزف. واليوم يفي بالغرض كأس زجاجي، رغم أن بعض اليهود يستخدمون كؤوساً أو طاسات فضية نُقشت عليها أسماءهم.

بعد أداء الشعائر الدينية في الكنيس، يبدأ الناس في تبادل التحيات بعبارة شبات شالوم. وبعدها تقضي كل عائلة الأمسية فوق سطح الدار إذا كان الفصل صيفاً. وبعاد ترديد العبارات المستخدمة في طقس منح البركة على الخبز والخبز، بعدها يشرع الرجال بشرب العرق مع المزّه وهم يغنون أغاني السبت، ثم يأتي بعد ذلك وقت تناول وجبة السبت.

ليس اليهود الكُرد معتادين على تناول السمك مساء الجمعة في فصل الصيف، لأنهم يقولون بأن عليهم تناول شيء حامض في هذه الأمسية، وذلك لأن كوكب المريخ يكون في مسار نزول (گلاويث). لذا فإن خاموستا (أنظر ص ١٢٠) هو طبق يوم الجمعة بين يهود العالم قاطبة تقريباً. فلا تجد في زاخو مثلاً عائلة إلا وقد أعدت طبق الخاموستا، وفيما يلي حكاية بهذا الصد:

يقال بأن بائعاً متجولاً يهودياً من زاخو عاد مساء الجمعة الى داره من جولة في القرى القريبة من زاخو بعد غياب دام أسبوعاً. وسأل زوجته: "ماذا أعددت للعشاء؟" فأجابته "بيراخ" (أنظر ص ١١٩)، فقال

١٤- في العماديه، توضع الآن في الصينية ثلاث أرغفة فقط؛ وفي الماضي كان العدد إثنا عشر رغيفاً.

لها: "إذن ناوليني غليونني لكي أدخن". فصرخت به: "ماذا! تريد أن تدخن في مساء الجمعة؟"، فاجابها الزوج: "كلا، فلا يمكن أن يكون هذا مساء جمعة وإلا كنت طبخت الخاموستا".

ونادراً ما يخرج اليهود بعد تناول العشاء مساء الجمعة، لأنهم يشرعون في قراءة شيء من (زوهار) وينامون مبكراً، لأن عليهم الإستيقاظ في الساعة الرابعة من صباح السبت. وفي صباح السبت يرتل الرجال بيزمونيم [ترانيم دينية] ويذهبون الى الكنيس دون تناول طعام الإفطار، والنسوة يتغيين - عدا بعض العجائز - عن طقوس السبت في الكنيس.

صباح السبت

تحتل تلاوة التوراة القسط الأوفر من الفترة الصباحية من يوم السبت في الكنيس، سيما وأن لكل فرد دور فاعل في طقوس هذا الصباح - بخلاف المناسبات الأخرى التي يكون له فيها دور سلبي. ويعتبر شرف استدعاء أحدهم لقراءة التوراة من الأهمية بمكان لدى اليهود الكُرد بحيث أنهم أوجدوا لذلك طقوساً خاصة.

ففي زاخو والعمادية (وكذلك في دهوك) تُباع مناصب الشرف^(١٥) ذات العلاقة مع علياً (الإستدعاء لقراءة التوراة) وما يتعلق به من طقوس مرة كل عام أثناء سمحات تورا (أنظر ص ٣٨٠). وفي سنه يبيعون تلك المناصب مرتين كل عام: أثناء سمحات تورا وفي آخر يوم من أيام عيد الفصح.

ولنورد مثلاً، المزاد الذي يجري في العمادية لبيع هذا المنصب أو الواجب، والذي تصاحبه في أحيان كثيرة خلافات ومشاجرات لأهمية منصب الشرف هذا الذي يطمح إليه الكثيرون. فشرف فتح حُرز التوراة (بتيخات هيخال) يباع لشخصين فقط، ويسعى أزواج النساء العواقر سعياً محموماً للفوز بهذا الشرف لأنهم يرون فيه علاجاً سحرياً لنسائهم.

أما المناصب التي تباع لشخصين فهي: قبيبت سيفر الذي يخرج رق التوراة من الحرز ويضعه على السيده؛ وموقدوره الذي يفتح الرق ويريه لجماعة المحفل؛ والشوشبن الذي يقف الى يمين الحازان ليضع القماش الحريري (شيشه) على رق التوراة حين ينطق الرجل الذي تم إستدعاؤه بدعاء البركة. وعلى يسار الحازان يقف السوميخ ومعه نسخة مطبوعة من التوراة في يده ليتأكد من أن الحازان لا يخطيء

١٥- تسمى الوظائف التي يمكن شراؤها فسله (في العمادية).

في التلاوة (وهي وظيفة تباع لشخصين يؤديانها بالتناوب)، وإذا أخطأ الحازان في التلاوة فإن أفراد المحفل جميعاً - ولكونهم مستعدين لأمر كهذا - يرفعون أصواتهم أثناء القراءة الى أن يدرك الحازان خطأه ويعيد التلاوة على نحو صحيح. ولا تباع علياً كوهين في المزاد لأن عدد كوهينيم في كُردستان قليل [إذ لم يكن في العمادية سوى كوهين (كاهن) واحد في السنوات القليلة الماضية]. وعلى النقيض نلاحظ وجود الكثير من اللاوية الذين وتجنباً للإحتكاكات بينهم حول هذه المسألة يُستدعون بالتناوب [أكثر من نصف أفراد المحفل اليهودي في العمادية هم من اللاوية]. إذ ينهض الشمّاش ويعلن قائلاً: إلهي مزيدبوخون، ليقي فليضعف الله عدكم أيها اللاوية! ويقول هذا تبدأ المزادة على الليفايت]. ولا يباع سوى نصف العلياً الثالثة.

ويتم تقسيم هذا المنصب الى أربعة أجزاء، كل جزء منه يسمى (أقلاسا) على نفس منوال تسمية الأجزاء الأربعة لجثة الذبيحة^(١٦). والرجال الأربعة الذين يحصلون على هذه الأقسام يستدعون لقراءة التوراة أيام الإثنين والخميس وصباحات السبت وأمسياته وعلى التوالي. أما النصف المتبقي من العلياً الثالثة فيحتفظون به للعrsان الجدد أو لمن رزق بطفل أو للضيوف أو ما شابه ذلك. وهناك عند اليهود الكُرد عادة أخرى تتمثل في دعوة الأوليم [الغرباء] أولئك الذين يصعدون] لقراءة التوراة. ففي حفلات العرس والختان أو المناسبات الأخرى التي يتواجد أثناءها غرباء في المدينة، يتم قبل "الثالث" إستدعاء كل من ليس له (علياً) منهم ويرغب بتلاوة التوراة بالتناوب كأوليم. أما الجزء الخاص بـ"الثالث" فيقسم هو الآخر لعدة أقسام ويعاد تقسيمه إن وُجد ذلك ضرورياً. وبالنتيجة قد تطول فترة القراءة من التوراة الى حد مفرط في بعض الأحيان.

[أما في سنه فيستدعون الغرباء الى التوراة بصفة موسيفيم (أولئك الذين تتم إضافتهم) لقراءة التوراة عقب ساموخ (العلياً السادسة). وقد جرت محاولة فاشلة لنشر هذه العادة في العمادية. ففي العمادية يتم إستدعاء الغرباء الذين لا تنطبق عليهم أشعار العلياً الثالثة للمثول أمام الساموخ، حيث يقرأ كل واحد منهم لهم الأبيات الثلاثة الأولى من قسم الساموخ، وتعاد قراءتها مراراً وتكراراً حتى ينال كل ضيف شرف العلياً ليأتي بعد إنتهائهم دور الساموخ]. أما العلياً الرابعة (رقعي)

١٦- مراسيم بيع "الثالثة" تجري في العمادية على هذا النحو: يزايد أحدهم بأنه يدفع ٢٥ روبية ثمناً للقسم بأكمله، ويزايد آخر بأنه سيدفع ٢٠ روبية لشراء نصفه، ويزايد ثالث بـ١٥ روبية ثمناً لتقديم واحدة (أي ربعه)، بعد ذلك يحصل الثالث على "القدم" ثم يحصل الثاني على النصف بعدها تُعرض "القدم" الأخيرة للمزاد مجدداً.



لوح فضي عليه الوصايا العشر
(من العمادية)

بعد مراسيم السبت يزور الناس بيوت العرسان، إذا كان هناك عرسان جدد، أو بيوت من رُزقوا حديثاً بطفل أو يزورون أماكن أخرى إعتادوا الاجتماع فيها^(١٨). ففي العمادية يجتمع الحاقيريم في (بي هازانه) (أنظر ص ٦٨) لحفلة شرب السبت الكبيرة، حيث يحتفل بالعرسان وأباء الموالييد الجدد وما شابه.

يذهب الرجال الى الكُنيس دون تناول "الوجبة الثانية" - التي تضم حامين (ميبيسه) - لحين عودتهم من حفلة الشرب المذكورة. وعن الشخص الذي يتخلف عن مراسيم الصلاة في السبت فقط نيخيلوخ

من ميبيسه سيلوخ سيلوسه لقد إحترمت الحامين ولهذا جئت الى الصلاة أي كنت خجلاً من كذا وكذا" (في العمادية وزاخو). وقبل تناول وجبة الطعام الثانية يمارس الكثير من اليهود - كدليل على الحداد - عادة أكل البيض المشوي في الفرن بتغليفه في كتلة من الطين وطمره تحت الجمرات (في العمادية وزاخو).

النساء لا يحضرن مراسيم صلاة السبت خلا بعض العجائز، بعد إنجازهن المهام المنزلية الضرورية جداً (وغسل الأرضيات هنا محرم). إذ ترتدي النسوة ملابس السبت ويمضين ما تبقى من الصباح الى الظهرية في زيارة العرائس الجدد أو أمهات الأطفال حديثي الولادة أو التكالى. أما الفتيات غير المتزوجات فيتبرجن ويلبسن ملابس الأعياد ومعظم ما لديهن من حلي ومجوهرات ثم يجتمعن في باحة

١٨- بعد انتهاء مراسيم السبت يقوم النساء أيضاً بزياراتهم بدل العودة الى بيوتهم "كان بعض الناس يذهب حينها الى دار خادم الكنيسة، ليشترك في مأدبة حافلة ذات طعام بسيط، ليعود بعدها الى البيت أو يذهب في زيارة للأصدقاء المقربين". ولم يكن النساء أقل تمسكاً من اليهود بقانون السبت: "يقال أنهم كانوا في السابق يقدسون السبت المسيحي لدرجة إنزال عقوبة الموت بمن يسافر في هذا اليوم من أتباعهم" (كرانت، النساء أو القبائل المفقودة، ص ٨٠).

فَتَقَسَّم هي الأخرى الى أربعة أقسام كي يتيسر لكل الذين يتم تعيينهم لمهمة قراءتها أن يحظوا بفرصة القراءة في السبت الرابع من كل شهر.

وقد يتكرر حدوث المشاجرات أثناء بيع القسم "الرابع" الذي يرتفع سعره لكثرة التنافس عليه. ويقسّم القسم الخامس (حاميشي) لأربعة أقسام ولكنه ليس مرغوباً كالأقسام الأخرى لذا يكون سعره منخفضاً ويباع عادة لفقراء المحفل اليهودي.

أما أرقى مناصب العليا شرفاً فهو القسم "السادس"، الذي يُقسّم كالاقسام الأخرى الى أربعة، ويذهب خمس الريع المتحصل من بيعه الى الكُنيس ونصفه الى (الحاقيريم). أما الجزء السابع من العليا (ماشليم) فيقسّم أيضاً الى أربعة أجزاء ويباع فقط لمن كان في فترة حداد.

أما مهمة أو منصب (مفتير) أو الذي يقرأ الجزء الخاص بسفر الأنبياء، فلا يباع مرة واحدة بل يباع جزء منه كل سبت. وغالباً ما يشتري أجزاءه من كان في حداد، أو الذين يراقبون ياهرزيت، ويرغب الآباء في شراء منصب أو مهمة المفتير ليمنحوا أطفالهم فرصة لممارسة القراءة.

[الإسم الأصلي للياهرزيت بين يهود كردستان هو صوميت بابا "صوم الوالد" وصوميت يما "صوم الأم". حيث يصوم المرء في الذكرى السنوية لموت الوالد أو الوالدة. أما إذا صادفت الذكرى يوم سبت فلا يصوم، إلا المتزمتون فيصومون في الأحد الذي يليه (في العمادية). إن كلمة ياهرزيت ورغم أصلها البيدي^(*) تشيع بكثرة في العالم اليهودي، وتوجد الكلمة كذلك في الكتابات الدينية السفارديّة كذلك].

تقرأ هفتطارا بالعبرية فقط، وفي الماضي - في العمادية مثلاً - كانت تُقرأ بلغة التارگوم حصراً^(١٧). [وهناك في كُنيس العمادية حوالي عشرة ألواح فضية نُقشت عليها الوصايا العشر. وإذا ما رغبوا في استدعاء أحدهم لقراءة التوراة، يقترب الشماس حاملاً إحدى الصفائح الفضية من الشخص المعين دلالة على إختياره للقراءة. ويقوم الشخص، إذا كان راغباً في القراءة والحصول على عليا بتقبيل الصفيحة والنهوض من مكانه. بينما يكتفي بتقبيل الصفيحة دون أن ينهض إن لم يكن راغباً في القراءة والحصول على عليا].

* البيديّة: لهجة ألمانية يتحدث بها اليهود في دول الإتحاد السوفييتي المنهار ودول أوروبا الوسطى، وهي تحفل بالكلمات العبرية والسلافية وتكتب بالحروف العبرية. (المترجم).

١٧- يُقال أن اليهود أجبروا في حوالي ١٩٢٥ على الرحيل عن باشقلا وسلماس و جاؤا الى العمادية، ونقلوا اليها عادة قراءة الآيات الأولى والأخيرة من هفتطارا بالعبرية، والبقية بلغة التارگوم، ومنهم أخذ يهود العمادية وتبنوا هذه العادة.

إحدى الدور للرقص أو يجلسن على سطح أحد المنازل للغناء وتبادل الأحاديث. فيما يلعب الصبيان والبنات في هذه الأثناء ألعاباً لاتدخل الكرة أو الأدوات الأخرى فيها. بعد تناول وجبة الطعام الثانية يتوجه الرجال الى دور ذوي الموتى لقراءة ميشمَره، الحصة الأسبوعية من سفر الأنبياء، وهاجيوگرافا وميشنا. ويذهب التلاميذ الى المدرسة (بيت مدرّاش) لنفس الغرض.

بعدها يعود الرجال الى بيوتهم ويقبلون حتى حلول وقت دريشه (في العماديه وزاخو؛ وفي سنه: ديروش وديراش، وهي ترجمة الحاخام للحصة الأسبوعية من التوراة [وللمفاهيم أو العادات]. وتستغرق فترة الدريشه في الغالب ساعتين، وهي الوقت الوحيد الذي يقوم أو يبذل فيه اليهود الكرّد مجهوداً كتابياً.

وفيما ينذر تغيب الرجال عن الطقوس الصباحية، فإن عدد من يحضر منهم شعائر المنحه قليل، رغم أن الشمّاش يكون قد تجول في الطرقات وطرق باب كل منزل مستعداً كل رجل على حدة وهو ينادي (شمّو مينحه)^(١٩). والسبب أن اليهود الكرّد يكونون في تلك الساعة والى ما بعد المنحه مجتمعين لبحث أحد شؤونهم في مجموعات على أسطح المنازل - في الصيف - للغناء ورواية الحكايات وشرب العرق مع المرّة. وتكون الأغاني التي ينشدونها في هذه المجالس ذات طابع دينوي - كالأغاني الكرّدية التي تحكي مآثر بطولية مثلاً - والتي يبدأ الشباب معظم الأحيان بالرقص على إيقاعاتها. وفي هذه الناحية يختلف اليهود الكرّد عن اليمانيين - الذين يحرص حاخاماتهم على عدم انشغالهم بأيّ أمور دينوية في السبت.

وإن لم يكن الزوج قد أخذ معه الوجبة الثالثة الى حفلة الشرب المذكورة، فإن زوجته هي التي تجلبها له الى مكان الإحتفال، وتتألف الوجبة من السمك والدجاج واليبراغ، يتناولها الزوج مع أصحابه بمرح جماعي من تأثير شرب العرق. في بعض الأحيان تتبع حفلة الشرب التي تستمر لغاية الغسق، نزهة حول أسوار المدينة أو ضفة النهر، وهي الأوقات التي تعتبر بالنسبة لليهود الكرّد بهجة السبت الحقيقية.

أما الطقس الختامي ليوم السبت فهو قراءة (مُقَدلاً) التي نادراً ما تتم في البيت. فالبعض يقرأها في الكنيس، ولكن في معظم الحالات يتوجه الرجال الى دار المتوفى لقراءتها، حيث يستمرون على قراءتها فترات تتراوح من شهر الى عام كامل وذلك تبعاً لمكانة الميت.

أما الشمعة الخاصة بالهَقْدَلا في الكنيس فعادية وطويلة تصنع من أعقاب

١٩- في سنه مثلاً، ينادي الشمّاش: رعوين منحيه.

الشموع المستخدمة في يوم كيپور ويستمر استخدامها لغاية البيوريم. أما الشمعة التي تستخدم بعد البيوريم فيصنعها الشمّاش من أعقاب شمّيت مگالا، وتستخدم في أيام الشتاء المظلمة في قراءة التوراة الى جانب عشرة شموع أخرى صغيرة يحملها الأطفال لنفس الغرض.

ويستخدم إيسا "الأس" الذي يحفظ عند السوكوت عوضاً عن التوابل، حيث يحصل كل الموجودين في بيت المتوفى على حصتهم من هذا الأس المجفف. بعد الإنتهاء من توزيع الأس يأتي دور توزيع حبات القرنفل المخبطة في كيس صغير، وبعدها الريحان (ريخان) الذي يتم توزيعه هو الآخر، وتقوم عائلة المتوفى بزراعة الريحان فوق سطوح منازلهم (في زاخو). أما عادة تمرير أظفار الأصابع على شعلة شمعة الهَقْدَلا، فشائعة بين يهود العالم كافة. وفي سنه يبصق اليهودي عدة مرات الى أحد جانبيه بعد تمرير أظفاره فوق الشعلة. ومن الطبيعي في هذه المدينة كذلك الجلوس أثناء الهَقْدَلا ولطم الركبتين بطريقة خاصة بحيث يصدر عن اللطم صوت أشبه برنين النقود المعدنية.

وحيثما يلفظون كلمات بوري معوري هاعيش خلال مراسيم منح البركة حول الشمعة ينادي الأطفال الحاضرون بصوت واحد:

كاته دژمنيت يسرا عيل لي پييس "قد لا ينجو أي من قلوب إسرائيل"،

أود پييس ريسه بيويس "لكن ليبقى رأس من ينجو عالياً" (يتشابه الأمر في العماديه وزاخو).

بعد إنتهاء السبت يجلس الرجل مع أصدقائه حتى وقت متأخر من ليلة السبت جلسة سَمَر وشرب عرق مع المرّة. ويحتفل العديد من العائلات في ساعات الليل هذه بليل كسيسا "ليلة الدجاج" وهي الليلة التي تختلط فيها الأغاني بالرقصات والعرق لترفع من الروح المعنوية للجميع وتثير عواطفهم.

القسم السادس

الأعياد

البيساج

يعتبر الباسوف، عيد الفصح (وبالعبرية بيساج) بالنسبة لليهود الكُرد، كما هو لليهود في كل مكان، عيداً من الأعياد الرئيسية. وتتوجه بهذه المناسبة العائلات اليهودية من القرى الى المدن لإحتفال مع الأقارب. لهذا تندفق على العمادية أفواج القرويين اليهود من قرى بامرني، ئينيشكي، أَرْدُنْ، قَدَشْ، بيناتان وحمديّة [وجميعها في ضواحي العمادية]، جالين معهم المواشي والنبيد.

والإسم الشائع لهذا العيد بين اليهود هو باتيره [أو عيّدت باتيره 'عيد پاسوف' (في العمادية)]. والمصطلح المستخدم في التارگوم هو الخبز المعمول من عجين غير متخمّر^(١) (أي الفطير - المترجم)، ولكن التسمية المتعارف عليها له خلال أيام هذا العيد هي بيسحه. ويطلق اليهود الكُرد على هذا العيد تسميات وتعابير عدة هي:

عَيدا بُهیره، عيد الربيع (في العمادية)

عَيدا مينه بي كعوه، عيد الخبز غير المملح (في العمادية)

عَيدا تحليشكي، عيد الأعشاب المرّة (في العمادية)

عَيدا نيسينه، عيد نيسان (في زاخو ودهوك والعمادية)

وبما أن الكثيرين من أرباب الأسر لا يستطيعون قراءة الهاگاداه، فإن إحتفالات السَدَر لذلك لاتجري في كل البيوت اليهودية، إذ تلجأ العائلات عوضاً عن ذلك لإجتماع (قد يصل عددها في أحياء كثيرة الى أربعين عائلة) في بيت أحد الحاخامات أو بيت رجل يستطيع القراءة يطلقون عليه بسبب هذا الإختيار ميري بيسحه [سيد عيد الفصح]^(٢). وحصول المرء على رتبة ميري بيسحه يعد تشريعاً كبيراً، لذلك يطلب من يسعى للفوز بها من الحاخام إعداده وتدريبه على شعائر السَدَر. وبما أن التنافس للفوز بهذه المرتبة شديد، فقد يستمر التنازع عليها وعلى

١- تسمى النسوة عيد الفصح ئيز پاريتيلي، العيد الذي يسبب إنفجار المرء، وذلك لأنهن مثقلات جداً بالعمل في هذا العيد. (في زاخو).

٢- يقوم يهود القوقاس بنفس الشيء. أنظر: سفر هاماساعوت، يوسف يهودا جورني، سانتا پترسيورگ، ١٨٨٤، ص ١٩٦. أما بين اليهود اليمانيين فتحنفل كل عائلة لوحدها بالسَدَر. أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور.

الضيوف الذين سيحلون على دار ميري بيسحه العام كله، ولكن يجب في كل الأحوال حسم النزاع قبل معرفة ميري بيسحه عدد الضيوف الذين سيستقبلهم.

شَبَات هاگادول

شَبَات هاگادول [بالعبرية تعني السبت الأكبر] وهو الذي يسبق عيد الفصح ويمثل حسم النزاع حول إستقبال الضيوف، إذ يعلم فيه ميري بيسحه عدد وأسماء الضيوف الذين سيحلون في داره في السَدَر. وفي زاخو يطلقون شَبَات هاگادول تسمية شَبَات باطيه سبت الفرح^(٣). [وفي العمادية يسمونه شَبَسا ياقورتا أو شَبَات هاگادول]. في هذا اليوم يتم إعداد كعكة خاصة يسمونها فَرنيه معدة من البيض والسمسم، في بيت ميري بيسحه قبل يومين أو ثلاثة من شَبَات هاگادول. ويرسل ميري بيسحه عن طريق زوجته من هذه الكعكة لكل الأشخاص الذين يقبلون دعوته بالحلول ضيوفاً عليه في منزله في السَدَر. وأما رفض الدعوة فيكون لخلاف شخصي مع ميري بيسحه حول المنصب أو بسبب تفضيل دعوة من ميري بيسحه آخر. ويجري في أمسيات السَدَر (كما سنرى) تقديم عروض فنية درامية كاريكاتورية تقدمها عائلات أشتهرت بهذا النوع من الفعاليات الإحتفالية. وعلى الرغم من رفض البعض قبول دعوة ميري بيسحه، إلا أن الأخير يزور العائلات التي رفضت دعوته مستصحباً شخصية هامة، في مسعى أخير لإقناعهم بقبول دعوته.

وعند حلول شَبَثيت باتيه تحضر العائلات التي قبلت الدعوة الى منزل ميري بيسحه، وعندها فقط يعرف الأخير عدد ضيوف عيد الفصح، بيسحيه الذين لبوا دعوته لأمسية السَدَر بعد مساعيه طوال العام. فيسهر على راحتهم. ويتوجه كل ضيف إثر انتهاء شعائر صباح يوم السبت الى دار ميري بيسحه الذي قبل دعوته للأكل والشرب والمرح.

يرتدي الشباب في هذا اليوم ملابس عيد الفصح الجديدة ويخرجون برفقة الموسيقيين الى ضفة النهر للغناء والرقص. وفي العمادية أخذ شَبَات هاگادول إسمه من ملابس عيد الفصح الجديدة هذه: شَبَثيت ماخوويت حله، سبت عرض الأزياء. [ويسمى في العمادية شَبَثت هرگي، سبت الملابس أيضاً]. وهنا فإن ميري بيسحه الذي أجهد نفسه طوال العام لإستخدام ضيوفه المرغوبين الى أمسية السَدَر عنده يعلم من سيأتي اليه. وفي صباح الجمعة تتوجه زوجة كل مدعو، بيسحيه الى دار

٣- هكذا عرفها لي أحد محدثي من زاخو. ومع ذلك فالمعنى هنا غير مؤكد.

ميري يبسحه لمساعدة زوجة الأخير في الإستعدادات الجارية ليوم السبت. وفي صباح السبت يتوجه الديسحيه مع زوجاتهم لتناول وجبة طعام إحتفالية في دار ميري يبسحه، حيث يقام بالمناسبة إحتفال يقوم الكل في نهايته بغرز وردة في قبعته علامة على إشتراكه في مراسم *السدر* في المساء. بعدها يخرج الجميع للتزوه. ولهذا يعتبر شبات هاكادول سبت الفرح في عموم كردستان.

تهيئة الماتزوت - توفير الحبوب

إن إعداد الماتزوت (مفرده: ماتزو؛ وبالعبرية ماصوت) يحتل مكانة هامة في إستعدادات عيد الفصح. كان إنشغال اليهود الكرد بالزراعة في السابق أكبر مما هو عليه الآن (وهي حقيقة أكدنا عليها مراراً في ثنايا هذا الكتاب)، لذا كان رب الأسرة يحرص على الذهاب الى الحقل ليحصد بنفسه الحبوب المخصصة لإعداد الماتزوت. فكان رب الأسرة يختار أبعد الحقول عن العمران، التي لا يصل الدجاج إليها لإعتيادهم القول: [موسيلان شَمورا لاشميلا قيليت ديكلت ميصا تي ميصا تجلب شَمورا] (الحبوب) المحروسة التي لم تسمع أصوات دجاج المدينة لصنع الماتزوت.

وبعد جلبها الى البيت كان رب الأسرة يدرس الحنطة بال(خاتوره) على سجاجيد مغسولة حديثاً (في العمادية). أما اليوم فيجلبون الحنطة المخصصة لعيد الفصح بعد الحصاد مباشرة، ويختارون لذلك حنطة من الدرجة الأولى يحفظونها بعد درسها وتنظيفها في جرار مُحكمة الإغلاق. في معظم المقاطعات هناك فرق بين الحنطة المستخدمة في تحضير الماتزوت العادي لأخميت يبسحه أو لأخميت بَطيره) وبين ماصوت شَموروت، الماتزوت المحروسة. ففي العمادية يشترى القمح المخصص لصنع الأخيرة صيفاً وهي سنابل على سويقاتها لتُدرس في البيت، بينما تشتري العائلة الطحين لما تبقى من عيد الفصح من السوق في شهر آب عقب انتهاء الحصاد. أما في أشنويه فتُحصد كل الحنطة المستخدمة في صنع الماتزوت تحت الإشراف، ولكن لا تُدرس في المنزل إلا الحنطة الخاصة بصنع ماصوت شَموروت.

الطريقة التي يجمع بها يهود زاخو ودهوك الحنطة لعيد الفصح فريدة ومثيرة للإهتمام. فخلال الشافوعوت تتوجه حوالي ثلاثين عائلة من العائلات اليهودية الفقيرة من زاخو الى حقول الفلاحين المسلمين لإلتقاط ما يتخلف عن الحصاد من سنابل القمح. ويعتبر جمع سنابل القمح مهنة محصورة باليهود فقط، إذ تقوم كل

عائلة (النساء والأطفال مجتمعين) بجمع مخلفات الحصاد من السنابل في نفس الحقل سنة إثر أخرى^(٤). فيقول الناس فقيريم بيزي إيل شوبلييه الفقراء ذاهبون لإلتقاط السنابل. ويطلق على الذي يجمع السنابل شوبلييه. تجمع كل عائلة من هذه العائلات يوماً ١٠ روتل (ما يعادل ٢٥ كيلوغراماً) من الحنطة. وبعد الانتهاء من العمل تفرش النسوة قطعة قماش على الأرض يكون فوقها سنابل القمح ويدرسنها فوراً في الحقل. ويستغرق عمل هذه العائلات في حقول الحنطة حوالي ثلاثين يوماً.

ولدى عودتهم الى زاخو بعد الفراغ من عملهم ينتظر أهالي زاخو، يهوداً ومسلمين، كباراً وصغاراً مقدم العائلات لعلمهم أن الشوبلييه أحضروا معهم شيئاً لكل واحد منهم، وبالتحديد كيلوري أقراص الخبز التي تشبه الكعك والمصنوعة من حبوب الحنطة التي جمعوها. ويحصل كل واحد من أقرباء الشوبلييه - بما فيهم الأغنياء - على رغيف من هذا الخبز.

وقد إعتاد الشوبلييه أيضاً على جلب شيء آخر معهم لتوزيعه كهدايا وهو نوع من المشط المصنوع من سنابل القمح الطرية المجدولة ويسمى مسيركيت خيته [مشط الحنطة] يعلقه اليهود على أبواب دورهم كتعاويد. ويعلم الشوبلييه أن أغنياء اليهود سيقدمون لهم بدورهم هدايا مقابل أمشاط الحنطة التي يقدمونها لهم. ويعتبر استخدام تعاويد أمشاط الحنطة هذه أمراً شائعاً^(٥). الحنطة التي يجلبها جامعو السنابل تباع في زاخو لليهود الذين يستخدمونها في إعداد ماصا شَمورا أو الخبز عموماً في عيد الفصح.

تنظيف الحنطة وخرزنها يتم بحرص وعناية فائقة. ولأن هناك عائلات معينة تحتفل بالسدر في كردستان (كما أسلفنا)، فإن على ميري يبسحه أن يتولى بنفسه القيام بهذه الإستعدادات؛ لأنه الوحيد الذي سيحتاج لكمية كبيرة من الماتزو والمصاص شيمورا. ففي أولى ليلتي السدر يأكل معه جميع الديسحيه وكذلك في آخر ليلتين من الپيساج. وعموماً تُستهلك كميات كبيرة من اللحم والقليل من الماتزو خلال عيد الفصح، ولذلك تخبز العائلات كميات قليلة من الماتزو لهذه الفترة.

يقع عبء تنظيف الحنطة كله على عاتق ميري يبسحه، الذي يجب عليه أن ينظف

٤- تشيع نفس العادة بين يهود القفقاس: [ولا زالت العادة سائدة بينهم حتى اليوم، إذ تتوجه النسوة الفقيرات لجمع سنابل القمح في حقول الأمراء والملكين... وتقوم العائلة بدرس ما جُمع من سنابل في المساء لبيعها للميتزوفوت، والسعر الذي تحصل العائلة عليه لهذه الشَمورا سعر مرتفع] (زفي كاسادي، رحلة الى مملكة آارات، ١٩١٢، ص ٣٣. ترجمه عن العبرية ر. ب.).

٥- قارن: فلهلم مانهارد، Wald- und Feldkulte, Berlin, 1875-77- index، مادة "Erntrauss"

ويخزن كمية كبيرة منها. ولهذا أصبح من المعتاد في العمادية أن يدعو ميري بيسحه الپيسحييه الى داره في الپيوريم ليساعده في بديقيت خيته، "تصنيف الحنطة"، حيث يتناولون لذلك وجبة طعام واحدة في بيت ميري بيسحه. وفي اليوم التالي تأتي زوجات الپيسحييه ونسأؤهم الى دار ميري بيسحه لتنظيف الحنطة والمساعدة في الأعمال الأخرى. في البداية يجري تنظيف الحبوب. تمر الحبوب بعدها بثلاث مراحل تنظيف على يد ثلاث نساء على الأخيرة منهن أن تكون ذات بصر ثاقب. وبعدها تأتي عملية تنظيف البقول. أما الرز فيجب أن يمر خلال ثلاث أو خمس مراحل للتنظيف، بينما يمر السمسم بمراحل تنظيف قد تصل الى عشرة مراحل لصغر حجم حبوبه. وبخلاف قلة من المتدينين فإن معظم يهود كُردستان يتناولون الرز خلال عيد الفصح وذلك بخلاف يهود فارس^(٦).

طحن الحبوب

كان طحن الحبوب يتم في السابق بواسطة الرحا، كما هي الحال عليه الآن في السليمانية. أما الآن فيشيع استخدام الطواحين المائية التي يديرها المسلمون. ولكي يتمكن اليهود من استخدام هذه الطواحين كما يريدون خلال عيد الفصح، فإنهم يلجأون الى إستئجارها لفترة معينة من أصحابها، فيقومون بتنظيفها تماماً قبل أن يطحنوا فيها شيئاً. فقبل عيد الفصح بنحو أربعة عشر يوماً يذهب الكاباي والحازان والشماش الى الطاحونة التي إستأجروها للتأكد من أن تنظيفها يجري على الوجه الصحيح. إذ يجري تشذيب رحا الطاحونة وتطهير كافة الأواني المستخدمة فيها وأرضيتها وتغطيتها بعد ذلك بالحصران. وفي يوم بدء الطحن يقوم الحازان بتنظيف كل شيء مرة ثانية بحرص وعناية مفرطين. وبعد هذا يبدأ الطحن، الذي وإن لم يكن يقوم به اليهود إلا أنه يتم تحت إشرافهم وتوجيههم الكامل.

تحضير الماتزوت

للماتزوت أسماء عديدة: لآخمييت *إيزا* (في زاخو والعمادية)، لآخمييت بيسحه (في العمادية)، ولاخمييت *پاثيره* (في العمادية). [وفي العمادية يتم تحضير "الماتزوت المحروس" الذي يعدّ خصيصاً لوضعه فوق طبق *السدر* ليتم تناوله في أمسية *السدر* ويسمى *ماصيت سيله* "ماتزوت السلّة" أي طبق *السدر*. أما كل

٦- [ولكن يهود مشهد، في إيران، يأكلون مع ذلك الرز خلال عيد الفصح].

أصناف الماتزوت الأخرى التي يتم تناولها خلال *السدر* فتسمى لآخمييت *عیده* "خبز العيد". والمسلمون الكُرد مولعون بأكل الماتزوت ويسمونه *تاني عيدي* "خبز العيد". تحضير الماتزوت يبدأ في الثاني من شهر *نيسان* لأن المرأة اليهودية الكُردية لاتعمل في اليوم الأول من كل شهر قمري. يجب تحضير نوعين من الماتزوت: من عجينة الخبز العادي غير المخمر وتحضره النساء. ومن *ماصا شمورا* الذي يحضره ويخبزه الرجال يوم *السدر*.

من أجل تحضير الماتزوت يتم بناء أفران جديدة، وتتولى النسوة عملية الخبز بالتناوب دون توقف وفق خطة معدة سلفاً، وتتعاون عائلات عدة في هذا العمل. ويجب خلال عملية التحضير الإستمرار في تحريك العجينة وعدم تركها ساكنة للحيلولة دون تخمرها. ولهذا تستمر النسوة في تحريك العجين وأواني العجين وحتى كتلة العجين التي يصادف أن يحملنها في أيديهن. وتحدد بدقة كمية العجين التي يجب أن تحملها المرأة في كل مرة. وهناك في العمادية أنية خاصة لقياس هذه الكمية يطلق عليها تسمية *عاجنه* لا تستخدم إلا في خبز الماتزوت.

أما يهود سنه فلهم نظام آخر في تحضير الماتزوت، إذ يقومون قبل تحضيره بتقسيم الطحين المعد لذلك الى أربعة أقسام يزن كل قسم *روتل* واحداً، ويعجنون في كل مرة نصفه (يسمونه *عومر*). ويسمى الماتزوت المخبوز من *عومر الأول سالة* ويحفظ حتى الشاقوعوت. أما الدقيق الذي يُنثر على عجينة الماتزوت فيعدّ من الرز أو العدس.

لكل امرأة أثناء تحضير الماتزوت دورها المحدد، ويمر رغيف الماتزوت من يد امرأة لأخرى بسرعة لحين وصوله الفرن حيث يُفرش على وسادة صغيرة معدة لذلك ويلصق بواسطتها بجدار الفرن. في الغالب يكون الماتزوت المعد بهذه الطريقة لآخمييت *تنوره* [خبز التنور] وليس لآخمييت *دوكه* (الخبز المعد على *الدوكه* أو مقلاة الخبز؛ أنظر ص ١١١). وفي جالا يخبزون لآخمييت *دوكا* وهو لا يختلف شكلاً عن لآخمييت *تنورا* العادي ولكنه أكبر بقليل في بعض المناطق.

وأثناء العمل تظهر النسوة بأن العمل في تحضير الماتزوت أمر شاق ويقلن: *لبان قدلّه* "قلبتنا احترق"، ولهذا يتم - في العمادية مثلاً - صنع مشروب خاص للنساء نادراً ما يقدم في المناسبات الأخرى ويسمى *شاهميزه* يتألف في معظمه من مواد حامضة مثل *مايت سموكه* والبصل الممزوج مع *طبخين* وأصل ذلك كما يقال يرجع الى *ماورد* في (سفر روث ٢: ١٤): "وقالت لها بواز في موعد طعامها: تعالي قربي

وتناولوا من هذا الخبز، وإغمسي لقمته في هذا الخبز".

يحضر الحاخام والحازان معاً عملية تحضير الماتزوت للتأكد من إلتزام النسوة بكافة الضوابط. بعدها يُحمل الماتزو على إيقاع التراتيل^(٧) الى البيت حيث يوضع في سلة تعلق بسقف الغرفة كي لا تبلغه الفئران والهوام.

تطهير أواني الطبخ: البحث عن حاميص

قبل حلول عيد الفصح ببضعة أيام يقوم الشّمآش بجولة على بيوت اليهود ليجمع من النساء الحطب اللازم لعآكيله أي تطهير أواني الطبخ. وهي عملية تجري في باحة الكُنيس، إذ يحفرون حفرة كبيرة لإيقاد النار يضعون فوقها قدرأ نحاسياً كبيراً يعود لأحد أغنياء اليهود. وفي اليوم المحدد لعملية تطهير الأواني، يصعد الشّمآش الى سطح الكُنيس وينادي في جميع الإتجاهات: "عآكيله، عآكيله!". فتبلي النسوة نداءه ويتجهن مسرعات الى الكُنيس وكل واحدة منهن تحمل ما ستستخدمه في عيد الفصح من أواني الطبخ.

في البداية يتم تطهير "كآشر [كوشر] مرجلين كبيرين ضروريين للعملية وذلك بملئهما بالماء الذي يُسخن حتى الغليان وحينها تلقى فيه ثلاث أحجار مسخنة في النار. وبعد هذا يبقى أحد المرجلين يغلي باستمرار بينما يُمأل الثاني بالماء البارد كلما فرغ. ولا تُستخدم الحجارة المسخنة في تنظيف الأوعية والأواني الأخرى.

قبل بديقه [في العماديه بديقت حميرا] يأتي البحث عن حاميص، حيث تخفي ربة البيت [بناء على توصية من زوجها] بعض فتات الخبز أو أي حاميص في أماكن عدة من الدار. وكتذكير بالبلايا العشر تضع الزوجة عشرة قطع من الفتات في الزوايا ولهذا يسمون المراسيم بديقت نيسره يرتقيت حامص [البحث عن قطع الحاميص العشرة].

في عشية الرابع من نيسان يأخذ سيد الدار شمعة من التي يصنعها الشّمآش لكل عائلة من شمع الكُنيس (في زاخو)، ليبدأ عملية البحث عن فتات الخبز. وفي سنه يحرضون على عدم لمس الحاميص بأصابعهم ويلتقطونها بملقط. وفي بعض الأماكن يضعون فتات الخبز في إناء يحتوي ملحا^(٨) (في العماديه). ويحمل الباحث

٧- مثلاً النشيد: لو لانو، لو لانو، بينخيم لو لانو - من مصراييم كآلانو، إيت تورانيم نيحالانو (ليس وارداً في سفر ديفيدسون ثيورسوروس).

٨- [المالح في التقاليد اليهودية، ر. ب. حول الفلكلور اليهودي، ديترويت ١٩٣٨، ص ٣٨٨-٣٩٠]

عن فتات الخبز سكيناً يبحث بها في زوايا الدار. وفي أشنويه يضعون الحاميص الذي يعثرون عليه في دوكه أو قماشة حفظ الخبز. وخلال الليل يوضع الحاميص في مكان أمين كي لا تقترب منه الفئران والهوام. وفي صباح اليوم الرابع عشر من نيسان يحرقون الحاميص مع إيتروج ولؤلأف المحفوظين منذ السوكوت.

على الرجل الذي سيقام إحتفال السدر في داره الذهاب في عشية الرابع عشر من نيسان الى النبع أو النهر لإحضار الماء لإعداد ماصا شيمورا. هناك في العماديه خمسة أفران فقط لتحضير الماصا شيمورا، وعلى رؤساء المجموعات "خوراويتا" أي مييري ببسحه الخمسة الذهاب الى النبع بأنفسهم لإحضار الماء. ويرافق هؤلاء الشباب والصبية ويتجهون جميعاً بهدوء الى نبع الماء. وبعد أن يحصل الرجال الخمسة على الماء يعود الجميع وهم يغنون أغنية (ألف بيت الألفباء). وتتمثل الأغنية في تكرار إنشاد حروف الإسم المقدس (يهوه، YHWH) بتغيير ترتيب الأحرف مع كل مرة. وتبدأ الأغنية هكذا: ألف، بيت، جيمل، داليت، هي، ثم هي، داليت، جيمل، بيت، ألف. ثم يعودون الى البداية وهكذا الى آخر حرف وهو يود. [في العماديه يغنون أغنية ألبائية أخرى لا علاقة لها بإسم يهوه، بل تضم جميع حروف الأبجدية، والأغنية هكذا: ألف، بيت، جيمل، جيمل، بيت، ألف ثم ألف، بيت، جيمل، داليت، داليت، جيمل، بيت، ألف وهكذا يمضي التكرار مع إضافة حرف في كل مرة لغاية الانتهاء من الحروف الأبجدية كلها]. ويحمل مييري ببسحته الجرار على أكتافهم وهم يغنون بينما يصفق الآخرون. ولدى انتهاء الرجال من الغناء يبدأ الصبية الصغار بتريدي ترنيمه الشكر، هاليلويا:

هاليلويا، هاليلو عَقدِي أدوناي، حمداً، حمداً، يا عبيد الرب

هاليلو أدير أدير، أدير أدوناي، حمداً للجار، الرب العظيم.

وحين تحتاز هذه المجموعة الحي اليهودي، تخرج الفتيات الشبابات من المنازل ويغنين: هالالويا وبهالالويا باخلاخ إيدليل به شليقي بسرا تويا، حمداً وشكراً، سناكل الليلة كثيراً من البيض المسلوق واللحم المشوي.

لا وجود لهذه العادة في سنه والسليمانية، لأن الفتيات هن من يحضر الماء من النبع وليس الرجال، حتى إن النسوة المسلمات الكرديات، اللائي يعملن في بعض البيوت اليهودية كخدم، يشتركن معهن في هذا العمل. كما أن النساء يخبزن ماصا شَمورا في مدينتي سنه والسليمانية وليس الرجال.

يمكن تناول الحاميص يوم الرابع عشر من نيسان حتى الساعة التاسعة

صباحاً، ولكن الطعام يكون بارداً (الخبز والمأستا) لأن الطبخ محرم، ويتناولونه في باحة الدار لا في الغرف. وبعد تناول آخر قطعة حاميص يغسلون أفواههم ويجففون شفاههم. ويحرقون ما تبقى من حاميص في باحة الدار. وفي بعض المناطق يوقدون النار التي يحرقون بها الحاميص من إترو ١ ولولاف السوكوت (في العمادية).

وفي بعض المناسبات يتخلص يهود سنه من الحاميص عن طريق إلقائه في النهر [وهذا من بقايا طقوس تشليخ]. ويغلق التجار الذين يمتلكون حاميص جاهزاً في دكاكينهم خلال العيد. ومن المعتاد في كردستان (كما في الأماكن الأخرى) بيع ما تبقى من حاميص، وهو بيع حقيقي تماماً^(٩). ورغم أن المسلمين في كردستان يزورون اليهود بإستمرار ويأكلون معهم أيضاً، إلا أنه لا يُسمح لأي مسلم بدخول أي بيت يهودي خلال عيد الفصح ما لم يحمل في طياته ثيابه الحاميص.

قبل عيد الفصح تصبغ اليهودية الكردية يديها بالحناء بإعتبارها أيضاً من الحاميص. وفي الرابع عشر من نيسان يستحم الجميع ويقصون شعورهم ويرتدون ملابسهم الجديدة. أما الأكثر تديناً من اليهود فيذهبون الى النهر لممارسة طقوس الإستحمام في مياه النهر.

وفي العاشرة من صباح الرابع عشر من نيسان يصعد الشَّمَّاش على سطح الكنيس وهو ينادي بالتوقف عن جميع الأعمال، وخلا الانتهاء من أهم الإستعدادات للباسوقر يحظر القيام بأي عمل آخر. وعندها يبدأ الرجال في تحضير فطير ماصا شمورا^(١٠). فتذهب الخوراويثا (المجموعات) الخمس الى الأفران المخصصة لهم على التوالي (في العمادية)، حاملين الماء الذي أحضره رؤسائهم وهم يغنون أغنية الألفباء التي ذكرناها. ويتسلم هؤلاء مهمة تحضير الخبز من النساء ويقومون بها كلها عدا الخطوة الأخيرة من العملية وهي وضع الرغيف في الفرن حيث تتولاه امرأة عجوز.

في بيتنوره وچالا، حيث تقوم كل عائلة بتحضير فطير الماتزو بنفسها تساعد الزوجة زوجها في تحضير ماصا شمورا. أما إذا كانت نيداً [حائض ليست على طهر] فتحل إحدى الجارات محلها. يماذ القرن بأغصان الصفاصاف واللولاف التي

٩- الخنطة لا تباع في حين يباع الگرگر (البرغل) والطحين للبدو الكرد الذين يدفعون ثمنها لاحقاً على شكل كميات من الجن خلال الپيساج(في زاخو). ويبيع التجار الحاميص في بعض الأحيان قبل الپيساج بنصف السعر السائد (في العمادية).

١٠- في زاخو يخبزون ماصا شمورا عند منتصف الليل.

كانت مخزونة منذ السوكوت، ويرددون بإستمرار خلال العمل كلمات كوهين، كوهين (أو ليقي أو إسرائيل وذلك حسب الحالة) لمنع وقوع الأخطاء (في زاخو والعمادية)، لأن المتعارف عليه بين اليهود الكرد أن هذه الأصناف الثلاثة من ماصا شمورا تتميز عن الأنواع الأخرى بعلامات معينة.

في العمادية وبامرني يخطون على الماتزو، يعود من الأس، خطوطاً قطريه تقطعه بشكل مائل الى ست قطع: واحدة تمثل كوهين، واثنان تمثلان اللاوية وثلاث تمثل إسرائيل. وفي هيل وبارزان وسندور يسمون الماتزوت بعلامة واحدة أو إثنيتين أو ثلاثة بكشتبان بدل تلك الخطوط. وكانت هذه العلامة تستخدم في السابق من قبل بعض العائلات في العمادية أيضاً. أما العلامة الأكثر شيوعاً في مناطق (زاخو، دهوك، سنه، برشه، بيتنوره، نبروه، ريكان، چالا، أشنويه والسليمانية) فهي في شكل نتوءات بارزة صغيرة تشبه حلمة الثدي في أحد جوانب الماتزو وبعدد مناسب - بحسب الدلالة المطلوبة [چيكييئا (في برشه)]^(١١).

ولتوفير الأفيكومان يخبزون فطيرتي ماتزوليقي كبيرتين. ويغني الپيسحييه التراتيل عند حملهم ماصا شمورا الى ميري پيسحه الذي سيستضيفهم.

تهمة الدم في الفطير

إن الإتهام باستخدام اليهود الدم في فطير الماتزو حدث فقط في المناطق الكردية الفارسية. فقد كتب ر. ديفيد دببت هل، الذي تجول في أنحاء كردستان بين ١٨٢٧-١٨٢٨، عن حادثة في هذا المجال وقعت في أورميه^(١٢) قائلاً:

إختفى صبي مسلم، فاتهم اليهود باستخدام دمه في صنع الماتزوت. فحبسوا جميع اليهود، بمن فيهم زعيم الطائفة ملا رفائيل، وقتلوا يهودياً ومرقوه أشلاء عند بوابة المدينة. وأوسعوا يهودياً آخر ضرباً حتى غاب عن وعيه. وفي النهاية أفرجوا عن اليهود بعد تدخل عباس ميرزا من تبريز ودفع غرامة بلغت ألف تومان لحاكم أورميه شقيق عباس ميرزا.

والحادثة الثانية من أورميه كتب عنها گرانث، الذي كان مبشراً مسيحياً لفترات

١١- وبالكرديية چييينه من چييك (قاموس زايا، ص ١٣٧) سنه، أشنويه والسليمانيه، ماما. وكانت هناك ماتزو بچييينه من زاخو في مجموعة براور في الجامعة العبرية (٣٩: ٣٠).

١٢- ديفيد دببت هليل، الرحلات. أنظر أيضاً: الترجمة العبرية للكتاب تحت عنوان "رحلة الى كردستان" بقلم فيشل، ص ٢٠.

تم أثناء إقامتي في أورميه إحراق يهودي حياً حتى الموت في ساحة المدينة بأمر من حاكمها وبناءً على إدعاءات بوقوع جريمة مزعومة! فقد صبوا النفط على اليهودي المذكور وأضرموا فيه النار، فإلتهمت الرجل على الفور!^(١٣).

وأخيراً تلك الحادثة التي كتب عنها ر. ديفيد دببت هليل والتي وقعت في مراغة حوالى العام ١٨٠٠^(١٤):

طعن بعض المسلمين صبياً مسلماً، بهدف إلقاء تبعة العمل على اليهود، فهوجم اليهود ونُهبت منازلهم إثر ذلك وقضى عدد منهم متأثرين بجراحهم. ولدى سماع حاكم تبريز بما وقع، وكانت مراغة حينها تابعة لسلطته، أصدر أوامره على الفور بكف أيدي الناس عن اليهود وتركهم يرحلون بسلام الى ميانداوا التي إستقروا بها.

طبق السدر

يعود الرجال من الكُنيس في وقت مبكر لأجل منحه ومعاريف، ووضع عيروف ماصاً في هيخال "الحرز". وتذهب زوجات الپيسحييه أثناء وجود الأزواج في الكُنيس الى بيت ميرى پيسحه الذي يستضيف عائلاتهم لمساعدة نسائه في الإستعدادات الجارية لإحتفال السدر، حيث تضاء الغرفة المخصصة للإحتفال بشموع كثيرة. وتجمع النسوة أطباق السدر معاً دون محاولة ترتيبها فتلك مهمة ميرى پيسحه، الذي يقوم بوضع كل شيء في مكانه الملائم فيما بعد. وليس هناك إختلافات فيما يتعلق بهذا الجزء في مختلف أنحاء كُردستان.

يوضع فوق طبق السدر (ما يسمى في زاخو ميديو پيسحه وفي العماديه سال پيسحه) طبق منفصل هو (قرخاسيني ماصه) فيه الماتزوت شموروت. وفي هذا الطبق سبع فطائر ماتزوت من كل صنف بسبب عدد الضيوف الكبير. أما المارور (زاخو والعماديه؛ وفي سنه يسمى مورور)^(١٥) فله موقع الصدارة في طبق السدر.

١٣- گران، النساطرة، أو القبيلة المفقودة. ص ٣٨٣.

١٤- فيشل، نفس المصدر السابق، ص ٢٣.

١٥- المارور، أو العشبة المرة، الشائع بين يهود الأشكنازي هو الفجل. أما بين اليهود الكُرد فياسم المارور يطلق على النبتة التي يسميها الكُرد تحليشكي. وحسب الهاخام أفيداني، فإن المارور =

ميرى پيسحه يكون في يوم السدر قد أرسل ومنذ الصباح الباكر أحد الصبيان لقطع المارور و كُرييسه [الكرفس أو البقدونس] الذي ينمو بكثرة قرب النهر في العماديه. وبعد المارور يأتي البيض المسلوق بيته في الماء بدلاً من شبيهه على جمر النار كالعادة، والخس (ويسمى في زاخو والعماديه خاسي؛ وفي سنه كاهو)، و حاروسيت حليق (في العماديه وسنه) أو حليق (في زاخو) الذي يوضع على المائدة بكميات كبيرة لكثرة عدد الضيوف^(١٦). ويتم إعداد السدر من الزبيب المنقوع في الماء مدة يومين حيث يجري عليه حتى يصبح عصيراً كثيفاً، ويضاف اليه حينها السمسم (شوشمه) والجوز المدقوق ومن ثم يتم غليه ثانية حتى يغدو كثيفاً لزجاً كالعسل. والبعض يستخدم العسل بدل عصير الزبيب هذا. وتُختتم عملية إعداد طبق السدر بإضافة العظام (في زاخو والعماديه زيروعه چاچيكسه وفي سنه باسكه) التي يستخرجونها من اللحم المحفوظ (قليه) المعد منذ السوكوت. تستخرج العظام قبل يوم واحد من عيد الفصح وتنقع في ماء دافئ ثم تُشوى. والعظمة توضع فوق طبق سال پيسحه خاصة برب الدار، والعظام الأخرى فتُقدم للضيوف.

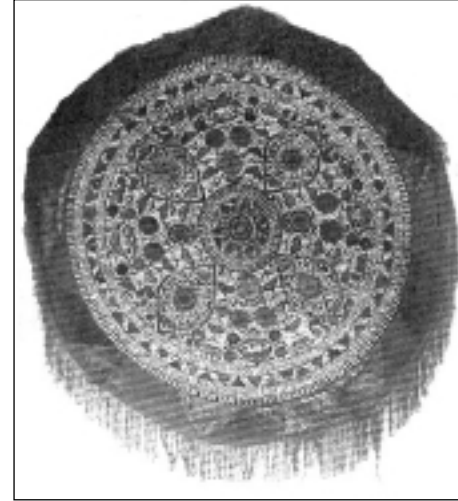
أما يهود سنه فيأخذون قطعة من اللحم المشوي ويتبلونها بتوابل خاصة إحتفاءً بذكرى اللحم الذي شواه يوشع في الصحراء والذي أغرت رائحته اليهود كافة. وبجانب طبق السدر يضعون إناءً يحتوي ماءً ممزوجاً بالسماق سموكه. يُغلى طبق السدر بقماشة تسمى قَرميتيت پيساح (وليس پيسحه) وتصنع من قطع قماش عديدة مختلفة الألوان حسبما وصفناها سابقاً. وربما يعود استخدام القماش هذا في سنه الى التأثير الفارسي عليهم. [فاغضية أواني الطعام هذه تستخدم في العماديه أيضاً]. أما "كاس إيليا" فغير معروف في كُردستان.

أما المثير للإهتمام في أواني السدر فهو نوع سال پيسحه الذي يُستخدم في بيتنوره وچالا، وهو على شكل طبق مصنوع من الأغصان المنسوجة له ثلاثة قوائم يستند عليها، مزين بغصن (سيپه) يوضع عليه كتاب. وعند دخول كل ضيف يرفع غطاء الطبق ويقبل الكتاب وهو يقول: "سالوخون بربخه" بورك طبق پاسوقركم ويقبل خبز ميرى پيسحه.

= المستخدم في العماديه ينمو في ابرية وهو يشبه تماماً (عرققلين) المذكور في الميشنا (إيورين ٦:٢) والتلمود (ب. پيساحيم ١٣٩) والذي يستخدم للإشارة الى النباتات المتسلقة التي تتسلق أشجار النخيل].

١٦- أنظر: چورني، سفر هاماساعوت، ص ١٠٨، يتحدث عن كميات حاروسيت كبيرة يقوم بإعدادها يهود القوقاز.

أمسية السدر



نموذج لغطاء السدر (من سنه)

في العماديه يضعون الزواهر فوق طبق السدر. ولدى عودته من الكنيس يبارك رب الأسرة عائلته. ولدى دخول الضيوف يقبل كل منهم الزواهر أولاً، ثم ميرى بيسحه ثم يجلس الجميع حول طبق السدر. بعدها يقف الجميع لسماح التبريك الذي يتلى على أول قده نبيذ يقدم لهم، ويشرعون في الجلوس ببطء أثناء تلاوة التبريك حتى يجلسوا متكئين على أحد

جانبيهم على معدة. وبعد شرب كل قده نبيذ يجمع الشمأش الكؤوس ويغسلها.

يبدأ تناول الوجبة بغسل الأيدي وترديد عبارة: بيلو بريخه ويضيف الشمأش: دارينوخ گو ميزيخا، "سأضعك في وعاء الحبوب (في الطاحونة)، حيث يرد عليه الضيوف: قورونوخ لي كوربخا "سادفك بدون كفن" (في زاخو).

ويستخدمون كارييسه مع قليل من البصل في طقوس تبريك الفاكهة. وعند تقديم كارييسه يلقيه الشمأشيم أمام الضيوف كمن يرمي "علفاً للدواب"، لذا يستخدمون في هذا الطقس كمية كبيرة من الكرفس.

في بيتنوره وچالا هناك عادة طريفة: يتوجه كافة ميرى بيسحه والبيسحيه، بعد طقوس الكرفس الى دار الكفير. وعند دخولهم الدار يقبلون الكتاب الموضوع فوق طبق السدر ثم الخبز ثم الكفير. ثم يشرعون في تلاوة الهاكاداه حتى فقرة دايينو، حيث يتوقفون لشرب ثلاثة أقذاح من النبيذ. بعدها يتوجهون الى بيت ميرى بيسحه آخر، ويقرأون الهاكاداه ويشربون ثلاثة كؤوس من النبيذ كما فعلوا في بيت الكفير. وعلى هذا المنوال يزورون ثلاثة أو أربعة بيوت، لذا فإنهم حين يعودون الى بيت ميرى بيسحه الذي يستضيفهم لإتمام قراءة الهاكاداه يكونون سكارى تماماً^(١٧).

١٧- قارن ذلك بما كتبه المبشر ستيرنشوس في كركوك: "يحتفل اليهود هنا بهذا العيد، وكذلك =

الأفيكومان

عندما يبدأ ميرى بيسحه بتوزيع الماتزو الوسطى على ضيوفه، يسألهم قائلاً: "هل تعرفون لماذا تم تقسيم الماتزو الوسطى الى قسمين؟". ويشرع بعدها في سرد قصة اليهود بدءاً من عهد إبراهيم وانتهاءً بخروجهم من أرض مصر. وإذا لم يكن ميرى بيسحه مؤهلاً لسرد الحكاية، فإنه يطلب من الحاخام أن يدونها له مسبقاً لكي يستظهرها لهذه المناسبة. وحينما يصل ميرى بيسحه في قصته الى لحظة إنشطار مياه اليم، فإنه يقوم بشرط الماتزو الى نصفين (في سنه).

وتنشر الماتزو بطريقة خاصة بحيث يشكل قسمها الحرفين داليت، وقاف ويوضع القسم الذي يشبه داليت فوق طبق السدر فيما يقدم القسم الذي يشبه قاف بصورة أفيكومان. وفي سنه ينثرون الملح على القسم الشبيه بالقاف ثم يطوونه ويلفونه بقطعة قماش حريرية يربطها الوالد على الذراع اليمنى^(١٨) لأحد أبنائه قائلاً: "إن شاء الله ستربط الكيتوبا حول ذراع عروسك". وفي أغلب الأحيان يغلب النوم الطفل الذي حظي بالأفيكومان فيأخذ إخوانه الأفيكومان ويخفونها عنه، ولا يعيدونها له إلا بعد حصولهم على دجاجة منه كغرامة.

أما في العمادية فيقوم ميرى بيسحه في الليلة الأولى، وكذلك ابنه في الليلة الثانية، يربط القسم الشبيه بحرف القاف الملفوف بقطعة قماش على كتفه ويشد نطاقه ويدخل الغرفة حاملاً عصاه بيده وهو يرتل سفر الخروج ١٢:١١ و٣٤. وبعدها يبدأ بينه وبين الحضور الحوار التالي:

- من أين جئت؟ (مبيكا سيلوخ؟)

- من مصر (من ميصر)

- مالذي جلبته معك؟ (ليكا بيزيت؟)

- عجين أبائنا من مصر، لم يتسن لهم أن يخبزوه. تعالوا سأخبركم

بقصة المعجزة التي أنزلها الرب على أبائنا^(١٩).

= بالعديد من الأعياد الأخرى، بالإفراط في شرب الخمر. فهم يشربون النبيذ على وجه الخصوص أكثر مما يجب وفوق طاقتهم، ولهذا بالكاد يحتفظ الشخص بحواسه ويكون قادراً على الإستماع لأي شيء، بله أن يكون روحانياً أو مقدساً" (ستيرنشوس، مركز المعلومات اليهودي، ١٨٤٨:٢٩٧).

١٨- ويرتدون تيممة بنفس الطريقة في فارس على أعلى الذراع مثلاً.

١٩- [وتسود عادات ماثلة في العديد من المجتمعات اليهودية الشرقية].

العادة المتبعة في زاخو تشابه هذه، حيث يضع صبي الأفيكومان شَمورا^(٢٠) الملقوفة في قطعة قماش على كتفه ويتمشى في الغرفة جيئةً وذهاباً مسافة أربعة أذرع. وبعدها يعطي الأفيكومان للحاخام الذي يسلمها بدوره لأحد الضيوف كي يحفظها في مكان أمين، والأفيكومان يجب أن يكون لها جبينه. ينصح الحاخام الضيف بالإعتناء باللؤلؤة، جوهر الموضوعة فوق الماتزو. فيتسلمها الضيف كمن يتسلم عهداً وهو يجيب الحاخام: "إني أتسلم هذا العهد الذي تتوجّه لؤلؤة^(٢١) وأضعه في قطعة القماش الحمراء هذه"، ثم يخاطب الحضور بقوله: "ماذا تشبه هذه اللؤلؤة؟". ويأتيه الرد: "تشبهه الجبينه على نهد المرأة". بعدها يخفي الضيف الأفيكومان بين طيات ثوبه ويحرص عليها، لأن الآخرين سيحاولون سرقتها منه (في زاخو).

عند سماع الحضور عبارة هي لَحْمًا عَنِيًا، ويلفظها الكُرد هي لَحْمًا محاكاة لعبارة "هي لأخيم زيراع" (سفر التكوين ٤٧:٢٣)، يقترب الرجال من طبق السدر ويمسكونه بأيديهم. وخلف الرجال تجلس النسوة والأطفال في بضعة صفوف ممسكين بأكتاف الرجال. عند بدء القراءة يحرك الرجال طبق السدر جيئةً وذهاباً، وكذا تتحرك معهم النسوة والأطفال، والكل في فرح ظاهر، وعند سماع عبارة بئنه حورين يرفع الرجال معاً الطبق الى أعلى ما يمكن بينما ترفع النسوة أصواتهن بالزغاريد. هذا ويكتفون في المناطق الأخرى برفع سال يسححه. ويرددون عبارة "هي لَحْمًا" ست مرات، إذ يرددها أولاً ميري يسححه بالآرامية وبالتارگوم، ثم يرددها أخوه بالآرامية والتارگوم، ثم يرددها ابنه بالآرامية والتارگوم.

ما نيشتانه

في سنه يطلقون على هذا الطقس شكشلكين "مثل الرجل الأعرج" الذي يسبق طفوس ما نيشتانه، وفيه يغادر صبيان أو أكثر الغرفة ويرتدون أزياء ملائمة ويضعون عمائم ضخمة على رؤوسهم ويحمل كل منهم عصاة بيده. ويضع أحدهم لحية مزيفة ويحمل في صرة على ظهره أواني وأدوات الطبخ كما حملها أجداده اليهود لدى خروجهم من مصر. ويركب آخر على كتف الصبي الأول، الذي يطرق باب الغرفة ويرد على الحاضرين عندما يسألونه: "من الطارق؟"، "أنا". "وماذا تكون؟"

٢٠- في العماديه: ماصا ميشوميريت.

٢١- جواهر بریش دي أمانيتا [لؤلؤة في رأس العهد].

"يهودي"، فيقال له "أدخل". فيدخل الصبي وهو يعرج ويتبعه الصبية الآخرون وهم يعرجون في مشيتهم مثله. وتفسير المشية العرجاء في هذه المراسيم يعود للمعنى المزدوج لكلمة *باساح* التي تعني "العرج في المشي" و"المرور". ويستمر الضيوف في توجيه الأسئلة لذلك الصبي: "كيف لنا أن نتأكد من أنكم يهود؟"، "إننا نتكلم العبرية". "هل تحملون معكم مؤونة الرحلة؟"، "نعم". "وماهي تلك المؤونة؟". فيجيب أحد الصبية "ما نيشتانه". ويقرأ بعدها أحد الصبية الفقرة المخصصة وينال بيضة مكافأة له.

وفي العماديه يتلف الصبية لقراءة ما نيشتانه، إذ يقوم الرجال عند الوصول الى هذه المرحلة بإختيار ابن ميري يسححه وبعض الصبية ويطلبون منهم أن يخرجوا ويضربوا برؤوسهم الحائط. فيخرج هؤلاء ويشرعون في الطرق على باب الغرفة برؤوسهم، ويشجعهم الآباء على التنافس في قوة الضربات لأن الفائز هو الذي سيقراً، فيشجعونهم قائلين: "إنكان لي ماخيتن ريشوخ بيش إليلت تارعه لي يواخلوخ بيعة إذا لم تضربوا الباب برؤوسكم بقوة أكبر فلن تحصلوا على البيض". ويفعل الصبية ما يطلب منهم ويضربون بقوة أكبر، ولكن الآباء يظلون يصرخون من الداخل: "لا سمعيان لا نسمعكم. ويكررون القول مرات عديدة، والصبية يضربون بقوة أكبر حتى تدمى جباههم في كثير من الأحيان من أثر ضرب الباب. وفي النهاية يُفتح للصبية ويستجوبونهم بنفس الطريقة التي تجري في سنه. ويُبرز الصبية جدائلهم عندما يشكك الرجال في يهوديتهم، وحين يسألهم الآباء: "ميلي زاويدوك" ما هي مؤونة (رحلتكم؟) يرد أحد الصبية قائلاً: "إتلي زاويده؛ ما نيشتانه" لدينا ما نيشتانه (في زاخو أيضاً). وهنا يشير الصبي الى ورقة كتب عليها المعلم ما نيشتانه. [وهناك شكل آخر من هذا الحوار: "ميكا كست؟" من أين جئتم؟ "من مصر". إيكيا بازات؟" الى أين تذهبون؟" الى أورشليم". "ميايلا زاويدوخ؟" ماهي مؤونتكم؟، "ما نيشتانه" (في العماديه)]. وبما أن اليهود الكُرد مولعون بمضاعفة أفراح عيد التحرر بالفكاهة - على طريقتهم الفلاحية والتي تكون في بعض الأحيان مزاحاً خشناً حد الإفراط - فتراهم يعلنون لدى التحقق من يهودية الصبية بأنهم غير مقتنعين بكل البراهين والأدلة التي قدموها ويطلبون منهم براهين أقوى. وحينها إما أن يسمح الصبي على سبيل الدعابة بأن يتفحصوه، أو يجبرونه على ذلك كما هي الحال في مسرحية شيلونا الهزلية القصيرة^(٢٢).

٢٢- أنظر الص ٣٤٦-٣٤٨. يمارس يهود القوقاز هذه العادة بنفس الطريقة؛ راجع قسداي، مملخيت

آزارات، [ديفيدسون، ثيوساوروس، ص ٣٤].

بعد هذا يشرع الصبي في ترتيل ما نيشتأنه، ويحمل لذلك قدحاً من النبيذ دون أن يشربه - لأنهم سيستخدمون النبيذ بعدها لتعداد البَلايا العشر- ويعطى عوضاً عن ذلك البيضة التي وعدوه بها ليتناولها لدى تناول البيض قبل وجبة الطعام.

البَلايا العشر

إن إرتباط طبق *السدر* بمراسيم البَلايا العشر أمر شائع في جميع أنحاء كُردستان، وهذا مع وجود إختلافات طفيفة هنا وهناك. ففي أشنويه مثلاً يغمسون الإصبع في النبيذ لدى ذكر كل بلية من البَلايا العشر كما هي العادة في المناطق الأخرى؛ وهم يقطرون قطرة النبيذ العالقة بالإصبع في قشرة بيضة فارغة. ويضيفون الى ما يتجمع في قشرة البيضة الفارغة قليلاً من العرق والتبغ وبعض الأعشاب المرّة (*مارور*). بعدها يحمل أحد الرجال القشرة في صمت ويرميها على عتبة دار الشخص الذي يعرفونه كارهاً لليهود، ثم يعود كما ذهب في صمت ويغسل يديه ووجهه قبل إشتراكه في وليمة *السدر*. وتعتبر ممارسة "طقس" الصمت^(٢٣) هذا واستخدام الأنية التي تحوي قطرات النبيذ لغرض السحر الأسود أمراً شائعاً في كُردستان. وقد يمتد ذلك الصمت أحياناً ليشمل كافة المشاركين في أمسية *السدر*.

قبل البدء بمراسيم البَلايا العشرة - وخاصة عند وصول القراءة الى فقرة *أشر تَعاسه بو* - يتعين على أهل الدار أن يغطوا كافة الأواني والأوعية التي تحوي الأطعمة (في زاخو وسنه ودهوك). ويقومون في سنه قبل حلول عيد الفصح بتهيئة وعائين فخاريين يسرعون بإحضارهما لدى نطق عبارة "أحضروا الطعام لفرعون والمصريين" والتي تبدأ بها مراسيم البَلايا العشر.

جرت العادة في الماضي على إلقاء قطرة النبيذ العالقة بالإصبع في وعاء ماء، ولكنهم إستعاضوا عن ذلك بإنزال القطرة في الوعاء مباشرة، سيما وأن إلقاءها هكذا قد يتسبب بحلول لعنة على الفاعل. توضع في الجرة ست وعشرين قطرة (عشر قطرات للأسماء العبرية، وعشر للتارگوم، وثلاث قطرات لكل إسم مختصر).

ولدى سؤال الحاخام حول معنى الإختصارات الخاصة بالبَلايا العشر (*دصاخ*، *عدّاش*، *بنأحقف*) يجيب مازحاً شارحاً معناها: "طلوخته مَبوشلي گوتوقي" يطبخ العدس في برميل^(٢٤) (في زاخو).

٢٣- [فيما يتعلق بالهدوء "الطقسي" راجع إنسايكلوبيديا الأديان والأخلاق، مادة "الصمت"].

٢٤- في العمادية: طلوخته مبيسه گوتنورا "طبق عدس السبت في الفرن".

بعدها تؤخذ الجرة الحاوية قطرات النبيذ الى الخارج وتُسكب محتوياتها على عتبة دار من يرون فيه عدواً لليهود، أو يسكبونها في بقعة نائية (في دهوك). وهم في كلا الحالين يتوخون أقصى درجات الحذر لأن لا تنسكب محتويات الجرة على عتبة دار أي يهودي، لأنهم مقتنعون بأن ذلك سيعني موت أحد أفراد عائلة صاحب الدار خلال العام المقبل. وتعزى نفس هذه القوى للماء الذي تُغسل به الكؤوس بعد كل دورة شرب نبيذ. وللكُرد المسلمين إعتقاد مشابه بخصوص هذا الماء، إذ تشتريه النسوة الكُرديات لسكبه على عتبة دار عدو (في سنه).

دَيينو

كاما مَعالوت طوڤوڤوڤ أغنية يؤديها رجلان بالتناوب. وعند نطقهما كلمة دَيينو [سيكفينا] يرفع الرجال الآخرون طبق *السدر* عالياً. وفي زاخو يرفع جميع الحضور أيديهم لدى سماعهم الكلمة. أما في سنه فقد جرت العادة أن يتقاذف الضيوف بالبصل فيما بينهم عند سماعهم لها [ويقوم يهود فارس بعين الشيء].

بعد الإنتهاء من غناء دَيينو يدعون رجلاً مسناً مشهوراً برواية الحكايات ليروي لهم تاريخ دَيينو (في زاخو والعمادية وسنه)، فيشرع العجوز في الرواية التالية:

كان ثمّ حاخام فقير لايمك من المال ما يكفيه لشراء لوازم أمسية *السدر*، فقالت له زوجته: "إذهب الى السوق فقد تجد لك عملاً هناك تكسب منه بعض النقود". ففعل الحاخام ما أشارت به، ثم سمع وهو في السوق بتعرض الملك للسرقة وبحاجته لساحر يكشف له عن هوية السارق. فاستجمع الحاخام شجاعته وتوجه الى قصر الملك وقال له أن بإمكانه الكشف عن اللص. فوافق الملك على منحه مهلة أربعة أيام لإتمام مهمته، وإذا لم يجد بعدها اللص سيدفع حياته ثمناً لفشله. وتسلم الحاخام، من الملك دفعة مقدمة من المكافأة إشتري بها لنفسه ثياباً جديدة ومؤونة تكفي لأيام الأعياد.

وفي المساء والحاخام جالس الى طاولته لقراءة *الهكاكاه* جاء الملك مع عدد من أتباعه الى دار اليهودي متكرين. وأمر الملك قائد قواته بأن يتسلق حائط منزل اليهودي ويصعد الى سطحه وينظر من فتحة المدخنة ليرى ما يفعله اليهودي للكشف عن هوية اللص. وحينها كان الحاخام قد وصل في قراءة *الهكاكاه* الى فقرة دَيينو فسمعوه يصيح عدة مرات

"نَبِينُوا" فاستنتج قائد قوات الملك بأن الحاخام إنما كان ينادي بإسم اللص، فأخبر الملك بما سمع، وحدث أن رجلاً إسمه نَبِينُو كان يعيش في المدينة. فأمر الملك بتفتيش منزله، الذي وجدوا فيه ما سُرِق من بضائع من الملك.

وفي سنه رواية أخرى من هذه الحكاية، عن يهودي أثم زوراً بسرقة أغراض للملك، فصدر الحكم عليه بالشنق. فطلب اليهودي من جلاله خدمة أخيرة وهي أن يتركه قبل موته يحتفل بعيد الپيساج. فوافقوا على طلبه. وعند حلول المساء جاء اللصوص الحقيقيون ليروا ما يفعل اليهودي، فسمعوه يقول "نَبِينُو" وظنوا بأنه يعرف إسم أحدهم فعادوا أدراجهم مسرعين الى حيث أخفوا ما سرقوا.

وفي العماديه جرت العادة أن يقوم ميري پيسحه - لدى وصوله في القراءة الى فقرة "بأخول دور فادور حاياف آدام" بربط فتحتي بنطاله عند الكعبين وشد حزامه وحمل بعض الماتزو في قطعة قماش يربطها على كتفه وأخذ عصا في يده (كما وصفنا ذلك سابقاً)، ويخرج من الغرفة ويتعد أربعة أذرع يعود بعدها إليها مسرعاً وهو يشير الى العصا والعجينة ونطاق خصره قائلاً: "هكذا خرج أبائنا من مصر".

وليمة الپاسوقر

قبل تناول هذه الوجبة يحضر الشَّمَّاش البيض المسلوق جيداً ليوزعه ميري پيسحه على الحضور: بيضة واحدة لكل پيسحييه وللاخرين، عدا الصبي الذي قرأ ما نيشتانه فيحصل على بيضتين. وفي معظم الأحيان لا يكتفي الضيوف ببيضة واحدة بل يحضرون معهم البيض المسلوق ويتناول كل منهم ما يتراوح من عشرة الى اثنتي عشرة بيضة.

وبهذا البيض المسلوق يلعب الأطفال لعبة ميلكه شكينه "كسر البيض" (بالكردية في سنه) أو هيكينه (في العماديه وزاخو وذلك من هيك - كينه) بما لديهم من بيض، حيث يتنافسون في صدم البيوض ببعضها. ويخسر من تنكسر بيضته فيخسر البيضة. وهناك لعبة أخرى تسمى جزيركي (في العماديه) يلعبها إثنان وذلك بوضع مقدار من النقود - نصفها يُستثمر في البيوض - والنصف الثاني كرهان في اللعبة. ويجري صدم البيوض ببعضها كما في اللعبة السابقة، ويفوز من تبقى بيضته سالمة حتى انتهاء اللعبة (في العماديه وبيتنوره وبارزان). وتعتبر هذه اللعبة لعبة حظ مجردة تلعب في الأيام التي تتوسط بداية ونهاية العيد، حيث تتناقل أيدي

اللاعبين خلالها ألف بيضة.

ومن المتع الأخرى التي يلجا اليها الأطفال صناعتهم سلالم صغيرة (بالعبرية مَعَالوت. وفي التارگوم تَرَجيت مالا) من أوراق سيبه. وبهذه السلالم يزينون طبق السدر، بينما يغنون كما مَعَالوت توفوث (في العماديه). وفي بيتنوره يصنعون هذا السلم الدقيق في الأمسية الثانية، ويعلق الجميع صغاراً وكباراً سلماً دقيقاً في غطاء الرأس دلالة على انتهاء أمسيتي السدر.

تتألف وليمة الپاسوقر بشكل رئيس من الرز واللحم، ويدخل الرز في كل الأطباق التي يتم إعدادها خلال عيد الفصح. لذا يتدبر حتى من لا يملك رزاً في باقي أوقات السنة تأمينه لعيد الفصح، لأن غيابه عن أطباقهم في هذا الوقت سيكون إنذاراً كبيراً لهم. ويستهلك اللحم كذلك بكثرة خلال الپاسوقر، أما استهلاك الماتزوت فيكون قليلاً، والوحيد الذي يخبز كميات كبيرة منه هو ميري پيسحه لكثرة الضيوف الذين سيستقبلهم كما ذكرنا.

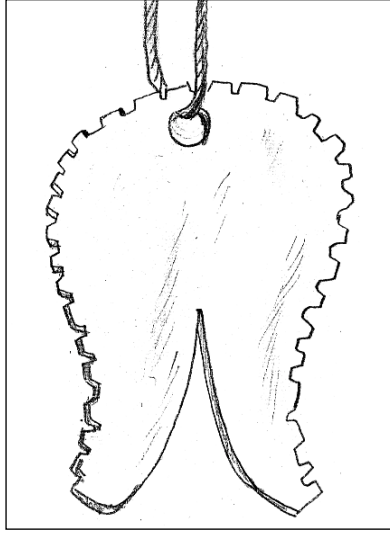
المسرحيات الهزلية القصيرة : شكونا

تعزيزاً لأجواء العيد الإحتفالية يقوم اليهود في مراحل معينة من أمسيات السدر بتقديم مسرحيات كوميدية قصيرة يمكن إعتبارها بدايات لفن درامي. تبدو الأشكال الحالية من هذه المسرحيات وكأنها منحلة عن أشكال أخرى رائدة. وعلى كل يصعب التصديق بأنها مجرد مشاهد هزلية بسيطة.

إحدى هذه المسرحيات الكوميدية القصيرة تسمى شكونا^(٢٥)، وفيها يرتدي أحد الرجال زي قشقه القس النسطوري وفوقها ملابس وعباءة نسائية ويحشو ملبسه بحيث تبدو هيئته كالمرأة الحامل^(٢٦). يحتفظ بعض العائلات بأزياء خاصة لتمثيل الشكلون لإختصاصها بتمثيلها. وأحد هذه الأزياء ينسج مثلاً في منطقة ريكان من أنسجة بيض وسود أو سود وصفر. أما الشخص الذي يمثل دور الشكلون فيضع عمامة ضخمة ولحية مزيفة ويحمل بيده عصا، ويذهب الى غرفة النساء، حيث يختار

٢٥- لا يمكن إعطاء أي تفسير لهذه الكلمة. وتمارس هذه العادة في العماديه وبيتنوره وريكان ونبروه ودهوك. وقد لاحظت وجودها في أشنوبه أيضاً. ويقال بأن تاريخ هذا التقليد يرجع الى حوالي ٦٠٠-٨٠٠ عام.

٢٦- حين يرتدي ال(عبايه) يغني الناس: سري، سري ميرانه، بني بني زنانه "رأسه، رأس رجل، بطنه بطن امرأة" (في العماديه: بالكردية).



مَشَقَّاسٌ شَلُونَا

المسرحية. ويغني الحضور خلال عملية

الختان هذه الترنيمة:

إيلي هاقتشيف لي

أوشوعماً لعقولي

يحيي نيمولي

نُوفعنه هيخال^(٢٨)

وقد جرت العادة على ترديد الترنيمة

عينها في حفلات الختان الحقيقية.

وبعد أن يصبح القشَّه يهودياً، فإنهم

يسمحون له بالجلوس أمام طاولة

السِّدر ويبدأون تناول وجبة العشاء.

ويلعب الضيوف بعدها لعبة "بيع

الجلود" (في العمادية).

قطع الأشجار

ومن ألعاب الپاسوقر لعبة قطع الأشجار قطيعات كوزا "قطع أشجار الجوز"، وقد رأيناهم يلعبونها في بيتنوره وإختصت بأداءها إحدى العائلات منذ عدة أجيال^(٢٩).

وفي اللعبة يقف عدد من الشباب صفّاً كأشجار الغاب، بعدها يظهر شابان هما اللاعبان الرئيسيان يحمل كل منهما فاساً. ويمضي كل واحد منهما ليتفحص الأشجار بالضرب على جذوعها (ظهور الشباب طبعاً) والإنصات للصدى الذي ترده لإختيار الشجرة المناسبة للقطع. وبعد تفحص عدد من الأشجار ينادي أحدهما على صاحبه بأنه وجد الشجرة الملائمة، قائلاً: بيرا، بيرا، شخنه دوشا "تعال! تعال! خلية نحل. ويأتي زميله وينصت ثم يقترح أن يذهب للأغا ليشترى منه هذه الشجرة.

فيذهب الأول إلى الأغا، فيمنعه الخدم أول الأمر من دخول الدار، ثم يدخل بعد صراع معهم إلى الدار. وفي البداية يرفض الأغا بيع الشجرة، ولكن حينما يندفع

٢٨- [ديفيدسون، الموسوعة، المجلد ١، ص ٢٢٧، العدد ٤٩٣٩].

٢٩- إسم العائلة هو بيت سيمان طوف. والمسرحية يتم تمثيلها في باحة كنيس إياهو هانا في وكذلك في الأيام الواقعة بين بداية ونهاية الپاسوقر.

فيها زوجات بعض الضيوف الحاضرين في المنزل مع عدد من الأطفال الصغار في بعض الأحيان. ثم يتوجه إلى مجلس الرجال والنسوة يتبعنه، والكل يجبو على أربع.

عند دخول الجمع مجلس الرجال يسأل الحازان الشلونا من أين جاء، فيجيبه هذا بالقول "من مصر". "ماذا أحضرت معك؟"، "أحضرت قطعاً من الغنم، إشتروه مني".

"إذا كانت الأغنام جيدة، فسنتشري منك القطيع. هل أحضرت بعض الشياه السمينة التي تصلح للذبح وإعداد قَلِيه؟" (أنظر ص ١١٤). "نعم لدي عدد منها"، ثم يأخذ

الشلونا مع هذه الكلمات زوجة الرجل الذي وجه له هذا السؤال ويرميها أمامه على وجهها، أو أن المرأة هي التي تحبو إلى زوجها على أربع. ويشير الشلونا على الرجل

(الزوج) أن يتحسس الشاة (زوجته) ليرى مقدار سمونها. وما إن يشرع الرجل في ذلك حتى يضربه الشلونا بعصاه بقوة على ظاهر كفه. ثم يرمي الشلونا البنات

بنفس الطريقة أمام الشباب. ويلجأ المحتفلون في هذا الطقس إلى تنوعات مختلفة وأنواع من اللعب الخشن في بعض الأحيان في هذه المسرحية. وفي بعض المقاطعات

(جالا ونبروه مثلاً) يأتي المسلمون لمشاهدة هذه المسرحية وطقوس الإحتفال، وتشترك النسوة الكريديات في المسرحية بلعب دور الشياه إلى جانب النسوة

اليهوديات، حيث يرميهن الشلونا أمام أزواجهن.

ويوفر العرض الإحتفالي للصبية والأطفال فرصة ذهبية لممارسة شقاوتهم. إذ يقومون بوخز الشلونا وأغنامه بالدبابيس المعدنية أو الخشبية، فيغضب الأخير

حينها ويضرب بعصاه في كل إتجاه، مما يزيد من الهزل، طالما أن سرور الجمهور يزيد بإزدياد الخشونة.

بعد هذا يخرج الشلونا من الغرفة ليعود بعد برهة وهو يشير إلى طبق السِّدر بعصاه قائلاً: "ما هذا؟"، فيجيبه رب الدار: "إنه پيسحه"، فيحكى الشلونا قصة

الخروج من مصر ومعنى السِّدر، ثم يعبر (القشَّه) عن رغبته في الإشتراك بشعائر السِّدر، إلا أن الجمهور يأبى عليه ذلك مالم يبرهن بأنه مختون. وعندها يبدأ بعضهم

بالتظاهر بأنهم يتفحصون الشلونا للتأكد من ختانه، ليعلنوا بعدها بأنه غير مختون وبأن عليه أن يخضع لعملية الختان. وبعد فترة تردد يوافق الشلونا على ذلك

ويستلقي على ظهره، ثم يستدعون الحازان ليقوم بدور الموحي. فينادي هذا بإحضار "السكين الكبيرة" فيحضرون له فاساً، ويستخدمون ملزمة خاصة مَشَقَّاس

شَلُونَا (أنظر ص ١٩٦) معمولة من قشرة يقطينة كبيرة^(٢٧) في عملية ختان الشلونا

الشباب نحوه صائحاً "بووه!" يقبل الآغا على الفور ويقول للشباب: "تعال، تجلس وكل، كان طعامك فوق رأسك". ويتوصل الإثنين الى إتفاق أخيراً. فيعود الشباب الى زميله الثاني لكي يقطع الشجرة، ولكن حالما يشرعان بقطعها تخرج أسراب النحل الذي يطنُ بعنف من جذع الشجرة وتهاجم الأول. فيصرخ هذا، وتزداد أعداد النحل التي تهاجمه حتى يسقط مغشياً عليه من أثر وخزاتها. فينتاب الثاني - الذي كان لا يزال منهمكاً في قطع الشجرة - الخوف، فيسرع اليه ويرفع رجله ويتحدث من خلال فتحة بنظونه قائلاً له: بيرا، بيرا، "تعال، تعال" لكن الأول يظل في غيبوبته. فيشرع الثاني في البكاء والنحيب وترديد المرثية التي تغنى على الميت، ثم تحضر زوجة الضحية وأطفاله وينخرط الجميع في البكاء.

يستمر الشباب في لعب دور الفاقد لوعيه ولا تظهر عليه أية علائم للحياة، فيخبرون الآغا بذلك ويطلبون منه دية الشاب الذي قضى بسبب النحل. ومن جهته يحاول الآغا إعادة الشباب الى وعيه بعين الوسائل التي جربها الآخرون، ولكن دون جدوى. ويستمر الحال هكذا لبعض الوقت، ثم فجأة يعطس الشاب الفاقد لوعيه، فيغمم الناس الفرح والسرور. فيتظاهرون بأنهم يغسلونه ويحضرون له الطعام، ويطردون النحل ويستخرجون العسل، ثم تلي ذلك مصارعة مع خدم الآغا. ولنا أن نتخيل أي نوع من المرح الصاخب والحيوية يسودان عرضاً مسرحياً كهذا في جمهور مؤلف من اليهود الكردي.

سرقة الأفيكومان

فيما سبق تحدثنا عن كيفية تسليم الأفيكومان لأحد الضيوف كي يحمله ويحافظ عليه من الضياع. بعد تناول طبق السدر تبدأ فصول مسرحية أخرى لا تقل هزلاً عن المسرحيتين السابقتين. وتبدأ اللعبة حين يطلب الحازان إستعادة عهده - الأفيكومان، ولكن الرجل الذي استودعت عنده (الضيف) ينكر أي صلة له بالأمر، بل يمضي لأبعد من ذلك حينما يبدأ بقلب الموائد وهو يصيح متهماً الحازان بسرقة الأفيكومان منه. وإثر ذلك يقع عراك مزيف تتخلله محاولات لإنتزاع الإعتراقات من خلال التعتيب يقوم بها الطرفان الحازان واللص الحقيقي. وفي بعض الأحيان تكون الأفيكومان، لغفلة من الضيف، قد سُرقت منه فعلاً من قبل أحد الحضور، حيث لا يستعيدها الضيف إلا بعد إذعانه لدفع غرامة من بضع دجاجات. وإن لم يوافق على دفعها فإنهم يعلقونه من قدميه بالطريقة التي وصفناها (أنظر ص ٢٩٣)

حتى يرضخ ويقبل بالدفع.

وفي بعض الأحيان يوغلون في زاخو في هذا المزاح حتى يستحيل معه العثور على الأفيكومان ثانية بعد سرقتها من الضيف. لذا أصدر الحاخامات الكردي مرسوماً يقضي بأنه في حال حدوث أمر كهذا تجب إعادة طقوس هاكاداه والشعائر المتعلقة بالأفيكومان كلها. يذكر أن عدة حالات من هذا القبيل قد وقعت^(٣٠).

وفي الليلة الثانية يقدم ميرى ببسحه لكل ببسحيه قطعتين من الأفيكومان واحدة تؤكل والأخرى تحفظ كتميمة. حيث تضع ربة البيت قليلاً منه في مخزون البيت من المواد الغذائية (كالرز والطحين والملح و... الخ)، ذلك لإعتقادهم بأن تلك التميمة ستجعل المؤنة تدوم عاماً كاملاً (في سنه). وتعزى للأفيكومان التي يبلغ عمرها سبع سنوات قوى سحرية خاصة، فهي تمنح من يرتديها على سبيل المثال قوة مضادة للرصاص، أما إذا أُلقيت في نبع ماء جارٍ فإن مياهه ستركد (في زاخو).

بعد هذه الطقوس تنتهي أمسية السدر في الحادية عشرة ليلاً، يذهب الرجال بعد انتهائها في زاخو مثلاً الى ضفة النهر للتخلص من العظام.

أيام العيد

يعتبر يوماً عيد السدر مناسبتين لتبادل الزيارات المراسيمية. فبعد انتهاء طقوس صلاة الصبح يتوجه جميع الببسحيه ثانية الى دار ميرى ببسحه حيث تنتظرهم وجبة فطور أفضل من وليمة عرس، ولاتذهب بنات الضيوف وزوجاتهم الى بيت ميرى ببسحه، لكن بعض مآكل هذه الوليمة تحمله إليهن زوجة ميرى ببسحه ونساؤه.

وعقب الانتهاء من هذه الوجبة يتوجه ميرى ببسحه مع ضيوفه لزيارة مجاميع الباسوهر الأخرى في بيوت الميرى ببسحه الآخرين في الجوار. وتبدأ سلسلة الزيارات بزيارة بيت الكاباي أولاً، ثم الى الآخرين كل حسب مكانته. ونصف عدد هذه الزيارات يتم في اليوم الأول من عيد السدر والنصف الثاني في اليوم الثاني.

وفي مدينة سنه يضع كل ميرى ببسحه إناءً كبيراً من الفاكهة في إستقبال الزوار، حيث يأخذ كل داخل للدار حبة فاكهة أو زهرة ويعطيها لأحد رفاقه، فيشتمها هذا ثم

٣٠- أخبرني محدثي من العماديه عن حالة كهذه في چالا. ففي بيت ح. يديديا سُرقت الأفيكومان ولم يستطيعوا بعدها العثور عليه. فبعثوا الى الحاخام ح. راحاميم في چالا يستفسرون عما يجب فعله، فقال أنه ينبغي على المرء في حالة كهذه إعادة المراسيم من الهاكاداه.

الشافوعوت

يطلق الكُرد على الشافوعوت أو ثاني أعياد الحج زياره الثلاثة لأنه وقت الحج الى الأماكن المقدسة^(١) وأهم هذه الزيارات: زيارة ضريح النبي ناحوم حا القوشي في مدينة ألقوش القريبة من الموصل، حيث يجري تسلق رمزي لجبل سيناء؛ وزيارة قبري الحازان ديقيد والحازان يوسف في بي حازاني بالعمادية؛ وزيارة قبر ر. ناتانيل هاليقي بارزاني في بارزان؛ وزيارة كهف إيليا في بيتنوره؛ وزيارة ضريح دانيال في كركوك.

ويطلق كرد العمادية على العيد إسم جا زيرا [أو أيدا جَزرا "عيد الشعير الأصفر"] وهو تحريف لكلمة زيارة، بينما يطلق كُرد زاخو على الحج الى قبر ناحوم عيدا سَيد ناحوم. وفي سنه يسمى اليهود هذا العيد أُسارتا (بالعبرية: عَشْرَتا. وبالارامية: عَشْرَتا)، ويطلق عليه الكُرد جَزَن كَالينا "خَبز الكالانا" فطيرة الشافوعوت اليهودي النموذجية.

في كُردستان أيضاً تسود عادة تناول أطباق الطعام المعدة من منتجات الألبان، ويدخل ضمن إستعدادات العائلات اليهودية لهذا العيد تأمين كمية كبيرة من الزبدة والجبن. ويميل الباعة اليهود المتجولون في القرى في هذا الوقت الى مقايضة ما يبيعون بمنتجات الألبان.

في عشية الشافوعوت يُقدّم عشاء لا يختلف عموماً عن وجبات العشاء في الأيام الأخرى، إلا في جالا التي يتناولون فيها على العشاء طبقاً يحتوي اللبن يسمونه ماديرا يعدونه من القمح المدقوق المطبوخ في اللبن الرائب مع الكبة (كوتيله) المحشوة زبدة وطحيناً بدلاً من حشوتها الإعتيادية المكونة من اللحم.

وبعد تناول العشاء يذهب الناس الى الكنيس لأداء حاتيمات زياره التسمية التي يطلقونها على القراءة من التوراة في أولى ليالي الشافوعوت^(٢). ولهذه الليلة مكانة أسمى عند اليهود الكُرد تفوق حتى ليلة هوشانا رابا. إذ يجتمعون فيها في بيوت ذوي الموتى، حيث جرت العادة أن يسال المنيبات الحاخامات القراءة في ذكرى

يقبل يد صديقه ويتلو عليها التبريك ثم يعيدها اليه. بعد ذلك يجلس الضيوف حيث يقدم لهم رب الدار العرق والفاكهة. أما الشباب فيذهبون، أثناء قيام الرجال بتبادل هذه الزيارات المراسيمية، برفقة الموسيقيين الى ضفة النهر أو أي مكان خارج المدينة للرقص والغناء، حيث ينضم الكبار أيضاً لهؤلاء الشباب في المساء.

في الليلة الثانية من السَدَر يجري تكرار شعائر الليلة الأولى في بيوت ميرري بيسحه بموجب التقاليد. وتتوقف خلال أيام عيد الفصح الثمانية كل الأعمال، ويعتبر اليوم الثالث منه في زاخو يوم نزهة عامة. وتسمى النزهة باسم "أغا" السفارة (سَرينيت بي زيكين، مثلاً) - هو اللقب الممنوح لليهودي الذي يتحمل نفقات السفارة (سَرينه)، حيث يدفع أجرة الموسيقيين ويقدم لهم وجبة خفيفة في ديوان الأغا.

وفي تلك السفارة يغني الرجال ويرقصون فيما تقوم النسوة بإعداد الطعام للرجال، وتتوجه الأصغر سنأ والبنات منهن الى التلال المجاورة لرقص الـ(درانگه) في مجموعات وكلّ منهن تحمل غصن شجرة طرياً طَراشتا (جمعها طَراشياسه) [غصن بلوط]. وعندما تمرّ مجموعة منهن بأخرى يضربن بعضهن بعضاً بهذه الأغصان على سبيل اللعب. أما إذ حدث والتقت المجموعة بأحد الشباب فتحيط به وتضربه بالأغصان. وعند حلول المساء يعود الجميع الى المدينة يرافقهم الموسيقيون.

يخرج الناس خلال أنصاف العطل الى ضواحي المدينة في مجاميع للتنزه، وفي بيتنوره وچالا والمناطق المحيطة بهما ورغم توقف أعمال اليهود خلال عيد الفصح ولكنهم لا يقومون بالسفرات، بل يقضون الوقت بتبادل الزيارات فيما بينهم، وفي كل بيت يقدمون حَلِيق (أنظر ص ٣٣٨) والعرق للضيوف. ولهذا ترى الرجال، وكذلك النسوة، يسكرون من كثرة زياراتهم وتناولهم العرق في كل بيت.

خلال اليومين الأخيرين يتلقى ميرري بيسحه زيارة من الپيسحييه الذين كان قد إستضافهم وقد جلبوا معهم العرق والمزّه. وفي ختام العيد يحيي الناس بعضهم بعضاً بعبارة زيش شاتوخ بريختا "تباركت بداية عامك الجديد" ويتبادلون القبل (في زاخو). ويرسل الكُرد لأصدقائهم لليهود الخبز والحليب والبيض، حتى أنّ الأغا كان معتاداً على إرسال سلال الخبز والبيض وما شابه لليهود في عيدهم، وذلك أن الكُرد يعتبرون المجاملات هذه بشاره خير للسنة الجديدة (في زاخو ولكن ليس في العمادية).

١- [يطلق يهود بغداد على الشافوعوت "عيد الزيارة" و"عيد الحج" أيضاً].

٢- وهم يعتمدون في هذه القراءة بشكل أساسي على طبعة بغداد من (سَدَر كارييه موعيد).

موتاهم. أما في زاخو فلا يتوجه الى الكُنيس إلا قليل من النسوة العجائز. وفي العماديه تشترك كل النسوة والبنات تقريباً في هذه القراءة الليلية وفي زاخو يشترك بعض النسوة فقط في القراءة في بيوت ذوي الموتى.

وتوقد في الكُنيس في هذه الليلة المئات من الشموع أو الأضواء، لأن كل شخص يوقد شمعة على روح قريب له مات. ويستخدم الناس حالياً بدل الشموع الأضواء الزيتية التي تشتعل بفتائل، فيما لاتزال عادة استخدام القناديل سارية في بعض الأماكن (في دهوك وبيتنوره).

وتجلب العائلات معها الى الكُنيس أواني مليئة بالفاكهة لمباركتها هناك. وإذا مات أحد خلال ذلك العام يسعى ذووه جاهدين لتوفير أكبر كمية ممكنة من الفاكهة (نيو) طالما أن نطق تعابير البركة (شَهْحَيْنُو) يكون فوق أواني الفاكهة. ولهذا ترى أغنياء اليهود يرسلون في طلب الفاكهة من بغداد خصيصاً لهذا الغرض.

وفي الصباح يتوجه المتدينون من اليهود الى ضفة النهر لإجراء طقوس الإغتسال الشرعي، وذلك لأنهم يريدون تسلم التوراة كما العرسان الجدد الذين يستحمون قبل قدوشيم [الزفاف]. وفي زاخو، تُمنح علياً "الوصايا العشر" للكثير، أما في العماديه فكانت في السابق تُمنح لمن ينجح في الحصول على "الرابعة" لعام كامل. أما اليوم فتُطرح هذه العلياً في المزاد على حدة في العماديه^(٣) وفي سنه.

وفي العماديه تحضر النسوة الـيبراغ بعد انتهاء المراسيم (أنظر ص ١١٩) والعرق والكعكات المثلثة (كاده) من بيوت ذوي الميت ويضعنها أمام شيخ الحاقريم؛ لأن هذه الأطعمة عطايا مرتبطة بطقوس العزاء. فيقوم الشيخ بتوزيع الـيبراغ على الحاقريم فقط والـ(كاده) توزع على أعضاء المحفل الآخرين.

وفي سنه كذلك يقيم ذوو الميت في اليوم الأول من العيد مادبة يقدمون فيها الـيبراغ، ويقدمون كالانه وهو طبق مخبوز يعتبر غريباً عن اليهود يتألف من أقراص خبز مثلثة محشوة بالبصل بدلاً من الكاده. ومن هذا الطبق أخذ الكرد التسمية التي أطلقوها على العيد جَشْن كالانه.

[وفيما يتعلق بالكادة التي تؤكل في الشافوعوت، إليكم هذه الحكاية من العماديه:

يحل عيد الخمسين المسيحي سوليكه قبل الشافوعوت اليهودي ببضعة أيام؛ يخبز فيه النصارى الكاده، وهي عبارة عن لفائف عجينة بالزبدة. في أحد الأيام رأى كلب يملكه يهودي كلباً آخر يعود لمسيحي

٣- كانت هذه العلياً أيضاً تُمنح في الأيام الخوالي للكثير في العماديه.

يحمل الكاده في فمه. فقال الكلب اليهودي الذي طمع في الحصول على قطعة منها للكلب المسيحي "أعطني منها". فاجابه الكلب المسيحي: "كلا". فقال له الكلب اليهودي: "سيحل عيدنا بعد أيام قليلة، وإذا أعطاني سيدي الكاده فسأعطيك بعضاً منها". فاجابه الكلب المسيحي: "لن أعطيك شيئاً". ففكر الكلب اليهودي مع نفسه قائلاً: "ما الذي يجب أن أفعله؟" ثم سأل الكلب المسيحي: "ما اسم عيدكم؟" فاجابه هذا: "سوليكه" ولما فعل ذلك سقطت الكاده من فمه فخطفها الكلب اليهودي والتمهما. فقال الكلب المسيحي: "انتظرا سيحل عيدكم قريباً". ولما حل عيد الشافوعوت أعد اليهود الكاده، فأعطى صاحب الكلب اليهودي كلبه قطعة منها. وعندما رآه الكلب المسيحي قال له: "أعطني شيئاً منها!" فاجاب الكلب اليهودي: "لم تعطني شيئاً من الكاده التي كنت تملكها، لذا فلن أعطيك شيئاً مما لدي". فقال له الكلب المسيحي: "ما اسم عيدكم؟" فغرز الكلب اليهودي أسنانه بقوة في الكاده وأجاب من بين أسنانه قائلاً: "زياره" ثم أنهى أكل كادته^(٤).

تتمثل أهمية عيد الشافوعوت الحقيقية لدى اليهود في زيارة الأماكن المقدسة، التي يحجون اليها من قريب وبعيد. فالزيارة الى بي حازان في العماديه تجتذب عدداً كبيراً جداً من اليهود، ويتعين على كل عائلة يهودية ساكنة قرب المحجّ توفير السكن لنحو خمس عشرة عائلة. ويقوم الرجال بزيارتهم في اليوم الأول من العيد، بعد الانتهاء من المراسيم - فيما تقوم النسوة بالزيارة في اليوم الثاني منه. وقبل التوجه الى المزار يغتسل كل حاج ويلبس ملابس جديدة. وعند وصول الحجاج يصطفون واحداً خلف الآخر ثم يقبل كل واحد منهم القبر.

أما في اليوم الثاني، وخصوصاً عند زيارة النساء للضريح، يعم الفرح. إذ تبدأ النسوة بالغناء والرقص، أما البنات فيجلبن معهن المراجيح (زانزوكه). يجلس الكاباي عند مدخل الضريح حيث يقدم النبيذ أو الشربيت للزائرين. وبعدها يقترب الكاباي من الضريح ويقبله، ثم يدعو بدعوته ويضع بعدها ما إدخر من نقود طوال العام لهذا الغرض في صناديق الهبات المختلفة.

بعد انتهاء زيارتهن الى الضريح تجتمع النسوة ثانية للغناء والرقص وتبادل التهاني بقولهن زياره بريخه "حج مبارك". وأكثر حججات الشافوعوت إحتفالية هو

٤- حكاها لي الحاخام علوان أفيداني من العماديه، وكان قد سمعها من الرجال المسنين في مدينته.

الحج الى ضريح نيفي ناحوم في ألقوش والذي يشترك فيه الألاف اليهود من الموصل وبغداد والبصرة ومن كافة أنحاء كردستان^(٥).

إحدى السمات المميزة لهذه الزيارة مراسيم تسلق جبل سيناء الرمزي، والذي يجري في كلا يومي العيد^(٦). بالقرب من القبر هناك مرتفع يسمونه *هار سيناي* جبل سيناي، يرتقيه الناس كي يقرأوا على قمته الوصايا العشر. ويقيم كل محفل طقوسه هناك على حدة. وتُباع علبات بالمزاد، وغالباً ما يضطرون الى شرائها بسعر باهض جداً لإشتراك يهود المحافل الأخرى في المزايدة - وذلك لأن السماح للغرباء بشراء العلبات سيعد إنتقاصاً من مكانة المحفل. وبعد إتمام القراءة من التوراة ينزل الناس من الجبل بفرح عظيم، ترافقهم الفرق الموسيقية ويتقدمهم أقوى الرجال لأداء رقصة السيوف.

تكرر القراءة فوق *هار سيناي* في اليوم الثاني من العيد. وفي اليوم الثالث يصطف الجميع عند القبر ويقدم كل واحد تبرعاته ويقدم له الكاباي توباركة تتألف من بعض الحلويات والثمار التي وضعت عند القبر خلال الليل.

بعد انتهاء مراسيم الصباح وزياره التي تليها مباشرة، يعود الناس الي بيوتهم لتناول وجبة الألبان الخاصة بالشافوعوت والتي تتألف في العماديه من الزبد (كعيده) والعسل والحليب. بينما تقوم النسوة في المقاطعات الريفية بطبخ (ماديرا) (أنظر ص ٣٥٢).

وبعد تناول الطعام يتوجه الجميع الى دار الرجل الذي اشترى علبات الوصايا العشر^(٧)، حيث تبدأ حفلة الغناء والرقص وشرب العرق مع المرّه اللذين يقدمان بسخاء^(٧). في بعض المناطق يقيم الذي فاز بعلياً الوصايا العشر وليمة لبعض وجهاء المحفل. وحينما يرتل الرجال بالهاليلويا يضيفون بفرح غامر: "هاليلويا، هاليلويا، باخلاخ بيعه شليكه بسرا تويأ" تريد أن ناكل البيض المسلوق واللحم

٥- ذكر لي أحد محدثي أن عددهم قد يصل الى عشرين ألفاً.

٦- تجد وصفاً لهذا الصعود لدى بنيامين الثاني في كتابه (ثمان سنوات، الصفحة ٩٩٩، الذي يقول عنه: "تتلى الصلوات مع بزوغ الفجر، بعدها يتوجه الرجال - حاملين الهيبتاتيوچ (pentateuch) أول الكتب الخمسة من العهد القديم ويحتوي أسفار: التكوين، الخروج، ليثيتيكوس، الأعداد. وسفر التثنية الذي يحتوي الإعلان الثاني من الشريعة الموسوية. - المترجم) - مسلحين بالبندقيات والمسدسات والحناجر الى أحد الجبال القريبة، وهم يقرأون - إحياءً لذكرى التشريع الذي أعلن على اليهود في هذا اليوم من جبل سيناء - من التوراة".

٧- وذلك دون إنتظار مرور الفاصلة الضرورية بين تناول أطباق الحليب وأطباق اللحم.

المشوي" (في العماديه).

لازالت عادة رش الناس بعضهم بعضاً بالماء شائعة بين اليهود الكُرد. ففي زاخو يرش الشباب الفتيات بالماء. أما في سنه - حيث حافظت العادة على شكلها البدائي - فيرشون الماء من سطوح المنازل على المارة، دون أن يستثنوا غير اليهود أيضاً، فيضطر الناس بسبب ذلك الى تغيير ملابسهم عدة مرات في اليوم الواحد.

"شيطان" (والمعنى الحرفي للكلمة هو "ليل اليهود") موجود في الماء خلال فترة الحداد العام تلك. ويقتنع الأطفال بما يقول لا بل يقولون بأنه قد لاحقهم وبأنه عريض وطويل. ويغني الأطفال عن ليل هوزا الأغنية التالية:

ليل هوزا لي گو ماياهي ليل اليهود في الماء
نيميد أزيل گو مايا كل من يغطس في ذلك الماء
مابيله ليل هوزا يمسك به ليل هوزا (في زاخو).

تتألف وجبة الطعام الأخيرة التي تسبق الصوم على العموم من الرز، فاليهود في سنه يتناولون طبقاً يتألف من الرز والعدس يتبعونه بتناول بيضة مسلوقة نُثر عليها الرماد، وهي عادة يمارسها الحاخامات فقط في جميع مناطق كردستان. ولا يتناول المتدينون في تلك الوجبة غير خبز الجاودار والماء. بعد الانتهاء من هذه الوجبة التي يتناولها كل فرد لوحده، ينثرون الرماد على الصحن المستخدم في هذه الوجبة ثم يحفظونه في مكان بعيد إلى جانب أواني اللحم. ويرسل قسم من هذه الوجبة إلى الحاخامات وإلى الفقراء لتلاوة هاشكافا عليها.

وفي التاسع من آف يرتدي الناس الملابس القديمة ذات الألوان القاتمة قدر الإمكان. وكانوا في الماضي يرتدون غطاء الرأس جمداني بعد أن يقبلوه (في العمادية)، ولم يكونوا يكتفون بذلك بل يشقون جيوبهم كما في النواح على الميت (في العمادية وسنه). ويذهب الناس في هذا اليوم إلى الكُنيس حفاةً أو مرتدين الجوارب فقط دون أحذية أو (وهو ما يحدث في الغالب) مرتدين الحذاء الكردي المصنوع من الخيوط رَشَكه.

أما الكُنيس فتتم تهيئته بما يلائم هذا الحداد العام، حيث يقومون في عشية التاسع من آف بإزالة ما فيه من سجاجيد وطنافس، ويلقون جانباً العباءات التي تغطي بها التوراة وستارة تابوت العهد لتغطي بعباءات سود أو أخرى بالية. وتُزال كذلك تيجان رقوق التوراة، وفي بعض المقاطعات (في زاخو ودهوك وچالا وهوزا) يستبدلون ريمونيم المصنوعة من الفضة بأخرى من خشب أسود، وكذلك مؤثر القراءة الفضي بأخر من عود من الآس حديث القطع (في زاخو والعمادية).

قراءة الإيخا

بما أن المراسيم الصيفية تقام عادة في باحة الكُنيس، فإن الإيخا (كتاب المناحات) يُقرأ في الباحة أيضاً. وعادة ما يكون الجو حاراً جداً في هذا الموسم

التاسع من آب (آف) (*)

لقد أكدنا في كثير من الأحيان أن المعوقات التي تعترض عملية التحقق من الأعياد بين اليهود الشرقيين تتمثل في إشكالية تحديد أي من العادات أصلية في العيد موضع البحث. فليس هناك محفل يهودي منقطع تماماً عن المحافل اليهودية الأخرى. ومثال ما نقول العادات المرتبطة بالتاسع من آف.

ففي بعض المناطق (في سنه مثلاً) يبدأ الحداد العام في وقت مبكر في السابع عشر من تموز؛ بينما لا يبدأ في معظم المناطق الأخرى إلا بحلول روش حوديش آف. ويطلق على الفترة الواقعة بين الأول والتاسع من آف تسمية حزيني "الحداد" (في العمادية؛ وفي زاخو حزينه).

والعادات التي تُمارس خلال هذه الفترات هي العادات المتعارف عليها. ولهذا يُحرم أكل اللحم فيها. وإذا كانت العائلة تملك كمية من اللحم فإنها تطبخه كله في وجبة السبت في روش حوديش آف؛ حيث توضع القدور والأطباق التي استخدمت في إعداد اللحم في إحدى الغرف الجانبية التي قلما يستخدمونها. وتتحول الأسواق إلى أسواق لا تتبع اللحم بتاتاً، بل يكثر فيها بيع الزبدة والجبن. كما يتجنب اليهود خلال هذه الفترة أي فعل يوحي بالإحتفال (من قبيل شرب الخمر أو إرتداء ملابس العيد)، ولا يبدأ أحد في تنفيذ مهمة جديدة. فلا يبدأ الحائك حياكة قطعة جديدة والنسوة لا يعقدن أو يغسلن الملابس خلال هذه الفترة.

وفي هذه الفترة أيضاً يحجم المعلم عن معاقبة تلاميذه مع تذكيرهم بأن كل مخالفة ستلقى جزاءها مستقبلاً (في زاخو والعمادية). وبما أن اللذائذ محرمة خلال هذه الفترة - يُمنع الأطفال من زيارة أصدقائهم أو الخروج للنزهة. ويحرص المعلم كذلك على منع تلاميذه من الذهاب للسياحة في النهار، وهو ما اعتادوا فعله أوقات الظهيرة. ويقوم المعلم لأجل تذكيرهم بالعقوبة التي تنتظر كل من يعصي أوامر هذه، بكتابة كلمة (فَلَق) (أنظر ص ٢٩٣) بالحبر الأحمر على بطات سيقان تلاميذه مرتين كل يوم (في زاخو). ويشرح المعلم لتلاميذه بأن سبب هذا المنع هو أن ليل هوزا

*- آف (آب): الشهر الحادي عشر؛ أو الثاني عشر في السنة الكبيسة من التقويم اليهودي المدني والخامس من التقويم الديني، ويبدأ في أواخر تموز أو بداية آب (المترجم).

بسبب مناخ كُردستان القاري، لذا فهم يسمونه صوميت صهوين (في زاخو) أو صوميت سحيون (في العمادية) والعبارتان تعنيان صيام العطش. وقد جرت العادة على صنع مروحة (مروبخه) تستخدم خلال المراسيم (في زاخو). [وفي العمادية يطلقون على التاسع من آف اسم صوم سحيون أوروبا (صيام العطش الأكبر) وصيام السابع عشر من تموز، الذي يسبق التاسع من آف يطلقون عليه صوم سيحيون زعورا (صيام العطش الأصغر)].

في التاسع من آف لا يجلس الناس في أماكنهم الثابتة في الكنيس ولا يوقدون المصابيح، بل يستعينون عوضاً عنها بشمعة صغيرة توضع قرب كل مجموعة من المصلين. وإذا كان المحفل كبير العدد، فقد جرت العادة في كُردستان أن يقف الحازان ويقرأ الإيخا على ضوء شمعة يحملها طفل. في العمادية ويقرأ الحازان الأشعار الأولى من الفصول ١ و٢ و٣ والأشعار الثلاثة الأولى من الفصلين الرابع والخامس بالعبرية. وعقب كل قراءة للأشعار يجلس الحازان ليكمل أحد أفراد المحفل قراءة الفصل بالتارگوم.

وهناك في زاخو عادة فريدة تتعلق بقراءة الإيخا يسمونها خَطَاخ ناشه وفيها يستغل الشباب الظلام فيخيطون ملابس رجلين مسنين متجاورين مستغرقين في القراءة ببعضهما. وهكذا تجد في نهاية مراسيم قراءة الإيخا حوالي عشرين زوجاً من هؤلاء الذين خيطت ملابسهم ببعضها. وتُمارس هذه العادة ليلاً كذلك فيخيطون أحدهم إلى فراشه أثناء النوم. ولا يوجد تفسير لهذه العادة الغريبة^(١).

وبعد إنشاد المناحات تُطفأ الأضوية - لا في الكنيس فحسب بل في الحي اليهودي بأكمله. فحينما تتوجه الأمهات مع بناتهن البالغات إلى الإيخا ينصحن الصغار الذين يقفون في البيت بإطفاء الأنوار فيما بعد. وهكذا لا توقد الأضوية والنيران في الحي اليهودي إلا عند قدوم المذكين في ظهيرة اليوم التالي لنذبح الأضاحي المخصصة للكبار أو لوجبة المساء (في العمادية). وبعد ذلك، وحسب العادة المتبعة في كافة المجتمعات الشرقية، يعلن الحازان بالعبرية العامية (لهجة اليهود المحلية في كل منطقة يسكنونها - المترجم) عدد السنين التي مرت منذ تدمير الهيكل الثاني، عندها يسجد المصلون جميعاً واضعين وجوههم بين أيديهم ويبدأون

١- لا تقتصر ممارسة هذه العادة على زاخو، حيث تُمارس في المجتمعات اليهودية السورية (في حلب ودمشق) وبين اليهود السوريين في القدس. فقد إعتاد الأطفال خياطة ملابس الناس ببعضها خلال إستغراقهم في صلاة كينوث عشية التاسع من آف وهم يستغلون لذلك ظلمة المكان في الكنيس أثناء المراسيم، كما إعتاد الأطفال كذلك على رشق الحازان بقشور البطيخ.

بالكاء والعويل وهم يضربون على رؤوسهم. وفي زاخو عندما يصرخ الحازان أوي لانو "يا ويلنا" في نهاية مناحته ينقر الشّمّاش على باب تابوت العهد بمفتاح ضخم، فيأخذ الشباب وهم لا يزالون ساجدين بالصراخ: ها هو هو قامقاتله ليل هوزا "هو، هو، هو الذي قتل ليل هوزا"^(٢).

وبعد انتهاء هذه المراسيم يتوجه الناس إلى بيوتهم في صمت حتى دون أن يحيوا بعضهم بعضاً التحية العادية. ويتوجه الرجال عموماً إلى النوم لتجنب الإنخراط في الأحاديث الدنيوية. ويكون الفراش المعد في هذه المرة خشناً على نحو إستثنائي، وإضافة لذلك يضع النائم حجارة تحت وسادته.

أما النسوة فيجتمعن في بيت إمرأة قادرة على غناء الدهاليل وهي أغنية في التارگوم تحكي تدمير الهيكل (في العمادية). بينما يجلسن في زاخو على السطوح ويغنين أغنية ليل هوزا (أنظر ص ٣٥٨).

مراسيم الصباح

ينهض المتدينون في الصباح الباكر ويربطون التفللين على أذرعهم. ولا يغتسل أحد، بل يكتفون بغمس أطراف الأصابع في الماء ثم ترطّب بها العيون. وعندما يُخرج الحازان التوراة، لا يضعها كما في الأيام الأخرى على يده اليمنى، بل على اليسرى، بينما يحمل رقوق التوراة خلال القراءة رجلاًن (في زاخو والعمادية) بدلاً من إسنادها على السبّيد كما هي الحال في الأوقات الأخرى. ويُستخدم بدل مؤشر القراءة الفضي عود من الآس (أنظر ص ٣٠٦).

بعد الانتهاء من قراءة هفتّراً (ذلك القسم من سفر الأنبياء الذي يرافق قراءة كل شعر من أشعاره تفسير مسهب من التارگوم)، تُقرأ الإيخا بنفس الطريقة التي تمت في الليلة السابقة. تتبعها القراءة من سفر النبي أيوب في التارگوم^(٣). ولكن معظم الحاضرين يغادرون الكنيس قبلها ولا يبقى فيه غير الرجال المسنين وطلبة المدارس.

لدى عودة الزوج إلى المنزل بعد مراسيم الصباح تتلقاه الزوجة بالقول: "إذهب واشتر لي برّخه (بركة) فيذهب الزوج كما جرت العادة إلى السوق لشراء كيس من

٢- نادراً ما يكون مزاج الشباب اليهود الكُرد في القدس مزاج حداد حقيقي حزناً على تدمير الهيكل، إذ يستغل الصبية مثلاً إنبطاح المصلين على وجوههم على الأرض ليصرخوا بكل ما أتوا من قوة صراخاً مصطنعاً، فلا عجب والحال هذه أن تسود الحال عينها في كُردستان كذلك.

٣- في التارگوم "أوص" تم ترجمتها بـ"إستنبول".

الرز وأخر من القمح (في زاخو) أو كمية من الفاكهة (في العماديه) من المسلمين. ويعبر اليهود الكُرد عن مغزى ذلك بقولهم: "لقد دُمّر الهيكل، ولكن ها نحن اليوم نسكن بيوتاً جديدة ونشتري أطعمة جديدة".

يبدأ ذبح الذبائح في كافة أنحاء كُردستان في منتصف يوم التاسع من آف، ويكون اليهود متلهفين على تناول اللحم لإنقطاعهم عنه منذ بداية الشهر عند بدء الصيام، ولكن الشوحيطيم يرفضون مع ذلك الشروع بذبح الحيوانات مستائين من تغيير مزاجهم الحزين في هذا اليوم. وهكذا توجّل مراسيم الذبح ساعة إثر أخرى حتى ينتاب الناس القلق من تأخر الوقت وعدم إستطاعتهم تهيئة لحوم الذبائح وطبخها للعشاء. وعندها يضطر نُوروات جميعه "زعيم الطائفة" الى إجبار الشوحيطيم على أداء واجباتهم.

عند الذبح يغمس الشوحيطيم أصابعهم في دماء الأضاحي أربع مرات وينثرونه في الإتجاهات الأربع. بعدها وإحياءً لمن قضى أثناء تدمير الهيكل يرسمون بأصابعهم رموزاً على رقابهم ووجوههم وجباههم (في العماديه). أما في زاخو فيلحق الصبية بالشوحيطيم عند ذهابهم الى ضفة النهر - حيث تُذبح الحيوانات في هذا اليوم - فهو اليوم الذي ينتهي فيه حرمانهم من السباحة في النهر. ويصرخ الأولاد مع تدفق دماء الحيوانات الى مياه النهر بأنه دم ليل هوزا، ويسبحون مع الدماء ويلوثون أجسادهم بها.

ألعاب الأطفال في التاسع من آب

يلعب الأطفال في هذا اليوم ألعاباً معينة تستند حسب اليهود الكُرد الى أصول في الميصفأ لأنها تركز على إشغال النفس بالغبار والرماد في التاسع من آف. فالأطفال في مدينة سنه مثلاً يلعبون لعبة يسمونها كيكله موشين "لعبة الفئران"، ويلوثون فيها أيديهم بالتراب لمناسبة التاسع من آف. وتبدأ اللعبة بتجميع الأطفال كومة صغيرة من التراب يسكبون عليها الماء ويفتحون في كتلة الطين الناتجة ثلاث فتحات في الأعلى وفي الجوانب الثلاثة لتشبه حينها الفرن. ويمضي بعض الأطفال في بعض الأحيان الى حد أنهم يطبخون طعامهم في هذا الفرن. إن هذه اللعبة لاتخلف لدى المرء إلا الإنطباع بالعبثية.

أما في زاخو فيلعب الأطفال لعبة يسمونها شَنشَلوتكات. وفيها ينقسمون الى فريقين حيث تُخصص رقعة معينة من حقل أو شارع توجد فيه أسيجة ذات وجوه

كثيرة أو شيئاً مشابهاً لكل فريق. وقبل اللعبة يكون كل طفل قد أحضر من بيته كيساً من الرماد. تبدأ اللعبة بإنسحاب كل فريق الى موقعه المعين فيشرع اللاعبون بعمل كومات صغيرة من الرماد في صفوف يتألف كل صف منها من عشر كومات رماد على الأقل؛ إذ بخلاف ذلك لن تكون الكومة مرئية جيداً ولن تُحتسب في النهاية. ويحاول الأطفال وضع كومات الرماد في أماكن يصعب العثور عليها. وبعد الانتهاء من هذا العمل يعود الفريقان الى مكان متفق عليه مسبقاً، وعادة ما يكون عند حائط الكُنيس. وبعد أن يحضر جميع اللاعبين الى نقطة الإجتماع يبدأ الفريق (أ) بالتوجه الى الموقع العائد للفريق (ب) الذي يتجه بدوره الى موقع الفريق (أ).

المنافسة في هذه اللعبة هي أن يعثر كل فريق على شَنشَلوتكات منافسه وتدميرها. وبعد انتهاء البحث والتدمير يتوجه الفريقان لغرض إحصاء النقاط ومعرفة نتيجة اللعبة الى حقل الفريق (أ) معاً، حيث تُحصى كومات الرماد التي لم تُدمر. ويقومون بالشيء نفسه بالنسبة لحقل الفريق (ب). وإذا ما تساوى عدد الكومات الباقية لكلا الفريقين تكون النتيجة التعادل ريشه بريشه [المعنى الحرفي هو: "رأس برأس"]. أما إذا فشل الفريق (ب)، الذي يبلغ عدد لاعبيه عشرين مثلاً، في إيجاد مائة شَنشَلوتكات، فإن عدد ما بقي من كومات مخفية لكل طفل في الفريق المقابل (أ) سيكون خمسة شَنشَلوتكات. وحينها سيكون من حق لاعبي الفريق (أ) إمتطاء ظهور لاعبي الفريق الخاسر (ب) خمس مرات ذهاباً وإياباً بين الكومات التي لم تُدمر.

الكفارة (كپاره)

في سنه يجمعون تبرعات من أفراد الطائفة اليهودية لشراء بفرة، يذبحونها على باب الكُنيس كپاره "كفاره"، أو قُرباني [أضحية]. ويوزع اللحم على الفقراء. وتاخذ الأمهات قليلاً من هذا اللحم الى البيت لأطفالهن لإعتقادهن بأنه يجلب حسن الحظ ويسود الإعتقاد بأن عيون حيوانات الكپاره لها قوى خاصة. لذا فإنها تباع بأسعار مرتفعة وتُصنع من هذه العيون تعاويد للأطفال. وإحدى هذه التعاويد^(٤) على شكل عين مثبتة في نصف كرة فضية على قمته خرزة زرقاء بها سبعة ثقوب^(٥). وبعد الانتهاء من الكپاره يسمح بإعداد وجبة العشاء وإرتداء الأحذية.

٤- (مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٩:٣١) من سنه.

٥- عيون أضحى الكپاره لها في العماديه هذه الأهمية. وتتكون واحدة من التمانم، من العماديه =

أيام التوبة

[بميم نورائيم (أيام التوبة) هو المصطلح الذي يستخدمه عموم اليهود لما يسمى في الإنكليزية "أيام العطل المقدسة". وهي من أكثر الأيام قدسية في التقويم اليهودي، وتتألف من يومي *روش هاشانه** (السنة الجديدة) الأول والثاني من شهر تشرى ويوم كيبور (يوم التكفير) الذي يأتي بعدهما بثمانية أيام في العاشر منه. ويسبق العطلتين شهر التوبة الذي يبدأ بهلال شهر إيلول. وليهود كُردستان توجه عام نحو أيام الخشوع يختلف قليلاً عن المجتمعات اليهودية الأخرى في العالم].

أيام التوبة - سليحوت

تبدأ أيام التوبة والزهد بين اليهود الكُرد مع حلول هلال شهر *إيلول*. ويسمونها ريشيت *سهيريت راخاميم* "بداية شهر الرحمة" [في العماديه]. وفيها يوزع الطعام على الفقراء حتى حلول يوم كيبور، ويرسل الخبز يومياً الى الفقراء من قبل ثلاث عائلات (في العماديه). ويبدأ ترتيل *سليحوت* وصلوات التوبة في الليلة الثالثة - وتبدأ في العماديه في أول يوم أحد من شهر *إيلول*.

ولغرض إيقاظ الناس لأداء العبادات الليلية، يتوجه الشمّاش الى الحي اليهودي قبل منتصف الليل، ويترق جميع الأبواب منادياً كل واحد بإسمه، حتى إنه ينادي الأطفال المولودين حديثاً من الذين لم يسمّهم أبائهم قائلاً *بونا (برونا) زورا* "ولدي الصغير". وفي زاخو ينادي على الذين ماتوا حديثاً أيضاً. ولإعتقاد جيران اليهود من مسلمي زاخو أن من الفأل الحسن إستيقاظ المرء في منتصف الليل، فهم لذلك يدفعون للشماش كي يوقظهم أيضاً.

وينادي اليهود على بعضهم بالقول مثلاً *موشي كوملوخ* "موشي هل أنت مستيقظ؟". ومن هذا أطلق الكُرد على ليالي *سليحوت* تسمية *كوملوخ*؛ وبالنسبة للكُرد تعني *كوملوخ* موعد سقي حقول الرز (في زاخو). الأطفال كذلك يشجع بعضهم بعضاً على الإستيقاظ؛ وإذا ما تكاسل أحدهم يسكبون عليه الماء. وفي العماديه تحضر معظم النسوة تقريباً مراسيم *سليحوت*.

يسيطر على أنغام تراتيل *السليحوت الحازان* أو أي فرد آخر من المحفل له صوت * *High Holydays*: أيام العطلة اليهودية في فترة *روش هاشانان* أو يوم كيبور.

بعد عودة رب البيت الى منزله بعد أداء صلاة المساء تحطم زوجته جرة (وعاء فخاري قديم) أمام قدميه قائلة: "ميخواسيت تويري (ويلفظونها تويري) *أيا أمان* قام *أقلوخ* *هداخ* *نيلي* *دوشمنوخ* قام *أقلوخ* *توري* فليتحطم أعداؤك أمام قدميك كما أحطم هذه الجرة" (في العماديه وزاخو) [أو على نحو أكثر إيجازاً، *نيلي* *دوشمنوخ* *كام* *أقلاسوخ* فليقع أعداؤك على قدميك" (في العماديه). وفي زاخو تكون المرأة واقفة على سطح الدار أثناء هذه العملية.

وبعد ذلك تبدأ الأسرة في تناول وجبة العشاء التي تتألف (كما أشرنا) من طبق اللحم. ويحجم المتدينون عن تناول اللحم حتى في هذا المساء، مفضلين تناول العدس.

= (مجموعة براور في الجامعة العبرية ٣٨: ٣٩) من جبل عليه العينان المجففتان والخززة الزقاة ذات الثقوب السبعة، وخززة أخرى صغيرة بثقبين. ورأيت تميمة أخرى من العماديه مكونة من أنبوب معدني أبلغني مالكة أنه يحتوي قطعة من (نيقوسا) خشبة مشقوبة بإبرة. والعين المجففة لأضحية الكباره مربوطة الى ذلك الأنبوب.

غنائي جيد، وهناك تراويل معينة مخصصة للأولاد، وغالباً ما تقع مشاجرات عنيفة حول من له الحق في تاديتها من الأطفال (في العماديه وزاخو). ليس من العادة في كردستان أن يُنفخ في الشوفار بعد السليحوت. وهي عادة كانت شائعة في العماديه فيما مضى؛ إلا أنها إندثرت بحلول عام ١٩٢٠ لإعتبارهم النفخ في الشوفار عدة مرات قليلاً من قيمة النفخ الحقيقي في الشوفار بمناسبة السنة الجديدة ويوم الكفارة.

وتعتبر ليالي السليحوت ليالي ذات متعة خاصة للصبيان، وفيها يلعبون ألعاباً معينة لا يلعبونها إلا في هذا الوقت. ففي زاخو وحال انتهاء مراسم سليحوت قبل الفجر بقليل يسرع الصبية الى ضفة النهر ليلعبوا حتى شروق الشمس.

من الألعاب التي يلعبها الصبية خصوصاً في ليالي السليحوت، لعبة مَهينيسا (ومفردها: مَهيني) "الأفراس". ويبدأ الصبية بالتحضير لهذه اللعبة قبل أسابيع من موعدها. إذ ينتقون أقوى رفاقهم في المدرسة ويسعون لضمان إشتراكهم معهم على أنهم مَهينيسا لهم مقابل الهبات النقدية والحلويات والزبيب. وفي أحيان كثيرة يلجأ أحد الصبية لإغراء رفاقه كي يختاروه "فرساً" بوعود بمنحهم أفضل الهدايا. ويتسبب ذلك في مشاجرات عنيفة بين الصبية في الأسابيع التي تسبق إيلول.

ينجح في النهاية أحد الأولاد في ضمان "فرسيه" فيشرع حينها في تقويتها استعداداً لليالي السليحوت. فهو يمنح فرسيه كل الحلويات التي يدخرها لهما ويدعوها الى منزله، ويقول لوالدته "هاتان المَهينيسا لي"، "أنظري كم هما هزيلتان. يجب أن أجعلهما قويتين بحلول إيلول. أعطيني بعض الطعام لإقدمه لهما". حينها يتعين على الأم أن تقدم لهم الـ *البيراغ*. ويصنع الصبية الجمّة "لأفراسهم" حيث ستجري في ليالي السليحوت مباريات عنيفة بين الفرق المتنافسة.

وهناك لعبة أخرى تعرف بإسم *تكتكوشكات*، وفيها يبدأ الصبية بجمع روث الجمال قبل أسابيع من حلول *إيلول*، ويصنعون منه قنابل صغيرة يفجرونها على ضفة النهر (في زاخو).

السنة الجديدة

في عشية يوم الإستعداد لإحتفال السنة الجديدة، وفي وقت مراسم السليحوت، يتم *هطارات نداريم* "الحلّ من العهود". وعلى كل فرد فيه أن يعطي الكاباي هبة نقدية، *بيريت هطارا* يذهب نصف ريعها للحازان ونصفها الآخر للكُنيس؛ وبعد هذا

يرتل عشرة من الحاخامات الهطارا. وتأتي النسوة والفتيات كذلك الى الكُنيس أثناء الهطارا، ولكن جمع النقود بينهن يكون قد تم مسبقاً. وفي حال عدم إستطاعة المرأة حضور المراسيم في الكُنيس تُتلى الهطارا في دارها.

وفي كردستان (كما في أي مكان آخر) جرت العادة على الصوم في يوم الإستعدادات. ولا تتوقف الأعمال حتى منتصف النهار؛ ويتوجه الرجال الى الأسواق صباحاً لشراء مستلزمات العيد، وخصوصاً الفاكهة وأنواع الأطعمة الأخرى التي يعتبرونها "قالاً حسناً"^(١). وفي العماديه يشتري رب الأسرة الفاكهة بنفسه. وبما أن الشوحيطيم لا يذبحون عدداً كافياً من الأغنام فلا تتوفر رؤوس الأغنام لكل من يطلبها، فيشتري كل فرد جزءاً من رأس شاة. وأما في زاخو فيجتمع عدد من الناس في دار *ميري* ببسحه، ويتركون له وحده أمر شراء الفاكهة ورأس الشاة.

وعند منتصف النهار في هذا اليوم يقصد الجميع الحلاقين لحلاقة رؤوسهم وبعدها الى ضفة النهر للإستحمام وإرتداء الثياب البيض المخصصة لإحتفال رأس السنة الجديدة ويوم الكفارة.

إن العادات التي يمارسها اليهود الكُرد في *روش هاشانه*^(٢) لا تتميز بأية ملامح خاصة. فهو عيد يحرصون فيه على إيلاء عناية فائقة لتنفيذ الوصايا التقليدية. لقد جرت دون شك تنقية هذا العيد من الخصوصيات المحلية لصالح الصيغ التقليدية. وفعلاً فإن جانباً كبيراً من الصعوبة التي تواجه التحقيق في العادات الشعبية بين اليهود يعود في الحقيقة لإشراف الرسل الحبريين وفرضهم التخلي عن بعض الاستخدامات المحلية لإحلال العادات اليهودية الأصيلة الصارمة محلها. إعتاد اليهود الكُرد ترتيل صلاة *أحوت قتاناً* "الأخت الصغيرة"^(٣) قبل صلاة المساء بعيون دامعة، وهم يقرأونها بالعبرية وبالتارگوم وبالكردية في بعض المناطق (هركي).

بعد انتهاء المراسيم يحيي المصلون بعضهم بعضاً بعبارة *تيكاتف بَسيفر حايبم* توفيم "قليقش اسمك في كتاب الحياة الهائنة". وفي زاخو يذهب اليهود الى دار *ميري* ببسحه لتناول الفاكهة التي يعتبر إسمها الأرامي أو مذاقها وكذلك لحم رأس الخروف فالأ حسناً للسنة الجديدة. ويتجنب اليهود في هذا الوقت تناول الجوز، كما

١- ويسمون ذلك *زيوانيت طومنه* "شراء الفاكهة".

٢- يطلق الكُرد على *روش هاشانه عيداً سري سالي* "عيد رأس السنة".

٣- (أنظر ديفيدسون، الموسوعة، العدد ٢٤٥١).

يحرّم عليهم تناول أي شيء حامض بخلاف الحلويات التي لهم أن يتناولوا منها قدر ما يشاؤون. وبعد تناول الطعام يجلس الرجال لمدة طويلة يقرأون فيها *الميشنا والزوهار*. أما المتدينون جداً منهم فيذهبون في الصباح الى ضفة النهر لطقوس الإغتسال الصباحي مرة أخرى.

وفي العماديه هناك مزايده خاصة لبيع المهام المرتبطة بشرف القراءة من التوراة. وتشترى النسوة هذه المهمة وكذلك امتياز نصب ريمونيم لأولادهن الصغار؛ فيما يحمل الوالد ولده على يديه أثناء تادية تلك المراسيم، التي يقف خلالها إثنان من المساعدين (*سومخيم*) بجانب الحازان، حيث يغني الثلاثة بعض الأغاني.

تُختتم المراسيم بالنفخ في قرن الكبش أو الشوفار (ويسمى في زاخو والعماديه *تكعيه*). وفي العماديه وسنة: *شوفار*). يحظى الشوفار بعناية فائقة طوال أشهر السنة للحفاظ على جودة نغمته عند استعماله في *روش هاشانه* ويوم كيبور. ويلجا اليهود الى وسائل عدة للحفاظ على جودة النغمة: فيضعون ريشة طائر مبللة بالزيت فيه (في العماديه *زاخو*)^(٤)، أو يضعونه في الخل (في زاخو)، أو يصبون فيه العرق (في سنه). وعادة فإن الحازان هو من ينفخ في الشوفار ويتمرن كثيراً لينجح في أداء هذه المهمة نيابة عن المحفل اليهودي. في بعض المقاطعات يحظر الكرد على اليهود النفخ في الشوفار، ربما لخوفهم من السحر؛ لهذا يجتمع يهود زيبار (شرق ريكان) في أحد الكهوف سرّاً لممارسة طقوس النفخ في *الشوفار*^(٥).

بعد تناول الوجبة الصباحية يذهب الناس لأداء *يشيقتا* [الجلوس] في بيوت من فقدوا عزيزاً خلال تلك السنة. ويقدم أهل الدار للمعزّين القهوة والفاكهة ليتلوا عليها البركات من أجل روح الميت.

بعد طقوس المنحه يذهب الرجال - شيباً وشباباً - الى النهر لأداء مراسيم *تشليخ* "نفخ الخطايا"، التي لا تشترك فيها من النسوة سوى العجائز. وفيها يقف الناس على ضفة النهر صفّاً واحداً - في وسطه تماماً يقف الحاخام - ويبدأون في نفخ ثيابهم، دون إفراغ جيوبهم، وينفضون الثياب وهم ممسكون بحواشيها الأربعة (بالعبرية: *أربع كانفوط*). ويصف لنا بنيامين الثاني مراسيم طقوس *تشليخ* في

٤- تم إلغاء هذه الممارسة في العماديه، "لأن العث يلتهم تلك الريشة".

٥- ذكر بنيامين الثاني الشيء نفسه عن راندرز: دخل الكرد الى المعبد عنوة، "هاجموا النسوة، وعاملوهن معاملة سيئة، وحطموا البوق الرمزي وأجبروا اليهود على إيقاف مراسيمهم" (ثمان سنوات، ص ١١٣).

رواندرز على النحو التالي:

"هناك في يوم رأس السنة الجديدة عادة غريبة تُمارس عقب مراسيم *التشليخ* (الصلاة قرب المياه)، وتُمارس في مناطق عديدة من أوروبا أيضاً. والطقس عبارة عن عمل رمزي، إذ يذهبون الى النبع عند الجبل حيث يتلون صلاتهم ويقفزون بعدها الى مياه النبع ويسبحون فيها. ويعتقدون أنهم بعملهم هذا إنما يتطهرون من جميع خطاياهم، متجاهلين خطيئتهم الجديدة التي ارتكبوها توطاً بسباحتهم، لأن الإستحمام محرم في أيام الأعياد" (ثمان سنوات في آسيا وأفريقيا، ص ١٢٢).

ولكن لم يذكر لي أي من محدثي ما إذا كانت هذه الطقوس تجري وفق ما أثبتته بنيامين الثاني في أعلاه. أما في زاخو فيقف اليهود على ظهر طوف في وسط النهر، ويمضي بعضهم أبعد من ذلك بالخوض والسباحة في النهر، لإعتقادهم بتخلصهم من الخطايا على هذا النحو بصورة أفضل. أما في عقره فقد إعتادوا على الوقوف في مكان ضحل تبلغ مياهه الكعبين.

[أما في العماديه فهم يقفون أثناء مراسيم *التشليخ* على سور المدينة - فوق بقعة كانت فيما مضى بئراً إندرس - ويتجهون بانظارهم الى بقعة تبعد عن المكان نحو أربعة آلاف ذراع فيها شلال تسقط مياهه من علٍ لتدير ثلاث طواحين مائية، وفي تلك البقعة يتلون صلاة *التشليخ*. ويرفع كل مصلٍ لدى نطقه بعبارة *مي إيل كاموخا* "من يا إلهي يُشبهك؟" حواشي ثيابه، وعندما ينطق بعبارة *تشليخ* *بيمتزلولوت* "ألقها في أعماق البحر" ينفض حواشي ثيابه ثلاث مرات].

يوم الكفارة

بين يوم رأس السنة ويوم الكفارة أيام التوبة العشرة. وقد إعتاد المتدينون من اليهود الصيام خلال هذه الفترة والإكتفاء بوجبة العشاء فحسب. وأما الممارسة الشائعة خلال هذه الفترة فهي الإمتناع عن تناول الطعام *خوواروسا* (الأبيض) أي الأطعمة البيضاء من حليب وزبدة وبيض وبصل وثوم. ويعزو بعضهم هذا الإمتناع بالقول أن الحليب ومشتقاته تُنتج من قبل غير اليهود، لذلك يحرم عليهم تناولها خلال أيام التوبة العشرة^(٦).

يطلق اليهود الكرد على يوم الكفارة كيبور أو *صوما أوروا* (الصوم الأكبر، في

٦- يهود برّشه يتناولون خوواروسا، لأنهم ينتجون مشتقات الحليب بأنفسهم.

سنه والعماديه) أو صوماً *أريزا* (صوم المحبوب، في زاخو)، ولهذا يطلق المسلمون الكُرد على هذا اليوم أحياناً (روياً *مازانه جهييانا* (صوم اليهود الأكبر، في زاخو). إلا أن أكثر التسميات شيوعاً هي *عيدا ديكلا* (عيد الديكة)، حتى إن اليهود يستخدمون مصطلح (يوم زبيحت ديكلا (يوم ذبح الدجاج).

يحضر الكُرد أعداداً كبيرة من الدجاج الى الأسواق في الأيام التي تسبق يوم كيبور، لعلمهم أن الطلب عليها سيكون كبيراً خلال هذه الفترة. وفي الليلة التي تسبق يوم الإستعداد ليوم كيبور، يوقظ الشَّمَّاش الناس فرداً فرداً لمراسيم السليحوت وقليل ساعة من الموعد المعتاد. وهم يوقظون الأطفال كذلك لإعتقادهم بأن بقاء الناس نيماً خلال الكپاره أمر مشؤوم. ولأضحية الكپاره يختار اليهود طائراً أبيض، ويفضل إختيار ديك للرجل ودجاجة للمرأة. ولهذا يجب تخصيص طائر واحد لكل فرد من العائلة، بإستثناء العائلات الفقيرة التي تستعيز عن الدجاج في هذه الحالة ببيضة لكل فرد^(٧).

وأما العائلات الثرية فتخصص لكل فرد من أفرادها خروفاً كأضحية؛ ويمكن في هذه الحالة إعتبار ذلك كپاره عامة، وهي عادة يلجأ اليها اليهود في هذه المناسبة كما في المناسبات الأخرى (في حال المرض مثلاً)^(٨). إذ تحضر كل عائلة الى باحة الكُنيس جالبة معها خروفها المخصص للتضحية به. فيدور الشوحيط بالخروف حول أفراد العائلة ويلمس كل واحد منهم الخروف أثناء دورانه حولهم وقبل ذبحه. أما دجاجة الكپاره فتذبح في البيت. ويبدأ الشوحيط في عمله عند منتصف الليل لكي ينتهي منه باكراً. وهو يترك دم الأضحية يتدفق في الدوكة المملوءة بالرماد، ليبدأ رب الأسرة بعدها بتلاوة التبريكات على كيسيوي *ها دم تغطية الدم*.

ولمناسبة الكپاره يذبح الشوحيط، كما في المناسبات الأخرى، الذبائح مجاناً؛ خلا تبرع تلاميذه في بعض الأحيان بالطائر المذبوح على سبيل الهدية. ويترك أهل الدار رأس الدجاجة المذبوحة وأحشاءها فوق سطح الدار طعاماً للطيور، فيما يوزعون اللحم على الفقراء.

وفي الصباح ينقلون الشمعة الضخمة المسماة شمعه ميقور/خ "الشمعة المباركة" الى الكُنيس^(٩). ويبلغ إرتفاع الشمعة المذكورة متران وسمكها (٣٠) سنتيمتراً

٧- لا ينحر اليهود الكُرد للمرأة الحامل دجاجتين كما جاء في *شولحان عروخ*، بل دجاجتين وديكاً.

٨- أنظر أيضاً براور "مي- پاراشات ماساعتوتاي"، ص ٢٠.

٩- الوصف التالي للمراسيم خاص بزاخو: "وعندما نظرت، ماذا رأيت؟ كل اليهود مجتمعون، =

يصنعها الشَّمَّاش على نفقة الكُنيس. وفي العماديه يُشترى الشمع اللازم لصناعتها من الأموال التي يتم جمعها أثناء الجلد بالسياط (مَلَقوت) في يوم الكفارة.

في زاخو ينقل الشَّمَّاش ليلاً الشمعة الضخمة الى بيت الكاباي قبل حلول يوم كيبور ببضعة أيام. وفي يوم الإستعدادات الذي يسبق يوم كيبور يحضر أفراد المحفل اليهودي الى دار الكاباي، الذي يقدم لهم المرطبات، ليبدأ بعدها بيع الشمعة في المزاد. وبهدف رفع السعر الى أعلى ما يمكن تجري المزايده في جو يسوده الهرج والمرج واللهو.

وبعدها يحمل من ترسو عليه المزايده الشمعة على كتفه ويتجه بها - يرافقه جميع أفراد المحفل - الى الكُنيس. وخلال مرورهم ترشهم النسوة الواقفات على السطوح بالحنطة والزبيب وهن يزغردن. وفي الكُنيس توضع الشمعة الضخمة المباركة قبالة ميخال "الحرم". ثم يوقد بعض الرجال قناديل زينية لأطفالهم وزوجاتهم، والنساء لأزواجهن (في زاخو). أما في العماديه فيوقدون قنديلاً لكل فرد من العائلة.

يتم إطفاء شمعه ميقور/خ الضخمة في اليوم الذي يلي الصوم ويستخدمون ما تخلف منها كشمعة هَدَلَا في الكُنيس (أنظر ص ٣٢٣). وهم يعتبرون إنطفاء الشمعة في وقت قبل هذا نذير شؤم للمجتمع. أما في سنه فتوقد العائلات التي مات واحد أو أكثر من أفرادها خلال فترة معينة (تكون في بعض الأحيان عشر سنوات) فتضع شمعة ضخمة - إرتفاعها متر واحد - في الكُنيس، ولكثرة عددها يُضاء الكُنيس على نحو بهيج بهذه الشموع التذكارية الضخمة.

إن الجلد بالسياط "مَلَقوت" يحدث في الكُنيس بعد المينحه. وهي عادة يمارسها اليهود الكُرد بجدية وحماسة كبيرين لإتفاقها وطبائعهم الخشنة، ولأنهم يعلقون عليها أهمية كبيرة. ويستخدم في عملية الجلد سوط خاص مصنوع من جلد الثور وجلد الحمار. ويعزون استخدام نوعين من الجلد الى سفير أشعيا ٣:١ "عرف الثور مالكة والحمار إصطبل سيده"، ولكن هذا التفسير حديث لأن هناك أدوات قديمة إستُخدمت في الجلد. ففي مجموعة براور بالجامعة العبرية سوط يعد قطعة أثرية نادرة من سنه^(١٠). وللسوط المذكور مقبض خشبي طوله (٢٠) سنتيمتراً أدخل فيه

= وفي وسطهم يسير أعلاهم مكانة يحمل بكلتا يديه شمعة ضخمة (الشمعة المخصصة ليوم كيبور)، وعلى صوت الطبول وإيقاع الرقصات يتقدم الحشد، والنساء اللواتي كن على أسطح المنازل شاركن الموكب الراقص بهتافات عالية ونياح كالكلاب... حتى بلغوا الكُنيس. حيث وضعوا الشمعة في مكانها المخصص لها". (دبليو، شور، *ماحازوت هاكاييم*، قيينا، ١٨٨٤، ص ٣٤).

١٠- وقد نجحت في الحصول على سوط آخر من هذه السياط النادرة، وهي أداة بدائية من ريكان، =

شريط رفيع من جلد ثور مطوي أربع طيات وحواف الطيات خيطت الى بعضها بخيط رفيع (طوله ٣٣ سنتيمتراً وعرضه ٦.٧ وسمكه ١.٢) هو الآخر من جلد ثور (مجموعة براور بالجامعة العبرية ١١:٣٧). المقبض والسوط مزخرفان بخطوط عميقة. وفي وسط السوط وعلى جانبيه شريط طويل من جلد حمار عرضه (١.٤) سنتيمترات وقد خيط الى السوط من وسطه بخيط رفيع من جلد ثور. وفي نهاية السوط يبرز شريط من جلد حمار تم لفة الى عقدة صغيرة.

ولكل كُنيس سوطه الذي يُحفظ في هيخال. وقد يكون السوط متناعاً متوارثاً لدى بعض عائلات الحاخامات، وفي زاخو حالتان فقط توارثت فيهما أسرتان هذه الأداة.

في العماديه يستخدم أحد أعمدة الكُنيس موقعاً للجلد، إذ يتعري المريض الى خصره ويلف يديه حول العمود. ثم يقوم أحد التلاميذ بربط يدي المريض بشال صلوات قديم. ويشرف على عملية الجلد الحازان؛ وتكون الجلادات (بعدما عرفنا عن خشونة اليهود الكُرد) قوية. وعادة ما يقف الحازان أثناء الجلد خلف المريض ممسكاً بالسوط بقبضتيه لتكون ضرباته قوية. وهو يجلد المريض ثلاث جلادات، أو إذا رغب المريض بذلك "أربعين جلدة" أو "واحدة" وهو يردد كلمات الأناشيد ٨٣:٧٨ ثلاث مرات. ويطلق اليهود الكُرد صرخات عالية أثناء الجلد - ليس من الألم بل بسبب الإهتياج الداخلي^(١١).

وبعد الانتهاء من الجلد يوزع المريض الصدقات، ويحيط به الفقراء وهم يصيحون مامو، مامو "ياعم ياعم" ولا يتركونه يرتدي ثيابه إلا بعد أن يرضيهم (في زاخو). بعد ذلك يتوجه المجلود الى النهر للإغتسال الشرعي. وفي العماديه إعتاد هؤلاء على الغسل في الماء خمس مرات، ولكن المتدينين منهم يغتسلون في الماء "أربعين مرة" إلا مرة^(١٢) (في زاخو، والعماديه وسنه).

تضع النسوة الطعام قبل بدء الصوم في الفرن ويحذرن الأطفال من الإقتراب من الفرن الذي يحرسه في هذه المرة عفريت. وتتألف وجبة الطعام الأخيرة قبل بدء الصوم من الدجاج والرز عادة. ويصوم الكبار والصغار إذ تنصح الأم إبنتها قائلة:

= مصنوعة من جلد ثور وجلد حمار (الجامعة العبرية، مجموعة براور ٣٩:١٢).

١١- عملية الجلد هذه حظيت بوصف حي من شور: "ومع كل جلدة يتلقاها البربري من الشَّمَّاش، يصرخ الأول بصوت يمزق نياط القلب... وقد غطت الجروح ظهر الرجل المسكين... بضعة كُرد مسلمين، من المطلعين على هذه العادة اليهودية الشاذة، جاؤوا الى الكُنيس، وعروا ظهورهم، وقالوا للشَّمَّاش ممازحين بأن يجلدهم هم أيضاً أربعين جلدة" (المصدر السابق). لكن محدثي أنكروا هذا الزعم الأخير.

"صومين برיתי، نيبيكلاخ خي كيكيت ديهفا" صومي يا ابنتي، لينبت لك سنّ ذهبي" (في العماديه).

ويتوجه الشَّمَّاش بمقتضى المراسيم، الى الكُنيس حافياً، فيما ينتعل الكثير منهم رَشْكة "الحداء المصنوع من شعر الماعز (ص١٠٣)" ويشدون على خصرهم بدلاً عن الخيش حبلاً من شعر الماعز تحت الملابس يسمى دالكه.

يعود كل الرجال الغائبين عن بيوتهم قبل يوم كيبور. ويحضر الجميع أداء المراسيم في الكُنيس الذي تمتليء باحتة بالمصلين. بينما تقف النسوة والفتيات على سطوح المنازل المجاورة للكُنيس.

وتُغنى كول نيدر ثلاث مرات بلغتها الأصلية وثلاث مرات أخر بالتارگوم. ويبيكي الجميع أثناء الغناء؛ وتبكي النسوة والفتيات ويندبن من على سطوح المنازل المجاورة، فتقول المرأة لإبنتها: تبيخه برיתי تخاتر إليله بيول خايه طا بيبخ أخاويساخ "إبكي يا بنيتي، حتى يطيل الله في أعمار والدك وإخوانك" (في العماديه).

ويُلزم المتدينون أنفسهم بأن لايتكلموا لحين النفخ في الشوفار في اليوم التالي. ويظل العديد من هؤلاء وقوفاً طوال ليلة ونهار يوم كيبور^(١٢). ولتخفيف هذا العبء المفروض ذاتياً، يلف هؤلاء رباطات حول أجسادهم. ويقضي بعض الحاخامات الليل بطوله في الكُنيس لتجنب الإلتقاء بالنساء أو غير اليهود أو الإلتغال بالأمر التافهة. وفي زاخو تقطع الفتيات على أنفسهن العهد بالترزام الصمت. لإعتقادهن بأن صمتهن سيعود عليهن بنعمة الحصول على زوج صالح.

في صباح اليوم التالي يكون الجميع في الكُنيس قبل شروق الشمس. ويتم تقسيم قراءة الصلوات بين ثلاثة حازانيم. ويتاح في يوم كيبور لعدد كبير جداً من المصلين القراءة من التوراة، لأن العديد من الرجال يقضون أيام السنة مسافرين بين القرى ولايكونون في بيوتهم مع عائلاتهم إلا خلال أيام التوبة وعيد الفصح. هذا علاوة على أنه يقدم الى المدينة كل من يستطيع ذلك خلال يوم كيبور. وقبل نطق التبريك الكهنوتي يتوجه الكوهينيم الى أحواض الغسل، حيث يصب اللاوية الماء على أيديهم، حيث يقدم ماء الغسل هذا شراباً شافياً للمرضى والنساء العواقر (في العماديه وزاخو).

١٢- [ساد هذا التقليد في المجتمعات الأشكنازية وبين المتدينين من أفرادها. فوفقاً لجدة والدتي، التي عاشت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في غروسفاردان، ترانسلفانيا، كان معروفاً أنها وقفت في مكان واحد طوال مراسيم يوم كيبور ولم تنبس بحرف خلا في صلوات هذا اليوم.]

السوكوت - السقائف

يسمى اليهود الكرد عيد السوكوت [السقائف] "سوگه أو سوکوت". وفي سنة يستخدمون تسمية "بيلانه" وقت العيد؛ وذلك أنهم يعتبرون السوكوت في المناطق الفارسية - الكردية (كما في الكتابات التلمودية) من أبهى الأعياد. يطلق المسلمون الكُرد على هذا العيد كِبْرَه شينَه "السقيفة الزرقاء" (في زاخو والعماديه وأشنويه).

هناك أماكن تبني فيها كل عائلة سقيفة لنفسها (في سنة والسليمانية)؛ ولكن في الغالب لا تقام السقائف إلا من قبل عائلات قليلة تدعو الآخرين لإحتفال معها، كما هو الحال في عيد الفصح.

في زاخو يبني ربع العائلات تقريباً السوكوت. وهناك في أربيل سقيفة واحدة في كل باحة؛ أما في العماديه فتقيم سبع عائلات فقط من أصل ثمانين السقائف، وفي برشه إثنان أو ثلاث من أصل خمس وعشرين عائلة. وفي أشنويه كانت هناك أربع سقائف فقط لمائة عائلة؛ بُنيت في بيوت الحازان، والكاباي، وإثنان من الأغنياء.

السقيفة

في كردستان كما في الأماكن الأخرى، يبدأ بناء السقيفة قبل انتهاء يوم كيبور. وتُبنى في باحة المنزل أو، وهذا هو الشائع، على سطح المنزل. وفي زاخو هناك تقليد قديم يتمثل في قبول تاجر الأخشاب تاجير أخشابه لإقامة السقائف في عيد السوكوت. ولهذا يتوجه الرجال في المساء الى النهر حيث توجد ساحات بيع الأخشاب؛ وينال كل واحد منهم ما يحتاجه من أخشاب ويأخذها معه الى داره. وفي البيت يحفر أربع حفر يغرس فيها أربعة أعمدة خشبية من التي أحضرها معه.

في صباح اليوم التالي يتوجه اليهود الى الغابات ببغالهم للحصول على أغصان خيلايتا "الصفصاف" لجدران وسقف السقيفة. وبما أن الصفصاف يوضع على السقيفة عشية عيد السوكوت، فهم يسمون ذلك اليوم يوم جيزليت سوگه (في زاخو) أو يوم كاسويت سوگه "يوم تغطية السوگه" (في العماديه). ولا تستخدم المسامير في بناء السوگه. ويتم ربط كل شيء فيها بالحبال أو الأغصان الطرية.

تفرش أرضيات السقائف بسجاجيد وأقمشة ذات ألوان فاقعة، إلا أنهم لا يغطون

ينتظر الرجال يوم كيبور بحماسة فلاحية، فهم لا يرون في الصوم مشقة كبيرة، ولكن تلاحظ حركة مستمرة بين النسوة، فخلال بيوتيم [أشعار دينية] التي تُغنى بالتارگوم، تراهنُ يفرطن في البكاء. وهناك العديد من الرجال ممن لا يقضون اليوم كله في الكُنيس، بل يتوجهون عقب انتهاء صلاة الصبح الى منازلهم ليناموا حتى حلول وقت المينحه. وفي سنة يجلس الرجال على منصة سيده المرتفعة خلال هذه الفترة، حيث يقدم لهم كل واحد من الصبية والصبايا في المحفل منديلاً لأجل رقوق التوراة. ثم يتم بعد ذلك بيع هذه المناديل، التي قد يصل عددها الى أكثر من مائتين، ويخصص ربع البيع للكُنيس.

يخضع الرجل الذي يولد له طفل في يوم كيبور لمعاملة قاسية. لأن ولادة الطفل تؤكد إقترافه الخطيئة ونومه مع زوجته في الصيام أثناء العاشر من تيفيت (*)، اليوم الذي حاصر فيه نبوخذنصر القدس. ولهذا يلفون الوالد المذنب في بطانية، ويدوسه كل فرد من الحاضرين ثلاث مرات. وعليه بعدها أن يقضي يوم كيبور برمته ملفوفاً في تلك البطانية (في العماديه). أما في زاخو فيفرجون عنه بعد تلقيه العقوبة الأولى. وبعد نفع الشوفار عند صلاة المساء، تسرع النسوة الى منازلهن لإيقاد القناديل وإخراج الميبوسه من الفرن لأجل فيتاريت كيبور. والطبق الذي يتناوله اليهود الكُرد للإفطار بعد صوم يوم كيبور طبق حلو وحامض: كبة (كفته) الحنطة واللحم المطبوخة في عصير العنب غير الناضج ميبيست خومسه (في العماديه وزاخو والسليمانية).

*- تيفيت : الشهر الرابع من التقويم المدني والعاشر من التقويم الديني، يقابل كانون أول وأحياناً قسماً من كانون الثاني. (تبيت Tebet أو تبيت Teveth).

أغصان الصفصاف في برّشه. وفي سقف كل سقيفة يعلقون عناقيد من الفاكهة لأكبر عدد من أنواع الفاكهة؛ وأكياس صغيرة من الملح والفلل وما إلى ذلك؛ ويقطينة النبي يونس قره مايه (في العماديه، يعلقون البطيخ؛ وكذلك في سنه)، وكذلك بيضة عليها كتابات عبرية من سفر لئقي ٢٣:٢٤، "ستسكنون السقائف سبعة أيام" (في العماديه وأشنويه). ويطوي الأطفال قطعاً من الورق لتشكيل صور طيور، چوچكيتيا ويعلقونها في السوكّه، ويقولون عنها بأنها أرواح الحاخامات^(١).

يجلس الناس على الأرض على مفارش صغيرة، حول طاولة مستديرة قليلة الإرتفاع (كورسي) توضع فوقها سينيّ الطعام. وطبقاً للعادة الكابالية^(*)، يوضع في السوكّه كذلك كرسي يطلق عليه كورسي باباويتيا، "كرسي الآباء" ليجلس عليه أوشبيزين "الضيوف المقدسون". وفي كل يوم يُهيأ وعاء من الطعام للأوشبيزين ليقدم بعد ذلك للفقراء^(٢).

عندما يعود مالك السوكّه من الكنيس في أول ليلة من ليالي العيد، لا يدخل سقيفته مباشرة بل ينتظر إجتماع كل ضيوفه لكي يدخلوا كلهم معاً. وليس بين الضيوف في هذه المرحلة نساء. لأنهن يتسلفن إلى سقف السقيفة حيث يلقيان من هناك بالحلوى لأطفالهنّ الذين يدخلون السقيفة. وهم يرمون العريس أيضاً في هذا الوقت بالحلوى (في أربيل). والمضيف لا يقيم الوليمة. لأن كل ضيف يحضر معه العرق والمزّه، فيما تقوم الزوجات بعد فترة بإحضار الطعام لأزواجهن.

اللولاڤ (باقة السوكوت)

في كردستان يوجد اللولاڤ في الكنيس فقط [والإتروگ]. ويتألف اللولاڤ - كما في كل المجتمعات اليهودية - من سعف النخيل، المحاط بأغصان الأس والصفصاف. والـإتروگ الذي يسميه اليهود الكرد شعبياً "ترنج" هو الأترج. وهذه الأصناف الأربعة التي يشار إليها عادة بهذا الإسم تحمل معاً في كلتا الديدن، وتلقى عليها البركات الملائمة، ثم تحرك إلى الأعلى والأسفل في الإتجاهات الأربعة. إن التبريك

١- [فيما يتعلق إعادة تقديم الروح في صورة طير أنظر: موسوعة الأديان والأخلاق، طبعة هاستنكر، ١٠٥٢٥، ١١، ٧٢٩، ٧٤٥، مادة إسلام؛ سر جيمس جورجس فريزر، الغصن الذهبي، الطبعة الثالثة، لندن، ١٩٢٢-١٩٢٥، الفهرس، مادة "الروح"].

*- الكابالاه: منهج لتفسير الكتب الدينية وفق القيم الرقمية للحروف، إستحدثه بعض أحبار اليهود في القرون الوسطى. وتسري التسمية في الإنكليزية كذلك على أي معتقد صوفي أو سري.

٢- هناك حاخامات ينقلون كرسي إيليا من الكنيس ويضعونه في السوكا العائدة لهم (في زاخو).

والتحريك للإتجاهات الأربعة، واللذين يمارسان في كل يوم من أيام عيد السقائف الثمانية، تعد جانباً هاماً من طقوس العيد].

إن الأس (آسه) والصفصاف (خيلابتا، وبالكرديّة: بي) ينموان في كل مكان في كردستان؛ ولكن لا يقدر الفرد على توفير اللولاڤ والإتروگ^(٣)، لأنهما يستوردان من بغداد أو القدس، وفي المقاطعات الفارسية من مدينة رشت.

وفي العماديه إعتاد رجلان مسنان الذهاب إلى بغداد لجلب اللولاڤ والإتروگ. وحينما كان أهل المدينة يعلمون بإقتراب القافلة التي يرافقها حاملاً سعفات النخيل والأترج من المدينة، كان المعلم وتلاميذه، وكل من يستطيع أن يترك عمله - حتى من الكرّد- ينطلقون بسرور للقائهما (في زاخو والعماديه).

يؤخذ الإتروگ واللولاڤ في البداية إلى بيت الكاباي، حيث يباعان عن طريق المزايده. وفي اليوم الذي يسبق عشية السوكوت، يجلب الناس - وهم يسيرون في موكب يغنون فيه أغنية دي خامولا (أنظر ص ١٤٧) - الإثنين إلى بيت ميرري لولاڤ [سيد اللولاڤ] أو الذي رست عليه المزايده على شراء اللولاڤ. وتقوم زوجة ميرري لولاڤ من على سطح دارها بإلقاء الحلوى والمكسرات على المشاركين في الموكب، وتقدم للحضور أطعمة خفيفة^(٤).

في الصباح الباكر من اليوم التالي يوقظ الشّمّاش الناس لكي يجلبوا اللولاڤ من دار ميرري لولاڤ إلى الكنيس، حيث يعاد ثانية إلى نفس الدار بعد انتهاء المراسيم المتعلقة به في الكنيس. ومن بين واجبات من يحظى بشرف كونه ميرري لولاڤ تقديم الطعام لنحو ستين شخصاً يومياً وهو أمر مكلف جداً. ويُلف اللولاڤ في قماش حريري، وليس هناك صندوق لحفظ الإتروگ.

يقدم ميرري لولاڤ اللولاڤ للجميع في الكنيس، ليقرأوا عليه تبريكاتهم. وكانت العجائز أيضاً يحملن اللولاڤ فيما مضى ويتلون عليه تبريكاتهن مثل الرجال.

قبل مراسيم المنحه في اليوم الأول، يجتمع المحفل بأكمله في السوكّه العائدة

٣- هناك على ما يبدو أسباب إجتماعية أيضاً لهذا: إذ ليس من المرغوب أن يكون للأغنياء فضل كهذا على الفقراء.

٤- في زاخو يسقى اللولاڤ في دار الكاباي ولا يطرح للمزايده إلا في اليوم الأول. ويكون سعره مرتفعاً يصل في كثير من الأحيان إلى (١٠) جنيهات استرلينية، ولا يعيدونه إلى بيت ميرري لولاڤ إلا بعد إنتهاء المراسيم. ويأخذونه في كل يوم من الدار المذكورة ليعيدوه إليها بعد إنتهاء المراسيم في الكنيس.

للغفير، وفي اليوم الثاني في سوّكه الحاخام. وهم يرقصون ويغنون في هذه الاجتماعات، ويؤدي بعض الرجال المسنين رقصة السيف بسيوف خشبية. ولأجل المنحه يتوجه الى الكنيس موكب يتقدمه الشباب وهم يرقصون ملوحين بالمناديل، وخلفهم يسير الرجال الأكبر سناً وهم يرقصون بالسيوف (في العمادية)^(٥).

هوشانا رابا

يطلق على الليلة التي تسبق [هوشانا رابا] "الهوشانا العظيمة" [ليل أريفة] ليلة الصفاصاف". وفي ليل أريفة يغتسل الرجال الإغتسال الشرعي ويرتدون ثياباً بيض، كما في يوم كيפור. وفي العمادية يجتمع الرجال من أجل القراءات الليلية في الكنيس، وفي زاخو وسنه يجتمعون في السوكة. وفي العمادية يأمر الكاباي بإحضار كمية كبيرة من العنب الى الكنيس، فيما يحضر الناس معهم في الصباح إناءً مملوءاً بالفاكهة والكعك (زلوبيه). ويتم توزيع الفاكهة والكعك عدة مرات خلال الليل. وللمشاركة في هذه القراءات الليلة تحضر النسوة كذلك الى الكنيس، لكنهن يجلسن في الباحة في صمت (في العمادية). وتبدأ قراءة الأناشيد مع ظهور القمر. إذ ينقسم الرجال الى مجاميع مؤلفة من عشرة، ويتم تعيين حصة لكل مجموعة. وفي سنه ينفخون في الشوفار عقب الانتهاء من كل كتاب. ويجب أن لا يغلب النوم أياً من الحاضرين أثناء القراءة، وهو ما يتأكد منه الكاباي بسيره بين صفوف الرجال. وقد إعتاد المتعبدون إيقاظ من ينام أثناء هذه القراءة بطريقتهم الوحشية بأن يدوسوا بقوة على ساقه؛ ولكنهم يكتفون الآن، بسبب تعرض من يدوسون على ساقه للكسور، بأن يدوسوا على أصابع قدميه (في العمادية).

تفحص ظل الإنسان

في كردستان أيضاً تجد الاعتقاد الشعبي الشائع عن "تقرير مصير المرء في هذه الليلة"، إذ أن رأس الرجل المقدر له أن يموت في هذه السنة لا يكون له ظل. وقبل قراءة الأناشيد يخرج بعض الرجال وخصوصاً الحاخامات لمعاينة الظلال التي تلقيها رؤوسهم وأذرعهم وسيقانهم.

٥- [رقص الرجال المسنين يمكن مقارنته بالرقصات التي يؤديها "المتدينون والمحسون" في الهيكل الثاني أمام الجمهور المحتفل بالسوكوت في الباحة المخصصة للنساء (أنظر: باتاي، الإنسان والهيكل، ص ٢٨)].

وفي أربيل يقال بأن أشخاصاً معينين فقط هم المؤهلون لتفحص هذه الظلال أثناء الليل. إذ يخرج هؤلاء خلصة ويتفحصون الظلال التي تلقيها أجسامهم في ضوء القمر. ومن علامات معينة يمكنهم معرفة ما إذا كان سيصيبهم أو يصيب آخرين من أفراد عائلاتهم أي مكروه. وهم لا يبوحون بما إكتشفوه لأحد بل يسعون لتحويل تهديد الشر من خلال العهود التي يقطعونها على أنفسهم.

وقد أخبرني يهودي من سنه بأنه لاحظ فجأة بينما كان يتمشى في هوشانا رابا مع عدد من أصحابه الشباب بأن ظل أحد أصحابه بلا رأس. فأشار الى صديق آخر ولفت نظره الى هذه الحقيقة المقلقة. فأيد الصديق قوة ملاحظته. ومات الشاب الذي كان ظله بلا رأس خلال مدة قصيرة.

الضرب بأغصان الصفاصاف

جرت العادة على جمع أغصان الصفاصاف التي تستخدم في اللولاف خلال الليل أو عند الفجر. وقد إختصت عائلة بي هودا في العمادية بشرف أداء المهمة المذكورة. إذ يتوجه عدد من أفرادها الى النهر عند منتصف الليل، يقطعون أغصان الصفاصاف، هوشانوت، ثم يحضرونها الى الكنيس. أما في زاخو فيشترك كل الرجال من السقائف المختلفة في قطع أغصان الصفاصاف ومن ثم تسليمها لميري لولاف. ويقطع كل فرد سبعة أغصان ولكنه لا يضرب الناس إلا بخمسة منها (في العمادية)^(٦). والنساء، اللواتي يتوجهن من كل مكان الى الكنيس لمراسيم هوشانا رابا، يحصلن أيضاً على أغصان الصفاصاف وكذلك الأطفال الصغار.

ويختار الجاهلون من الناس أغصاناً قوية وكبيرة، لإعتقادهم بأنه كلما كان الغصن كبيراً كلما كان تنفيذ التعاليم أفضل. وفي زاخو يتخذ بعض الشباب عدداً من الأغصان ويجعلونها في حزمة تشكل عموداً يبلغ سقف الكنيس، يعلقون على نهايته باقة زهور أو بضع تفاحات أو رمانات. فيما يختار آخرون أغصاناً قوية يحنون رؤوسها فيما يشبه الهراوة يضربون الناس بها (وكذلك في العمادية).

رغم أن هوشانا رابا هو العيد الذي تتحدد فيه شرعاً أقدار الرجال، فإن ذلك لا يمنع اليهود الكرّد من اللجوء الى المرح حتى في هذه المناسبة الحزينة. ففي أشنويه

٦- [الضرب بحزمة من خمسة أغصان هو بالضيظ ما أوصى به كهنة الكابالاه؛ أنظر إشعيا لوري "كافانوت" في أبراهام دانزيگ هايي آدم (فيلان، ١٨٢٠)، ما سبق ١٥٢. أنظر كذلك إيسدور شيفتلويتز، AltPalästinensischer Bauernglaube، هانوفر، ١٩٢٥، ص ٩١].

يسرق الشباب قطعة القماش التي تمثل صرة الطعام التي يحضرها الرجال معهم الى الكُنيس أثناء بقاءهم للقراءة الليلية. وياخذون الصرة التي سرقوها الى زوجة الضحية ويخبرونها بأن زوجها يطلب المزيد من الطعام وقنينة من العرق. وتقدم لهم الزوجة لإنخادها بقماشة الطعام ما طلبوا، فيعود الشباب الى الكُنيس لتناول ما حصلوا عليه بهذه الطريقة. أما في سنة فيخرج هؤلاء قبل شروق الشمس الى الحقول ويلجأون لمختلف الحيل هناك. فهم يسرقون الفاكهة ويهيئونها في العراء ويأكلونها ويحتسون بعدها العرق.

في الصباح يؤخذ اللولاف الى دار ميرى لولاف، ومن هناك تُحمل في موكب خاص الى الكُنيس؛ وهي المرة الأخيرة التي يقومون فيها بهذه المراسيم في هذا العيد. ويعينون من يقوم بالطواف سبع مرات رجالاً يحملون أسماء: إبراهيم، إسحاق، يعقوب، يوسف، موسى، هارون، ديقيد^(٧).

ويتعرض الرجال الذين يطوفون الى الضرب بأغصان الصفصاف. كما يضرب الواقفون بعضهم بعضاً بها. والضرب قد يكون شديداً في بعض الأحيان. وقد ذهبت كل الجهود الرامية لإبطال هذه العادة سدى (في زاخو والعمادية)^(٨). وتقع

٧- [هؤلاء هم الأشبيزين (الأصدقاء) السبعة التقليديين الذين يفترض تواجدهم الروحي في السقيفة].

٨- [لهذا التقليد أيضاً جذور تاريخية تعود لأيام الهيكل الثاني، حين اعتاد الناس في سبت عيد الهيكل المتنقل تبادل الضرب بأغصان اللولاف التي يحملونها، (قارن: ميشنا سوكا ٤:١). وضرب الناس بعضهم بأغصان الصفصاف في طرابلس الغرب أمر شائع، فحسب بنيامين الثاني: "في طرابلس يتلون بين كل قسم السليجوت ويُنفخ في الشوفار؛ ويشربون الكثير من القهوة. وفي الصباح يتوجه الجميع الى الكُنيس، ويحتفلون ويرددون الهوشينوت. ويعد ذلك يأخذ كل واحد الهوشينا العائدة له ويضرب بها كتف زميله. ولا تؤخذ المكانة والحالة الإجتماعية بنظر الاعتبار في هذه المناسبة؛ وتشارك النسوة أيضاً في هذه المراسيم، ويعتبر الكل تلقيهم ضربات الهوشينا شرفاً لهم" (ثمان سنوات، ص ٢٣١). ولأزال هذا التقليد سارياً الى اليوم (أنظر ن. سلوجز، ماساعي بئيريتز لوف، المجلد ٢، (تل أيبب ١٩٤٣)، ص ٨٦. وقد تم شرح مراسيم الضرب بالأغصان بالمقارنة مع مراسيم مماثلة لشعوب أخرى تدخل في طقوس الخصوية. أنظر: مانهارت، *Wald und Fieldkulte*، المجلد ١، ص ٢٥١ وما يليها، المجلد ١، ١٠٠، ١٠٨، المصدر السابق، أسطورة بيرسيوس (لندن ١٨٩٤-١٨٩٦)، المجلد الأول، ١٧١، أوفيد، فاستي ٤٢٥، ٢؛ السر جيمس جورج فريزر، لندن ١٩٢٩، النسخة الثانية، الص ٣٣١ وما يليها، المصدر السابق. وكذلك الغصن الذهبي، المجلد ٢، ص ٧٩. ل. بريبلر، *Romische Mzhodologie* (برلين ١٨٨١-١٨٨٣)، المجلد ١، ص ٣٨٩؛ أنجيلو دي كويرناتيس، *Me-There in der indogermanisch thologie* (لايبزغ، ١٨٧٤)، الص ١٧٣-١٧٤؛ بارتلز، الأنثى، المجلد ٢، ص ٣١٥ (قارن =

مراسيم الضرب بأغصان الصفصاف هذه في باحة الكُنيس. في كُردستان لايمارسون مراسيم خاصة بمناسبة [شيميني أصرّت أيام السوكوت الثمانية]. أما مناسبة سيمحات تورا فتعد في المقابل عيداً شعبياً حقيقياً؛ إذ تسير فيه عدة مواكب علاوة على الطواف في عشية وصباح سيمحات تورا.

سيمحات تورا

يجري الطواف عشية سيمحات تورا بعد انتهاء المنحة وبعد معاريف؛ وليس هذان طقسين إحتفاليين، وثبائع الطوافات السبعة مجتمعة بدلاً من بيعها منفردة، كما في سيمحات تورا نفسها^(٩).

مع بدء صباح سيمحات تورا، تباع إمتيازات وظائف ومهام الشرف المخصصة للسنة بأكملها في المزاد (أنظر ص ١٩١). وفي العمادية يعرضون مهمتي حاتان تورا (أي: حاتان ميعونا وأبيعال) وحاتان بريشيت للبيع في المزاد؛ وعادة ما يحصل رجل واحد على كلتا المهمتين^(١٠). أما في زاخو فلا تُطرح المهمتان للمزاد: لأن من يفوز بشرف كونه "السادس" يكون حاتان ميعونا أيضاً، بينما يحصل الرجلان اللذان يحظيان بشرف كونهما "السابعان" يحظيان بشرف حاتان وأبيعال وحاتان بريشيت أيضاً.

في العمادية، يرافق الوجهاء الحاتان بوقار الى داره حيث يحظون بوليمة. ويأتي بقية أعضاء المحفل أيضاً، لكنهم يجلبون معهم طعامهم، ولا يقدم لهم الحاتان غير العرق. كما يجب على حاتان تورا أن يقدم عدة زجاجات (بيتونا) من العرق للحاقدريم. إذن فالحصول على شرف حاتان تورا سعادة مكلفة للغاية. وفي زاخو يتوجه جزء من أعضاء المحفل في موكب إحتفالي يرافق حاتان تورا (وأبيعال) الى داره، والجزء الثاني يرافق حاتان بريشيت؛ ويقدم هذان لصيوقها المقبلات.

بعد تناول الوجبة في بيت الحاتان يعود الناس الى بيوتهم؛ بعدها يقوم الشمّاش قبل بضع ساعات من المنحة بإستدعاء أفراد المحفل الى سيمحات تورا (في العمادية). وفي العمادية يعود أفراد المحفل، عقب الانتهاء من الطواف في كُنيس

= ما ورد في المجلد ١، ص ٧٦٤؛ پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد ٢، ص ١٧١-١٧٢.]

٩- في كثير من الأحيان يبدأ الموكب في سنة في عشية سيمحات تورا؛ وفي بعض الأحيان في اليوم الموعد نفسه أثناء المنحة.

١٠- وفي الأزمنة الأحدث تباع ثلاثة مناصب شرف خاصة بالحاتان عن طريق المزاد.

ناقي حرقيل، الى كُنيس عزرا هاسوفر، حيث يتأخر الطواف لحين وصولهم. أما في سنه فيقع الطواف في الكُنيس الأول بعد صلاة المساء وفي الكُنيس بعد منتصف الليل. وعادة ما يشترك الشباب في الطواف في كلا الكُنيسين، ولكنهم مولعون بشكل خاص بالطواف الذي يقع بعد منتصف الليل. إذ يتبعون الطواف الثاني بليلة من الأكل والشرب والرقص والغناء.

أما في زاخو فيقع الطواف الأول في حوالي الحادية عشرة قبل الظهر. وليس غريباً إجراء الطواف عند اليهود الكُرد ثلاث مرات، وبالتحديد بعد صلاة المساء.

الطواف

يتم لهذه المراسيم إخراج كافة رقوق التوراة من حرزها (هيخال). ويزينون الرقوق بالأزهار، ويحمل مجموعة من الرجال الراقصين أجمل تلك الرقوق المزين بالزهور الى السيده (في زاخو والعماديه). أما في سنه فيحملون الرقوق كلها واحداً واحداً الى السيده، لكي تحظى كل الرقوق بشرف طواف (هاكافوت) الرجال حولها. والى جانب الرقوق يقف رجلان مسنان ك(شوشبنيم).

ويبيعون شرف حمل رقوق التوراة في المزاد أيضاً، حيث تطرح كل هاكافا للمزاد على حدة. ويعتبر بيع الهاكافوت في المزاد من أغنى مصادر الدخل الخاصة بالكُنيس (في العماديه وسنه وأربيل؛ وليس ثم بيع في زاخو). ويسود جو من المرح في الكُنيس خلال هذه المراسيم. إذ يحمل الآباء الذين نجحوا في نيل شرف حمل أحد رقوق التوراة أبناءهم الصغار على أكتافهم أثناء طوافهم. وخلف الرجال حاملي الرقوق يأتي الأطفال. ليس هناك وجود للأعلام في كُردستان، ولكنهم يعطون الأطفال في بعض المناطق شموعاً ليحملوها. وفي العماديه يطرحون [حق حمل] لوحات [الألواح الفضية التي نقشت عليها الوصايا العشر] للبيع في المزاد، حيث يشتريه الآباء لأبنائهم. وهناك حوالي ستة عشر لوحاً من هذه، يتبع حملة الألواح من الأطفال الرجال خلال طوافهم. بينما يشترك الصبية في سنه في المراسيم وهم يضعون كتب الصلوات فوق رؤوسهم.

يرافق الطواف إنشاد التراتيل. ويحمل الشباب الحازان والمغنين الآخرين على أكتافهم طوال إنشاد هذه التراتيل^(١١). وخلال الطواف يرقص الرجال والشباب،

١١- [وكذا الحال عند يهود أشالوك في القوقاز. حيث يكتب چورني: "بعد الإنتهاء من هذه المسائل، يحمل كل رجلين رجلاً ثالثاً على يديهما خلف رقوق التوراة. وكان الأمر ينتهي بـ: =

على أن يكون الراقصون بعيدين عن الرجال الذين يقومون بالطواف، لئلا يصطدم الشباب الذين يرقصون باندفاع كبير باحد المتطوفين فيسقط بسبب ذلك رق التوراة الذي يحمله الأخير. وتكتسب الرقصات حيوية زائدة بمزج أساليب الرقص المتنوعة معاً. إذ يشكل أربعة شباب على سبيل المثال مجموعة يرقص منها إثنان وهما يحملان زميليهما الآخرين على أكتافهما فيما يشبك الشابان المحمولان على الأكتاف يديهما معاً. أو يشكل ثلاثة شباب مجموعة يرقص منهم إثنان فيما يقف الثالث وقدماه على كتفي زميله. بينما يبني الآخرون أهراماً إرتفاعها ثلاث قامات، يُحمل الشاب الذي على قمة الهرم - والذي عادة ما يكون متعمماً بعمامة ضخمة جداً مكونة من عدة عمائم مربوطة الى بعضها (في العماديه وأربيل وفي سنه يسمونها پوشيه). وفي بعض الأحيان يلفون "القروي الساذج" في شال ويحمله الشباب الراقصون على أكتافهم كحزمة (في زاخو).

يُشرب العرق بكثرة أثناء هذه المراسيم، ويشرب العديد حتى الثمالة. أما النسوة فيصطفقن ويزغردن ويسكن ماء الورد على الرجال خلال هذه المراسيم. وكثيراً ما تستغرق مراسيم الطواف هذه ساعتين. وفي العماديه يعود طلبة المدارس بعد انتهاء مراسيم الطواف الى بيوتهم حاملين عناقيد من العنب من الكُنيس كطويات مباركة تُباركه للتلاميذ الموجودين في البيت. أما الفترة التي تلي المينحه فيتم إستغلالها في القيام بزيارات للكثيريم. وكثيراً ما تلي المعاريف مراسيم أخرى.

يحيي الأطفال انتهاء العيد بصيحات: "تونه، تونه كودخا قام كانونه! تونه، تونه، كل واحد الى فرنه!" (في العماديه). [وتظهر هذه التحية أن الشتاء في نظر يهود كُردستان يبدأ بعد انتهاء العيد، لأن من المعتاد الجلوس حول الفرن في الشتاء].

وعند المساء يفككون السوكه ويزيلون السقائف. في البدء يستهل سيد الدار هذا العمل بإنزال بعض الفاكهة التي ظلت معلقة داخل السقيفة، وبعدها يقوم الضيوف بالشيء نفسه. والعديد من الناس يذهب الى عدة سقائف لكي يحظى بالإشتراك في عمليات إنزال الفاكهة. وهم يحتفظون بقنينة الزيت التي كانت معلقة في السوكه لعلاج المرضى.

= كانوا يحملون على أيديهم رجلاً ضخماً أو ضئيلي الجثة" (سفر هاماساوت، ص ١٥٤). ومن ملامح الطواف الأخرى (الرقص، الغناء، الشموع، الخ) التي غالباً ما توجد في معظم المجتمعات الشرقية والأشكنازية اليهودية. أنظر: پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد ٢، الص ١٥١-١٥٢، و١٦٩ وما بعدها، و١٧٥ وما بعدها.]

التحكم بالمطر

[بما أن الفصل الماطر في كُردستان، كما في معظم أنحاء الشرق الأوسط، يبدأ عادة في الخريف بعد فترة قصيرة من انتهاء السوكوت، فإن أفضل مكان لمناقشة الطقوس التي تُمارس في حالات الجفاف تتمثل في الفترة الواقعة بين مراسيم السوكوت ومراسيم الخامس عشر من شيفات (كانون الثاني - شباط). لقد جمع براور مادة بحثه في القدس عبر مقابلات أجراها مع اليهود الكُرد وضمّن نتائج بحثه أطروحةً (بالعبرية) قدمها في سفر ماكنيس (عدد اليوبيل على شرف د. يهودا ل. ماكنيس، رئيس الجامعة العبرية، أنظر منشوراته)^(١). وفيما يلي ترجمتي لهذه الدراسة].

زيارة الأضرحة

من بين التقاليد المتنوعة التي يتبعها اليهود الكُرد بهدف وضع حد للجفاف، تعتبر زيارة الأضرحة - علاوة على العناصر السحرية وكذلك الدينية - التقليد الوحيد الذي لم يقتبسسه اليهود من المجتمعات المجاورة لهم. وفي الإمكان العثور على ما يماثلها من عادات في المجتمعات اليهودية الأخرى.

ففي أربيل يتم في حال الجفاف تعيين يوم خميس يوم صيام. إذ يجتمع اليهود في الكُنيس يوم الأربعاء الذي يسبقه ويتبرعون بالمال لشراء الأضاحي. وفي صباح اليوم التالي يتغيب الجميع عن صلاة شاهاريت. ويُنفخ في الشوفار، وبعد الصلوات يذهبون إلى المقبرة، حيث يذبح الشوحيط الأضاحي. ففي إحدى المناسبات "ضحوا" بثور وبقرتين وثلاث شياه. يدور الحبر والمذكي بهذه الحيوانات قبل التضحية بها حول الأضرحة سبع مرات، وذلك بعدد الأوشبيزين السبعة [الضيوف المقدسين] الذين يدعون رمزياً إلى السوكه، إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون ويوسف وديفيد (أنظر ص ٣٧٩)، وينفخون في الشوفار. بعدها تؤخذ الحيوانات إلى مكان مجاور وتُذبح ويوزع لحمها على الفقراء. وطبقاً لحسابات

١- [وجدت لدى ترجمة هذه المقالة، من الضروري إضافة بعض الملاحظات التوضيحية التي وضعتها بين الأقواس المربعة []. أما الهوامش التي لم توضع بين هذه الأقواس فهي موجودة في مقالة براور الأصلية في سفر ماكنيس].

هناك عادات متنوعة ترتبط باللولاث. ولهذا يحتفظون بالإتروك واللولاث للاستخدامات الأخرى. ويحتفظون بالإتروك لغاية الخامس عشر من شيفات^(*)، عام الأشجار الجديد، وبعدها يؤكل مع التبريكات (في زاخو وأربيل وسنه). كما يعطون قطعاً من الإتروك للنساء الحوامل درءاً لـ"العين الشريرة" (في زاخو والعماديه)^(١٢).

وأما اللولاث، فهو كإيتروك، تُعزى إليه قوى سحرية. إذ يكتب الحاخام للنساء العواقر وللمرضى أسماء شياطين معينين على ورقة لولاث. وبعد ذلك يحرق تلك الورقة، أو يقوم المريض بشرب الماء الذي محيت به تلك الكتابة. ويستخدم اللولاث كذلك لإحراق الحاميص قبل عيد الفصح ولتأجيل القرن عند حَبز ماصاً شيمورا (أنظر ص ٣٢٩).

وتستخدم أغصان الصفصاف كاللولاث. ففي زاخو يقوم صاحب السوكه بجمع كل الأغصان من الضيوف ويحفظها بعناية. وإذا ما مرضت إحدى الأبقار، يأخذونها إلى الحاخام. فيضربها الحاخام على رأسها وكتفها وظهرها بغصن الصفصاف، ثم تقطع من الغصن قطعة صغيرة يربطها إلى قرن البقرة (في العماديه).

وفي العماديه يخرج الناس في اليوم الذي يلي السوكوت في أكبر سريته في السنة؛ لأن على المرء - حسب تعاليم التلمود (بي سوكه ٥٤ب) - أن يكون مسروراً في مثل هذا اليوم.

*- شيفات أو شبات Shebat, Shevat: الشهر الحادي عشر من التقويم الإكليريكي اليهودي والخامس من التقويم المدني ويبدأ في كانون الثاني. (فصل ٢٦، ص ٨٧) - (المترجم).

١٢- يلاحظ وجود هذه العادة في العديد من المجتمعات اليهودية؛ أنظر پاتاني، الإنسان والأرض، العدد ١، ص ٢١٥. وكذلك في: "لعنة العقم في الفلكلور اليهودي" (أنظر ص ٨، ن، أ)، الص [١١٨-١١٩].

الأهالي يبدأ سقوط الأمطار في اللحظة التي يأخذ فيها الشوحيط السكنين بيده. ويبقون واقفين تحت المطر لغاية وقت المينحه، ليعود بعدها مغنين مسرورين الى المدينة، حيث يستقبلهم الكرد المسلمون بما يليق بهم من تشريف.

إستيقينا عن هذه العادة معلومات من تيشووثوت (ريسبونسا؛ أو آراء حول القضايا الدينية) المعنون راث پوعاليم، الذي ألفه حبر بغداد يوسف حايم، الذي توفي في ١٩٠٩:

"هناك عادة في مدينة أربيل (أعاد الله إعمار مدينتنا) في موسم الجفاف تتمثل في: إصطحاب خمس أو ست من المواشي وإصطحابها الى أضرحة الرجال المقدسين في المقبرة، حيث يذبون كل واحد منها أمام أحد الأضرحة^(٢)، ثم يصلون ليسقط المطر، ويرددون الصفات الثلاثة عشرة^(٣) لله، وينفخون في الشوفار، ويعودون في هدوء [الى المدينة] ويوزعون اللحم على الفقراء".

رأي الحبر يوسف حايم يميل الى تحريم ممارسة هذه العادة قطعاً، وبأن عليهم التخلي عنها^(٣). إلا أن تقصياتي أظهرت بوضوح أن العادة المذكورة أعلاه، والعادات الأخرى المرتبطة بالجفاف لازالت حية الى يومنا هذا. أما العبارة التي تصف ذبح الحيوانات على الضريح فهي موضع شك، لأن على المرء أن يفترض حدوث عملية ذبح الحيوانات في مكان ما خارج المقبرة.

وفي سنه بكرديستان الفارسية يمارسون عادة مماثلة. إذ يعلنون الصوم ويجمعون التبرعات لشراء الذبائح. ويتوجه الجميع في الصباح التالي الى الكنيس ويذبح الثور أو الكبش الذي إشتروه في باحة الكنيس. ويقف جميع أفراد المحفل حول "الأضحية" وهم يصرخون كياره (كقاره!). ويحاول الجميع لمس الحيوان ويوزع لحمه على الفقراء. بعدها يظل الناس في الكنيس ويرتلون الأناشيد. وبعد الظهيرة يتوجهون الى المقبرة، ويأخذون معهم رقاً من رقوق التوراة وكرسياً لوضع الرق

٢- [إن دماء الحيوانات التي تتم التضحية بها وتذبح على القيسر أو بالقرب منها خلا طقوس الإستسقاء اليهودية الكردية. تذكرنا بدور الدم في مسابقة الإستسقاء التي جرت بين النبي إيليا وأنبياء بعل على جبل الكرمل، المذكورة بإسهاب في سفر الملوك الأول ١٨: ٢٠-٤٠. أنظر أفاثيل باتاي، "التحكيم بالمطر في فلسطين القديمة"، (النشرة السنوية للكلية العبرية الإتحادية) ١٤ (١٩٣٩): ٢٥١-٨٦].

٣- قارن ر. يوسف حاين، راث پوعاليم، القسم الثاني، القدس، ١٩٠٣، ص ١٠، الفقرة ٣١. كذلك قارن مع سميحة أساف، "لو تولودوت ها يهوديم"، صهيون ميعاسف ٦ (١٩٣٤): ٨٥-١١٢.

عليه. ويباشرون ترتيل صلوات الجفاف بالقرب من القبور، ليقروا بعدها عادة هذه الفقرات من *الپينتا تيوج* (أسفار موسى الخمسة)^(*): للكوهين، سفر الخروج ٣٢: ١١، لليثي، سفر الخروج ٣٤: ٤-٣؛ لإسرائيل، سفر الخروج ٤٣: ١٠-٤. وبعدها يطوفون حول قبور المقدسين سبع مرات، ثم ينفخون الشوفار ويبدأ الجميع بعدها بالعويل والنواح.

أما في العماديه فيعلنون يوم الإثنين يوم صيام، ويذهبون الى ضريحي الحازان يوسف والحازان ديفيد في باحة كنيس ناقي يحزقييل (أنظر الص ٦٨-٦٩). وإذا لم يسقط المطر رغم أداء هذه المراسيم، فإنهم يفرضون صياماً على المجتمع اليهودي كله. ويصومون في أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ويتقيدون بالمرمات الأربعة الأخرى التي تؤلف الصيام: الإمتناع عن الإغتسال ودهن الجسد بالمراهم، وإرتداء الصنادل الجلدية، والإتصال الجنسي بين الزوجين. وينتعلون الرشكه، الحذاء الكردي الصيفي، عوضاً عن الصندل (أنظر ص ٣١١). وفي يوم الإثنين التالي يرتلون *السليحوت* (صلاة التوبة) عقب صلوات *الشاهاريت*، وينفخون في الشوفار. وإذا لم تستجب دعواتهم رغم ذلك يُخرجون رق التوراة من تابوت العهد المقدس ويغطونه بعباءة سوداء ثم ينثر الحبر الرماد على التوراة وعلى رأسه^(٤)، حيث ينخرط أفراد المحفل في البكاء برويتهم الحبر يقوم بذلك. ثم يتوجهون بعد ذلك الى المقبرة، الى البقعة التي دُفن فيها الحكماء والقديسون والتي يسمونها تيفيا أدوني، ربوة الأسباد. ويوجد قرب هذه الأضرحة صخرة تشبه الطاولة الى حد ما يسمونها *كيفات سفر تورا*. وعلى هذه الصخرة يضعون رق التوراة ويصلون ويرتلون *السليحوت*، ويقروا فقرات من سفر التثنية ٤: ٣٠ - ٥: ٣٠ من *الپينتا تيوج* ونم كتاب يونس كهفتطراً ليُنْفَخ في الشوفار بعدها. ولم تجر العادة في العماديه على ذبح الحيوانات، لأنهم يقومون عوضاً بالتبرع بالصدقات.

أما في حال عدم إستجابة الدعوات وعدم سقوط المطر رغم كل ما قاموا به، فإنهم يفرضون الصيام على المحفل، ويخرجون في يوم الإثنين ثلاثة من رقوق التوراة وينثرون عليها وعلى رؤوس سبعة من أكبر الرجال سناً في المحفل الرماد، ويذهبون الى المقبرة. أما في حال لم تثمر حتى هذه الممارسة، يعلنون عن صيامهم يومي

*- *الپينتا تيوج pentateuch*: أول كتب العهد القديم الخمسة ويضم أسفار: التكوين، الخروج، ليثييكوس، الأعداد. وسفر التثنية الذي يحتوي الإعلان الثاني من الشريعة الموسوية (الترجم). (٤) راجع: ميشنا تاعانيت ٢: ١.

الثلاثاء والأربعاء، فيما يلتزم المسنون بالمهوسه أي صيام يومين وليلتين. ويجلسون في ليلة الأربعاء ويرتلون السليحوت. وفي يوم الخميس يخرجون سبعة من رقوق التوراة وينثرون عليها الرماد، وينثر سبعة رجال - لا يقل عمر أي منهم عن ثمانين عاماً - الرماد على رؤوسهم ويلطخ جميع أفراد المحفل جباههم بالرماد. وينوحون أثناء توجههم إلى المقبرة مناحة عظيمة، فيما يتعهد كبار السن بعدم مغادرة المقبرة حتى يسقط المطر.

وفي دهوك، عادة الذهاب إلى المقبرة معروفة، لكنهم يمارسون عادات أخرى في الإستسقاء، وأما في زاخو فهم لا يذهبون لذلك إلى المقبرة البتة.

في عقره يصومون ثلاثة أيام متتالية. ويصلون في الكُنيس الذي يقع خارج المدينة، وينفخون في الشوفار. ويدرسون التوراة طوال الليل، في بيت الدراسة الواقع داخل المدينة. وأما إذا لم يات ذلك بنتيجة، فإنهم يذهبون إلى المقبرة حاملين رق التوراة.

وفي الموصل وفي حال عدم سقوط المطر بعد صيامهم ونفخهم الشوفار في الكُنيس، فهم يذهبون إلى المقبرة. ويزورون في الغالب أشهر الأضرحة فيها، وهو ضريح الحبر شموئيل بارزاني الذي يعتبرونه من الأدوني. عاش شموئيل بارزاني في بارزان وأجبر على مغادرتها في شيخوخته والإلتجاء إلى آشور (أي الموصل). وهو والد شيمون بارزاني المسمى شيرا/ دين الأسد المجنون الذي هرب هو الآخر من بارزان إلى العمادية التي مات فيها. ويزور قبره اليهود والمسلمون على حد سواء ويكنون له التقدير والإعجاب. وقد وردت ملابس هروبه من بارزان في قصة شجرة الرمان الشافية التي أوردناها فيما سبق (أنظر الص ٣٠٩-٣١٤)^(٥).

وقد قاموا بزيارة كهذه إلى قبر الحبر شموئيل بارزاني في الموصل خلال عيد الفصح في ١٩٣٧، حينما ساد المنطقة جفاف طال أمده. وقد أقام المسلمون كل طقوس الإستسقاء ولكن دون جدوى. وفي تلك الفترة أرسلت الحكومة [كذا] تطلب من كبير الأبحار اليهودي تطلب منه قيام اليهود بشعائر الإستسقاء الخاصة بهم. وأخذ اليهود يرتلون السليحوت والتراتيل، ونفخوا في الشوفار، وقرأوا الفقرات الملائمة من الكتاب المقدس لتخفيف الجفاف. ولكن رغم ذلك لم تسقط الأمطار. وكان محرماً عليهم الصيام والذهاب إلى المقابر خلال عيد الفصح. لكنهم توجهوا بعد

٥- [يذكر براور في هذه القصة ان إسم الوالد هو الحبر ناتانيل هاليقي، وإسم ولده الذي فر من بارزان ومات في العمادية هو الحبر شموئيل].

العطلة إلى المقبرة إلى حيث ضريح الحبر شموئيل بارزاني، يرافقهم الجنود والمسلمون. ومكتوا هناك طوال النهار يصلون، ثم بدأ المطر ينهمر بعد /المنحة.

وفي أشنويه (القريبة من بحيرة أورميه) يذبون الحيوانات المخصصة للأضحية على ضفاف النهر بدلاً من ذبحها في المقبرة. وعلى العموم تحتل الأنهار مكانة هامة في شعائر اليهود الكُرد. لذا ترى إعتيادهم على سبيل المثال، على بناء كنيساتهم على ضفاف الأنهار، وكذلك وجوب قيام العريس وعروسه بالغطس في النهر. وهي كلها طقوس ترتبط بإيمانهم بالقدرة التطهيرية للماء المتدفق. وفي حال عدم سقوط المطر، يخرجون رقين من رقوق التوراة ويذهبون بها إلى النهر، وهم يأخذون الأضاحي كذلك إلى النهر. وللبداء بالمراسيم، يغطس الرجال في النهر، ليعودوا بعدها لذبح الأضاحي، حيث يرسم الأطفال والبالغون خطوطاً حمراً على جباههم من دم هذه الحيوانات. ويسكبون الدم المتبقي في النهر. أما اللحم فيوزع على الفقراء.

وبما أننا مهتمون هنا أساساً بالعادات الشعبية السحرية، فإننا لن نبحث بعمق في عادة زيارة الأضرحة. إننا نجد في طقوس الإستسقاء هذه بعضاً من السمات القديمة. ولكننا نظل غير قادرين، كما هي الحال كثيراً في دراسة الإثنولوجيا اليهودية، على التحقق مما إذا كانت السمات المذكورة قديمة بحق، أم حديثة ولا تشبه القديمة إلا عن طريق الصدفة.

فمن بين العادات القديمة رفع رقوق التوراة عن تابوت العهد المقدس ونثر الرماد عليها وعلى رأس الحبر مثلاً^(٦). وقد كانت العادة تتمثل في إخراج رق التوراة من الكُنيس إلى الشارع، وقراءة ما فيه في الهواء الطلق^(٧).

وبالنتيجة امتزجت هذه العادة بأخرى هي مناشدة الآباء - الرجال المقدسين العظام ذوي "القدرات" التي تمكنهم من جعل الأمطار تسقط. ولهذا إعتادوا زيارة أضرحة هؤلاء. ويرد ذكر عادة الإلتجاء إلى القديسين وزيارة قبورهم في التلمود^(٨). وأما عادة قراءة التوراة في الهواء الطلق فقد إمتزجت بعادة زيارة أضرحة

٦- راجع: ميشنا تاعانيت ٢:١.

٧- ولا زالوا في اليمن أيضاً يمارسون عادة إخراج رقوق التوراة من الكُنيس في مواسم الجفاف واحتباس المطر. راجع إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور، ص ٣٦٧.

٨- راجع: بابولونيا تلمود تاعانيت ١١٦، أ، ٢٣ب؛ سانهردين ٤٧ب؛ إنسايكلوبيديا جودياكا، مادة "كُراب" حول زيارة أضرحة الرجال المقدسين بسالونيكيا، قارن مع. مقالة م. كاسترز في (ERE)، مادة "ماء"، ص ٧١٦. ب لدى يهود فلسطين، قارن: موشي ريشر، سفر شعاعه يوروشلايم، لمبيرك ١٨٧٠، unpaginated: (أعيد طبعه، في القدس ١٩٦٦-١٩٦٧)، ٣٣-٣٤.

القدسيين، رغم تحريم قراءة التوراة في المقابر. وامتزجت هذه العادة لدى اليهود الكُرد بعادة تقديم قرابين حقيقية للآباء، والتي لا تعتبر قرابين تكفير بل هدايا وهو ما يشهد عليه نوع الحيوان الذي يتم تقديمه كاضحية. فهم يقدمون الديكة والدجاج والأغنام والأكباش كقرابين للكفارة، ولكنهم لا يقدمون الماشية أبداً لهذا الغرض، وهي العادة التي تقتصر على اليهود الكُرد الذين يقدمونها كقرابين في شعائر الإستسقاء. ومع أن الكاون(*) الأوائل سمحوا بلمس الحيوانات المقدمة كقرابين للكفارة باليد وذبحها الفوري بعد ذلك، إلا أن على المرء أن يؤكد بأن وضع اليد وذبح الذبيحة بعد ذلك فوراً هما في الواقع من السمات المميزة للتضحية الحقيقية^(٩).

عروس المطر

هناك الى جانب زيارة الأضرحة بضع عادات وتقاليد سحرية بين اليهود الكُرد تتعلق بالإستسقاء والتي، كما سيتضح، إقتبسوها من المسلمين الكُرد. هذا ومن الممكن بالطبع بأن يكون اليهود الكُرد هم من جلب هذه العادات من أماكن إستيطانهم القديمة. ولكن من الصعب حتى في هذه الحالة إتخاذ قرارين حول صحة

*- كاون: بالعبرية تعني الكمال في الجودة، وجمعها (كيونيم)، وهو اللقب الذي يطلق على الزعماء الروحيين والمثقفين اليهود الذين تزعموا المدارس التلمودية التي ازدهرت - رغم فترات إنقطاع طويلة - بين القرنين السابع والثالث عشر في بابل وفلسطين. وكان هدف الكيونيم الرئيس تفسير وتطوير التشريع التلمودي والحفاظ على التقاليد الشرعية اليهودية بإصدار الأحكام في القضايا القضائية التي كانت موضع جدل. وكانت ردودهم (ريسيونسا) تُقتبس في أماكن تتعدى مجتمعاتهم المحلية وذات قيمة لدارسي التاريخ واللاهوت اليهوديين للفترة المذكورة. سار الكيونيم على النهج الدراسي الذي اختطه قبلهم السوفيريم (معلمو ومفسرو قوانين الكتاب المقدس) وأداموه، والذي أبقاه من بعده مستمراً لقرون عدة *التانين* والأموارين (الذين جمعوا على التوالي مجموعة القوانين المعروفة بالميشنا، وكتبوا حواشي للميشنا سميت جيمارا).

وفي القرن العاشر بدأت المنافسة طويلة بين كيونيم بابل وكيونيم فلسطين. وقد تفوق سعاديا بن يوسف كاون بابل الشهير في أكاديمية سورا على منافسه هارون بن مائير من القدس في نقاش يتعلق بأيام العيد في التقويم اليهودي. فلم يعد أحد بعد ذلك يشكك في تفوق كيونيم بابل إلا نادراً. إلا أن مكانة الكيونيم بدأت بالتدهور تدريجياً مع بدء تأسيس أكاديميات تلمودية في المناطق الأخرى وقبول المثقفين المحليين الدارسين فيسها كسلطات مؤهلة في مجال التشريع اليهودي. وبعد الفترة الكاونية، أخذوا يستخدمون كلمة كاون كلقب فخري لبنيان علو ثقافة المتعلم اليهودي. وأصبح إيليسا بن سليمان (١٧٢٠-١٧٩٧) لذلك يعرف بكاون قسيلنا أو الكاون. (الترجم).

٩- إنسايكلوبيديا جودياكا، مادة "كاپارو"، ص ٩١٤ بابل، تلمود بيراخوت، ٤٢أ.

أي من الإحتمالين، ذلك أن الأول يبدو أكثر إحتمالاً سيما وأن الأغاني التي ترافق المراسيم أغاني كُردية ليست باللغة الآرامية الجديدة التي يتكلم بها اليهود الكُرد.

لنبدأ بعادة عروس المطر، وبما أن هذه العادة شائعة بين الشعوب الأخرى فلا تتطلب لذلك توضيحاً كبيراً. ففي زاخو يلعب دور بوك بارينه عروس المطر شاب يرتدي أسماً بالية، يضع في عنقه لجاماً من عظام الماشية وعلى رأسه سلة. ويرافق هذا الشاب أربعة شباب آخرين ويتبعهم جمهور من الصبية والأطفال. ويسير هؤلاء في الأزقة والحواري وهم يرقصون. ويصفق إثنان من الشباب المرافقين فيما يغني إثنان آخران أغنية:

عروسنا جميلة، جميلة

وأين العلاج للعريس؟

عروسنا تبحث عن المطر

أه، يا إلهي، إنها تطلب الطعام

لوف، لوف، لوف

ولدى اجتياز الموكب أي بيت، يقوم رب كل أسرة بسكب الماء على عروس المطر، ويمنح المشاركين في الموكب الطعام كهدية. وتتشابه مع شعائر بوكه بارينه هذه تلك التي تُجرى في دهوك القريبة من زاخو. إذ يقوم أحد الشباب فيها بخلع ملابسه إلا سرواله القصير. ويلطخ رجليه بعصير العنب ثم يلصق بها قطناً منتوفاً. ثم يصنع لنفسه لحية بنفس الطريقة. ويضع حول عنقه لجاماً، ويربطونه بحبل يجره به مجموعة من الشباب في شوارع المدينة. وهم يدخلون البيوت مغنين: "بوكه بارينه، بوكه بارينه" "عروس المطر، عروس المطر" فيما يرد الآخرون عليهم قائلين: "بارينه نويت، بارينه نويت" "تطلب المطر، تطلب المطر"

وهنا أيضاً يصب رب الدار الماء على عروس المطر، ويعطي الأطفال والصبية الزبيب ومبلغاً من المال يتقاسمونه في نهاية الموكب الإحتفالي.

يعود هذا التقليد الى أحد أوسع أصناف التقاليد إنتشاراً يسمى "عروس المطر" وكانت طقوس اللعبة الأصلية تتطلب إشتراك فتاة عارية، كانت تُساق في الشوارع فيما كان الناس يصبون عليها الماء. وقد قاموا في المراحل اللاحقة بتغطية الفتاة بثوب من أوراق الشجر^(١٠). ويمكن إعتبار هذا التقليد مثلاً نموذجياً للسحر

١٠- مانهارت، *Wald- und Feldkulte* ١: ٣٢٧؛ دبليو، نندت، سيكولوجيا التراث، القسم الرابع، الأساطير والدين، ١: ٥٣٦؛ فريزر، الغصن الذهبي، المجلد الأول (فن السحر)، ١: ٢٧٢ =

التعاطفي أو سحر المحاكاة. فالفتاة تمثل النباتات على الأرض، أو إلهة النباتات، التي تعود الحياة إليها بعد صبّ الماء عليها في محاكاة لسقوط المطر.

ويحل شباب مكان الفتاة في كثير من الأحيان عند اليهود الكرّد، كما عند الشعوب الأخرى. وهكذا هي الحال في جنوب أوروبا مثلاً في مقدونيا ودالماتيا^(١١). وفي بونا في الهند أيضاً يلبسون أحد الشباب ثوباً من أوراق الشجر ويطوفون به في الشوارع بصفته ملك المطر، وفي كل بيت يصلونه يصبّ رب الدار وزوجته الماء عليه، فيما يتلقى الأطفال الذين يرافقون الموكب الهدايا^(١٢).

وفي العمادية من ناحية أخرى يلبسون امرأة ثياب رجل. وتصنع لنفسها حلية من شعر الماعز وتربط حول رأسها منديلاً، ويجوبون بها شوارع المدينة بهذه الهيئة.

وفي بعض المناطق يستعوضون في هذه العادة عن الإنسان الذي يجسد روح إله المطر بصورة أو تمثال. ولهذا تراهم في سنه يصنعون صورة أو هيكل من عارضتين خشبيتين يغطونها بالملابس والتعاويد، ويسمونها (بوكة بارينه) ويحمل أحد الشباب الصورة بكلتا يديه، ويصب الأطفال الماء عليها. ويجوب الشاب يحيطه شباب آخرون من بينهم مسلمون كرّد - شوارع المدينة حاملاً الصورة وهو يغني:

بوكة بارينه، هاوو هاوو "عروس المطر، هاو هاو" ويرد عليه الأطفال بالقول: ياخوا قوويره "الغيث، يا ربنا".

وهنا أيضاً يصب أصحاب الدور الماء عليه، ويقدمون للآخرين الهدايا. وإذا ما رفض سكان أحد البيوت صب الماء أو تقديم الهدايا، فإنهم يكسرون له الأواني التي يحفظ فيها الماء. وعند انتهاء الموكب، يرمون الصورة في النهر. وتجري المراسيم في أشنويه على نفس الشاكلة، وهنا أيضاً يلقون الصورة في النهر.

وهناك عرض إحتفالي يتم فيه استخدام صورة كهذه في أرمينيا. وهناك [يلبس الأطفال عصا مكسنة ملابس الفتيات ويطوفون بها من بيت إلى آخر وهم يغنون:

نورين، جاءت نورين

ها قد جاءت العروس الجميلة...

= ٧٢. قارن أيضاً "أم الذرة"، فريزر، الغصن الذهبي، المجلد الخامس (أرواح الذرة وأرواح البرية)، ١: ١٣٤-٣٦.

١١- فريزر، الغصن الذهبي، ١: ٢٧٤-٧٥.

١٢- فريزر، الغصن الذهبي، ١: ٢٧٥. صب الماء من قبل امرأة هو أكثر أصالة، من وجهة نظر سحرية، من أداء الرجل المهمة.

هاتوا الماء وصبّوه على رأسها،

أعطونا زبدة لكي نلطح بها شعرها،

لكي تسقط الأمطار المباركة،

لينمو ويخضر حقل أبيك...

ويصبّ الناس الماء على نورين، ويتلقى المشاركون هدايا من الزبدة والبيض والرز وما إلى ذلك. وبعد ذلك يأخذون نورين إلى النهر ويلقونها في الماء^(١٣).

وتوجد العادة نفسها في إيجين بأرمينيا حيث يحمل الأطفال هيكلاً لصورة يسمونها "چيچي ماما أو" الأم المبتلة^(١٤). وفي أورفه يصنع الأطفال في أوقات الجفاف عروس مطر يسمونها "چمچه كالن" والتي يقال أنها تعني في التركية "عروس المجرفة" وهنا أيضاً يلقون العروس في النهر^(١٥).

وهناك صيغة مختلفة لهذه العادة بين يهود أربيل. حيث يظهر هنا إلى جانب العروس عريس، ويمثلها شابان بدلاً من الصور أو التماثيل. والشابة التي تمثل بوكه بارينه ترتدي ثياب النساء بينما يرتدي العريس كما في زاخو - سروالاً قصيراً فحسب، وهو أيضاً يلطح جسده بالصبغ ويلصق به القطن المنفوش وحلية من شعر الماعز. ويضع كذلك على رأسه قبعة من الكرتون ويضع حول رقبتة حبالاً من الخرق البالية. وقد تحولت المراسيم كلها هنا إلى مسرحية هزلية قصيرة. فعلى الرغم من أن الهدف الرئيسي من هذا العرض الفني هو تمثيل الشياطين بهدف السحر، ولكن الملامح الكوميديّة تلعب فيه دوراً هاماً عادة. ولهذا فعندما يجوبون الشوارع يرافقهم جمهور كبير، يحاول "العريس" معانقة "العروس" إلا أنها تدفعه بعيداً. فيتعثّر هذا ويقع. فتجلس "العروس" عند رأسه وتبكيه كأنه مات. بعدها ينتقل "العريس" و"العروس" يرافقهم الجمهور من بيت إلى بيت ويصب الناس الماء عليه ويقدمون لهم الهدايا.

لاشك بان التمثيلية الساخرة لموت العريس وبكاء العروس عليه تستند إلى عرض فني سحري لموت إله النباتات والحداد عليه وعودة الروح إليه.

١٣- فريزر، الغصن الذهبي، ١: ٢٧٥، عن مانوك أبيغيان *Der armenische Volksglaube*، لايبزغ، ١٨٩٩، حج. ٩٣-٩٤.

١٤- فريزر، الغصن الذهبي، ١: ٢٧٦، إقتباس من كتاب جي. ريندل هاريس "ملاحظات مخطوطة حول التراث جُمعت في الشرق".

١٥- المصدر السابق.

ولابد من الإشارة هنا الى أن عريساً وعروسه يظهران في حفل الختان لدى المسلمين الكرّد. ففي زاخو يتعرى إثنان من الصبية من ملابسهما ويلطخان أجسادهما بعصير العنب ويلصقان القطن الملون على جسديهما. ويرتديان قبعتين عاليتين تغطيان وجهيهما مع ثقوب فيهما للعينين ويحمل كل منهما بيده سيفاً ويسيران في الشوارع بهذا الشكل بجانب الحصان الذي يحمل الطفل المختون. وعند إجتيازهما دار أحد الأغنياء يتلقيان الهدايا وخاصة من والد الطفل المختون الذي يكون مسرفاً في هداياه.

سرقة القطعان

تعتبر "سرقة القطعان" من التقاليد المميزة التي يلجأ إليها اليهود الكرّد في أوقات الجفاف وإنحباس المطر. ويبدو أن هذا التقليد أيضاً قد اقتبسه اليهود الكرّد عن المسلمين الكرّد، ولكن اليهود يقومون به على طريقتهم الخاصة، بينما يبدو بان المسلمين قد تركوا أمر التقيد به لليهود.

لقد جمعت معلومات عن هذا التقليد من مصادر متعددة. والتقليد في زاخو يتمثل في ارتداء ثلاث سيدات ثياب الرجال، وربط مناديل حول رؤوسهن حتى يتعذر التعرف عليهن كنساء. ثم يستعيرون من المسلمين الكرّد الأسلحة فتسلح النسوة بالبندقيات وأحزمة الخراطيش والخناجر وينتظرن قدوم راعي زاخو أو إحدى القرى المجاورة، لكي يسلبنه قطيعه^(١٦). إذ يهاجمن الراعي حين قدومه ويربطنه بالحبال ويحضرنه والقطيع الى المدينة. وتقع زاخو على جزيرة في نهر الخابور يؤدي إليها جسر من ضفة النهر. حينها يقف بالقرب من الجسر جمهور من المسلمين الكرّد، والنصارى واليهود في إنتظار قدوم النسوة. ولدى قدومهن والراعي يدفع بعض الرجال الراعي الى النهر ثلاث مرات. وتجري كل هذه المراسيم في صمت، دون أن يرافقها غناء أو كلام. فالكل يتحدث بلغة الإشارات فقط. وهم يقولون بأنهم يتصرفون على هذا النحو لكي لا يكشفوا بأن اللصوص نساء. ويبدو أننا هنا أمام نوع من العنف الطقوسي، كما نلاحظ في التغطيس في الماء أثناء عيد الفصح في جنوب وشرق ألمانيا^(١٧). يأخذون الراعي بعد تغطيسه في الماء ثلاث مرات - وهو

١٦- أكد محدثي على أنه لا فرق بين كون القطيع من زاخو أو من مكان آخر. وهذا يدل على تدهور هذا التقليد في زاخو.

١٧- ديلسو. ووتك، *Der deutsch Volksberglaube der Gegenwart*، الطبعة الثالثة (برلين، ١٩٠٠)، par. ٨٣؛ جي. جنكباور، *Deutsche Volksmediyin* (برلين ولايزغ، ١٩٣٤).

يقطر ماءً - برفقة قطيعه الى القلعة حيث الحاكم، الذي يستقبلهم مهلاً ومثنياً عليهم. ثم يقدم الحاكم هدايا للنسوة الثلاث، فيما يحصل الراعي على تعويض منه ليذهب بعدها الى مقصده مع قطيعه.

وفي دهوك القريبة من زاخو، توجد نساء لهن خبرة في هذه السرقة الطقوسية. يرتدين ثياب الرجال، ويستعرن الأسلحة من المسلمين الكرّد بعد إبلاغهم مسبقاً. وتخرج النسوة مع إنبلج الفجر الى ظاهر المدينة ويبقن في إنتظار قدوم أحد الرعاة مع قطيعه. وحال قدومه ينقضن عليه ويقيدنه، ويحضرنه مع قطيعه الى المدينة. ويعلن عن قدومهن بإطلاق العيارات النارية والزغاريد. ويتجمع الرجال في حشود، حتى أن الجنود ومسؤولي الحكومة يشاركون في إستقبال النسوة. وعند قدومهن يتوجه الجميع الى الحاكم، الذي يعطي كل واحدة منهن هدية مالية، يضيف إليها زعماء المجتمع اليهودي هداياهم المالية أيضاً. بعدها يأمر الحاكم بك قيود الراعي، ويعطيه تعويضاً مالياً، ويسمح لهم بالعودة الى داره مع قطيعه.

إن "سرقة القطيع" عادة معروفة في العمادية أيضاً، رغم أن ممارستها توقفت خلال السنوات الأخيرة. فقد إعتادت النسوة تغطيس الراعي في النهر، ورش القطيع بالماء، وكذلك رش بعضهن والرجال الذين يأتون لإستعادة القطيع بالماء.

وفي أشنويه يمارسون هذه الطقوس على نحو مختلف. إذ يتنكر عدد كبير من النسوة يصل الى خمسين امرأة - ويلبسن ثياب الرجال ويحملن الأسلحة والعصي. وتخرج النسوة من المدينة بهدف سرقة قطيع أقرب القرى الى المدينة. ولدى وصولهن الى أحد الرعاة يضربنه بالعصي. فيصرخ الراعي طالباً العون، فتتولى بعض النسوة سباقه القطيع، فيما تمسك أخريات بالراعي والرجال الذين جاؤوا لمساعدته. وقد تتحول المواجهة الى ضرب وعراك عنيف، تصاب فيه بعض النسوة بجروح. ويأخذن القطيع الى الحاكم، لينتهي الأمر كما في أعلاه.

وتفسر أصول هذه العادة كالتالي: إنهم يأخذون القطيع الى المدينة لكي تبدأ الحملان الصغيرة التي فارقت أمهاتها - بالثغاء الذي يزيد بدوره من صراخ ونحيب الناس إستجداءً للمطر^(١٨). إن هذا التفسير الأدبي، تدعمه بعض الدلائل في التلمود القدسي (مقالة طعانيت ٦٥ب [الفصل ٢، هالاخا ١]، الذي يسهب في السرد الذي يحتويه عن يونس ٣:٧-٨ حول توبة أهل نينوى و] الذي يرد بهذا النص: "ماذا

١٨- قارن مع، يونس ٣:٧: فرض أهل نينوى صوماً على الحيوانات (وكذلك على الرجال) وذلك لكي "يكوا بألم للرب". أنظر كذلك بابل. تلمود تاعانيت ١٧أ.

فعلوا؟ وضعوا العجول في الداخل وأمهاها في الخارج، والمهور في الداخل وأمهاها في الخارج) وذلك لكي تصرخ صغار الحيوانات في طلب أمهاها، ويصل صراخها الى الله. ولازالت هذه العادة قائمة بين البدو^(١٩)، وكذلك عند المسلمين من سكان الموصل، كما حدثني بذلك يهودي كردي إشتراك في طقوسها. ولكني لازلت أجد هذا التفسير غير مقنع.

ولانجد في كتاب فريزر؛ الغصن الذهبي؛ أي أثر لهذه العادة أو لأخرى شبيهة بها. كما لم يجد أبيجان لها وجوداً بين الأرمن. وتشير الصيغة التي تُمارس بها تلك العادة في أشنويه بوضوح لا لبس فيه الى أمر واحد لانجده في الأماكن الأخرى. فالحديث عن ممارستها ينطرق الى التأكيد على حدوث قتال تصاب فيه النسوة بالجروح. وكذلك تشمل الصيغة الأساسية لهذه العادة إختطاف قطيع قرية "مجاورة". فلا بد والحال هذه أن يكون الغرض منها هو القتال، الذي يمثل جانباً هاماً من سحر المطر في عدد من المناطق. ولهذا تشمل طقوس هذه العادة في إكهيو باثيوبيا دخول القرى المتجاورة في قتال في شهر كانون الثاني، ولأسبوع كامل، بهدف ضمان سقوط المطر^(٢٠).

ولكن رغم هذا فنحن لم نكتشف بعد المغزى الحقيقي من وراء سرقة القطيع في هذه الطقوس. وعلينا طالما لم يتبين لنا مصدر الدائرة التراثية (كولتوركريس) التي أتت منها هذه العادة^(٢١)، أن نتأني في تقديم تفسير لها. لكن الإنطباع الذي يتكون لدينا هو أنها تتبع العادات الأخرى التي تدور حول آلهة الخصب والغطاء النباتي القديمة. ومن آلهة الخصب القديمة (هيرميس)، الذي هو في نفس الوقت إله الخصوبة والمطر^(٢٢). هذا علاوة على كونه حامياً للرعاة، وكذلك سارقاً لقطعانهم، فهو الذي سرق قسماً من قطيع أخيه أيلول^(٢٣). ولهذا فليس من المستبعد أبداً أن تقف هذه المعتقدات الميثولوجية [وربما تقف فعلاً] وراء "سرقة القطيع" في طقوس اليهود الكرديين.

١٩- غوستاف دالمان، *Arbeit und Sitte in Palästina*، غوتسلوه ١٩٢٨: ١: ١٤٢.

٢٠- فريزر، الغصن الذهبي، ١: ٢٥٤، عن كتاب كوليسو: البعثات الكاثوليكية" ٣٠ (١٨٩٨): ٤٥٥.

٢١- [هذه واحدة من المناسبات النادرة التي يظهر فيها براور تمسكه بنظرية الدوائر التراثية في الأنثروبولوجيا. قارن كذلك مع ص ١٣٣٤].

٢٢- باولي - ويسوما، الموسوعة، شتوتغارت ١٩٨٤، المجلد الخامس عشر، مادة "Herms"، ص ٧٧٦.

٢٣- باولي - ويسوما، الموسوعة، شتوتغارت ١٩٨٤، ص ٧٧٥.

عادة الجمجمة

يمكن للمطر أن ينجس أيضاً كنتيجة للممارسات السحرية. ففي كردستان، كثيراً ما يُعزى الجفاف وإنحباب المطر الى تجار الحبوب والخبازين. فهاتان الحرفتان بأيدي المسلمين والنصارى. ولكلا المحترفين مصلحة في قلة الأمطار، طالما أن أسعار الحبوب ترتفع في مواسم الجفاف، الأمر الذي يعود عليهما بأرباح طائلة. عادة ما يخبز اليهود خبزهم في بيوتهم، وهم يخبزون كمية تكفيهم لشهر كامل في كل مرة. ويشترون الحبوب في مواسم الحصاد بكمية تكفيهم مدة عام كامل، ولكنهم يضطرون في مواسم الجفاف لشراء كميات إضافية من الحبوب.

في سنه، عندما يحلّ عام جفاف يُتوقع فيه حصول نقص في الحبوب، يرفع الخبازون سعر الخبز فوراً ويدعون زبائنهم ينتظرون أمام مخابزهم ساعات، كي يظهروا الى أي مدى يعتمد الناس عليهم. وفي حال بدأت الأمطار بالتساقط فجأة يشترك المسلمون والنصارى واليهود في احتفالات صاخبة على أنغام الناي والطبول أمام دار الخباز لكي يظهروا له مدى سرورهم بمصيبته.

ويرد ذكر الخبازين وتجار الحبوب في الأشعار التي تُغنى في مراسيم الإستسقاء لدى اليهود والمسلمين كذلك. وتشير الأبيات الشعرية التالية من سنه الى محادثة تجري بين خباز وإبنته:

يا بنيتي اخرجي وانظري ما إذا كان المطر يسقط.

نعم، يا أبي، المطر يسقط قطرةً قطرة.

أه، يا ابنتي، إنه يعمي عيني والدك قطرةً فقطرة.

وتتحدث أغنية أخرى من سنه أيضاً عن محنة والدة تاجر حبوب:

إندفاع المطر، إندفاع المطر.

يدفع بالوالدة تاجر الحبوب الى قبرها

يعتبر الخبازون وتجار الحبوب في نظر اليهود قادرين على حبس المطر فعلاً بسحرهم، وبأن السحر الذي يلجأون اليه عظيم جداً، وخصوصاً سحر النصارى منهم. وسحر واحد منهم يتمثل في أخذ كمية من العجين ووضعها حول قدميه مثل حذاء، ومن ثم ربطها جيداً بالخرق ثم يخرج بعدها الى الشوارع (في العماديه).

والأقوى من ذلك السحر الذي يمارسه النصارى في هذا المجال في ضواحي زاخو. فهم (الخباز أو تاجر الحبوب) يصنعون لأنفسهم أحذية من العجين،

ويخرجون بهذه الأحذية الى الحقول لحراستها^(٢٤).

وكسحر مضاد يمارس اليهود والمسلمون ما يأتي: في منتصف الليل يذهب خمسة أو ستة من الشباب الأقوياء الى المقبرة المسيحية. حيث ينبشون قبراً يخرجون منه الرفات ويقطعون رأس الميت، ويأخذون الجمجمة ويلقونها في ماء النهر. وكما يبدو فإن أصل هذا السحر يعتمد المحاكاة: فعن طريق الفقاعات الناجمة عن إلقاء الجمجمة في النهر يبطل السحر الذي يحبس المطر (في دهبك وزاخو).

أما في العماديه فيمارسون هذه الطقوس على نحو مختلف قليلاً. إذ يذهب كوهينان يرافقهما أربعة من اللاوية وأربعة إسرائيليين^(*) الى المقبرة المسيحية. ويبقى إسرائيليان لحراسة بوابة المقبرة. فيما يقوم إسرائيلي بفتح قبر مسيحي مات حديثاً، ويقطع أحد اللاوية رأس الجثة. ويثبت إسرائيلي الجمجمة في نهاية عصا، ويذهبون بها على هذا النحو الى النهر. وعند ضفة النهر يسلم الإسرائيلي العصا التي تحمل الجمجمة لأحد الكوهينين، الذي يغطسها في النهر ثم يرمي الجمجمة في النهر. فيبدأ المطر بالهطول على الفور. وكان اليهود في أيام السلطنة التركية يحصلون على موافقة القائم مقام لممارسة هذه الطقوس.

وقد ذكر السحر المضاد باستخدام الجمجمة، ولجا إليه المسلمون أيضاً. ولهذا ترى المسلمين في عقره ينبشون قبر أحد النصارى ويخرجون جمجمة الجثة ويضعونها في الماء مدة ثلاثة أيام - فيتسبب هذا في سقوط المطر.

تنتشر هذه العادة بين الأرمن كذلك. فهم كذلك يرمون جمجمة في النهر، أو يذبحون عجلاً ويلقون رأسه في مياه النهر^(٢٥). وهم في الغالب يستخدمون جمجمة شخص من ديانة أخرى. فنصارى أورفه على سبيل المثال يرمون جمجمة يهودي في "بحيرة إبراهيم"^(٢٦).

وفي سنه، يمارسون نوعاً آخر من السحر الجالب للمطر يستخدمون فيه أيضاً

٢٤- الحراثة في الماء، والحراثة بصورة عامة هي طريقة لجعل المطر يسقط. وفي الشكل الأصلي لهذا التقليد كانت فتيات عاريات يقمن بهذه الحراثة. قارن مع أبيجان، *Der armenisch Volks-glaube*، ص ٩٣؛ فريزر، الغصن الذهبي ١: ٢٨٢، ٨٣. وكانت عادة الحراثة الطقوسية تتبع بين يهود العماديه، حيث كان بعض النسوة المرتديات زي الرجال يقمن بالحراثة.

*- إسرائيلي: يهودي، عبري من نسل إسرائيل إبن يعقوب. وهناك استخدام مجازي للكلمة المقصود منه وصف أي فرد من أفراد المجموعات التي إختارها الله من العبريين. (المترجم).

٢٥- أبيجان، *Der armenisch Volksglaube*، ص ٩٣.

٢٦- فريزر، الغصن الذهبي، ١: ٢٨٥، إقتباس من ريندل هاريس.

جمجمة. واليهود الذين يمارسونه يستخدمون جمجمة حمار. فهم يحملون الجمجمة الى سطح الدار ومن عليه يصبون فيها ماءً ليتساقط الى الأرض كما يتساقط من الميزاب الى الأرض. وفي هذه الأثناء يمر الأطفال وهم يجمعون الحطب من الناس. وبعدها يجمعون الحطب في كومة على سطح الدار ويشعلون النار، ويلقون الجمجمة فيها. وعندما تأتي النار على الجمجمة يصبون عليها الماء ويقذفون الجمجمة من على السطح.

إن هذا الإستعمال لجمجمة الحمار الذي لا يُعرف في الأماكن الأخرى له أهمية خاصة، لأنه دون شك يمثل إستمرارية للدور الميثولوجي الذي لعبه الحمار. فقد كان السيدونيون والسوريون يعتبرونه حيواناً مقدساً لدى إله الطبيعة^(٢٧). والعلاقة هنا نابعة من الشهوة غير المحدودة التي تُعزى للحمار. ولهذا قال عنه القديس الصوفي الألماني هيلديگارد الذي عاش في القرون الوسطى (١٠٩٨-١١٧٩م): "الحمار غبي، وأعمى تقريباً بسبب شهوته".

وفي الحضارة الإغريقية أيضاً كان للحمار دور يلعبه في طقوس ديونيزيوس^(*) والباختنس^(**)، حيث كانوا يصورونه في وضع فالوسي^{(***)(٢٨)}. وقد إعتاد الإغريقي أن يضع في حديقة داره جمجمة لأتان ولدت جحشاً، معتقداً أن قوى الإخصاب ستشع منها^(٢٩). وهذا يفسر استخدام جمجمة الحمار في طقوس الإستسقاء. ويعود هذا الطقس دون شك الى الثقافات التي تعزو قوى النمو والخصوبة للحمار.

لقد أكد محدثي الذين تحدثوا عن طقوس الإستسقاء الكُردية بإستمرار بأن المسلمين والنصارى هم الذين يبادرون للسعي لوضع حد للجفاف، وفي حال فشلهم يلجأون الى اليهود ليمارسوا طقوسهم الخاصة بالإستسقاء. فقد ظل مسلمو ونصارى أشنوبه ذات المرات يصلون خمسة أيام، ويضربون الأرض برؤوسهم

٢٧- قارن ذلك مع حزقييل ٢٣: ٢٠.

*- ديونيزيوس: إله الخمر عند الإغريق (المترجم).

**- الباختنس: أتباع الإله باخوس إله الخمر عند الرومان (المترجم).

***- فالوسي: متعلق برمز الخصوبة أو صورة العضو التناسلي الذي كانوا يحملونه في أعياد باخوس. (المترجم).

٢٨- أنظر پارولي - ويسوما، الموسوعة، مادة *Esel*، ص ٦٧٠.

٢٩- نفس المصدر السابق، ص ٦٥١. وفي ألمانيا توضع جمجمة حمار على سقف الدار كوقاية من

كل الشرور. قارن إيريك وبيتل، *Wörterbuch*، مادة *Esel*.

هانوكه

لايعتبر اليهود الكرد الهانوكه واحداً من الأعياد، وهو ما يظهر بجلاء من خلال عدم إمتناعهم عن العمل أثناءه، رغم أنهم لايفوتون أي فرصة لإعلان عطلة. كما لايعتبر التشريع [اليهودي التقليدي] الإمتناع عن العمل إلزامياً في شبه العطلة هذا. ولكن النساء مع ذلك لايعملن أثناء الهانوكه؛ لا في الأمسيات كما جرت العادة الشائعة (أي بمعنى آخر حينما تكون مصابيح الهانوكه مضاءة) بل طوال فترة العيد. ومحظور عليهن أشغال الإبرة على نحو خاص. والشعر التالي يشير الى ذلك:

حانوكه دَرزِي بي نوكة: حانوكه، إبرة دون رأس حاد،
نوك نوكي جَفْتَه: رأسها ملتوي. (في سنه).

المصطلح الشائع لهذا العيد هو حانوكه؛ وهناك أيضاً إسم حَنوكييا، الذي يرتبط بمصباح الهَنوكا. إن التسميات الكُردية لها علاقة بعيد الأضواء: إيدات چرا هويركا، عيد المصابيح الصغيرة (في زاخو) وعِيدَات شيرعه، عيد المصابيح (في العماديه). ويمثل الحانوكه بالنسبة للمسلمين الكُرد بداية فصل الشتاء. وعن هذا يقولون: چرا هويركا جويهيانا سَري زَقَستانا، "مصباح اليهود الصغيرة، بداية الشتاء". كما يسمونه في العماديه: هانوكا سره زَقَستانا، بداية الشتاء. ويطلقون على العيد في سنه شَو چَرِه زوسان، ليلة مصباح الشتاء؛ ويطلقون عليه في السلمانية چيراي زستان، مصباح الشتاء.

أما بالنسبة لكُرد العماديه، فيمثل الحانوكه بداية تساقط الثلوج، كما يمثل السوكوت بداية هطول الأمطار. ونجد لهذا المفهوم تعبيراً في سجع الأطفال هذا من العماديه:

حانوكه: حانوكه

تَلْگه دوكة: تلج على الأرض.

وقد دخلت كلمة هَنوكه في الأمثال الشعبية الشائعة لتعبّر عن حالة الطقس. ففي زاخو، التي تقع في وسط سهل ذي مناخ ماطر، يغني الناس [بالعبرية]: حانوكه، بئمايم، بئراخا ميشاماييم "حانوكه مع الماء، بركات من السماء". ويغنون في العماديه:

ويدقون الطبول ساعات طويلة^(٣٠) دون جدوى. وبعدها ناشد ملا المسلمين حبر اليهود، الذي نظّم الزيارة الى المقبرة. فهطل المطر على الفور. وفي أماكن كثيرة في العالم الإسلامي يتمتع اليهود بسمعة كونهم أصحاب السحر الخاص بالمطر^(٣١).

إن الحقيقة التي غالباً ما تتكرر في قصص اليهود عن طقوس وشعائر الإستسقاء تتمركز حول فشل جهود المسلمين والنصارى في هذا المجال، في حين تتكلم مساعي اليهود بنجاح فوري حتى يهطل المطر على أثره وقبل أن يعود المشاركون في الطقوس الى بيوتهم. إن المقابر اليهودية في كُردستان تقع في الغالب خارج المدن وعلى المنحدرات الجبلية. ويهطل المطر فجأة بحيث أن المشاركين في طقوس الإستسقاء يصلون الى بيوتهم يقطرون ماءً من المطر الذي يصيبهم.

ويحكى على سبيل المثال أنه في أشنويه بعد ذبح الحيوانات وتوزيع اللحم على الفقراء، وضعوا اللحوم في سلال حملوها على رؤوسهم. وأثناء سيرهم في طريقهم، هطل المطر فجأة وبغزارة حتى انه غسل اللحم في السلال من الدماء التي إنسابت بدورها على وجوه الرجال. لذا فلمّا بلغوا المدينة واستقبلوا من قبل المسلمين والنصارى المستبشرين بالمطر، تساعل هؤلاء ما إذا كانت طقوس الإستسقاء اليهودية تتضمن الدخول في معارك دامية فيما بينهم بسبب وجوههم الملطخة بدم الذبائح التي كانوا يحملون لحومها على سلال فوق رؤوسهم.

لقد ساهم الإعتقاد القائل بأن السحر الخاص بالمطر يقتصر على اليهود مساهمة كبيرة في تعزيز مكانة وإحترام اليهود في كُردستان. وقد عبّر أحد الحكام الكُرد عن امتنانه لليهود في إحدى المرات بقوله: "أنتم أصحاب عقيدة راسخة. إن الكُرد يدنسون عقيدتهم وهم غارقون في الفسوق".

٣٠- [إن إستمرار جهود الإستسقاء لساعات هو بعد كل شيء ملامح وسمة مميزة لهذه الطقوس أصلاً في الأزمنة التوراتية، قارن سفر الملوك الأول ١٨: ٢٦-٢٩. وكذلك قارن المعلومات الخاصة بطقوس الإستسقاء الشرق أوسطية التي جمعها رافائيل باتاي "السيطرة على المطر في فلسطين القديمة"، النشرة السنوية للجامعة العبرية ١٤ (١٩٣٩): ٢٥١ - ٢٨٦].

٣١- قارن مع براور، إثنولوجيا اليهود اليمانيين، ص ٣٦٧؛ أدبلا . م. گودريج- فريز، العرب في الخيام والمدن (لندن، ١٩٢٤)، ص ١٨١-٨٤ إشارة الى قدرات اليهودية الإستسقاءية في "الحديث" الإسلامي، وقارن مع د. گيوتين، قوفيتز عال ياد (١٢٢): ٢٠٢. أوقارن كذلك مع ر. باتاي، بذرة إبراهيم: عرب ويهود في إتصال وصراع (سولت ليك سيتي، ١٩٨٦، ص ١١٧٢).

حانوكه مايه: حانوكه المبلله -

براخا بيبسه مين شيمي: بركات تنزل من السماء.

حانوكه پوخه: حانوكه التي تجلب الرياح -

براخا گو خوشي: والبركة في (الخوخ).

إن حانوكه عيد لايتطلب إستعدادات خاصة للإحتفال به. ففي الأمسيات يتوجه الرجال الى الكنيس كما يفعلون في أيام الأسبوع الأخرى، ويوقد الحازان الشموع. ويشبهه مصباح الحانوكه^(١) الموجود في الكنيس مثيله الموجود في البيت. ولم تكن لدى اليهود الكرد في الماضي شموع أو مصابيح الحانوكه أصلاً، ولزال الأمر كذلك حتى اليوم في بعض المناطق في زاخو، ودهوك، ونيروه، وريكان، وبيتنوره، وفي السابق في العمادية أيضاً). ويستعوضون عن مصباح الحانوكه بعمل عدة شموع رفيعة (الكرد والعرب يسمونها: فنده؛ قاموس ژابا، ص ٢٩٥) من شمعة كبيرة ويلصقونها ببساطة بالحائط في صف واحد. ويضعون الشَّمَّاش [الضوء الخادم]^(٢) في نفس الصف بدلاً من لصقه في مكان أعلى قليلاً كما جرت العادة. ويسمون هذا النوع من أضوية الحانوكه (فيندات حانوكه).

أقدم أنواع مصابيح الحانوكه الكردية يصنع من الحديد. والمصباح في العمادية مكون من قسمين في كل منهما أربع حاويات للزيت. ويستخدمون شمعة بمثابة شماش. وكانوا فيما مضى يستخدمون إناءً حديدياً فيه فتيلة كمصباح حانوكه (في زاخو).

وهناك أيضاً مصابيح حانوكه مصنوعة من الطين. وتتألف المصابيح التي تصنعها نساء العمادية من تسعة مصابيح منفصلة، يشبه كل منها مصباحاً رومانياً. وفي سنه كان المصباح الطيني فيما مضى مجرد مصباح من الطين يحفرون فيه بقدر موضع إصبع للفتيلة والزيت. وأكثر هذه المصابيح بدائيةً - وكرديةً في الوقت نفسه - هو صف من قشرات الجوز المملوءة بالزيت والمزودة بالفتائل. ولا يزال هذا النوع من المصابيح شائعاً في كردستان (في زاخو، ودهوك، وريكان، وسابقاً في سنه). وكانوا يستخدمون قشرة البيضة الفارغة كذلك لهذا الغرض.

١- في زاخو ودهوك والسليمانية وأشنويه: حَنوكه؛ وفي العمادية رشراءات حَنوكه؛ وفي سنه: حَنوكايه.

٢- في العمادية والسليمانية: شَمَّاش؛ وفي زاخو والعمادية وأشنويه بالكردية: خادم؛ وفي سنه: پَروانه.

وبما أن زيت الزيتون غير متوفر في كردستان، فهم يستخدمون كل أنواع الزيوت الموجودة من زيت السمسم والخروع والشحم الحيواني والزبدة الذائبة وما الى ذلك. الشَّمَّاش يكون عموماً في شكل شمعة منفصلة عن المصباح. ويتكون في أشنويه من قصبه تحتوي شحماً حيوانياً وفتيلة.

كانوا في الماضي يلصقون الشموع في الحائط المقابل للباب. أما عادة وضع المصباح في المدخل فقد ظهرت متأخراً، حيث يضعون المصباح على بروز في الحائط أو رف فوق إطار الباب (في زاخو: بنوتتا، وفي العمادية: دوكيت حانوكه) في مواجهة الميزوزا. وقد يوضع المصباح في سنه في كوة (تاق) داخل الجدار.

وإذا كانت العائلة كلها تعيش في بيت واحد، فيجتمع الأبناء المتزوجون في غرفة الوالد، فيتولى الوالد وحده مهمة إيقاد الشموع. فيما يوقد الأبناء الشموع لعائلاتهم. وفي بعض الأحيان يتخلى الوالد عن ميصفاً إيقاد الشموع لأحد أبنائه (الذي يجب أن يقوم بهذا الواجب أيضاً أثناء غياب الوالد).

أما في حال غياب رب الأسرة عن البيت وعدم وجود من ينوب عنه في إيقاد الشموع، أو عندما يعجز الرجل عن ترتيب التبريكات الضرورية، فيستعان بطلاب المدارس اليهود المنتشرين في الحي اليهودي والمستعدين لتنفيذ هذه المهمة للناس. وبعد تلاوة التبريكات، يغنون هذا السجع بالعبرية: "صور يئشوعاطي عانيي - أدوناي عانيي صخرة خلاصي، أجبني، يا إلهي، أجبني؛ ويرتلون النشيد (٣٠) من سفر الأناشيد. ويحصل الصبيان الذين يوقدون الشموع على هدايا إما على الفور أو في نهاية العيد. ولهذا إعتادوا القول - بعد إنشاد اخر كلمات النشيد (٣٠): خا جانگا فيكا "حفنة من الثمار" (في زاخو والعمادية).

ولا يوجد في كردستان طعام خاص بعيد حانوكه. ويتناول يهود سنه القرع (شَويتيا. وبالكرديّة: هاني) في أول أمسيات الحانوكه، وهي ممارسة أخذوها عن الكرد، الذين يتناولون القرع لآخر مرة في الفصل في شو جره زوسان [أي في الحانوكه].

يقوم الناس بعد تناول العشاء كل مساء بزيارات لمختلف البيوت، حيث يرقصون ويغنون ويلعبون حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي العمادية يذهب الناس الى دار الكَفِير^(٣) في أول وآخر مساء من أمسيات العيد. ولاتوجد هناك ألعاب خاصة

٣- في ريكان وبيتنوره ونيروه يجتمع الملتزمون بعيد الفصح معاً في اليوم الأول بدار ميري پيسحه للإحتفال بالحنوكه (وفي العمادية يجري هذا في البيوريم، وفي زاخو في سيمحات تورا).

بالحانوكه. فهم يلعبون ألعاب الشتاء الإعتيادية واللعبة المفضلة لديهم "لعبة الخاتم" (في زاخو، والعماديه نيسيسسا، أنظر ص ٤٢١)، والتي تشبه غورقه بازي، "لعبة الجوارب" التي يلعبونها في سنه.

وفي هذه الأمسيات يجتمع الأطفال في غرفة منفصلة ويقلدون الكبار. وللأطفال شماش يخدمهم ويقدم لهم الشاي والفاكهة؛ ويلعبون الألعاب، وخاصة لعبة: ميرا، وزير، أوقزيرايا "الملك، الوزير، والشرطي" التي يلعبونها بعضا برآجم المواشي (تسمى في اللهجة العراقية الدارجة جعاب وتستخدم فيها عظام خاصة من مفاصل الغنم - المترجم). ولا يوقدون في هذه المناسبة مصباح حانوكه آخر؛ إلا أنهم يلصقون أكبر عدد ممكن من الشموع بالحائط حتى تغرق الغرفة في أضواء احتفالية بهيجة.

وفي كل بيت تصنع البنات شموعاً جديدة من بقايا الشموع المحترقة؛ ويوقدها وهن يرتلن التبريكات. ويسعى الصبية أيضاً للحصول على كمية من الشمع، ويوقدون ما يصنعون من شموع في المدرسة في صباح اليوم التالي. ولازالت عادة إيقاد مصابيح الحانوكه في الكنيس صباحاً شائعة في زاخو، وريكان، وبيتنوره، ولكنها إختفت في العماديه وسنه^(٤).

وفي حال كان الطقس جيداً خلال العيد يقوم تلاميذ المدرسة بالسرينه؛ ولكن سعادتهم تزداد في حال سقوط الثلوج أو الأمطار لأنهم حينها سيذهبون الى الكنيس لإحتفال بال(قورمو بيقا)^(٥). وهم يبتهجون بنفس الطريقة التي يبتهجون بها في الأعياد الأخرى، ويغنون:

قورمو بيقا: (حطب وقنينة)

ديكلا خينيقا^(٦): إختنق الديك (أو غرق). (في زاخو. وفي السابق في العماديه ايضاً).

٤- في الكنيس بكرمانشاه تشتعل شموع الحنوكه على مدار الساعة.

٥- معنى عبارة قورمو بيقا غير واضح. ولم يعد اليهود الكرد يعرفون لهاتين الكلمتين معنى، إذ لم يعد لها وجود في قاموسهم الفلاحي. وقد فسروا لي معناهما لي على أنهما يعنيان "بارد جداً". بينما من بين معاني قورمو: الجذر، الجذع، الساق. ليدزبراسكي، ص ٥٥٨؛ ماكلين، القواعد، ص (٢٧٥). ويقال أن بيقا كلمة قديمة تعني قنينة العرق. (وعلى نحو مماثل قال لي محدثي الهاخام أقيداني بأن قورمو بيقا تعني: حطب وقنينة^(٥)). ومن أجل هذا الإحتفال يحضر المحتفلون معهم قورمو: الحطب، لتلقيم النار المضطربة في الفرن، بالإضافة الى العرق.

٦- لاحظ التشابه الصوتي مع كلمة حنوكه.

ويحتفل الراشدون كذلك بالقورمو بيقا حينما تمطر؛ ويحتمل أن يكون لهذه المهمة علاقة مع الحانوكه بإعتبارها بداية فصل الشتاء.

ويقرؤون في كردستان ال(ميگيلات أنتيوجس) في البيت أثناء الحانوكه، وهو ما نشأ عنه عادة إحراق الدمى^(٧). إذ يحضرون دمى مصنوعة من الخشب والخرق، في شكل رجل ملتحى يضع غليوناً في فمه ويحمل في يده شمعة كبيرة. ويأخذ أحد الأطفال هذه الدمى - التي تحمل إسم حانوكه - ويجوب بها الأزقة منادياً طالباً الحصول على الهدايا. ويركض وراءه أطفال آخرون وهم يغنون.

وعند نهاية أسبوع الحانوكه يمزق الأطفال لحية الدمى ويصبون النفط على الدمى ويضرمون فيها النار وهم يصيحون أنتيوجس، أنتيوجس! أما في سنه فلم يحافظ إسم أنتيوجس على إرتباطه بهذه العادة. ففي الحانوكه يلبسون شاباً ثياب شيخ ويصنعون له لحية بيضاء طويلة ويطوفون به من بيت الى آخر^(٨).

يُحفظ الزيت المتخلف عن مصابيح الحانوكه بعناية. ويعتبر دواءً للأطفال على وجه الخصوص. وتدهن النساء الحوامل أجسادهن به في الكنيس، فيما تخلط النساء العواقر هذا الزيت بالماء الذي يستحم به الكوهينيم في يوم كييور ويشربنه كدواء (في زاخو).

ويُنظر الى أعقاب الشموع المتبقية كمواد ذات قدرة علاجية (في زاخو). وتقوم النسوة والفتيات بخلط هذا الشمع المتخلف من شموع الحانوكه مع ال(قچكه) وهو نوع من أنواع اللبان، معتقدات بأن ذلك سيجلب لهن البركة (في العماديه).

وتُجمع البقايا التي تخلفت خلال أسبوع العيد من زيت، وفتائل وما الى ذلك، وتلقى في نار كبيرة عقب انتهاء هذا العيد في باحة الكنيس ويرقص الناس حولها (في سنه).

لقد عاش في العماديه قبل عدة أجيال ثري يهودي إسمه حانوكه. وكان أحدهم ينهض في أول يوم من أيام الحانوكه ويقول لهذا اليهودي: حانوكه، ما بودا؟ تلگه ميپلي تلدوكه "حانوكه، ما الذي فعله؛ لقد سقط الثلج في مكانه". فكان حانوكه يجيبه: ما بودا؟ بخلأ أوبشاتيا أوبدماكا باخافود كولوخون كيسليني "ماذا أفعل؛ أكل وأشرب وأنا، منتشرفاً بوجودكم جميعاً في داري" (أي: أنا أذعوكم جميعاً لداري). فكانوا يذهبون جميعاً في المساء لتناول العشاء في داره. وكان أمراً شائعاً

٧- ظلت هذه العادة تمارس في العماديه حتى حوالي عام ١٩٠٠.

٨- وهذه العادة التي لا تفسير لها حالياً، تمارس أولاً في الحنوكه ثم خلال أشهر الشتاء.

الخامس عشر من شقيقات*

يعتبر الخامس عشر من شقيقات لدى اليهود الكُرد، الى درجة غريبة، عيداً للخصوبة - فيهود كُردستان كما يبدو، كانوا في الأزمنة القديمة أشد إلتصاقاً بالزراعة مما هم في الوقت الحالي وكانوا لذلك يولون أهمية كبيرة لممارسة طقوس الخصوبة، تماماً كالمجتمعات الفلاحية الأخرى. وهم في كل الأحوال يتقيدون بالتقاليد التي - رغم مرورها بنوع من التحول الجزئي - تعود أصولها الى الممارسات السحرية الهادفة الى زيادة الرقعة النباتية الخضراء.

ولهذا يحمل عيد الخامس عشر من شقيقات عند يهود سنه إسماعاً يعود لهذه الأصول: *مزداني /لأنه "أخبار الرب الى الشجر".* وأما التسمية الكُردية لذلك فهي: *دار نأوس "شجرة حبل"*^(١). وفي السلیمانانية يسمون هذا العيد *سيمحات /لأنه "فرح الأشجار"*؛ وفي زاخو: *نيز /لأنه "عيد الأشجار"*؛ [وفي العماديه نيديت /لأنه "عيد الأشجار".] ويقال في العماديه بأن الأشجار في الخامس عشر من شقيقات: *جيمزارواري نوگطاني مايه "تبدأ الأشجار تحمل الماء"*].

والعادة اليهودية العامة والمتمثلة في أكل أكثر ما يمكن من الفاكهة في هذا اليوم لازالت شائعة في كُردستان كذلك. إذ يتبادل اليهود أواني مملوءة بثلاثين نوعاً من الفاكهة، وترى في الشوارع حركة نشطة للصبان والشباب الذين ينقلون هذه الأواني من بيت لآخر. ويرسل المسلمون الكُرد أيضاً الفاكهة لليهود في هذا اليوم، وذلك على أمل أن تطل البركات اليهودية أشجار الفاكهة. إذ يقول اليهود بأن بركاتهم تجعل الأشجار "حبل" في هذه الليلة.

وأما أسلوب تلاوة التبريكات على الفاكهة فمختلف وليس موحداً. ففي بعض الأحيان يدعو رب الأسرة عشرة رجال بالغين الى داره، يتلو كل واحد منهم التبريك على نوع مختلف من الفاكهة. وهناك من الناس من يعتقد بأن على كل فرد أن يبارك كل أنواع الفاكهة ولو مرة واحدة كل سنة؛ وقد يكون هذا العيد الفرصة المناسبة

*- بالنسبة لهذا الفصل بأكمله قارن مع: *پاتاي: الإنسان والأرض، المجلد الأول، ص ١٨٩ - ٢٨٣*، الذي يتناول العلاقة الأيديولوجية الغنية بين الإنسان وعالم الفاكهة، والتي يتم التعبير عنها من خلال عادات وعقائد وأساطير عند اليهود وغير اليهود].

١- قاموس ژابا، ص ١٦؛ مادة awis.

في الأيام الخوالي أن يجتمع معظم الرجال - في الفترة بين الحانوكه والبيوريم - عقب صلاة المساء في دار أحد أفراد المحفل للترفيه عن أنفسهم حتى منتصف الليل. إذ كانوا يشربون العرق، ويتناولون المرّه ومختلف أنواع الفاكهة "المجففة" كالزبيب، والجوز، واللوز، والفول السوداني وما شابه؛ ويغنون الأغاني الدينية والدنيوية].

للقيام بذلك. ومن أجل القيام بذلك على كل واحد منهم أن يتلو التبريكات على كل نوع من أنواع الفاكهة على حدة، ولهذا جرت العادة في سقز أن يوضع إناء مليء بالفاكهة في غرفة جانبية وإحضار نوع من الفاكهة في كل مرة ليتلو عليه الرجال تبريكاتهم مجتمعين.

أما النساء، فإن الخامس عشر من شيفات هو بالنسبة لهنّ أولاً وقبل شيء يوم لممارسة العادات السحرية المرتبطة بالخصوبة، لأن المرأة تخلط قدرها بقدر الشجرة. وإذا ما أمطرت السماء أو أثلجت خلال الليل تقول النسوة: *إلانه تقيلا كولي* "تغتسل الأشجار الإغتسال الشرعي" - أي بمعنى آخر، يطرق الرجل زوجته بعد الإغتسال الشرعي وتأمل الزوجة أن تحبل منه، وطبقاً لإعتقادهن فإن الإغتسال الشرعي "سيلقح الأشجار"^(٢). وتأخذ النسوة الزبيب والحلوى وينثرنه حول الأشجار، لإعتقادهن بأن ذلك سيزيد من خصوبة الأشجار وخصوبتهن. وتسعى العواقر من النساء كذلك إلى زيادة خصوبتهن عبر خصوبة الأشجار وذلك عن طريق نقل الحبل الذي يحدث للأشجار في هذه الليلة إلى أنفسهن. وإنجاز ذلك، يجب أن تذهب المرأة إلى شجرة مثمرة في الظلام وتعانقها وتقول:

دار ئاوس تو نه ئاوس: أيها الشجرة الحبلية، لن تحبلي،

من ئاوس بو نيتا: ساكون حبلية بهذه النية.

أي شاتا كاسا ديدي زامطا: سيمتليء جسدي في هذا العام (في سنة)^(٣).

وفي العمادية تقول المرأة حين تعانق الشجرة:

يا إيلانا سيماخيوسوخ تالي: يا شجرة، فليكن حملك لي،

سماخيوسي تالوخ: وليكن حملي لك.

أشاطا انا سامخان: سأصبح في هذا العام حبلية.

داك أهيت يوييت فيكه: حينما تطرحين ثمارك،

أنا ياون فيكه: سأطرح أنا أيضاً ثمرتي^(٤).

٢- وتقول المرأة أيضاً: *إيلانه شاتا مايي، سموخو إيلانا* "الأشجار تشرب الماء، الأشجار حبلية (في العمادية).

٣- قارن مع: پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد الأول، ص ٢١٣ وما بعدها؛ وقد جمعت من مجتمعات أخرى وفئات عمرية أخرى الممارسات المماثلة التي تمارسها اليهوديات العواقر. قارن أيضاً: پاتاي "العلاجات الشعبية اليهودية للعقم"، ص ١١٧-١٢٤.

٤- [هذه العادة التي ترافقها طلبات شفاهية مماثلة توجد أيضاً في المجتمعات الأخرى. فقد كان =

وتأخذ النسوة كذلك بناتهنّ البالغات معهن إلى حيث الأشجار وتعطى كل بنت إلى إحدى الأشجار كقرينة^(٥). وبعد بضعة أسابيع يذهبن جميعاً لمعرفة ما إذا كانت الأشجار قد أخرجت براعماً؛ إذ يقررن على ضوء ذلك ما إذا كانت البنات سيتزوجن في خلال عام واحد أم لا (سنه).

بعد تلاوة التبريكات على الفاكهة فإن بعض النسوة ويهدف جعل شعورهن تنمو بغزارة - يطلبن من نساء أخريات صب الماء على رؤوسهن وهنّ يرددن هذه العبارات:

كوداخ أنا إيلانا ماسقه بيقخا: كما تثمر الأزهار

هداك ميسستاخ يا براتي بيقخا: فليثمر شعرك وليزهري، يا ابنتي (في العمادية)^(٦).

= من المعتاد في القرون الوسطى أن يُقال للنساء العواقر: "إغمسي ورقة في دم طمثك، وأربطها على شجرة تحمل ثماراً وقولي: أعطيك مرضي وبواري، فامنحني قوتك على حمل الثمار". قارن مع: موسوعة الأخلاقيات والأديان طبيعة هاستنغر، المجلد الثاني، ص ٦٥٦ ب (كاستر). وفي كتاب (مرأة هايلاديم) لرفاييل أوهانا (المطبوع في القدس في ١٩٠٨) والذي شاع استخدامه ككتيب للعلاجات والتعاويد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بين اليهود القادمين من البلدان الشرقية) أيضاً وجدنا هذا العلاج: "خذ قطعة ورق طويلة وأغمسها في دم طمثها ودعها تذهب إلى شجرة مثقلة بالثمار لتدخل الورقة في شق أو ثقب وتردد سبع مرات: يا شجرة، يا شجرة، أعطيك مرضي، وأعطيني ثمارك - ويجب أن لا تقترب من الشجرة ثانية" (ص ١٣٥)، ولهذا العادة تنوعت عدة إما مع أو بدون الطلب الشفاهي. وقارن مع: پاتاي "العلاجات اليهودية الشعبية للعقم"، ص ١٢١ والصفحات التالية بما في ذلك ن. ٢٤ لمقالات المسائل المتعلقة بهذا الموضوع لدى الشعوب الأخرى. وهكذا يتضح لنا بأن هذه العادة التي تمارسها المرأة اليهودية الكردية العاقر نسخة محلية لعادة عالمية يمارسها اليهود وغير اليهود في مناطق عدة.

٥- [ليست هذه العادة سوى نوع من عادة "زواج الأشجار" الشائعة التي تمارسها شعوب عديدة بأشكال متنوعة ولأغراض مختلفة لكنها ترتبط دائماً بالخصوبة؛ قارن: پاتاي، الإنسان والأرض، المجلد الأول، ص ٢٢٦ وما بعدها. وهناك شروحات في الملاحظات].

٦- [يمكن العثور على مقارنة شعر الإنسان بالأشجار في *آقوث ديراباي ناثان*، مدراش أو تفسير التانايي (تانا *tanna* وتُجمع على تاناييم *tannaim* المعلمون اليهود الذين توجد تعاليمهم في الميشنا. وقد عاش هؤلاء في الفترة من ١٠-٢٠٠ ميلادية): "وخلق في الإنسان كل الأشياء التي خلقها في عالمه. فقد خلق الغابات في العالم وخلق الغابات في الإنسان، وتلك الغابات هي شعور الرجل" (الفصل ٣١، طبعة سولومون شيكتر، الطبعة الثانية (نيويورك، ١٩٤٥)، النسخة أ ص ٩١). وكذلك في أغايدات عولام كاطان، طبعة جيلينيك، بيت هاميدراش (القدس، ١٩٣٨)، المجلد ٥، ص ٥٧-٥٩: "شعر رأس الرجل ولحيته يشبه غابة من الأشجار". هذه المقارنة ليست سوى سلسلة طويلة من المعادلات بين كافة أجزاء العالم وأجزاء الجسد البشري بوصفه صورة =

وللأطفال أيضاً سجع يستخدمونه في هذه الليلة ولكن فحواه غامض نوعاً ما:

وايقر/ قورقورا: ثم تكلم قورقورا^(٩)^(٧)

تَبَقَه شيلاني: رغيغ كبير من المشمش^(٨)

ريشوخ قطينو: رأسك سأقطعه

بَقَا ليله ميزداني/لانه: من أجل ليلة "الأخبار الجيدة" للأشجار(في سنه).

[وفي العمادية يجتمع الرجال في الخامس عشر من شيفات في باحة بي حازان جالبين معهم كل أنواع الفاكهة المجففة والخبز. ويحضرون الزلوبي فطائر صغيرة. ويقرأ الحاخام موعظة مستوحاة من عبارة "تم ستغني كل أشجار الغابة في إبتهاج" (سفر الأناشيد. ١٢:٩٦)].

البيوريم

[يعتبر البيوريم عند اليهود الكُرد، كما هو لدى كافة المجتمعات اليهودية الأخرى، أساساً عطلة للأطفال. وتماشياً مع خشونة اليهود الكُرد، تتحول قراءة الميكيلا (رق عيد إستر اليهودي) في كُنيسهم الى فوضى حقيقية، تُطلق أثناءها النيران من مختلف أنواع الأسلحة النارية، وتُسمع أصوات انفجار مئانات الحيوانات المجففة، والصيحات من قبيل "لقد سحفتنا الخصية البشرية". وفي خارج الكُنيس أيضاً تتسم هذه العطلة بالتصرفات الجامحة للأطفال والشباب، حيث يتقاتلون ويتبادلون الشتائم، ويلعبون الألعاب النارية، وبتراشقون بالقاذورات وما شابه ذلك].

تقاليد آدار*

يقول التلمود بأن على المرء أن يكون في شهر آدار مرحاً: "حينما يحل آدار، يتضاعف مرح المرء" (ب. تاعانيت ١٢٩). وهكذا يبدأ الجو الإحتفالي لعيد البيوريم مع إطلالة هلال شهر آدار. ويطلق يهود العمادية على هذا اليوم إيسيهريت بينما "بنات أول الشهر". وفي صباح هذا اليوم، يدعو رب الأسرة بناته المتزوجات وأزواجهن إلى العشاء في داره^(١).

وفي زاخو يطلقون على روث حويش [الهلال الجديد] لشهر آدار غيلاقيت تارته^(٢) "إقفال الباب. وحينما يعود الوالد الى داره بعد مراسيم الصباح في الكُنيس يجد الباب موصداً بالقفل ولايفتح له الأطفال الباب حتى يقدم لهم هدية، والتي يجب أن تكون هدية نقدية. وتوضع الهدية في أيديهم التي يمدونها من خلال فتحة القفل في الباب. وفي العمادية حيث لازالت العادة نفسها سارية يهدي الآباء

*- آدار، Adar: الشهر الثاني من التقويم الإكليريكي اليهودي والسادس من التقويم المدني، ويبدأ في أواخر شباط أو أوائل آذار. وهناك شهر Vedar أو Adar Sheni الذي يدخل في السنة اليهودية الكبيسة ليكملها ويجعلها توافق التقويم الشمسي. (المترجم).

١- النصارى أيضاً يمارسون هذه العادة. ولهذا يدعو نصارى برونيلنايا بناتهم المتزوجات وأنسبهاهم لإحتفال يستمر حتى المساء. بعدها تأخذ كل بنت معها كمية من الطعام الى بيتها. وإذا كانت إحدى البنات مخطوبة فإنهم يدعون خطيبها وعائلته أيضاً الى هذا الإحتفال.

٢- قاموس ژابا، مادة غلقاندن؛ (والكلمة العربية: حلق). وعادة "غلق الباب" موجودة بين النساطرة أيضاً.

= مصغرة عن العالم، وُجدت كذلك في العصور الوسطى وفي خامئة كتاب (أورحوث صديقيم) نقرأ: "وكما يجعل الأعشاب تنمو في الأرض، كذلك يدع الرجل شعر رأسه ولحيته ينمو". ويكتب ر. مير أدابي (القرن الرابع عشر): "إن الشعر الذي يتركه الرجل لينمو هو مثل ترك نباتات حديقة لتنمو"، سفر شئطيه تيمونا، "السييل الثالثة". أما بالنسبة لمعادلة الإنسان "العالم، فأنظر: باتاي، الإنسان والأرض، المجلد الأول، ص ١٦٥-٧٦: أنظر ما سبق، الإنسان والهيكل].

٧- يشير وايقره الى بداية الكتاب الثالث من الپيننتاتيوچ. تم تفسير "قورقورا" ككلمة طبقاً لصوتها (onomatopoeic). قارن مع قاموس ژابا، ص ٢٠٨: قير-قير، "إشاعة؛ mot onomato- peique). وقارنها مع الكلمة العربية (قرقرق) أيضاً التي تعني التذمر.

٨- هذه إشارة الى أرغفة عجین ثمار المشمش الشائعة والمجففة تحت الشمس، والتي تُذاب عندما في الماء قبل تناولها. للمزيد من التفاصيل راجع مجلة ناشيونال جيوغرافيك، ص ٧٤، العدد ٧١٥.

بناتهم قطعة من الجواهر [خيزمتا] أو في بعض الأحيان حلية ذهبية. [وقد إعتادوا بهذه المناسبة ثقب آذان وأنوف الفتيات]^(٣).

وفي أثنويه يمارسون هذه العادة عشية البيوريم. وهنا أيضاً يعترض سبيل الوالد لدى عودته من قراءة ميغيلابا موصد [رق عيد إستر اليهودي، في الكنيس]؛ ولن يُتاح له الدخول إلا بعد أن يقدم هدية.

ولأينسى الموتى في أفراح آدار هذه. إذ ترسل العائلات التي خطف الموت أحد أفرادها خلال العام أو الأعوام القليلة الأخيرة الزلوبي (فطيرة مقلية بالدهن محشوة بالجوز والتمر) إلى الأقارب وإلى الفقراء، إضافة إلى إرسال كمية كبيرة من هذه الفطائر إلى المدرسة للمعلم والتلاميذ، وذلك ليتلو هؤلاء التبريكات عليها لأمواتهم (في زاخو ودهوك). [ويرسلون مع الزلوبي خمساً أو عشر بيضات مقلية بالسمن للمعلم (في العمادية)]. وفي العمادية، حيث لا يوزعون الزلوبي إلا في الثالث عشر من آدار، يوم فصح تاعانيت [وبالعبرية، يوم صوم الفصح]، حيث يردد التلاميذ أثناء تسلمهم حصتهم من المعلم قائلين:

إلاه ما بيخلو: ليمنحهم الرب الراحة،

إلاه مقرو: وليقرّب الرب

وعدو ميغالو: ساعتهم وأجلهم.

وفي أرييل يختارون في كل يوم بدءاً من الأول من آدار ولغاية البيوريم، وذلك وفق خطة محددة، لتقوم بتوزيع الكعك على الأقارب وتلاميذ المدارس على "أرواح الأموات".

سبت البنات

إتخذ السبت الأول من آدار - تماماً مثل اليوم الأول منه - إسمه من البنات، وهو شَبثيت بيناتا "سبت البنات أو زوتياثيت كيلو "كعكة العروس (وفي العمادية وزاخو: زودياث كيلو). وتتشابه التقاليد الخاصة بهذا اليوم تشابهاً كبيراً جداً في زاخو ودهوك والعمادية.

في هذا اليوم تشكل البنات مجاميع، خوليوثا (في العمادية) لكل منها زعيمة، إيسنتاتا. وتشرع هذه المجاميع مع بدء الأول من آدار بالتجوال لجمع الحطب - كما

٣- وفي زاخو يقوم تلاميذ المدارس بالخروج إلى النزهة سرّين مع معلمهم، والتي يسمونها هي الأخرى غليقت تاريخي.

في بعض مناطق أوروبا - (مثلاً في سويسرا *Holzheischen*) للنار الكبيرة التي يوقدونها في عيد إستر اليهودي أو الإحتفالات الأخرى. وإحدى "الأغاني التوسلية" التي يغنيها هي:

پاتيكة بينه بينه: [پاتيكة (إسم امرأة) هاتي، هاتي،

مَحلًا جومه بير حاجومه: مَحلًا (إسم امرأة) في حفرة الحياكة^(٤) امرأة عجوز منتهية

إشاللا إلاه ياويلوخون: إن شاء الله منحك ولداً،

خا بيرونا هالولان خا صيوا: أعطينا قطعة حطب] (في العمادية وزاخو).

وأما الأغنية التالية فموجهة إلى رب الدار:

بيل بيلاره، بيل بيلاره: [ظل بيتكم معموراً، ظل بيتكم معموراً،]

إشاللا خودي أقرهاهم بكت زاوا: إن شاء الله سيصبح إبراهيم عريساً (في زاخو والعمادية).

ويتوجهون بأغنية مماثلة إلى ربة البيت:

بيل بيلوكا، بيل بيلوكا^(٥): [ظل بيتكم معموراً، ظل بيتكم معموراً،]

إشاللا خودي غزال بكت بوكا: إن شاء الله ستصبح غزال عروساً (في زاخو وكذلك في العمادية)^(٦).

وإذا ما رفضوا في أحد البيوت المساهمة بحصتهم من الحطب. فإن البنات يغنين بحقهم أغاني هجائية، وكذلك يظهرن براعة كبيرة في تشتيت إنتباه سكان الدار

٤- هذه الكلمات إشارات غير مباشرة إلى أسلوب الحياكة التقليدي: تجلس المرأة الحائكة في حفرة تبلغ خصرها ويكون النول أمامها على الأرض. (في العمادية).

٥- نهايتي الكلمتين: بيلاره، بيلوكه تُغَيَّر بشكل عشوائي كي تطابق نهايتي كلمتي زاوا وبوكا على التوالي].

٦- قارن ذلك مع "أغنية التسول" في غناء الميريندا أثناء الحانوكه، كما يغنيها اليهود السفاردي في تركيا. وهي على النحو التالي:

Damemos azete, el Dio vos empreinte أعطنا بعض الزيت، ليمدّ الرب في عمرك

Damemos oun ajico, el dio vos de oun ijico أعطنا فص ثوم، ليهبك الله ولداً

Damemos ouna seroyika, el Dio vos de ouna ijico أعطنا قلباً من البصل، ليهبك الله بنتاً.

وقارن أيضاً مع 273: *Reve des Écoles de l'Alliance Israélite Universelle 4 (1902)* [هذه

السطور الثلاثة ليست سوى جزء من أغنية ميريندا. وتردد أغنية الميريندا بين يهود السفاردي في

القدس].

ليتسنى لبعضهن سرقة بعض الحطب. وهذا الإنغماس في السرقة التي تخدم الأغراض الطقوسية شائعة على نحو كبير. فنحن نجد هذه العادة على سبيل المثال بين يهود طرابلس الغرب، عندما يجمعون الحطب لنار البيوريم^(٧)؛ ولا يمكن أن تكون هذه العادة مقتدة في الفلكلور الأوروبي^(٨).

تقوم البنات بتخزين الحطب في أحد البيوت التي تخصص لهن. فيبعن قسماً منه ويستخدمن الباقي في الإغتسال الشرعي. وتستحم بنات يهود العمادية هذا الإغتسال في شَبَثيت بيناتاً وفي ليل بيوريم (بالعبرية وتعني "عشية البيوريم")؛ وبنات زاخو في ليل البيوريم فقط.

تجمع البنات في العمادية لشَبَثيت بيناتاً كل ما يحتاجه في عملية الخَبْن، ويأخذنه إلى الإستاتاً في باحة الدار التي تم إختيارها كمكان لإجتماعهن. وهناك يبنين لأنفسهن فرناً جديداً ويشرعن في تحضير زوتياثوت كيلو "كعكة العروس"، وذلك بأواني العجن والخبز الجديدة التي حصلن عليها، لأن الأواني القديمة لن تفي بالغرض، لإحتمال إستخدامها من قبل سيدة أخرى خلال فترة طمئتها. وتقوم البنات بتزيين الكعكة عن طريق رسم دوائر عليها بخاتم الزواج (إيسقيست قادوشه).

خيابيت كالويثا (إغتسال العروس)

يتم في يوم الجمعة تسخين الماء المعد للإغتسال على نار تصطلي بالحطب الذي جمعته البنات. وتستحم الإستاتاً قبل البنات، إذ تقوم البنات بتحميمها وغسل ثيابها وشعرها المصفور في الضفائر العديدة التي تهواها المرأة الكُردية. ويغنين خلال هذه الطقوس:

صوصياساخ ياريخه خاموست إستر هملكه آسيا طالك: ستكون صفائرك
طويلة. وطهارة^(٩) ملكة الپاسوفر ستكون لك

٧- ["قبل البيوريم بوقت طويل يدور أطفال يهود طرابلس الغرب على البيوت... ويزيلون البُسْط، والمكانس... ويأخذون أعقابها، وهم فخورون لقيامهم بالميتزفا. طالما أن السرقة تعتبر في هذه المناسبات أمراً مسموحاً به، لا بل يوصى بها" -Reve des Écoles de l'Alliance Israélite Uni- verselle 4 (1902) 424. ترجمها عن الفرنسية رافائيل پاتاي].

٨- والأكثر من ذلك أنهم ينظرون في بعض المناطق إلى سرقة احطب على أنه واجب، لأن الحطب المسروق يزيد من القوة العلاجية للنار (مارك برانديبرگ). Eric & Beitzl: Wörterbuch d. duetsechen Volkskunde (Leipzig, ca. 1936), ص ٥٥٨.

٩- في العمادية يفسرون الكلمة بأنها تعني "الجمال". ماكلين، القواعد، ١٠١، هاموتا: البكارة، البتوتة، الشباب.

إشاللا شوعه برونه هاويلاخ زئوريت كولو ماخيلاخ: فليمنحك الرب سبعة
أبناء، وليضربك أصغرهم.

وعند نطق الكلمة الأخيرة يضربن الإستاتاً على ظهرها، وبعد ذلك تستحم البنات الأخريات واحدة بعد الأخرى؛ وتتلقى كل واحدة منهن ضربة على ظهرها من قبل الإستاتاً. وبعد الإنتهاء من الإستحمام يلبسن ثياب العطلة المزركشة ثم يعدن إلى بيوتهن. وفي المساء يجتمعن ثانية في المنزل المخصص لهن للرقص والغناء.

ويستأنفن احتفالهن صباح يوم السبت. ويحضرن جميعاً الفاكهة، حيث تقوم الإستاتاً بتوزيعها فيما بينهن. بعدها تعين الإستاتاً مهمة لكل فتاة: واحدة ترقص، والأخرى تغني، وهكذا دواليك، وفي النهاية ترش إحداهن ماء الورد على الحاضرات مع إنشاد الشعر التالي:

ريخوخون هاوا مايا ريخا: ليكن عطركن كهذا العطر،
مسكريرتولو طلييوخون بايا ريخيت كادياواثوخون: وليسكر عرسائكن بعبير
نهودكن

بعدها تتجه الفتيات إلى الحقول في خارج المدينة ويشاركن في ألعاب (كلعبة بوسلمان، مثلاً) لحين دخول وقت صلاة المساء، حيث يعدن إلى ال المخصصة لهن. وهناك تقدم الإستاتاً زوتياثيت كالمو واحدة لكل فتاة، والتي تلفها بدورها في قطعة قماش حريرية وتأخذها إلى البيت وتخفيها. ولكن حينما يصل صديق الفتاة أو خطيبها في زيارة لها بعد هذا بقليل يسأل أين زوتياثيت كيلو، فتجيب بخجل أنها لا تملك منه شيئاً. ولكن الشاب يعرف أنها موجودة، فيبدأ في البحث حتى يجدها، وبعد أن يجد قطعة زوتياثيت كيلو يقبلها ثم يعبر عن دهشته بالقول: "يالها من عروس جميلة!". بعدها تقطع الفتاة الكعكة وتوزعها على شريكاتها وأخواتها وإخوانها وصويحياتها. ثم يقول الشاب بعد أن يأكل حصته من الكعكة: "كوداخ خياللي آيا زئاتاخ خاداخ إلهاه أويلاخ رزقي فليجعلك الله من نصيبي بينما أكل من كعكتك هذه (في العمادية، وزاخو كذلك).

جمع الحطب من قبل الصبيان

يشرع الصبية وكذلك الشباب مع بدء اليوم الأول من أدار في جمع الحطب لإحتفال البيوريم، حتى أنهم يخزنون هذه الباتيكه ديونكه "حطب الصبيان" في دھوك في الكُنيس. ويجوب أولاد العمادية الشوارع وهم يصرخون "حطب لهامان!"

بلغة ملائمة. فهم يوجهون نداءهم لليهود بقولهم "قاديت هامان!" وللمسلمين بقولهم "داري هاماني!" وللمسيحيين بقولهم "صيويت هامان!".

ولا يتردد المسلمون الكُرد ولا النصراني في إعطاء "حطب هامان" للصبيان، وحتى في حال (كما يحدث عادة) عدم إكتفاء الصبيان بالحصول على الحطب وتعدي ذلك الى سرقة الدجاج، فإن ضحاياهم لا يوقعون بهم عقوبات شديدة. ويكتفون حينها بالتساهل والقول: "لقد فعلها (بجيكيت هامان) أطفال هامان".

وفي العماديه كانت توجد عائلة نسطورية من الطائفة الطنائية كان اليهود ينظرون اليهم على أنهم متحدرين من هامان؛ لأن الأطفال حينما كانوا يصلون الى دارهم وينادون (صيويت هامان) كانوا يجيبونهم قائلين (صيويت مورداخي) ولم يكونوا يعطونهم شيئاً. وهذا كان يدفع الأطفال الى إحداث جلبه ولغط كبيرين أمام منزلهم عن طريق محدثات الضجيج الكثيرة الخاصة بالبيوريم التي يحملونها.

[إعتاد الأطفال خلال الأسبوعين الأولين منذ بداية آذار ولغاية البيوريم جمع ما يتراوح بين سنتر واحد وستين (١١٠-٢٢٠ رطلاً) من الحطب. وحين يجمعون ما يكفي من الحطب يجلسون في الشارع وحطبهم زمائمهم وهم يصيحون "عندنا حطب". وعندها يتوجه الناس إليهم ويشترتون منهم الحطب بأسعار جيدة. فيذهب الأطفال حينها ليشتروا بثمنه البيرة أو الدجاج أو حملاً لوليمة البيوريم (في العماديه)].

إغتسال الفتيات الثاني

يجري الإغتسال الثاني الذي تقوم الفتيات به بما جمعته من حطب في ليل بيوريم. وتصبح العذارى - كما يقال - نتيجة لهذا الإغتسال الثاني في جمال (إستر) لدى ظهورها أمام الملك أهاسورس. ولهذا يطلق على هذا الإغتسال: خيابيت بيناثا، آسه إيليني شيريت إستر "إغتسال العذارى، عسى أن ينتقل جمال إستر إلينا".

وكما في المرة الأولى تجتمع الفتيات لهذا الإغتسال في مكان إجتماعهن (والذي يكون على الدوام ولأسباب واضحة في بيت يهودي ثري)؛ ولكن ترافقهن في هذه المرة أمهاتهن. ويتم إعداد الحنّه. وتقوم أجمل الفتيات بصب الماء على الحنّه قبل عجنها، فيما تغني المجموعة دي موسولو "هيا اجلين". وبعدها تصبغ كل فتاة شعرها بالحنّه (في العماديه).

وبعد الانتهاء من وضع الحنّه تقوم الأمهات بتحميم بناتهن وهن يغنين "تاريكي" وكانهن يغنين لعروس، وينثرن عليهن الورود والجوز. وهكذا تاخذ كل فتاة دورها في الإغتسال في ترتيب وضع مسبقاً (في العماديه وزاخو).

بيوريم أو ميغال

لايستخدم اليهود الكُرد تسمية بيوريم لهذا العيد إلا نادراً. فالتسمية الأكثر شيوعاً بينهم هي ميغالا أو ميغالا أو موعيد ميغالا [عيد الرق] (في زاخو ودهوك والعماديه). وهناك أيضاً تعبير "جيژنا هامان" عيد هامان (في أشنويه والسلیمانیه)؛ ولهذا يطلق الكُرد على هذا العيد اليهودي تسمية "تيدا هاماني" (في العماديه). وفي الجنوب (السلیمانیه) وفي المقاطعة الفارسية (في سنه) يطلق على البيوريم "ليانجي"^(١٠).

كنا قد تطرقنا الى الإستعدادات التي تتم في الأسبوع الذي يسبق البيوريم، ففي اليوم الأخير قبل حلول العيد نفسه وتاعانيت إبيستر "صيام إستر" يلتزم به اليهود في كل مكان. الصبيان والبنات في عمر السابعة أو أكبر يصومون في هذه المناسبة - ويفعلون ذلك طبعاً طمعاً في الظفر بهدية في شكل أفضل هدايا البيوريم.

يشتمل جانب من عيد البيوريم على إعداد أنواع مختلفة من الكعك وأكثرها إنتشاراً (زلوبييه) (في زاخو ودهوك والعماديه). إن الكعك المسمى "تأحاله ديها مان" "آذان هامان" هو المفضل في أشنويه، أما في السلیمانیه فيفضلون كعكات بأنواع وأحجام مختلفة (مثلاً كالد "العروس"، خيو "الأفعى" وما الى ذلك).

قراءة الميگيل

عند المساء يتوجه الجميع، شيباً وشباباً، نساءً ورجالاً الى الكنيس من أجل قراءة الميگيلا، حتى أنهم يحضرون الأطفال الرضع بهدف الإستماع للقراءة. وتجلس النسوة في باحة الكنيس.

ويمتلي الشباب بروح فرح هذا العيد. وترتدي الفتيات أبهى حللهن مثل إستر لدى إستعدادها للمثول بين يدي أهاسورس. وفي العماديه أثناء توجيههم الى الكنيس - يغني الشباب أغاني الزواج معظم الوقت كالأغنية الكُردية "هري خزيمي زاري"، خزيمي ته بژن بلندي "يا خزام (بالعراقية الدارجة حلبة كالفرد تثبت على أحد -١٠- يطلق كُرد سنه على البيوريم نوروز (عيد رأس السنة) لتزامنه مع إحتفال الفرس برأس السنة.

جوانب الأنف - المترجم)، خزام الفقيرة، ذات القوام المشقوق^{١٠} (في العماديه).

يملك كل قادر على القراءة /الميكيليا المكتوبة على رَقٍّ. وكانت /الميكيلوث تُكتب في العماديه من قبل النسّاخ حاييم بن ياكوف هاكاباي بعشر روپيات. والميكيليا الكُردية خالية تماماً من الزخارف.

ولغرض قراءة الميكيليا يقوم الشّمّاش، كما في عشية يوم كيپور، بصنع شمعة كبيرة ثخينة ذات سبعة فتائل تسمى "شَمّيت ميگالا". وتُطفأ هذه الشمعة حال الانتهاء من القراءة، حيث تستخدم طوال العام (حتى روژ هاشانان) كضوء لقراءة التوراة. ويباع شرف حمل الشمعة أثناء قراءة الميكيليا عن طريق المزايذة حيث يصل ريع المزايذة الى مبلغ كبير (حوالي أربعة جنيهاً)، إلا أن المشتري يحتفظ بحق حمل الشمعة أثناء القراءة لما تبقى من السنة. والى جانب شَمّيت ميگالا يصنع الشّمّاش حوالي مائة شمعة أصغر توزع على الناس في الكُنيس. إذ تحصل كل مجموعة عندها ميگيلا على شمعة تعطى لأحد الأطفال كي يحملها.

وأما في العماديه فيقوم الشّمّاش بعمل "مسرجه" وهي شمعة ضخمة تحيط بها شموع أصغر - تشبه شَمّيت خيتنا "شمعة العريس (أنظر ص ١٥٤) عدا أن الشمعات الأصغر غير ملونه. وي طرح شرف حمل هذه الشمعة كذلك للمزاد. ويقوم الشّمّاش كذلك بصنع شموع صغيرة أخرى لأصحاب /الميكيلوث وكذلك سبعة شموع إضافية تمثل أعمدة الدنيا السبعة وتوضع على السّيده، ومنضدة القراءة، وفي الأماكن المخصصة لها.

وفي بعض المناطق يبيعون شرف قراءة رَقِّ التوراة بالمزاد (في زاخو ودهوك). وفي العماديه غالباً ما يُمنح الحازان شرف القراءة. وفي المدن الأخرى إذا لم يستطع الفائز بالمزايذة القراءة، يتنازل هو الآخر بهذا الإمتياز الى الحازان. ويقرأ الأخير الميكيليا بصوت عال، ويقرأ معه المحفل - ولكن بصوت خفيض عدا قراءة فقرات معينة ينبغي قراءتها جميعاً بصوت مرتفع.

وقبل الشروع بقراءة /الميكيليا يغنون (ببزييم) إحدى قصائد يفيت بينايا، وأدناه مقطع منها:

إيا أيها المختارون، تغنوا وأنشدوا

للرب في السموات واقرأوا الميكيليا.

يا أصدقائي، أثنوا على صاحب الأعمال العظام،

الذي تجدونه عوناً لكم في النوائب،

والذي ينجي عباده من الشر المقدر

في كل جيل - لا أستطيع أن أعدهم.

الذي سحق جذور إبن أكاگ ومحقها

وحول مكيدته الى مسرة لي^(١١).

في كُردستان ليس الحازان وحده (كما جرت العادة) بل أصحاب /الميكيلوث كذلك ينشرون رق التوراة باكملة قبل قراءتها^(١٢). ويقرأ المحفل باكملة الفقرات بصوت مرتفع، علاوة على الفقرات الإعتيادية (أي بمعنى إستر ٤:٢-٥، ٨:١٥-١٦ و ٣:١٠) هي الأشعار ١:٦ و ٦:٧. يقرأ المحفل هذه الأشعار أولاً، ثم يعيد الحازان قراءتها. وفي زاخو يقرأ المحفل بصوت عال من ٩:٣٠ الى النهاية، ويعيدون ترديد ١٠:٣ ثلاث مرات. أما في العماديه فيقرأ المحفل كامل الفصل العاشر بصوت مرتفع. [تقرأ الميكيليا في عشية البيوريم بالعبرية الأصلية، ولكنها تُقرأ في صباح اليوم التالي عن طريق التارگوم فقط أي أن الحازان يتابع النص العبري بعينه وينطق بترجمة التارگوم (في العماديه)].

عند الوصول الى الشعر ٢:١٦ "وهكذا أخذوا إستر الى الملك أهاسورس" تسمح الفتيات وجوههن بكلتا اليدين (في العماديه). وعند الوصول الى الشعر ٣:٥ "إستشاه هامان غضباً، يردد أفراد المحفل في زاخو خوما تاله تا يمه" الحر له ولوالدته". وعند الوصول الى الشعر ٩:٢٦ يرفع الحازان /الميكيليا ويهزها.

العادات الشائعة عند القراءة

تعد القراءة الشعبية من الميكيليا لدى اليهود الكُرد، كما هي لدى كافة المجتمعات اليهودية، مناسبة لإنطلاق مشاعر الفرح. فالناس يجلبون معهم الى الكُنيس كافة أنواع الأدوات لإحداث الضوضاء؛ وكلما ورد إسم هامان أو ولده يستخدمون تلك الآلات بكل ما أوتوا من قوة. وعندما يرد إسم هامان في صلاة المساء، يصدر الناس جلبة تصم الأذان بتصفيقهم بحيث يصعب إستعادة النظام بعدها.

يملك الصبية والشباب أنواعاً مختلفة من المسدسات (في زاخو والعماديه تسمى دَبانچه. وفي سنه تسمى تَبانچه)، بكبسولات ذات صدئ إما يصنعونها بأنفسهم

١١- [ترجمها عن العبرية رافائيل پاتاي]

١٢- [لا يمكن القول بأن هذه العادة عامة. فيهود مشهد، في إيران، على سبيل المثال يشرون في القراءة من الميكيليا الملفوفة صحائفها، والتي تنشر صحائفها ببطء مع إستمرار القراءة].

بطريقة بدائية أو (وقد ظهر هذا حديثاً) يشترونها من السوق. في السليمانية كان الشباب اليهود في الماضي يستعيرون البنادق من الكُرد. وهناك أيضاً أنواع مختلفة من الكرات المتفجرة^(١٣) يمكن شراءها من السوق. وفي سنه يجلب الناس معهم الى الكُنيس مطارق صغيرة يطرقون بها على الأرض حال ورود إسم هامان. ويمتلك الكُرد أيضاً المفرقات (في العماديه يسمونها رَشْرَشِينِقَه. وفي أربيل رَشْرَشِي) التي يصنعها لهم النجارون؛ ولهذه المفرقات في العماديه السنة جلدية بدلاً من الخشبية (المعتادة).

ويضاعفون ضوضاء وصخب هذه الآلات بضرب أرجلهم بالأرض لدى ورود إسم هامان أو أبنائه - وهم يضربون بحماس أكبر إذا ما كانت أسماء هؤلاء الأعداء التاريخيين لليهود مكتوبة مسبقاً على الأرضية بالفحم ليمسحوها هم بالدوس عليها باقدامهم (في العماديه وأربيل والسليمانية).

ويمائل هذا عادة كتابتهم لأسماء هامان والعماليق على حجارتين وضربهما ببعض (في سنه). وهذا يماثل التقليد الذي يمارسه الرجال في العماديه خلال حفلات شربهم أثناء البيوريم. إذ يأخذ هؤلاء قطعتي خشب يكتبون عليهما بالعبرية "ملعون هامان الشرير" و"ملعون زَرَش الشرير". وبعدها يصبون العرق على قطعتي الخشب وهم يرددون بالعبرية "أطلي مشروباً قوياً لمن هو على وشك الوفاة" (الأمثال ٦:٣١).

وتعتبر بِمَبْلَه "المثانات"^(١٤) من أشهر محدثات الضجيج لدى اليهود الكُرد. ففي السوكوت يشرع الجميع في جمع مثانات الحيوانات المذبوحة، حيث ينفخونها ويعلقونها بالسقف. وفي عيد البيوريم تأخذ العائلة قدر ما يمكنها من هذه المثانات المجففة معها الى الكُنيس وتزع ما يزيد عن حاجتها على مَنْ لم يستطع جمعها من الأصدقاء. وفي زاخو يبلغ ما يجلبه الناس الى الكُنيس من هذه البمبَلَه بضعة مئات. وعندما يصل الحازان الى آخر جمل سفر إستر (٦:٩ "خمسائة رجل") يفجر كل واحد من الحاضرين بمبيلته. [وفي العماديه يفجر الأطفال بمبيلاتهم حينما يقرأ الناس عبارة "إستشباط هامان غضباً" (سفر إستر ٩:٥) التي يعاد تكرارها عدة مرات، ثم يقرأون عبارة "ولكن هامان رغم ذلك تماكك نفسه" ١٠:٥ وكلمة "قيزانثا" (٩:٩)]. والدوي الناجم عن إنفجار هذه البمبيلات لا يختلف عن صوت البندقيات في

١٣- في العماديه: يَبْقَشْكَه. وفي أربيل: تَوَيْتَرَقَه. وفي سنه: تَقَه. وفي أشنويه: بوميه، بارود. وفي سنه يطلقون على عصا ذات كبسولة متفجرة (فيشك).

١٤- في العماديه: بُمْبَلَه. وفي زاخو ودهوك: بُمْبَلَه وبومبَلَه. وفي أشنويه: دَمْبَلَه. وفي أربيل: باتوته وتجمع على باتوتتي. وفي سنه: تيزانق. وهذه تُفجر بالبارود.

ساحة المعركة. ويضيف الأطفال الى هذه الضوضاء ضوضاءهم الخاصة بإطلاق النار من مسدساتهم التي يحملونها وهم يصيحون يَفِينِيْلانْ إَشْكَاسِيْت هامان "لقد سحقنا خصيتي هامان!". وفي العماديه ينطقون بهذه العبارة في ختام الميگيلا. ويستمر هذا الضجيج لربع ساعة تقريباً؛ وحينما تنفجر آخر البمبيلات، يشرع الحازان في إستعادة الهدوء بالطرق على السِيده. وبعدها تُستأنف قراءة الميگيلا. وفي الختام تردد اللعنات والتبريكات المعتادة.

وفي سنه (وفي العماديه) يغنون الأغنية التالية بالعبرية في ختام الميگيلا:

[هؤلاء الواثقون بأمالي،

وكل بذرات أبنائي المباركين،

قولوا، جميعاً "مبارك، مبارك، مبارك مُردخاي"

فالشرك الذي أعدّه [هامان]

هو نفسه وقع فيه،

قولوا، جميعاً "ملعون، ملعون، ملعون هامان"

له الفخر العظيم، ذلك الذي سكن سرّاً [مُردخاي]،

لقد أحضر هاداساه [إستر] وعلى رأسها تاج،

قولوا، جميعاً "مباركة، مباركة، مباركة إستر"

لقد تكلموا سرّاً،

غصن وجذور أكاي [هامان]،

قولوا، جميعاً "ملعون، ملعون، ملعون زَرَش"

(ترجمه عن العبرية رافائيل پاتاي)]

بعد قراءة الميگيلا يقرأ الأولاد هَشْكَاقَات هامان "إستراحة هامان الأبدية" وهي محاكاة ساخرة لهَشْكَاقَات هامايته "إستراحة الميت الأبدية". ويقرأ الناضجون هذه المحاكاة الساخرة أثناء وليمة عشاء البيوريم. وهناك روايات مختلفة لهذه المحاكاة الساخرة، تم طبع إحداها، وهي الموجودة في دهوك، من قبل جِي. ريفيلين^(١٥).

يجلس الناس وحال عودتهم من الكُنيس لتناول عشاء البيوريم، فينهون بذلك صيامهم. والعشاء يكون بانخاً. وذلك حتى إن الفقراء يسمحون لأنفسهم بالإنغماس

١٥- قارن: يوسف ي. ريفلين: تفسير هاميلخ. زاينون يديعوث ١:٤٣-٤٥.

في هذا البذخ بذبحهم دجاجتين لعيد البيوريم (في زاخو). ولا توجد أطباق أو مائل خاصة بهذا العيد.

إذا تعذر على رب الأسرة، لمرض ألم به أو أي طارئ آخر، حضور مراسيم قراءة الميگيلا في الكُنيس فإنه يدعو الحاخم الى داره ليقرأها له. بعد تناول العشاء يقرأ رب الأسرة الميگيلا لנסاء العائلة عن طريق التارگوم. وفي زاخو تجتمع النسوة من عدة عائلات في أحد البيوت ويستمعن للميگيلا التي تُقرأ بالعبرية وبالتارگوم. والعادة في المناطق الأخرى هي قراءتها للنساء بالعبرية مساءً وبالتارگوم صباحاً. وفي سنة يقرأون الميگيلا بالعبرية قبل تناول العشاء وبالتارگوم بعده.

ألعاب النساء ولهو الشباب

يشغل الناس الأماسي والليالي باللهو. لقد وصفنا قبلاً "إغتسال العذارى" في عشية البيوريم. يجتمع الناضجون في هذه الليلة (أو في كلتا ليلتي البيوريم) في دار أحد الأقارب الذي يحظى بإحترام خاص؛ جالدين معهم قناني العرق ليغنوا ويرقصوا ويتبادلوا النكات حتى ما بعد منتصف الليل. كما يلعبون الألعاب أيضاً؛ ولكن هذا الشكل من أشكال تسالي البيوريم ليس شائعاً بين الناضجين في كُردستان، كما يشيع في أوروبا الشرقية على سبيل المثال. إذ يكتفي اليهود الكُرد في هذه الحالة بلعب الورق والنرد أو الجعاب (چگه هامان) "عظمة مفصل ركبة هامان"^(١٦).

ويلعب أطفال يهود العماديه لعبة /يسيقسه [خاتم] كذلك. [وفي هذه اللعبة ينقسم الأطفال الى فريقين يجلس لاعبوها متقابلين. ويؤتي بصينية نحاسية كبيرة يضعون عليها كاسين نحاسيين صغيرين مقلوبين يخفي أحد الفريقين تحت أحدهما خاتماً. بعدها يرفع أحد الأطفال من الفريق الخصم الكأس وإذا وجد الخاتم تحتها يبدأ فريقه اللعبة. أي أن هذه اللعبة هي فقط لتحديد مَنْ سيبدأ اللعب. بعدها تبدأ اللعبة بإحضار سبعة كؤوس بدل إثنين، فيخفي الفريق الذي يبدأ اللعب الخاتم تحت أحد الكؤوس السبعة. وفي الواقع يكون لطفل واحد من كل فريق دور فعال في اللعبة، ويكتفي الآخرون بالفرجة. وعلى الطفل الذي يمثل الفريق الخصم أن يحزر الآن مكان الخاتم المخفي. وله قبل أن يرفع الكأس أن يشير الى كاس ويقول بويج "فارغ" أو دَسْتگول "باقة ورد" (وهو يعني بهذا أن الخاتم موجود تحت الكأس المذكور). أما

١٦- قاموس ژابا، ص ١٣٣، چوك، جاريت، جينو.

إذا قال بويج وإتضح أن الكأس تحتها الخاتم، فإنه يخسر سبع نقاط. بعدها يجيء دور الفريق المقابل ليحرب حظه. فإذا قال لاعبه بويج ولم يوجد الخاتم تحت الكأس، فإنه يسمح له برفع كأس أخرى. وإذا قال في المرة الثانية بويج وإتضح أن الخاتم كان تحت ذلك الكأس، فإنه يخسر ست نقاط بعدد الكؤوس المتبقية دون أن يرفعها وهكذا دواليك. وإذا قال دَسْتگول وظهر أن الخاتم موجود تحت الكأس التي رفعها، فإنه يفوز بسبع نقاط، أما إذا قال دَسْتگول ولم يظهر الخاتم تحت الكأس المشار اليه فإنه يخسر سبع نقاط. وإذا قال دَسْتگول - وكان عدد الكؤوس المتبقية ستة أو خمسة - ووجد الخاتم تحت الكأس التي عنها فإنه يربح نقاطاً بعدد الكؤوس المتبقية في الصينية، وإذا خسر يخسر نقاطاً بعدد الكؤوس كذلك. أما إذا ظل اللاعب يطرح الكؤوس قائلاً بويج، بويج في كل مرة حتى يبقى في الصينية كاسان فقط، فإنه يفوز بالنقاط السبعة، أي أنه فاز بالصينية كلها، فإن من حقه لذلك إخفاء الخاتم مرة ثانية. وحينما تصل خسارة أي من الفريقين الى مائة نقطة تبلغ اللعبة نهايتها ويتعين على الفريق الخاسر أن يدفع للفائز أربعاً أو خمس قناني من العرق. وبهذا الشكل يخسر الأطفال عموماً كل المال الذي حصلوا عليه من جميع الحطب (أنظر ص ٤١٥)، ويذهبون الى آبائهم في يوم البيوريم ليطلبوا منهم بعض النقود. كما قد يذهبون الى بيوت الأغنياء ليسرقوا من الطعام الذي يعده هؤلاء للفقراء. وحين يجمعون ما يحتاجون بهاتين الوصيلتين يعدون العدة للخروج في سَريته (نزهة) الى النهر، وتتم هذه النزهة في شوشان بيوريم اليوم الذي يلي البيوريم.

ويقوم الأطفال كذلك في عشية البيوريم بخياطة ملابس زملائهم الذين يغلبهم النوم الى زوايا البساط الذي ينام عليه هؤلاء (قارن هذا مع العادة المشابهة التي تمارس في التاسع من آث).

أما مَنْ يتسلّى حقاً في البيوريم فهم الشباب. إذ يعتبر البيوريم بحق عيداً لهؤلاء، ونحن نلمس في كُردستان - كما في غيرها - التقارب بين البيوريم وبين العادات التي تمارس في أوروبا خلال شروقيتايد (الأيام الثلاثة السابقة لأربعاء الرماد، وهي أيام لإعتراف والإحتفال - المترجم).

بينما لازال الناس يتناولون عشاءهم، يتسلق الأطفال، وخصوصاً أطفال الفقراء، جدران أحد المنازل الى السطح، حيث ينزلون خيطاً من خلال أنبوب المدفأة الى الغرفة. وفي العماديه يربطون بَمبَلَه بنهاية هذا الخيط. ويربط أهل الدار هدية من نوع ما (نقود، كعكة، حلوى أو ما شابه) بهذا الخيط أو يضعونه في البَمبَلَه. [وإذا

الحفلات التنكرية

من أشهر حفلات البيوريم التنكرية تلك التي يسمونها لبيوكه، والتي يختارون لها شاباً بديناً جداً. فيلبسونه ملابس النساء ويتنكر لبيدو كإمرأة حامل^(١٧) ذات أرداف ضخمة وبطن كبيرة. ويصبغون وجه الشاب، ويضعون له لحية وشارباً، وقرنين من اللباد ويربطون جرس بقرة حول عنقه. وتجوب جماعة من الشباب به بهذه الهيئة شارع المدينة وهم يسحبونه بحبل وراءهم، ويغني "مرافق" الشاب المتنكر أغاني صاخبة^(١٨).

وعندما يصل اللبيوكه باب أحد البيوت، يُسأل "من أين جئت؟" فيجيب "من بابل":

هي لبيوكه، ته ج إينا؟ لبيوكه، ما أحضرت معك؟

من هامان إينا: أحضرت هامان

بوجي إينا؟ لماذا أحضرتيه؟

دا رتليت وي يقين^(١٩): لنسحق خصيتيه (في العمادية بالكردية).

ويرقص الأطفال ويدورون حول لبيوكه وهم يصيحون هامان هرشع [هامان الشرير]. وفي كل بيت يعطونهم اللحم والبيض والزبيب، إضافة إلى بعض النقود؛ ولكنهم بدلاً من نثر الجوز عليه مثل العروس ينثرون عليه الحصى ويرشونه بالماء (في العمادية).

ولدى يهود سنه حفلة تنكرية مماثلة. فهم يجعلون أحد الشباب يرتدي ثياب شيخ مسلم، ويضعون له لحية طويلة، ونطاقاً من قماش يلف حول خصره عدة لفات، وكذلك عمامة كبيرة جداً. لكن الشاب المتنكر لا يغامر بالخروج إلى الشوارع بهذا الزي. فهذا التنكر لا يتعدى نطاق المنزل.

وليهود سنه أيضاً دمية خيالية أخرى، يدورون بها في الشوارع في البيوريم، ترافقهم فرقة موسيقية لجمع المال. وهذه الدمية، مثل اللبيوكه في العمادية، ذات قرون. ويقول اليهود إنها مأخوذة عن المسلمين، الذين كانوا يستخدمون الأقنعة كالأ

١٧- يقول الناس: لبيوكه قويرا اهيت أورزا ويليت سميخا "مدفون" لبيوخ، أنت ذكر ولكنك أصبحت حاملاً". وقد تم شرح معنى (قويرا) على أنها تعني "مدفون". قارن ذلك مع اللعنة "سر قويرا" "تكلتك أمك" (في العمادية).

١٨- مثلاً، أغنية هات يارومان، هات يارومان "أعلى، فلنرقص، فلنرقص".

١٩- قاموس زايا، ص ٢٠٥: روتل وتجمع على روتلان: خصى.

أراد رب الدار أن يخدع هؤلاء الأطفال، فإنه يضع قطعة من الجمر في البمبله (في العمادية)]. كما يغني الأطفال الموجودون على السقف أغاني إستجداء. وتشابه أغنية الإستجداء التالية من العمادية التي تُغنى خلال "حملة" الغابة في زاخو (انظر ص ٤١٢):

بيل بليوه بيل بليوه: ليظل بيتكم معموراً، ليظل بيتكم معموراً

خا ميندي بيبه كيوا: شيء ما في الشباك،

عازو أوداخلي زيفًا: عزو (إسم رجل) دعنا نجعله عريساً،

مال بيثا: ليظل البيت معموراً].

وأما بالنسبة لفتاة فهم يغنون:

بيل بيلوكه بيل بيلوكه: ليظل بيتكم معموراً، ليظل بيتكم معموراً،

خا ميندي بيبه بيزوكه: شيء ما في هذه الفتحة،

إيستير ئودا خلا بوكه: إستر، لنجعلها عروساً،

مال ياقوكه: ليظل البيت معموراً].

أما في سنه فيغني الأطفال الأغنية الكردية التالية:

هاتيته ماتيته: [هاتيته ماتيته،

كور وكنيشتان نيمريته: لا مات أبناؤكم ولا بناتكم

ليلا ژني برسيه: أم الشيطان جائعة

هاوار آكا قولوجا نيه: وهي تصرخ "ليس هناك كعك"].

وقد ذكرنا كيف أن الشباب - وكذلك الفتيات - يجمعون الحطب من أجل إحتفال البيوريم. وهؤلاء أيضاً يبيعون قسماً مما يجمعون ليشتروا بثمنه الدجاج والعرق والمواد الأخرى. ويشكل الشباب والأولاد كذلك "حولويثا" "جمعيات" مثل البنات ويختارون لنفسهم مكان إجتماع حيث يجتمعون في عشية ويوم العيد للأكل والشرب والرقص والغناء. وهنا يلعبون الألعاب التي تزيد من بهجة إحتفالاتهم هذه (كلعبة "بيع الجلود" على سبيل المثال).

دييو (رأس الشيطان) خلال عيد نوروز (إحتفال رأس السنة) الذي يتزامن تقريباً مع عيد البيوريم. إذ يتَّبَت المحتفلون بعيد النوروز عموداً خشبياً طويلاً في أحزمتهم، يقوم بعدها أحد الصبية بتسليق هذا العمود ويؤدي عليه حركات بهلوانية. اليهود إما يستعبرون الأّقنعة ذات القرون من المسلمين أو يصنعونها بأنفسهم من الورق. وبعد ذلك يجوبون الشوارع ترافقهم فرقة موسيقية لجمع المال.

الألعاب النارية

تدخل الألعاب النارية ضمن الألعاب التي يلعبها الشباب في الليل أو النهار هناك وهي مشابهة لتلك الموجودة في أوروبا بأعداد كبيرة خلال أربعاء الرماد (شروفيتايد). وتجد طقوس الألعاب النارية هذه بين يهود اليمن أيضاً^(٢٠).

قبل البيوريم بفترة تبدأ جمعيات الشباب في زاخو بالحفر بحثاً عن جذوع الأشجار (قورموكسا). ويحتفظون بهذه الجذور حتى البيوريم حيث يحرقونها في نار حتى تنوهج. وهذه الجذور التي تكون مدورة كالكرات تقريباً يسمونها ريش هاما "رأس هاما". ويأخذ الأولاد القورموكسا المتوهجة هذه الى النهر حيث يتقاذفونها بالعصي كما في لعبة الهوكي، وهم يلعنون هاما ويسبونونه بصوت مرتفع مع كل ضربة ترتفع على أثرها شرارات الجمر واللهب من الجذور. ويقوم الأولاد كذلك بكتابة أسماء هاما وأمالك على قطع من الورق يحرقونها على هذه الجذور. وتستمر اللعبة على هذا المنوال حتى يحترق ريش هاما تماماً، ثم يتعجب الأولاد قائلين: "هالا - ميبيشيشلي ريش هاما" - انتهى - تحطم رأس هاما وتناثر.

وفي العماديه يضربون قطعاً مماثلة من الخشب ريشيت هاما [رأس هاما] حتى تتفتت الى ألياف، حينها يضرمون فيها النار. ويشكل الأولاد فريقين يتقاذفان الكرات فيما بينهم ويصيحون: لو - لو - لو - لو - لو - لو

ويستخدم الأولاد الكرات الإعتيادية (تَيّه) بنفس الطريقة. فهم يكتبون هاما برشع على الكرة ويضربون الكرة بعضها. وكل من يمسك الكرة يضربها بعصاه (في العماديه). وهي لعبة يلعبها كل اليهود، حتى الحاخامات يلعبونها عشية البيوريم نصف ساعة أو ساعة (في العماديه). كم يجذب المسلمون الى ضفة النهر بسبب هذه الألعاب النارية؛ ولاتوجد بين المشاهدين فتيات أو نساء لأنهن قد لا يكن بأمان في ليلة الفرح والتحرر هذه.

٢٠- أنظر: إثنولوجيا اليهود اليمانيين لبراور.

إحراق الدمية البشرية

عادة ما تُحرق دمي بشرية في عشية البيوريم؛ وتختلف هذه الممارسة من مكان لآخر في أنحاء كردستان، وذلك لأن اليهود يقومون في بعض المناطق بعدة نشاطات من هذا القبيل خلال إحتفالات البيوريم. وتمارس العادة حالياً من قبل الشباب لأجل التسلية فقط، وذلك لأن العنصر الميثولوجي في هذه الممارسة قد أخلى مكانه لعنصر المرح. ففي أربيل يقومون بلف الخرق حول صليب خشبي كبير حتى يبدو وكأنه دمية لإنسان بالحجم الطبيعي. فيلبسون الدمية حينها ملابس قديمة ويضعون على رأسها ماشاح قبعه يرتديها النصارى. ويضعون في فم الدمية غليون تدخين يملاًونه بالروث، ويعلقون في عنقها قلادة مصنوعة من روث الحمار اليا بس. ثم يصبون النفط على الدمية ويضرمون فيها النار. وبعد أن تلتهمها النيران وتحترق تماماً يرمون بقاياها بالحجارة، حتى تُدفن الدمية تحت الحجارة التي يرجمونها بها. وفي أشنويه يصنع أطفال كل حي يهودي دمتين أو ثلاث من هذه الدمي من الخشب والخرق. ويحرقون هذه الدمي في المساء قبل قراءة الميگيلا في صبيحة البيوريم بعد المراسيم. وخلال عملية حرق الدمية يردد الطفل الأشعار التالية التي يدرجون فيها أسماء عائلات متنوعة:

هامان زيله بيل خينه: ذهب هاما الى عائلة هانا
ميندلو ايلو كي أدبخينه^(٢١): فآلقوا به في دورة المياه.

أو:

هامان زيلي بيل عزيزا: ذهب هاما الى عائلة عزيز،
بيلو تيقير بنورا: فآلتهمت النار بيته.

من ايلو هوليعي ليفاركينخ بيعاي شولا: لن تنجو من اليهود في هذه المسالة.

أو:

هامان زيله بيل ميزالا: ذهب هاما الى عائلة ميزالا،
بيولو بائيلو مسيلا: فوضعوا ميزانا^(٩) في يده.

في السليمانية تشرع الفتيات في صنع دمتين لهاما وزررش من الخشب والخرق قبل أسبوع من موعد البيوريم. ويصبغن وجهي الدمتين بالفحم. ويضعن لهاما

٢١- بالكردية والفارسية (أدبخانه) وتعني دورة المياه. أنظر: سون، قواعد الكرماتجية، ص ١٥٨.

لحية، ولرَّش قلادة غريبة. وفي كل منزل تصنع الفتيات هذه الدمى، ولهذا عندما تبدأ مراسيم حرق هذه الدمى من قبل الفتيات فإنها تجري في عشرين مكاناً في المدينة تقريباً. ويجري حرق هامان (مقليله هامان) في الليلة الأولى، وحرق زَرش (مقليله زَرش) في الليلة الثانية. ويشترك في هذه المراسيم الكُرد المسلمون كذلك. وتبدأ مراسيم الحرق بعرز الدميّتين في الأرض، ثم إغراقهما بالنفط وإضرام النار فيهما، وتبدأ الفتيات بغناء أغاني مشابهة لتلك التي تُغنى في أشنويه.

وفي سنه أيضاً يصنع أطفال كل مقاطعة دميّتين لهامان وزَرش، ويلفون حول دمية هامان سلاسل من بعر الماعز على هيئة قلائد. أما الأغاني التي يغنونها فتماثل التي تُغنى في أشنويه والسليمانية، وهي على سبيل المثال:

هامان زيله بي يوحى: ذهب هامان الى بيت جوشيبيد،
ميتولو كامه تولوخي: فقدّموا له العدى.

تصنع البنات في العماديه دميّتين على أنهما تمثالان فاشتي وزَرش. والدمية التي تمثل فاشتي لها ذيل - ولهذا فإن المصطلح (العام) المشين الذي تستخدمه النسوة للدمية هو فاشتي ماري روما "فاشتي ذات الذيل". بعض جمعيات الفتيات يحرقن الدميّتين خلال الإستعدادات للإغتسال في ليل بيوريم، والأخرى يحرقنها في اليوم التالي قبل تناول وجبة الطعام.

وفي العماديه، كما في المدن الأخرى، تتألف دمية هامان من هيكل خشبي ملفوف بخرق يلبسونها ملابس النساء ولكنهم يصنعون للدمية لحية، فهي بذلك تمثل كائناً خنثياً أيضاً. ويتم حرق هامان (ماكوديت هامان) صبيحة يوم الرابع عشر من آذار، في موقع النزهة. ويكون من بين جمهور المشاهدين في الموقع الكُرد المسلمون، بمن فيهم أعيانهم. وهنا يسأل القائمقام "ماذا فعلتم بهامان؟ هل أحرقتموه؟" وهو السؤال الذي يعتبر إشارة بدء لعملية الإحراق.

وقبل إضرام النار في الدمية يرميها الأطفال بالقاذورات ويدخلون في فمها غليوناً مشتعلاً مملوءاً بالروث. هذا فيما تحضر النسوة بول أطفالهنّ الرضع ويسكبهن فوق الدمية وهنّ يقلن: شيكولوخ مايت ورده ميريلو هاك ماء الورد، شمّه.

ويكوم الحطب الذي جمعه الأولاد حول هامان، ويضرمون فيه النار فيما تغني البنات والنسوة أغنية ميلتاشا على إيقاع الدقوف (تمبيلوشكه) التي تُصنع من قدور قديمة مغطاة بقطعة من الجلد المشدود على فوهاتها يحملها العازف تحت أحد إبطيه. بعدها يرمي الأطفال رماد هامان في الهواء ليتناثر أو يرمون الرماد في النهر.

الرابع عشر من آذار

مع إحراق دمية هامان، في العماديه، تكون قد دخلنا الرابع عشر من آذار، يوم البيوريم الحقيقي؛ لذا فإن لنا هنا عودة الى العادات التي تمارس في صباح ذلك اليوم:

يقضي الشباب نصف الليلة في اللعب والرياضة، ويسهر كبار السن أيضاً. وبحلول الصبح تجدهم جميعاً في الكنيس من جديد ويتكرر مشهد قراءة الميگيلا الذي سبق وقدّمنا وصفه.

وفي زاخو تجتمع مجاميع البنات المختلفة في صباح هذا اليوم في نفس الدار التي إجتمعن فيها للإغتسال الشرعي. ويجلبن معهن الرز والدجاج الذي إشتريه من ثمن بيع قسم من الحطب الذي جمعه. وبعدها تتجه كل مجاميعهن الى السرينه. وبعدها يلتحق بهنّ الشباب في موقع النزهة بعد إنتهائهم من أداء المراسيم.

ومع إقتراب الظهيرة، تعود مجاميع البنات الى مقراتهن في البيوت المخصصة لهن. وإذا ما كان في أي مجموعة من هذه المجاميع فتاة ثرية يمكن الإستفادة من بيتها كمحل إجتماع لمجموعة الفتيات، فإن من الشائع أن يضع والدها مساعداً تحت إمرة إبنته لتحضير وجبة الدجاج والرز للفتيات. وتجلس الفتيات في الشرفة (بريانكه) لتناول وجبة الطعام. ويكون الفتيان قد عادوا في هذه الأثناء من نزهتهم، فيتسلقون الى سطح الدار التي تجلس مجموعة الفتيات فيها. ويبدأون بإزعاج الفتيات، اللواتي يقمن بالمثل وينبع ذلك مزاح بهيج. وعند تناول وجبة الطعام، تتظاهر الفتيات اللواتي يخشين أن تُنسب اليهن صفة الشراهة، بالخجل ولا يبدأن بتناول الطعام إلا بعد بدء الفتيان بذلك. ويحاول الوالد مراراً وتكراراً طرد هؤلاء المتطفلين دون جدوى - فسرعان ما يعودون بعد أن يختفي لتناول الطعام مع الفتيات. وفي النهاية تكتفي كل فتاة بتناول بضع لقيمات من الطعام، ويلفن الباقي في قطعة قماش ويذهبن الى بيوتهن. ولهذا يسرع كل فتى ليلحق بفتاة يختارها ويرافقها الى دارها، ويتناول هناك وجبة البيوريم معها - ولم يُسمع بوقوعه في أي وقت آخر.

هدايا البيوريم

عقب المراسيم يأتي وقت تقديم هدايا البيوريم. في بعض المناطق (زاخو وأشنويه) يقف الفقراء أمام الكُنيس ويتلقون قطعة نقدية من كل فرد من أعضاء المحفل لدى خروجه. وفي سنه يتجول الفقراء في الكُنيس بعد الإنتهاء من قراءة التوراة لجمع

النقود، فيما يقف أبناؤهم في الخارج عند باب الكنيس لتلقي الصدقات من الخارجين.

تتألف هدية البيوريم التقليدية من طبق من الطعام. وفي زاخو على كل شخص أن يرسل طبقين من الطعام إلى إثنين من أصدقائه. هذا علاوة على إعتيادهم تقديم هدية نقدية لأطفال أحد الأقرباء. ولا يتلقى الأطفال إلا مقداراً ضئيلاً من هديتهم النقدية هذه، لأن مبلغ الهدية يجب أن ينفق على شراء ملابس لهم في عيد الفصح. وتعتبر هذه الهدايا في الواقع من الرسميات، أو على الأغلب تودداً رمزياً، سيما وأن الجميع يتلقى من الهدايا مثلما يقدم منها.

يتألف شيدوريت كيليئا "إرسال الهدايا" في العماديه من إرسال المرء طبقاً من اللحم والفاكهة المجففة لأقاربه. كما يرسلون السنْبوسْكَ وهو طبق يتم إعداده خصيصاً لمناسبة شيدوريت كيليئا. ويتكون الطبق من حورتومانه "البقول" المطحونة بالرحا، واللحم المدقوق في الهاون، وحوالي إثنى عشرة بيضة. تخلط المكونات وتتبل بالفلفل والبهارات الأخرى وتخبز بعد غمسها في سمن إلية الغنم.

وفي حال إرسال هذه الهدية إلى صديق حميم، يضعون قطعة حلي، كزوج أقراط مثلاً في السنْبوسْكَ لإبنة العائلة - أو خاتماً لإبن العائلة.

ويسمون إرسال الهدايا في سنه والسليمانيه "ليلانگينه". فهنا إعتاد الأقرباء أن يتبادلوا تهادي إناء مليء بالفاكهة والكعك والحلوى. فيما يحصل الأطفال على بيوض ملونة. وعلاوة على ذلك يحضر المعلم لكل تلميذ في مدرسته ورقة كتب عليها بالعبرية وبالتارگوم وبخطوط مزخرفة التبريكات التي تُتلى قبل وبعد الانتهاء من قراءة الميگيلا والپزْمون نَنو شيرا ويزيرا، التي تُغنى قبل قراءة الميگيلا^(٢٢). ويحصل التلاميذ في العماديه أيضاً على هذه الصحائف المكتوبة.

وبعد إنتهاء المراسيم الصباحية، يجلس الناس لبدء سيعودات بيوريم. وفيما عدا السنْبوسْكَ - التي يعدونها في السليمانية أيضاً (ويسمونها سَمْبوسْكَ)، لا توجد هناك أطباق خاصة بالبيوريم؛ ولكنهم يجعلون الإحتفال بالعيد باذخاً قدر الإمكان. فالمشروبات موجودة بكثرة؛ ويشرب الرجال - إلتزاماً منهم بالتعاليم التلمودية - إلى حد السكر، وهذا ليس بالشيء النادر طبعاً بين اليهود الكُرد المولعين أصلاً بالعرق. ويكتبون إسم هامان على قصاصة ورق ويلصقونها بالقنينة وبعدها يمسحون الإسم بالنبيذ أو العرق (في زاخو). وتعطينا أغنية موشي بن يصحاق الخاصة بالبيوريم

٢٢- الجامعة العبرية، مجموعة براور.

صورة جيدة لما يحدث في إحتفال كُردِي بالبيوريم:

إدعونا نشرب نبيذاً معتبراً،

دون خوف من خبيث غادر،

لنعود بسرور إلى القلب،

فليجلس الأصدقاء الأوفياء

وكل منهم يحمل قنينةً بيده

وأمامهم الأطعمة الدسمة،

لإبتهاج بمسرات البيوريم

أرسل الهدايا للرجال المعوزين

ثم اشرب المشروبات الحلوة

وأفرغ كاسك في سرور

لإبتهاج بمسرات البيوريم

كن متاهباً للوجبة

بقيثارتك وكمنجتك وارقص

لأجل فرح ميتزفا، مرتعشاً

لإبتهاج بمسرات البيوريم

وهلم من الصباح إلى المساء

وأعد الكرة مرتين وثلاثاً

ثم مرّق لحية هامان،

لإبتهاج بمسرات البيوريم^(٢٣).

يتوجه الشباب في العماديه إلى نزهتهم صباحاً ويعدون وجبة البيوريم في موقع

النزهة. بينما يتناول الحافيريم وجبة البيوريم في بي حازان، ثم يتوجهون بعدها إلى

موقع النزهة لمراقبة إحراق الدمية التي تمثل هامان كما وصفناها سابقاً. ويغني

الناس ويرقصون؛ وبحلول المساء تخرج البنات - اللواتي يتقدمن في خطوات إيقاعية

- الزلوبي. ويتلون المينحه عند النهر، وصلاة المساء عند أبواب المدينة.

وفي أربيل وبيتنوره وسنه يقرأون الميگيلا في عشية وصباح الخامس عشر من

آدار، لأن الإعتقاد السائد أنها كانت مدناً مسورة حتى في عهد يشوع.

٢٣- [مقتبسة من كتاب الحاخام باروخ مزراحي: شيرري زيمراه، القدس، ١٩٣٠، ص ٦٥.

القصيدة: آني (١)، موشي بن يصحاق. ترجمه من العبرية رافائيل پاتاي].

شابات بَشالاح وشابات ناحامو

من بين أيام السبت التي تحظى بإهتمام خاص من لدن اليهود في كُردستان هو شابات بَشالاح (سفر الخروج ١٣:١٧)، والذي يطلقون عليه عادة شَبَسيت شيرا "سبت الأُغنية" «أغنية موسى». ويمثّل هذا السبت نهاية الشتاء - ولهذا يقول الفلاحون: "شَبَسيت بَشالاحيلا سوسوا بيشالاحلا" شابات بَشالاح، الشتاء ينسلخ عن جلده" (في زاخو).

وهذا السبت في زاخو هو سبت مَجَلِس - ممثل اليهود - الذي عادة ما يكون أكثرهم ثراءً في المنطقة. يقيم الثري المذكور في هذا السبت مأدبة كبيرة أعد لها منذ وقت طويل لأن عليه أن يوفر فيها كميات كبيرة من العرق ومَزات شيرا. وهو يحتاج للمزّه الى الدجاج والسمك. ولهذا فهناك تفاهم ضمنى بين اليهود على عدم شراء الدجاج في هذا الوقت لئلا يضطر المَجَلِس - الذي ينبغي عليه شراء خمسين دجاجة لهذه المناسبة - الى شراء الدجاج بأسعار كبيرة، علاوة على أن صيادي السمك حين يجلبون صيدهم الى زاخو لهذا السبت فإنهم يُعْفون من دفع الضريبة المعتادة، لأنهم يقولون "إننا نجلب السمك لمَجَلِس اليهود".

ينادى في شابات بَشالاح على المَجَلِس على أنه "الرابع". وفي العماديه حيث تُمنح هذه العُليا لأغنى وأعظم رجال المحفل شأنًا، فإن الرجل المذكور هو الذي يتولى القراءة بنفسه، ولكن في زاخو لاينطق المَجَلِس من القراءة سوى التبريكات. ويقف الجميع أثناء ذلك ويمنع بعض الرجال النسوة عن إطلاق الزغاريد. وكان معتاداً في العماديه فيما مضى أن يجلبن الدف معهنّ الى الكُنيس، وأن يبدأن حال سماع الشعر "ومريم النبية، أخت هارون، أخذت بيدها دفاً؛ فخرجت النسوة جميعاً خلفها يحملن دقوفاً وهن يرقصن" (سفر الخروج ٢٠:١٥) بنقر دقوفهنّ وإطلاق الزغاريد ونثر الحلويات على ميري شيرا "سيد الأغنية".

بعد انتهاء المراسيم في الكُنيس يعود الناس الى بيوتهم لتناول طبق الميبوسه، الذي يتألف في شابات شيرا في كل مكان من الهَرَيسه وهي عصيدة معدة من القمح المطحون (كَبِرسه). ويعود استخدام عصيدة القمح المطحون أصلاً الى العبارة العبرية بَشَبات شيرا "ليحيم حطّه" "خبز الحنطة في شَبات شيرا" (في سنه)،

[التي تُلَفظ حروفها الأولى ب ش ل ح، والتي تقابل بَشالاح]. و"عطاء للفرعون" توضع دجاجه (فَرُوج)^(١) على الهَرَيسه، إذ يفسرون هذه العادة بالقول وتُناهاكو يسرائيل، هاشم يشمئرم، بَشَبات شيرا لئُقاشيل حطيم پاروك روخيّف عال هريسه "كان من عادة إسرائيل، حفظهم الله، أن يطبخ الدجاج والحنطة في شابات شيرا، والدجاج فوق الهَرَيسه"، [وتُلَفظ حروفها الأولى هكذا وي ه ي / ب ش ل ح / پ ر ع ه، التي تقابل ويهَي بَشالاح پارعوح "وحدث، حينما فسح الفرعون المجال... (سفر الخروج ١٣:١٧)].

بعد هذا يتوجه الناس الى دار ميري شيرا، حيث يغنون ويرقصون فيما يقدم لهم الأخير المزه والعرق والهَرَيسه^(٢). وفي هذه المناسبة كذلك تجتمع العائلات التي في بيوتها مرضى لترسل في طلب الميبوسه من دار ميري شيرا، سيما وأنهم يعزّون لها قوى علاجية.

ويرسل ميري شيرا الهدايا في يوم شابات بَشالاح الى "شيخ خياپه" و"شيخ خييره" (أنظر ص ٢٢٧) والشَمَاش.

ولمنطقة ريكان تقليد خاص. إذ أنهم يقدمون في هذا اليوم عرضاً فنياً لغرق فرعون ورجاله. وقد شاهد محدثي "عرض الدمى" هذا يقدم في كان من قبل رجل اسمه عزرا. إذ كان الناس يأتون اليه ويقولون له: "عزرا، دع فرعون يمتطي جواده". ولعزرا وعاء كبير للماء، حيث كان يمد زوجته فوق هذا الوعاء حبلاً علقت عليه عدة دمي صغيرة. وبينما كان عزرا يغني، كانت زوجته تهز الدمى للأمام والخلف لتسقط في الماء في النهاية. وتبدو على المسرحية في هذا الصدد تأثيرات من المسرحية الفاضحة آشوراكا التي يقدمها جواله كُرد يجوبون بها العراق وسورية، وفيها يعلقون دميتين لرجل وإمرأة على حبل.

السبت الذي يلي التاسع من آف يسمى [عموماً] شابات ناحومو "سبت السلوى"، والتسمية جاءت من إفتتاحية سفر الأنبياء، ويسمى هذا اليوم شَبَسيت ياكولتا "السبت العظيم" في كُردستان أيضاً. يقومون في هذا السبت بإعداد وجبة طعام خاصة، حيث يعدون الميبوسه بطريقة خاصة ومن دجاج تم إختياره بعناية. ويرسلون قسماً من هذه الميبوسه الى الفقراء والمرضى. ومع انتهاء اليوم التاسع من

١ - كلمة پاروك هي الترجمة العبرية لكلمة فوروج التارگومية، وهي تعني الدجاج.

٢ - أغنية لموشي بن يصحاق حول شابات شيرا، في شيره زامراه لباروخ مزراحي، القدس ١٩٣٠، ص ٦٤.

ثبت المراجع

- Abeghian, Manuk. *Der armenische Volksglaube*. Leipzig, 1899.
- Adler, M. N., ed. *The Itinerary of Benjamin of Tudela*. London, 1907. Reprint, London, 1964.
- Ainsworth, W. F. "Account of a Visit to the Chaldeans Inhabiting Central Kurdistan." *JRGS* 11 (1841):21-76.
- . *Travels and Researches in Asia Minor, Mesopotamia, Chaldea and Armenia*. London, 1842.
- Albala, N. Report in *BAIU*, 1911.
- Albrecht, K. *Die im Tâbkenoni vorkommenden Angaben über Harizis Leben, Studien und Reisen*. Göttingen, 1890.
- Aldabi, Meir. *Shvile Emunab*. Riva di Trento, 1558; Warsaw, 1874.
- Allgemeine Zeitung des Judentums*. Leipzig and Berlin, 1837-1922.
- Alliance Israélite Universelle. *Bulletin de l'Alliance* . . . Paris.
- . *Revue des Ecoles de l'Alliance* . . . Paris, 1901-4.
- Anglo-Jewish Association, London. *Sixth Annual Report*. 1897.
- Ashbel, Dov. *Annual Report: The Climate of Palestine and Adjacent Countries*. Tel Aviv, 19 (1938/39).
- . *Rainfall Map of the Near East*. Jerusalem, 1940.
- Assaf, Simḥa. "Le-Toldot ha-Yehudim be-Kurdistan u-Shkhenoteha." *Zion-Messef* 6 (1934): 85-112.
- . "Nosafot le-Toldot ha-Yehudim be-Kurdistan." *Qiryat Sefer* 13 (1936-37): 266-71.
- Badger, George Percy. *The Nestorians and Their Rituals: With a Narrative of a Mission to Mesopotamia and Coordistan*. 2 vols. London, 1852.
- BAIU*: reports on Kurdish Jews, 1889:48; 1892:53; 1895:64; 1896:52, 54; 1897:84; 1901:277; 1911.
- Barukh, Iḥakham. See Mizrahi, Barukh Sh'mu'el
- Banse, E. *Die Türkei*. Braunschweig, 1919.
- Bassan, J. Report on Kurdish Jews. *BAIU* 26 (1901):277.
- Benisch, A., ed. and trans. *Travels of Rabbi Petachia of Ratisbon*. London, 1856.

آف، ومن أجل إرتدائها في شابات ناحومو، يفصلون ملابس جديدة وخاصة للأطفال. ويجب أن يمتلك الجميع في هذه المناسبة قطعة ملابس واحدة جديدة على الأقل. وإن سئل الناس في جالا لماذا ترتدون ملابس جديدة لهذا السبت، يجيبونك: "لأننا ننحدر من الإنهيار الثلجي (رانيا)". ويسمون الرانيا "رانيا تقوزار آدان".

ويباع إمتياز قراءة الهفطرا تباع بالمزاد ويسعر مرتفع. ويعتبر شابات ناحومو وقتاً مناسباً للخطبة قيّدوشيم، وهذه حقيقة ربما يكون لها نوع من العلاقة مع تسمية هذا السبت سبت البنات.

وفي صبيحة شابات ناحومو تجتمع البنات مرتديات ثياب العيد في باحة إحدى الدور ويرقصن هناك لحين انتهاء الرجال من المراسيم في الكنيس. بعدها يتوجهن الى الكنيس، وعادة يرافقهن الموسيقيون، وذلك لغرض لقاء العريس ومرافقته الى البيت (في العماديه وزاخو).

وفي اليوم التالي يخرجون في سرينه ناحومو وهي نزهة خاصة بالشباب فقط. إذ يتجه الشباب والشابات الى موقع معين خارج المدينة، حيث يغنون ويرقصون هناك. ويخرج تلاميذ المدارس كذلك في سرينه خاص برفقة معلمهم (أنظر الص ٢٩٥-٢٩٦)، ويوجهون الدعوة كذلك الى الكفيريم لمرافقتهم (في العماديه).

- . "Massa' le-Kurdistan, Paras, u-Bavel," *Sinai* 3:3–4 (1939): 218–54.
- Frazer, Sir James George. *The Fasti of Ovid*. 6 vols. London, 1929.
- . *The Golden Bough*. 3rd ed. 12 vols. London, 1922–25. Garbell, Irene. *The Jewish Neo-Aramaic Dialect of Persian Azerbaijan*. The Hague, 1965.
- Gerson-Kiwi, Edith. "Kurdistan." In *Encyclopaedia Judaica*, vol. 10. Jerusalem, 1972, pp. 1299–1300.
- . "The Music of the Kurdistan Jews." In Amnon Shiloah ed., *Yavol* 2 (1972):59–72.
- . *Studia Musicologica* 7 (1965): 61–70.
- Goitein, S. D. In *Qovetz 'al Yad* 2 (12): 272.
- Goodrich-Freer, Adela M. *Arabs in Tent and Town*. London, 1924.
- Gottheil, I. "The Judeo-Aramaic Dialect of Salamas." *JAOS* 15 (1893): 297ff.
- Grant, Asahel. *The Nestorians, or The Lost Tribes*. London, 1841.
- Gubernatis, Angelo di. *Thiere in der indogermanischen Mythologie*. Leipzig, 1874.
- Hamilton, Archibald M. *Road Through Kurdistan*. London, 1937.
- Hartland, Edwin Sidney. *The Legend of Perseus*. 2 vols. London, 1894–96.
- . *Primitive Paternity*. 2 vols. London, 1909–10.
- Hay, William Rupert. *Two Years in Kurdistan*. London, 1921.
- Hovorka, Oskar von, and Adolf Kronfeld. *Vergleichende Volksmedizin*. Stuttgart, 1908–9.
- Ibn Verga, Joseph. *Shevet Yehuda*. Hannover, 1855. Reprint, Hannover, 1924.
- Idelsohn, Abraham Z. "Aramäisch sprechende Juden." *Die Welt*, Berlin, 30 (1912): 906–7.
- . *Hebräisch-Orientalischer Melodienschatz*. 5 vols. Leipzig, 1912–32.
- . "Sippurim ba-Lashon ha-Aramit ha-Hadasha." *HaShiloah* 29 (1913): 121ff.
- Isaacs, A. A. *Biography of H. A. Stern*. London, 1886.
- Jaba, A. *Dictionnaire Kurde-Français*. St. Petersburg, 1879.
- Jellinek, Adolph, ed. *Beth HaMidrash*. 2nd ed. 6 vols. Jerusalem, 1938.
- Jewish Chronicle*, London, May 3, 1864. Necrology on J. I. Benjamin.
- Jewish Expositor*. London.
- Ji*. London.
- Jewish Records* (Supplement to *Ji*, 1861–83).
- Jüdisch-Literarische Gesellschaft. *Jahrbuch*. Frankfurt a. M., 1903–32.
- Jungbauer, Gustav. *Deutsche Volksmedizin*. Berlin and Leipzig, 1934.
- Kasdai, Zvi. *Mamlekhet Ararat*. Odessa, 1912.
- ha-Kohen, Joseph. *'Emeq haBakha*. 1558, and numerous editions.
- Lagarde, Paul de. *Iudae Harizi Macamae*. Göttingen, 1883.
- Laufer, O. "Totenkronen." *ZVJ* 26: 16ff.
- Lauterbach, Jacob Z. "Tashlik." *HUCA* 11 (1936): 207–8.
- Layard, A. H. *Niniveh and Its Remains*. London, 1867.
- Lidzbarski, Mark. *Geschichten und Lieder aus den neu-Aramäischen Handschriften der kön. Bibliothek zu Berlin* (Beiträge zur Volks- und Völkerkunde 4). Weimar, 1896.
- Löwy, Albert. "Notes on the Jews of Kurdistan." Anglo-Jewish Association, *Sixth Annual Report*. London, 1897, pp. 94–97.
- Benjamin, Joseph Israel ("Benjamin II"). *Acht Jahre in Asien und Afrika von 1846 bis 1855*. Hannover, 1858.
- . *Cinq années en Orient (1846–1851)*. Paris, 1856.
- . *Drei Jahre in Amerika*. Hannover, 1863.
- . *Eight Years in Asia and Africa from 1846 to 1855*. Hannover, 1859.
- . *Sefer Massa'e Yisrael*. Trans. David Gordon. Lyck, 1859.
- Ben-Ya'akov, Abraham. *Q'hillot Y'hude Kurdistan*. Jerusalem, 1961. Reprint, Jerusalem, 1981.
- Ben-Zvi, Yitzhaq. *Okblosenu ba-Aretz*. Jerusalem, 1929.
- . *The Exiled and the Redeemed*. Philadelphia, 1961.
- Binder, Henry. *Au Kurdistan en Mésopotamie et en Perse*. Paris, 1887.
- Borchart, Paul. "Benjamin von Tudela." *EJ*, s. v.
- . "Der Reiseweg des Rabbi Benjamin von Tudela und des Rabbi Petachia aus Regensburg in Mesopotamien und Persien." *Jahrbuch der jüdisch-literarischen Gesellschaft*, Frankfurt a. M., 16 (1924): 139–62.
- Brawer, A. J. "Mi-Parashat Massa'otay be-Faras." *Sinai* 1, no. 9–10 (1938): 239–50; no. 11 (1938): 430–38.
- Bruhl, J. H. "Journal." *Ji*, 1864, pp. 89ff.
- Buschan, Georg. *Die Sitten der Völker*. 4 vols. Stuttgart, 1914–22.
- . *Völkerkunde*. Stuttgart-Berlin, n. d.
- Clauss, L. F. *Von Seele und Antlitz der Rassen und Völker*. München, 1929.
- Cluckhohn, Clyde. "Some Reflections on the Method and Theory of the Kulturkreislehre." *American Anthropologist* 38 (1936): 157–96. Dalman, Gustav. *Arbeit und Sitte in Palästina*. 7 vols. Gütersloh, 1928–42.
- David d'Bet Hillel. *Travels of Rabbi David d'Bet Hillel: From Jerusalem Through Arabia, Koordistan, Part of Persia and India to Madras*. Madras, 1832.
- Davidson, Israel. *Thesaurus of Medieval Hebrew Poetry*. 4 vols. New York, 1924–33.
- Dictionary of National Biography*. London, various dates. S. v. "Stern, Henry Aaron," and "Wolff, Joseph."
- Diwan, Yehuda ben 'Amram. *Hut ba-Mesbulash*. Constantinople, 1739.
- Donaldson, Bess Allen. *The Wild Rue*. London, 1938.
- Dozy, R. P. A. *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les Arabes*. Amsterdam, 1845.
- Duval, R. *Les dialectes néo-Araméens de Salamas*. Paris, 1883.
- Ei*. S. v. "Kurdistan."
- EJ*. S. v. "Benjamin, Joseph Israel."
- Endres, Franz Carl. *Die Türkcii*. München, 1918.
- Eppstein, J. M. "Journey to Kurdistan." *Ji*, 1893.
- . "Visit to Kerkuk." *Jewish Records*, London, Oct. 1893, pp. 167ff.
- Erich, Oswald Adolf, and Richard Beidl. *Wörterbuch der deutschen Volkskunde*. Leipzig, n. d. (ca. 1936).
- Field, Henry. *Arabs of Central Iraq*. Chicago, 1935.
- Fischel, Walter. "Bei den Juden im kurdischen Bergland." *JR*, Jan. 8, 1937.
- . "Iggerot Kurdistan." *Sinai* 6 (1939).
- . "Kurdistan." *EJ*, vol. 10, 1934, pp. 514–19.

- . *The Seed of Abraham: Jews and Arabs in Contact and Conflict*, Salt Lake City, 1986.
- Pauly, A. and G. Wissowa, *Realenzyklopädie der klassischen Altertumswissenschaft*. Stuttgart, 1842–61.
- Perkins, Justin. *Residence of Eight Years Among the Nestorian Christians With Notices of the Muhammadans*. Andover, 1843.
- Pfannenschmidt, H. *Das Weibwasser im heidnischen und christlichen Kultus*. Hannover, 1878.
- Ploss, Heinrich, Max Bartels, and Paul Bartels. *Das Weib*. 11th ed. 3 vols. Berlin, 1927.
- Ploss, Heinrich, and Barbara Renz. *Das Kind in Brauch und Sitte der Völker*. 2 vols. Berlin, 1911–12.
- Preller, L. *Römische Mythologie*. Berlin, 1881–83.
- Prym, Eugen, and Albert Socin. *Der neu-Aramäische Dialect des Tur-Abdin*. 2 vols. Göttingen, 1881.
- Ratzel, Friedrich. *Völkerkunde*. 2nd ed. 2 vols. Leipzig and Vienna, 1894.
- Reich, Sigismund. *Etudes sur les villages araméens de l'Anti-Liban*. Damascus, n. d. (ca.1938).
- Reischer, Moshe. *Sefer Sha'are Yrushalayim*. Lemberg, 1870. Reprint Jerusalem, 1966–67.
- Rich, C. J. *Narrative of a Residence in Koordistan*. London, 1836. Ritter, Carl. *Die Erdkunde von Asien*. Vol. 9. Berlin, 1840.
- Rivlin, Yosef Y. *Shirat Yehude ha-Targum*. Jerusalem, 1959.
- . "Shabtit Dilomkhe." *Zion-Yedi'ot* 1, no. 1 (1930): 9–112, 43–45; no. 4:59–61.
- . "Sippur David we-Goliat bi-Lshon Targum." *Zion-Meassef* 4 (1930): 109–20.
- . "Tafsir ha-Melekh." *Zion-Yedi'ot* 1, no. 1 (1930): 43–45.
- Rosenthal, Franz. *Die Aramäistische Forschung seit den Arbeiten Theodor Noldekes*. Leiden, 1939.
- Rubashov, Zalman. "Urmia." *Davar* (Tel Aviv daily), Sept. 6, 1940.
- Saad, Lamec. *Sechszehn Jahre als Quarantänarzt in der Türkei*. Berlin, 1913.
- Sabar, Yona. *The Folk Literature of the Kurdish Jews*. New Haven, 1982.
- Sassoon, David Solomon. *Obel David*. 2 vols. London, 1932.
- Scheftelowitz, Isidor. *Altpalästinensischer Bauernglaube*. Hannover, 1925.
- Schmidt, Wilhelm. *Culture Historical Method of Ethnology*. New York, 1939.
- Schrader, O. *Die Totenbochzeit*. Jena, 1904.
- Schrire, T. *Hebrew Amulets*. London, 1966.
- Schur, Zev Wolf. *Mahazot ha-Hayyim*. Vienna, 1884.
- Schwarz, Paul, ed. *Der Drwan des Umar ibn Abi Rabi'ab*. Leipzig, 1901.
- Schwarz, Walter. "Bei den kurdischen Juden." *JR*, July 12, 1935.
- Slouschz, Naham. *Massa'i be-Eretz Luv*. 2 vols. Tel Aviv, 1943.
- Smith, Eli, and H. G. O. Dwight. *Missionary Researches in Armenia Including a Journey Through Asia Minor to which is Prefixed a Memoir on the Geography and Ancient History of Armenia*. London, 1834.
- Soane, E. B. *To Mesopotamia and Kurdistan in Disguise*. London, 1912.
- . "On a Unique Specimen of Lishana shel Imrani." *Transactions of the Society of Biblical Archaeology* 4 (1876): 98–117.
- . "On Kudish Folk Lore in the Kurdo-Jewish Dialect." *Transactions of the Society of Biblical Archaeology* 6 (1878):600–602.
- MacLean, A. J. *Grammar of the Dialects of Vernacular Syriac*. Cambridge, 1895; Oxford, 1901.
- Mann, Jacob. "Ha-'I'nu'ot ha-M'shihiyot bime Massa'e ha-Tz'lav ha-Rishonim." *Ha'Tegufa* 24 (1928): 335–58.
- . *Livre d'Hommage a la mémoire du Dr. Samuel Poznanski*. Warsaw, 1927.
- . "Obadia le Proselyte." *REF* 71 (1920): 89–93. ———. *Texts and Studies in Jewish History and Literature*. 2 vols. Cincinnati, 1931.
- Mannhardt, Wilhelm. *Wald- und Feldkulte*. Berlin, 1875–77.
- Marçais, Georges. *Le Costume musulman d'Alger*. Paris, 1930.
- Minorsky, V. "Kurds." *EI* 4:1132–35.
- Mizrahi, Barukh ben Sh'mu'el. *Shive Zimrab*. Jerusalem, 1930.
- Morgan, J. de. *Mission scientifique en Perse*, Paris, 1895.
- Mulinen, E. Graf von. "Beiträge zur Kenntnis des Karmels." *ZDPV* 30 (1907): 117–207; 31 (1908): 1–258.
- Naumann, H. *Grundzüge der deutschen Volkskunde*. Leipzig, 1922.
- Newmark, Ephraim. "Eretz haQodem." *HeAsiph* 1889:39–75.
- Nikitine, Basil. "La vie domestique Kurde." *RETP* 3 (1922):334–44.
- . "Rawandiz." *EI* 3:1130–32.
- Obermeyer, Jacob. *Die Landschaft Babylonien*. Frankfurt a. M., 1929.
- Ohana, Raphael. *Mar'eb ha-Yeladim*. 3rd ed. Jerusalem, 1908.
- Orhot Saddiqim*. Quoted in Meir Aldabi, *Shvile Enunab*.
- Palmer, H. D. *Joseph Wolff: His Romantic Life and Travels*. London, 1935.
- Patai, Raphael. *Israel Between East and West: A Study in Human Relations*. Philadelphia, 1953.
- . "The Hebrew Education in the Marrano Community of Meshhed" (in Hebrew). *Edoth* 1:4 (July 1946): 213–26.
- . Historical Traditions and Mortuary Customs of the Jews of Meshhed. (In Hebrew) Jerusalem, 1945. (In English in) Raphael Patai, *On Jewish Folklore*. Detroit, 1983, pp. 238–50.
- . "Jewish Folk Cures for Barrenness." *Folk-Lore*, London, 55 (Sept. 1944):1170024; 56 (Dec. 1944 and March 1945):208–18.
- . *Jewish Seafaring in Ancient Times* (in Hebrew). Jerusalem, 1938.
- . "Ha-Ledah ba-Minhag ha-'Amami." *Talpioth*, New York, 6 (1953):226–68, 686–705; 9 (1965):238–59.
- . *Man and Earth in Hebrew Custom, Belief and Legend* (in Hebrew). Jerusalem, 1942–43.
- . *Man and Temple in Ancient Jewish Myth and Ritual*. Edinburgh, 1947.
- . "Marriage Among the Marranos of Meshhed." (In Hebrew) *Edoth* 2 (1947):165–92. (In English in) Patai, *On Jewish Folklore*, pp. 203–37.
- . *On Jewish Folklore*. Detroit, 1983.
- . "Problems and Tasks of Jewish Folklore and Ethnology." *Journal of American Folklore* 59:231 (Jan.–March, 1946): 25–39.

THE JEWS OF KURDISTAN

By

ERICK BRAUER

COMPLETED AND EDITED BY

RAPHAEL PATAI

TRANSLATED BY

SHAKHAWAN KERKUKI & ABDULRAZZAQ BOTANI

- Stafford, Ronald S. H. *The Tragedy of the Assyrians*. London, 1935.
- Stern, Henry A. *Dawnings of Light in the East, With Biblical, Historical, and Statistical Notices of Places Visited During a Mission to the Jews in Persia, Coordistan, and Mesopotamia*. London, 1854.
- Streck, M. "Irbil." In *EI* 3:521–23.
- Tacitus. *Germania*.
- Tchorny, Yosef Yehuda. *Sefer ha-Massa'ot*. St. Petersburg, 1884.
- Tilke, Max. *Studien zu der Entwicklungsgeschichte des orientalischen Kostüms*. Berlin, 1923.
- Vambéry, Arminius. *Sittenbilder aus dem Morgenlande*. Berlin, 1876.
- Virchow, Hans. "Die armenische Wiege." *Zeitschrift für Ethnologie* (1924):208.
- Wigram, W. A., and Edgar T. A. Wigram. *The Cradle of Mankind*. London, 1914.
- Wirth, Alfred. *Anhaltische Volkskunde*. Dessau, 1932.
- Wolff, Joseph. *Missionary Journal and Memoirs of the Rev. Joseph Wolff*. 3 vols. London, 1827–29.
- . *Researches and Missionary Labours*. London, 1835.
- Wundt, Wilhelm. *Völkerpsychologie*. Part 4: *Mythus und Religion*. Leipzig, 1920.
- Wuttke, A. *Der deutsche Volksaberglaube der Gegenwart*. 3rd ed. Berlin, 1900.
- Ya'ari, Abraham. "Massa'ot R. David." *Sinai* 2:24–33.
- . *Sb'yihim me-Eretz Yisrael V'Asret ha-Shevatim*. Jerusalem, 1940.
- Yosef IJayyim. *Rav Po'alim*. Jerusalem, 1903.
- Zlotnick, Juda L. *Ma'ase Yerushalmi*. Jerusalem, 1946.
- Zobel, M. "Bräuche nach der Geburt eines Kindes." *Almanach des Schocken Verlags*. Berlin, 1938–39, p. 103.
- Zohar, *The Book of*. Many editions.